منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله من خلال كتابه :

تفسير القرآن العظيم

والاستفادة منه في العصر الحاضر

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة

إعداد الطالب

مبارك بن حمد الحامد الشريف

إشراف

أ. د. محمد زين الهادي العَرَمابي

١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م

شبكة الألوكة
www.alukah.net

جمهورية السودان
وزارة التربية والتعليم والبحث العلمي
جـــامعة أم درمـــــان الإسلامية
معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي

منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله من خلال كتابه :

تفسير القرآن العظيم

والاستفادة منه في العصر الحاضر

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة

إعداد الطالب
مبارك بن حمد الحامد الشريف
إشراف
أ. د. محمد زين الهادي العَرَمابي

١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م

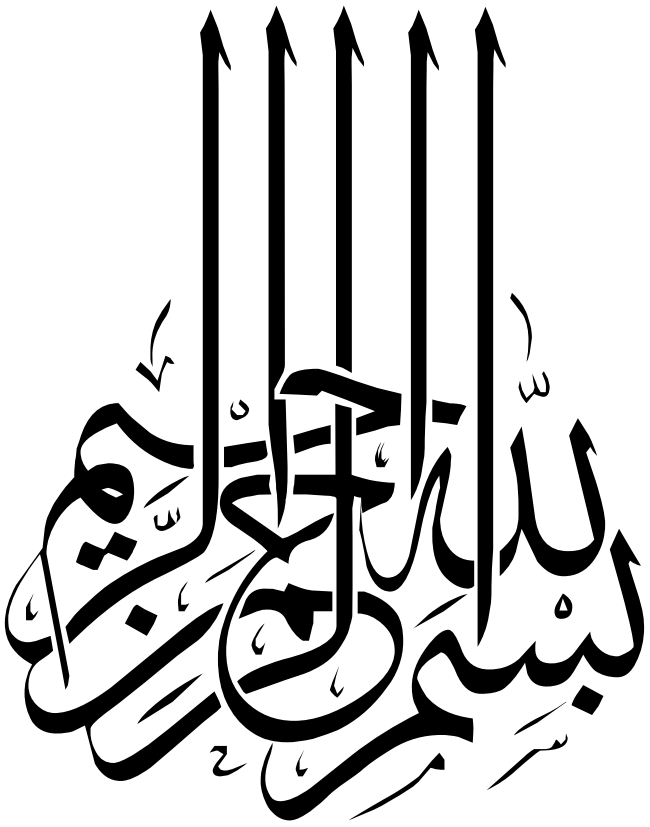
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد ؛

فإن الأمة الإسلامية أحوج ما تكون اليوم وهي تتخبط في مناهج شتى وطرق عدة أدّت بها إلى الضعف والانحطاط والتخلف بسبب بُعدها عن المنهج القويم والصراط المستقيم إلى منهج الرسول ﷺ وصحابته الكرام وسلف الأمة ومن سار على دربهم من العلماء والدعاة والمصلحين، فما أحوجها اليوم إلى الرجوع إلى حال أولها، ولا شك أن معرفة هذا المنهج ودراسته ومعرفة رجاله وأعلامه هي الخطوة الأولى – بإذن الله – التي تساعد على السير على منهجهم واقتفاء أثرهم واتباع خطاهم، ومن هؤلاء الأعلام الإمام الحافظ ابن كثير فقد كان رحمه الله كما قال العلامة العيني فيما نقله عنه ابن تغري بردي: «قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ وسمع وجمع وصنف ودَّرس وحدَّث وألف وكان له إطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ، واشتهر بالضبط والتحرير وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير وله مصنفات عديدة مفيدة»[1] .

لذا رغبت أن أدرس منهجه الدعوي وخصائص هذا المنهج وأصوله وكيف نستفيد منه في وقتنا الحاضر وذلك من خلال كتابه « تفسير القرآن العظيم »،

---

[1] انظر يوسف بن تغري بردي (النجوم الزاهره في ملوك مصر والقاهرة) ١٢٣/١١ طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٩هـ .

ذلك الكتاب الذي تلقاه الناس بالقبول و أثنوا عليه لا سيما العلماء منهم، يقول السيوطي: « له في التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله »[1]، ويقول الشوكاني « وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها »[2] .

الدراسات السابقة

إن المكانة العلمية العالية والرفيعة التي نالها الإمام ابن كثير في تفسيره، كانت وراء السبب في تعدد هذه الدراسات والبحوث العلمية وتنوّعها عن هذا السفر النفيس، ومع تعدد هذه الدراسات وتنوعها فإنه – حسب علم الباحث – لم تكن هناك دراسة اختصت بالمنهج الدعوي لابن كثير في تفسيره، وإنما وجدت بحوث علمية عديدة ودراسات تمت فيها المقارنة بين تفسيره وتفسير الإمام الطبري مثل المقارنة بين منهجي الإمامين ابن جرير وابن كثير في التفسير[3] أو دراسات ركزت على تحديد وإبراز منهجه في التفسير،مثل الامام ابن كثير المفسر[4]، ومنهج ابن كثير في تفسيره[5]، وابن كثير ومنهجه في

---

(١) ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ص ٣٦١، مطبعة توفيق، مصر ١٣٤٧هـ.

(٢) انظر الشوكاني البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١٥٣/١ مطبعة السعادة القاهرة الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ .

(٣) المقارنة بين منهجي الإمامين ابن جرير وابن كثير في التفسير، محمد مختار طالب بن محمد آل نوح، رسالة ماجستير، مقدمة لكلية أصول الدين، جامعة الأزهر، وقد طبعته دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع بجده ١٤٢٣هـ .

(٤) الإمام ابن كثير المفسر، مطر أحمد الزهراني، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الشريعة بجامعة أم القرى عام ١٤٠٢هـ، رسالة غير منشورة .

(٥) منهج ابن كثير في تفسيره، سليمان بن إبراهيم اللاحم، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٠هـ وقد طبعتة، دار المسلم للنشر والتوزيع بالرياض ١٤٢٠هـ .

التفسير[١]، وابن كثير المفسر[٢]، وابن كثير ومنهجه في التفسير[٣] بينما هناك دراسات تناولت موقفه من الإسرائيليات في ضوء تفسيره، مثل موقف ابن كثير من الاسرائيليات في ضوء تفسيره[٤] ومنهج ابن كثير في روايته ونقده للاسرائيليات[٥] وأخرى رصدت استدراكاته على ابن جرير الطبري وغيره من المفسرين، مثل استدراكات ابن كثير على ابن جرير في تفسيره[٦]، إضافة إلى الدراسات التي تعرضت لجهود الحافظ ابن كثير في الجرح والتعديل في تفسيره، أو تخريج أحاديث بعض السور الكريمة في تفسيره، مثل تخريج الأحاديث الواردة في سورة الرعد[٧] من تفسير ابن كثير وكذلك تخريج

---

(١) ابن كثير ومنهجه في التفسير، إسماعيل سالم عبد العال، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية العلوم – قسم الشريعة – جامعة القاهرة، ١٤٠٣هـ وقد طبعته مكتبة الملك فيصل الإسلامية – القاهرة ١٩٨٤هـ .

(٢) ابن كثير المفسر، أبو الفتوح عبد الحميد يوسف، رسالة ماجستير ١٩٧٣م جامعة الإسكندرية كلية الآداب .

(٣) ابن كثير ومنهجه في التفسير، فرمان إسماعيل إبراهيم، رسالة ماجستير ١٩٩٠م جامعة بغداد للعلوم الإسلامي .

(٤) موقف ابن كثير من الإسرائيليات في ضوء تفسيره، محمد إبراهيم تراوي، رسالة ماجستير ١٤٠٧هـ مقدمة إلى كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، رسالة غير منشورة وكذلك موقف ابن كثير من الإسرائيليات في ضوء تفسيره, محمد أنور صاحب عمر رسالة ماجستير ١٤١٤هـ, مقدمة لكلية القران والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(٥) منهج ابن كثير في روايته ونقده للإسرائيليات، مصطفى محمد الخان، رسالة ماجستير ٢٠٠٤م، الجامعة الأردنية .

(٦) استدراكات ابن كثير على ابن جرير في تفسيره، أحمد عبد الله الغاني، رسالة دكتوراه ١٤٢٠هـ، مقدمة لكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، رسالة غير منشورة . وكذلك استدراكات ابن كثير على ابن جرير في تفسيره، شايع عبده شايع الاسمري، رسالة دكتوراه ١٤١٧هـ، مقدمة لكلية القرآن والدراسات الإسلامي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ولم يتيسر الاطلاع عليها.

(٧) تخريج الأحاديث الواردة في سورة الرعد من تفسير ابن كثير، محمد عبده عبد الرحمن الكحلاني، رسالة ماجستير ١٤٠٠ هـ، مقدمة لكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية، رسالة غير منشورة .

أحاديث سورة الكهف من تفسير ابن كثير[١]، ومنهجه في كتابه البداية والنهاية، مثل منهج ابن كثير وموارده في المبتدأ والسيرة والراشدين من كتابه البداية والنهاية[٢] وكذلك الامام ابن كثير سيرته ومؤلفاته ومنهجه في كتابه التاريخ[٣]، كما أن هناك بحوثًا أخرى لإبراز جهوده في تقرير عقيدة السلف مثل منهج ابن كثير في تقرير عقيدة السلف[٤]، وآراء ابن كثير في مسائل الاعتقاد[٥]، وأشراط الساعة، مثل منهج ابن كثير في تقرير مسائل أشراط الساعة[٦]،وفي علم الحديث رواية ودراية مثل الامام ابن كثير واثره في علم الحديث رواية ودراية[٧] وجهود ابن كثير في علم الحديث دراية ورواية[١].

---

(١) تخريج أحاديث سورة الكهف من تفسير ابن كثير، لمحمد عبده عبد الرحمن الكحلاني، رسالة دكتوراه ١٤٠٤هـ، مقدمة لكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(٢) منهج ابن كثير وموارده في المبتدأ والسيرة والراشدين من كتابه البداية والنهاية، شمس الله محمد صديق زال بيك جلالي، رسالة دكتوراه ١٤١٣هـ، مقدمة لكلية الدعوة قسم التاريخ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، رسالة غير منشورة .

(٣) الإمام ابن كثير سيرته ومؤلفاته ومنهجه في كتابه التاريخ، د. مسعود خان الندوي، وهو جزء من رسالة دكتوراه بعنوان « دراسة لابن كثير المؤرخ على ضوء كتابه البداية والنهاية »، مقدمة لقسم الدراسات الإسلامية بجامعة عليكره الإسلامية بالهند، وقد طبعته دار ابن كثير بدمشق ١٤٢٠هـ .

(٤) منهج ابن كثير في تقرير عقيدة السلف، على حسين بن يحيى موسى، رسالة ماجستير ١٤٠٩هـ، مقدمة لكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، رسالة غير منشورة .

(٥) آراء ابن كثير في مسائل الاعتقاد، عبد الله محمد محمود، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، لم يتيسر الاطلاع عليها .

(٦) منهج ابن كثير في تقرير مسائل أشراط الساعة، شداد بن عيسى والد، رسالة ماجستير ١٤٢٣هـ، مقدمة لكلية التربية قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض، رسالة غير منشورة .

(٧) الإمام ابن كثير وأثره في علم الحديث رواية ودراية، عدنان محمد عبد الله شلش، رسالة دكتوراه، مقدمة لجامعة القرآن والعلوم الإسلامية بالسودان، وقد طبعته دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن، ط١ ١٤٢٥هـ.

ويلاحظ كما ذكرت أن هذه البحوث والدراسات مع تنوعها وكثرتها ليس لها علاقة بالمنهج الدعوي لابن كثير في تفسيره .

ولعل من أقرب الدراسات إلى موضوع الباحث هي الدراسة التي قام بها إبراهيم بن مرشد المرشد بعنوان « منهج ابن كثير وجهوده في الدعـــوة إلى الله» [٢].

ولكن عند النظر في هذه الدراسة نجد أن هناك اختلافًا بينها وبين دراسة الباحث « منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله من خلال كتابه تفسير القرآن العظيم، والاستفادة منه في العصر الحاضر » وذلك للأمور التالية :

١- إن صاحب الدراسة حينما تناول موضوع جهود ابن كثير في الدعوة إلى الله في دراسته تناولها حسب العنوان الرئيس للدراسة وهو « منهج ابن كثير وجهوده في الدعوة إلى الله » فأفرد لهذا المبحث – جهود ابن كثير في الدعوة إلى الله -بابًا كاملًا يمثل نصف خطة دراسته حيث إنها تحتوي على تمهيد وبابين، وهذا يختلف عن دراسة الباحث التي سيتناول فيها جهود ابن كثير في الدعوة إلى الله ضمن مباحث متفرقة في ثنايا موضوعات مختلفة، وليس في حجم باب كامل ومستقل عن غيره كما هو الحال في هذه الدراسة .

---

(١) جهود ابن كثير في علم الحديث دراية ورواية، للعجمي دمنهوري خليفة، رسالة دكتوراه ١٩٧٣م، مقدمه لكلية أصول الدين بجامعة الأزهر .

(٢) منهج ابن كثير وجهوده في الدعوة إلى الله، إبراهيم بن مرشد المرشد، رسالة دكتوراه ١٤١٧هـ، مقدمة لكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، رسالة غير منشورة .

٢- إن الباحث هنا قصد بدراسته محاولة إبراز منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله وخصائص هذا المنهج من خلال تفسيره رحمه الله، فمشكلة البحث لدى الباحث تتلخص في تحديد وإبراز خصائص منهج الدعوة إلى الله عند الإمام ابن كثير رحمه الله في كتابه «تفسير القرآن العظيم » وكيفية الاستفادة منه في العصر الحاضر، بينما الدراسة المشار إليها تناولت منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله بشكل عام ومن خلال مؤلفات ابن كثير المختلفة مما له صلة بالموضوع، وقد صرّح بذلك صاحب الدراسة في مقدمة بحثه فقال : « قمت بدراسة كل موضوع من موضوعات البحث حسب الخطة الموضوعة له وتوضيح كافة جوانبه وعرض وتحليل منهج ابن كثير فيه على ضوء النقول الوافية المستخرجة من مختلف مؤلفاته مما له صلة بالموضوع »[(١)].

٣- وبناءًا على ما سبق فقد خصص الباحث في خطته هذه بابًا مستقلًا – الباب الأول – للكلام عن خصائص منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله من خلال تفسيره فقط، بينما الدراسة المشار إليها لم تتعرض لذلك بهذا القدر والتفصيل .

٤- إن الباحث حرص أن يستفيد الداعية والمدعو في العصر الحاضر من منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله، لذا خصص بابًا كاملًا لهذا

---

(١) انظر المقدمة ص ٤، ولأن المقصود هو دراسة منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله وخصائص هذا المنهج من خلال تفسير ابن كثير، فقد أفرد الباحث جزءًا من التمهيد للحديث عن تفسيره رحمه الله وأهميته مصادره وأثره على من جاء بعده من المفسرين وغير ذلك من الموضوعات والمباحث المتعلقة بهذا الكتاب بشيء من الاختصار والإيجاز .

المبحث – الباب الثالث – بعنوان الاستفادة من منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله في العصر الحاضر، بينما اكتفى صاحب الدراسة بالتوصية بالاستفادة من منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله فقال في التوصيات : « خامسًا : أوصي الدعاة إلى الله تعالى بالاستفادة من منهج ابن كثير رحمه الله في الدعوة إلى الله نظرًا لما بين العصرين من التشابه... »[1].

أما أوجه التشابه بين خطة الباحث وهذه الدراسة وما يمكن الاستفادة من ذلك فإنه يمكن إجمالها في الآتي :

١- ما كتبه صاحب الدراسة عن ترجمة ابن كثير وتعريف الدعوة وأهميتها فيمكن أن يخدم الباحث في التمهيد عن ترجمة ابن كثير ومفهوم الدعوة وأهميتها عند ابن كثير.

٢- ما كتبه صاحب الدراسة عن تحقيق شهادة أن لا اله إلا الله وتحقيق بقية أركان الإسلام فيمكن أن يخدم الباحث في المبحثين الأول والثاني من الفصل الأول في الباب الثاني عن منهج ابن كثير في الدعوة إلى العقيدة والشريعة .

٣- ما كتبه صاحب الدراسة عن إعداد الداعية ومنهج ابن كثير في تصنيف الناس فيمكن أن يخدم الباحث في الفصل الثالث من الباب الثاني عن التوجيه العلمي والعملي للداعية، وكذلك في

---

(١) انظر ص ٨٥٣ من الرسالة المذكورة.

الفصل الثاني من الباب الثاني عن منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله باعتبار المدعو .

٤- ما كتبه صاحب الدراسة عن جهود ابن كثير، فيمكن أن يخدم الباحث في ترجمة ابن كثير في التمهيد .

وأخيرًا فإن الباحث يأمل أن تحقق دراسته مع هذه الدراسة المشار إليها التكامل المطلوب في خدمة هذا الموضوع المهم وإبرازه والانتفاع به ألا وهو منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله، كما يرجو الباحث أن تفيا هاتان الدراستان ولو بشيء من حق هذا العالم الجليل والمصلح الكبير والداعية العظيم الإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير رحمه الله تعالى .

ثانيا : أسباب اختيار الموضوع وأهميته :

إضافة إلى ما سبق ذكره فهناك أسباب دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع منها :

١- الحاجة الماسة – كما أشرت سابقًا – إلى الرجوع إلى المنهج الصحيح الذي سار عليه سلف الأمة في دعوتهم إلى الله تعالى .

٢- ما تميز به الإمام ابن كثير رحمه الله من العلم والعمل والدعوة فهو الإمام الحافظ المحدث الفقيه المفسر المؤرخ الحجة في العلم العمل وهو تلميذ لمدرسة الإمام ابن تيمية المعروف بدفاعه عن السنة، ودعوته لمنهج السلف فمن كان يسير على هذا المنهج فهو جدير بدراسة علمية للتعرف على منهج دعوته وخصائصها وسبيل الإستفادة منها في زماننا الحاضر وتزويد المكتبة الدعوية بذلك .

٣- رغبتي في الاطلاع عن كثب على علم هذا العلامة الفاضل والإستفادة مما كتب من تآليف تعد بحق موسوعة علمية وخاصة كتابه تفسير القرآن العظيم، والذي يعد من أحسن وأصح كتب التفسير إن لم يكن أحسنها وأصحها على الإطلاق بعد تفسير ابن جرير الطبري وذلك لعنايته بمناقشة أسانيد ومتون الأحاديث والآثار، ولأن ابن كثير ثقة اختار أحسن الطرق في تفسيره القرآن – والتي سنتحدث عنها إن شاء الله أثناء البحث – ولتمسكه في تفسيره بعقيدة السلف في كلامه عن آيات العقائد والأسماء والصفات وغير ذلك من المميزات العظيمة لهذا الكتاب .

٤- مشابهة عصر الإمام ابن كثير بعصرنا الحاضر من وجوه منها :

أ. الضعف السياسي للعالم الإسلامي وتمزقه الى دويلات حرص حكامها على مصالحهم الشخصية ومراكز نفوذهم غير مبالين بقضايا الأمة ومصالحها .

ب. كثرة المذاهب والفرق المنحرفة عن الإسلام والتي تَدَّعي الانتساب إليه وهي في الواقع تحاربه .

ج. تقصير كثير من العلماء في واجب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا ما ندر منهم .

د. أطماع الكفار في خيرات المسلمين ونهب ثرواتهم .

ثالثا : مشكلة البحث وأهم تساؤلاته :

إن مشكلة البحث تتلخص في تحديد خصائص وأصول منهج الدعوة إلى الله عند الإمام ابن كثير رحمه الله من خلال كتابه « تفسير القرآن العظيم » وكيفية الاستفادة منها في عصرنا الحاضر، وتنبني تساؤلات البحث على عناصر مشكلته السابقة فهي تدور حول التسآؤلات التالية :

ما مفهوم الدعوة الى الله عند ابن كثير ؟

ما خصائص منهج ابن كثير في الدعوة الى الله من خلال كتابه « تفسير القرآن العظيم » ؟

ما الأصول التي بُني عليها هذا المنهج ؟

ما الوسائل والأساليب التي استخدمها ابن كثير في الدعوة إلى الله؟

كيف يستفيد الداعية المعاصر من منهج ابن كثير ؟

كيف يستفيد المدعو المعاصر من منهج ابن كثير ؟

مصطلحات البحث :

المنهج : من مادة نهج، ينهج، نهجا وهو الطريق البين الواضح ويطلق على الطريق المستقيم والمنهج، والمنهاج بمعنى واحد وفي التنذيل قوله تَعَالَىٰ: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾(1)

الدعوة : لها معان متعددة كلها تدور حول الطلب والسؤال والنداء والدعاء والبيان والإرشاد(2) .

وهي (حركة علمية لنشر الإسلام وتعليمه للناس وتعريفهم به على وجهه الصحيح وفق منهج علمي مدروس بوسائل وأساليب راقية ومتجددة، بواسطة دعاة مسلمين يقومون به في الناس على هدى وبصيرة »[3] .

---

(1) سورة المائدة الآية ٤٨. وأنظر لسان العرب لأبن منظور ٢ | ٣٨٣ مادة نهج . دار صادر بيروت والقاموس المحيط للفيروز أبادي ١ | ٢٠٩ مادة نهج مطبعة بولاق .

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، ٢٧٩/٢ مادة (دعو دعا). طبعة دار الجيل بيروت ١٤٢٠هـ .

لسان العرب لابن منظور ٢٥٧/١٤ وما بعدها مادة (دعا) . طبعة دار صادر بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.

الصحاح للجوهري ١٨٦٥/٥ مادة (دعا) . طبعة دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ .

(3) الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، د. محمد زين الهادي ص ١٠، مطابع السودان للعملة ٢٠٠٥م .

رابعا : منهج الدراسة

سيكون منهج الدراسة في هذا البحث قائم على المنهج الاستنباطي والتحليلي والاستقرائي، وذلك بتتبع النصوص في تفسير ابن كثير ثم تحليلها ومحاولة استنباط الدلالات ذات العلاقة للخروج برؤية علمية مناسبة .

خامسًا : هيكل البحث :

ولإعطاء البحث حقه من البحث والدراسة – حسب جهدي المتواضع و علمي القاصر – وجلبًا للفائدة التي يرجوها الباحث سأجعل البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة وهذا هو هيكله.

التمهيد : ويشتمل على النقاط التالية :

أولًا : ترجمة الحافظ ابن كثير رحمه الله .

ثانيًا : كتابه « تفسير القرآن العظيم » ومكانته وأهميته .

ثالثًا : مفهوم الدعوة وأهميتها عند ابن كثير رحمه الله .

الباب الأول : خصائص منهج الدعوة إلى الله عند ابن كثير وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول : اعتماد ابن كثير على الكتاب والسنة .

الفصل الثاني : النقل والعقل ونظرية المعرفة منهج دعوي عند ابن كثير

الفصل الثالث : الاحتجاج باللغة العربية وأثره في المدعوين

الفصل الرابع : شمول منهج أبن كثير الدعوي وموضوعيته وتقديمه قول الصحابي

الباب الثاني : منهج الدعوة إلى الله عند ابن كثير من خلال أركان الدعوة وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله باعتبار مضمونها

الفصل الثاني : منهج ابن كثير في دعوة الناس إلى الله .

الفصل الثالث : منهج ابن كثير في توجيه الدعاة .

الفصل الرابع : استخدام ابن كثير لوسائل الدعوة وأساليبها .

الباب الثالث الاستفادة من منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله

الفصل الأول : إستفادة المدعو المعاصر من منهج ابن كثير .

الفصل الثاني : إستفادة الداعية المعاصر من منهج ابن كثير .

الخاتمة : وتشمل على :

أولا : النتائج .

ثانيا : التوصيات

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد

ويشتمل على :

أولًا : ترجمة الحافظ ابن كثير رحمه الله .

ثانيًا : كتابه « تفسير القرآن العظيم ومكانته وأهميته .

ثالثًا : مفهوم الدعوة وحكمها وفضلها .

أولًا : ترجمة ابن كثير رحمه الله :

- عصره :

عاش ابن كثير رحمه الله معظم القرن الثامن الهجري (٧٠١-٧٧٤) في الفترة التي كان يحكم فيها المماليك البحرية[١] مصر والشام، وقد كانت هذه الفترة امتدادًا لأحداث عظيمة مرت على العالم الإسلامي، منها الحروب الصليبية (٤٩٠-٩٦٠هـ)[٢]، ومنها سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ[٣]، ومنها التنازع على السلطة بين الحكام المسلمين مما سبب خلع الكثير منهم وقتله أو اعتقاله، وقد ذكر السيوطي في كتابه حسن المحاضره أن الملك علاء الدين كجك[٤] بويع بعد عزل أخيه ونفيه ومعه إخوة له إلى قوص[١]، ولقب الملك

---

(١) المماليك البحرية : المماليك هم الذين اشتراهم الأيوبيون من بلاد متعددة لتقديمهم والاستعانة بهم في الداخل والخارج حتى أصبح لهم نفوذ وكلمة مسموعة وتدخلوا في شئون الحكم واستطاعوا تدبير مواموءة لخلع الملك العادل الثاني الأيوبي واحلال الصالح نجم الدين أيوب محله في السلطنة فأحس نجم الدين بفضل المماليك عليه وأهميتهم له في توطيد سلطانه والاحتفاظ بملكه فتوسع في شراء المماليك مع العناية بهم، واختار لهم جزيرة الروضة وسط نيل مصر لتكون لهم مستقرا، فاطلق عليهم اسم « المماليك البحرية » وكانوا من الاتراك والمغول والشراكسة والصقالبة والالبان. انظر تاريخ المماليك للدكتور عادل زيتون ص١ وما بعدها المطبعة الجديدة بدمشق ١٤٠١هـ، وانظر موجز التاريخ الإسلامي لأحمد معمور العسيري ص ٢٢٤ -٢٢٥ طبعة مطابع الابتكار بالدمام الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ وانظر ابن كثير الدمشقي للدكتور محمد الزحيلي ص ١٦-١٧ طبعة دار القلم بدمشق الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

(٢) انظر محمد علي كرد، خطط الشام ١٢٣/٢، ١٢٤، نشر دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثاية ١٣٨٩هـ، وانظر الحافظ عماد الدين اسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية ١٦٤/١٦ وما بعدها، بتحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعت دار هجر بالبرياض ط١ ١٤١٩هـ.

(٣) انظر يوسف تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٥٠/٧، مرجع سابق؟

(٤) هو علاء الدين بن محمد بن قلاوون الملك الأشرف ابن الملك الناصر من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام نصبه الأتابكي « قوصون» بعد أن قتل أخاه المنصور أبا بكر وكان الأشرف طفلًا، فأجلسه قوصون على السرير

الأشرف وعمره دون ست سنين فأقام خمسة أشهر ثم خلع واعتقل حتى مات و بعده تولى أخوه شهاب الدين أحمد ولقب الملك الناصر وبقي أربعين يومًا ثم خلع سنة ٧٤٣هـ وقيل من أول سنة ٧٤٥هـ وأقيم بعده أخوه عماد الدين إسماعيل ولقب الملك الصالح فأقام إلى أن مات في رابع ربيع الأخر سنة ست وأربعين وسبعمائة وعمره نحو عشرين سنة[٢] .

وذكر صاحب خطط الشام أنه في سنة ٧٤٢هـ جرى من تقلبات الملوك والنواب واضطرابهم ما لم يجر في مئات من السنين[٣]،ولعل ضعف الدين والسرف والتبذير والنزعات المذهبية بين أهل السنة والرافضة سبب في هذا الاضطراب السياسي، فكان من الطبيعي أن يؤثر على الحياة الإجتماعية فحصل كثير من المجاعات وانتشار الأمراض والأوبئة والوفيات بين الناس بسبب هذا[٤] . ولكن مع ذلك فقد ساد في هذه الفترة نهضة علمية كبيرة تمثلت في كثرة المدارس ودور التعليم[٥]،فانتشار العلم وكثرة التأليف في شتى

بمصر وتصرف هو في أمور المملكة، فاضطربت أحوالها، وثار الأمير أيدغمش، فظفر بقوصون وسجنه وخلع الأشرف، ولبث بضع سنين ومات سنة ٧٤٦هـ ومدة سلطته خمسة أشهر وأيام . الاعلام ٥/٢٢٠.

(١) قوص : بالضم ثم السكون وصاد مهملة، وهي قبطية، وهي مدينة كبيرة واسعة، قصبة صعيد مصر، معجم البلدان، ياقوت الحموي ٤/٤١٣ طبعة دار بيروت ١٤٠٠هـ.

(٢) انظر جلال الدين السيوطي حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١١٦-١١٧ طبع عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٣٨٧هـ .

(٣) انظر خطط الشام ٢/١٤٦-١٤٧ مرجع سابق. .

(٤) انظر البداية والنهاية ١٦/٩٣ .

(٥) ذكر النعيمي في كتابه الدارس في تاريخ المدارس أن مدارس الشافعية ٦٠ مدرسة ١/١٢٩-٤٧٢، ومدارس الحنفية حوالي ٥٣ مدرسة ١/٤٧٣-٦٥٠، ومدارس المالكية أربع مدارس، ومدارس الحنابلة احدى وعشرين مدرسة ٢/٣ وما بعدها، الدارس في تاريخ المدارس عبد القادر محمد النعيمي، مطبعة الترقي نشر المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٦٧هـ . وانظر ابن كثير الدمشقي، د. محمد الزحيلي ص ٢٢، طبعة دار القلم دمشق، ط١ ١٤٢٥هـ .

العلوم وتعدد المجتهدين والحفاظ الذين برزوا في كثير من العلوم كابن تيمية[1] والحافظ الذهبي والحافظ المزي والبرزالي وابن القيم وابن كثير وغيرهم، ولعل أهم أسباب هذه النهضة العلمية والنشاط الفكري :

١- تنافس الأمراء المماليك في تشجيع العلوم وتقريبهم العلماء وإجزال العطاء لهم .

٢- كثرة الأوقاف على المساجد والمدارس والأربطة من الحكام والأمراء والعامة .

٣- يقظة الرأي العام الإسلامي بعد تلك المحن و الأحداث المؤلمة التي مرت بالأمة الإسلامية .

٤- وجود علماء أفذاذ وصلوا إلى مرتبة التجديد والاجتهاد في هذه الفترة وهذا العصر أثَّر على حرية الفكر في البحث والمناظرة في المسائل العلمية والقضاء على التقليد المذهبي الذي هو جمود فكري وإضعاف للحرية الفكرية[2] .

فهذا العصر الذي عاش فيه ابن كثير كان له أثر كبير على نشأته وتكوينه العلمي ومنهجه الفكري وأثره الدعوي والإصلاحي وما خلّفه من آثار ومؤلفات في التفسير والحديث والتاريخ و الفقه وغير ذلك مما سنتعرض له في الفصول القادمة إن شاء الله .

---

(١) انظر ترجمته ص٤٥.

(2) انظر : سليمان بن إبراهيم اللاحم، منهج ابن كثير في التفسير، ص ١٥، طبعة دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض ط١، ١٤٢٠هـ .

-نسبه ومولده ونشأته[1] :

هو الإمام العالم الحافظ المفسر المؤرخ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع القرشي البصري[2] ثم الدمشقي الفقيه الشافعي ولد بمجدل وهي قرية شرقي بصرى من أعمال دمشق في سنة إحدى وسبعمائة إذ كان أبوه خطيبًا بها ثم انتقل إلى دمشق سنة سبع وسبعمائة مع

---

(١) وكذلك ينظر ترجمته في :
تذكرة الحفاظ للذهبي ١٥٠٨/٤، وذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ٥٧-٥٩، المعجم المختص للذهبي ٧٤-٧٥، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ٢٣٨/٢، والرد الوافر لابن ناصر الدين ٩٢-٩٥، إنباء الغمر لابن حجر العسقلاني ٤٥/١-٤٧، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى ١٢٣/١١-١٢٤، وطبقات الحفاظ للسيوطي ٥٣٣-٥٣٤، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ٣٦/١-٣٧، وطبقات المفسرين للداودي ١١١/١-١١٣، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ٣٩٩/١-٤٠٠، والمنهل الصافي والمستوفى لابن تغرى بردى ٤١٤/٢-٤١٦، والاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ للإمام السخاوي ٦٧٦-٦٧٩، وكشف الظنون للحاجي خليفة ١٠/١، ١٩، ٢٢٨،٤٣٩،٤٧١، ٥٥٠،٥٧٣،٨٣٤، ١١٠٢،١١٠٥/٢، ١١٦٢،١٥٢١، ١٨٤٠، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة طاش كبرى زاده ٢٥١/١-٢٥٢، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن عماد الحنبلي ٢٣١/٦-٢٣٢، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ١٥٣/١، وايضاح المكنون للبغدادي ١٩٤/٢، والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير نفسه في حوادث سنة ٧٠٣هـ، وتاريخ الأدب العربي ليروكلمان ٤٨/٢-٤٩، والأعلام للزكلي ٣٢٠/١، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحاله ٢٨٣/٢-٢٨٤ .
وكذلك ينظر في ترجمته عند محققي كتب ابن كثير في مقدمة التحقيق مثل الباعث الحثيث باختصار علوم الحديث ترجم له محمد عبد الرزاق حمزة ١١-١٣، وعمدة التفسير لأحمد شاكر ٢٢/١-٢٧، ومقدمة مسند الفاروق لابن كثير تحقيق عبد المعطي قلعجي، ومقدمة جامع المسانيد والسنن الهادي أقوم السنن تحقيق عبد المعطي قلعجي، ومقدمة الفصول في سيرة الرسول تحقيق محمد عيد الخطرواوي ومحيي الدين مستو، ومقدمة الاجتهاد في طلب الجهاد تحقيق عبد الله عبد المحسن عسيلان .

(٢) نسبة إلى بُصرى الشام .
وقد ضبط بعضهم نسبتها «بُصْروي» انظر ابن كثير الدمشقي للدكتور محمد الزحيلي ص ٥٠، مرجع سابق.

أخيه كمال الدين عبد الوهاب بعد موت أبيه، ولندع الإمام ابن كثير نفسه يحدثنا عن نشأته وأسرته وذلك حين ترجم لوالده في كتابه البداية والنهاية عند دخول سنة ثلاث وسبعمائة فيقول : « وفيها توفي الوالد وهو الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن درع القرشي من بني حصلة وهم ينسبون إلى الشرف وبأيديهم نسب ووقف على بعضها شيخنا المزي فأعجبه ذلك وابتهج به فصار يكتب في نسبي بسبب ذلك : القرشي – من قرية يقال لها الشركويين من غربي بصرى بينها وبين أذرعات، ولد بها في حدود سنة أربعين وستمائة واشتغل بالعلم عند أخواله بني عقبة ببصرى فقرأ البداية في مذهب أبي حنيفة، وحفظ جمل الزجاجي[1] وعني بالنحو والعربية واللغة وحفظ أشعار العرب حتى كان يقول الشعر الجيد الفائق الرائق في المدح والمراثي وقليل من الهجاء، وقُررِّ في مدارس بصرى بمبرك[2] الناقة شمالي البلد.

ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقي بصرى وتمذهب للشافعي وأخذ عن النواوي[3] والشيخ تاج الدين الفزاري[1] وكان يكرمه ويحترمه فيما أخبرني

---

(١) هو عبد الرحمن بن اسحاق النهاوندي الزجاجي أبو القاسم، شيخ العربية في عصره، ولد في نهاوند ونشأ في بغداد وسكن دمشق، ونسبته إلى أبي اسحاق الزجاج له كتاب الجمل الكبرى والايضاح في علل النحو والزاهر وغيرها توفي في طبرية من بلاد الشام سنة ٣٣٧هـ . الاعلام ٢٩٩/٣ .

(٢) وهو المبرك المشهور عند الناس فيما يزعمون : مبرك ناقة صالح عليه السلام، انظر أحمد شاكر عمدة التفسير ٢٣/١ .

(٣) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحوراني النووي الشافعي أبو زكريا محي الدين علامة بالفقه والحديث مولده ووفاته في نوا من قرى حوران بسوريا وإليها نسبته تعلم في دمشق وأقام بها زمنا طويلا من كتبه تهذيب الاسماء واللغات ومنهاج الطالبين والاذكار ورياض الصالحين وغيرها توفي سنة ٦٧٦هـ . الاعلام ١٤٩/٨ .

شيخنا العلامة ابن الزملكاني فأقام بها نحوًا من اثنتي عشرة سنة ثم تحول إلى خطابة مجدل القرية التي منها الوالدة فأقام فيها مدة طويلة في خير وكفاية وتلاوة كثيرة، وكان يخطب جيدًا وله قبول عند الناس، ولكلامه وقع، لديانته وفصاحته وحلاوته وكان يؤثر الإقامة في البلاد لما يرى فيها من الرفق ووجود الحلال له ولعياله وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة، ومن أخرى قبلها، أكبرهم إسماعيل ثم يونس وإدريس ثم من الوالدة عبد الوهاب وعبد العزيز ومحمد وأخوات عدة ثم أنا أصغرهم وسُمِّيت باسم الأخ إسماعيل لأنه كان قد قدم دمشق فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده وقرأ مقدمة في النحو وحفظ « التنبيه » و « وشرحه » على العلامة تاج الدين الفزاري وحصل المنتخب في أصول الفقه قاله لي شيخنا ابن الزملكاني، ثم أنه سقط من سطح الشامية البرانيه فمكث أيامًا ومات، فوجد الوالد عليه وجدًا كثيرًا ورثاه بأبيات كثيرة، فلما وُلدت له انا بعد ذلك سماني باسمه، فأكبر أولاده إسماعيل وآخرهم وأصغرهم إسماعيل فرحم اللّٰه من سلف وختم بخير لمن بقي، توفي والدي في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمائة في قرية مجدل القرية، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون وكنت إذ ذاك صغيرًا من ثلاث سنين أو نحوها لا أدركه إلا كالحلم، ثم تحولنا من بعده في سنة سبع وسبعمائة إلى دمشق صحبة الأخ كمال الدين عبد الوهاب وقد كان لنا شقيقًا وبنا رفيقًا شفوقًا

---

(١) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع تاج الدين أبو محمد الفزاري الامام العلامة، شيخ الشافعية في زمانه، وقد كان ممن اجتمعت فيه متون كثيرة من العلوم النافعة والاخلاق اللطيفة وفصاحة المنطق وحسن التنصيف وعلو الهمة، له كتاب الاقليد واختصار الموضوعات لابن الجوزي توفي سنة ٦٩٠هـ . البداية والنهاية ٦٤١/١٧ .

وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين وسبعمائة، فاشتغلت على يديه في العلم فيسر الله تعالى ما يسر وسهل منه ما تعسر والله أعلم »[1] .

[1] البداية والنهاية ١٨/٤٠-٤٢ .

-طلبه للعلم :

نشأ ابن كثير منذ طفولته على طلب العلم فبدأ على يد أخيه عبد الوهاب كما مر، ثم اتجه في تحصيله إلى كبار علماء عصره، فحفظ القرآن وختم حفظه سنة إحدى عشرة وسبعمائة[1]، ثم قرأ شيئًا من القرآن على الشيخ محمد بن جعفر بن فرعوش اللباد المتوفى سنة ٧٢٤هـ[2] فقد كان يقرئ الناس بالجامع نحوًا من أربعين سنة وقرأت عليه شيئًا من القرآن[3].

وحفظ التنبيه لابي اسحاق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦هـ[4]. وعرضه في الثامنة عشرة من سنّه[5] ، وحفظ مختصر ابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦هـ[6]،

---

(١) انظر البداية والنهاية ٣٢٦/١٨ .

(٢) هو الشيخ محمد بن جعفر بن فرعوش ويقال له اللباد ويعرف بالمولّه كان يقرئ الناس بالجامع نحوا من أربعين سنة وكان متقللا من الدنيا لا يقتني شيئًا وليس له بيت ولا خزانة، توفي وقد جاوز السبعين رحمه الله . البداية والنهاية ٢٤٦/١٨ .

(٣) انظر المرجع نفسه ٢٤٦/١٨ .

(٤) هو الشيخ أبو اسحاق الشيرازي إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي شيخ الشافعية ومدرس النظاميه ببغداد ولد سنة ثلاث وقيل خمس وقيل ست وتسعين وثلاثمائة وتفقه بفاس على أبي عبد الله البيضاوي ثم قدم بغداد سنة خمس عشرة واربعمائة وكان زاهدا عابدا ورعا كبير القدر معظمًا إماما في الفقه والأصول والحديث وفنون كثيرة له مصنفات كثيرة كالمهذب والتنبيه واللمع وغير ذلك توفي سنة ٤٧٦هـ . البداية والنهاية ٨٦/١٦-٨٧، الاعلام ٥١/١ .

(٥) انظر النعيمي، الدارس ٣٧/١ . مرجع سابق .

(٦) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدويني ثم المصري العلامة أبو عمرو بن الحاجب شيخ المالكية، كان أبوه حاجبًا،واشتغل هو بالعلم فقرأ القرآءات وحرر النحو تحريرا بليغا وتفقه وساد أهل عصره ثم كان رأسا في علوم كثيرة منها الأصول والفروع والعربية والعروض والتعريف والتفسير وغير ذلك، له مختصر في الفقه من أحسن المختصرات ومختصر في أصول الفقه استوعب فيه عامة فوائد الأحكام لسيف الدين الآمدي وله شرح المفصل والأمالي في العربية وغيرها، توفي سنة ٦٤٦هـ . البداية والنهاية ٣٠٠/١٧ .

وتفقه على الشيخين برهان الدين الفزاري المتوفى سنة ٧٢٩هـ،وكمال الدين قاضي شهبة المتوفى سنة ٧٢٦هـ، وصاهر الحافظ أبا الحجاج المزي فتزوج ابنته ولازمه وأخذ عنه علم الحديث ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال، وصحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية وكانت له به خصوصية ومناضلة عنه وإتباع له في كثير من آرائه وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق وامتحن بسبب ذلك وأوذي[١]، وهكذا ترقى ابن كثير في تحصيل العلوم الشرعية والعربية حتى بلغ القمة وصار يشار إليه بالبنان، ولذلك قال عنه ابن تغري بردي[٢] : « وبرع في الفقه والتفسير والحديث ... وجمع وصنف ودرس وحدّث وألّف »[٣] .

وقال الشوكاني: « برع في الفقه والتفسير والنحو وأمعن النظر في الرجال والعلل »[٤] .

فجهاد ابن كثير المتواصل، وحرصه الدائب على طلب العلم وتحصيله منذ نعومة أظفاره جعلت منه محدثًا كبيرًا، وإمامًا عالمًا ومفسرًا جليلًا، ومؤرخًا قديرًا وفقيهًا بارعًا، وأمر آخر له أثر كبير في تنوع علوم ابن كثير وتعددها،

---

(١) شذرات الذهب في اخبار من ذهب، عبد الحي بن عماد الحنبلي ٢٣١/٦، ٢٣٢، طبعة القدسي القاهرة ١٣٥٠هـ، وطبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن علي الداودي، نشر مكتبة وهبه ط١ ١٣٩٢هـ ١١٠/١، الدارس في تاريخ المدارس للنعمي ٣٦/١، البداية والنهاية ٣١٦/١٨-٣١٧، ٣٢٧/١٨-٣٢٨.

(٢) هو يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين مؤرخ بحاثه من أهل القاهرة مولدا ووفاتا، كان أبوه من مماليك الظاهر برقوق، ومن أمراء جيشه المقدمين ومات أبوه بدمشق ونشأ في حجر قاضي القضاة البلقيني المتوفي سنة ٨٢٤هـ، وتأدب وتفقه وقرأ الحديث وأولع بالتاريخ، وصنف كتبا نفيسة منها النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي وغيرها توفي سنة ٨٧٤هـ . الأعلام ٢٢٢/٨ .

(٣) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي يوسف تغري بردى ٤١٥/٢ تحقيق الدكتور محمد محمد أمين والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.

(٤) البدر الطالع ١٥٣/١ .

ألا وهو مصاحبته لعلماء كبار في عصره، أمثال المزي والذهبي وابن الزملكاني والبرزالي وابن تيمية خاصة .

إضافة إلى ذلك فقد كان المنهج الذي سلكه ابن كثير في العلاقة بالسلطة في وقته هو أن علاقته ليست رسمية بقد ما هي مشاركات في نطاق النصح والإرشاد والمشورة والتعليم وحل المنازعات ونحو ذلك، مما كان يدعى إليه من قبل الأمراء وغيرهم، والذين كانوا يحرصون على مشاركة ابن كثير في مثل هذه القضايا والأحداث، وهذا النمط من العلاقة أتاح لابن كثير الحرية الكافية في مؤلفاته وكتاباته وعدم الخضوع بالتالي لإيحاءات السلطة وإغراءاتها، بل ربما امتحن وأوذي بسبب صلابته في بعض مواقفه وآرائه خصوصًا تلك التي تابع فيها شيخه ابن تيمية[1]، لذا نجد في مؤلفاته العلم الغزير والثقافة الواسعة والمعارف المتنوعة فهي مليئة – خاصة تفسيره وتاريخه – بالحديث عن أهل الكتاب وضلالاتهم وما حصل من التحريف في كتبهم المنزلة ومحاورته لقساوستهم ورجال الدين فيهم، وكذلك إلمامه بعقائد المذاهب والفرق الضالة وبيانه لانحرافها وزيغها كالقدرية والجهمية والمعتزلة، وكذلك ما حصل من المنازعات والخصومات بين السنة والرافضة .

ومعرفته للتتار وشريعتهم التي وضعها هولاكو في كتاب الياسق ليكون دينًا لهم ومرجعًا يتحاكمون إليه، إضافة بمعرفته بالعلوم الأخرى كعلم الهيئة والفلك والجغرافيا والتاريخ والأحداث السياسية والاجتماعية التي حدثت في

---

(1) انظر: شمس الدين محمد صديق، منهج ابن كثير وموارده في المبتدأ والسيرة والراشدين من كتابه البداية والنهاية، ص ٥١ رسالة دكتوراه غير منشورة .

زمانه وغير ذلك مما يدل على سعة علمه وكثرة اطلاعه وسنذكر بعض الأمثلة على ذلك بإيجاز فمثلًا :

- فيما يتعلق بعقائد أهل الكتاب والتحريف الذي حصل في كتبهم فيذكر رحمة الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾[1] « يعني عرفاء وعلى قبائلهم بالمبايعة » وذكر قول ابن إسحاق[2] في أسماء العرفاء ثم قال : « وقد رأيت في السفر الرابع من التوراة تعداد النقباء على أسباط بني إسرائيل وأسماء مخالفة لما ذكره ابن إسحاق »[3] ويحكي قصة تبديل دين المسيح وتحريفه على يد قسطنطين[4] وأنه جمعهم في محفل كبير من مجامعهم .... ولم يجتمع على مقالة واحدة أكثر من ثلاثمائة وثمانية منهم اتفقوا على قول وصمموا عليه، ومال إليهم الملك وكان فيلسوفًا فقدمهم ونصرهم وطرد من عداهم، فوضعوا الأمانة الكبيرة بل هي الخيانة العظيمة ووضعوا له كتب القوانين وشرعوا له أشياء وابتدعوا بدعًا

---

(١) سورة المائدة آية ١٢ .

(٢) هو محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني له السيرة النبوية، وكتاب الخلفاء وكتاب المبتدأ والخبر، وهو من حفاظ الحديث، زار الاسكندرية سنة ١١٩هـ وسكن بغداد ومات فيها سنة ١٥١هـ ودفن بمقبرة الخيزران ام الرشيد، قال ابن حبان لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن اسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه وهو من أحسن الناس سياقا للأخبار . الأعلام ٢٨/٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين بن كثير ٥٣/٢، طبعة دار عالم الكتب بالرياض، ط٢ ١٤١٨هـ .

(٤) هو قسطنطين الكبير واسمه فلايفيسو فاليريوس، ولد في نايسا (نيس حاليا) واصبح والده امبراطورا للمقاطعات الغربية عام ٣٠٥م وعندما توفي عام ٣٠٦ أعلن الجيش قسطنطين خلفا لوالده، وهو أول امبراطور روماني يدخل النصرانية، استعاد النصارى خلال حكمه حرية التعبد وأصبحت الكنيسة النصرانية شرعيه، نقل قسطنطين نفوذ الامبراطورية الرومانية إلى المقاطعات الشرقية وبذلك أرسى أسس الامبراطورية البيزنطية توفي سنة ٣٣٧م انظر الموسوعة العربية العالمية ١٧١/١٨ الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع بالرياض ١٤١٦هـ .

كثيرة وحرفوا دين المسيح وغيروه، فابتنى لهم حينئذ الكنائس الكبار في مملكته كلها، بلاد الشام والجزيرة و الروم فكان مبلغ الكنائس في أيامه ما يقارب اثني عشر ألف كنيسة ....[1].

ومما يدل على تمكن ابن كثير من معرفة عقائد النصارى أن بعض النصارى يسأله ويستشيره في دينه النصرانية كما فعل البترك بشارة، حينما بايعه مطارنة الشام وجعلوه بتركًا بدمشق عوضًا عن البترك بانطاكية، فذكر له ابن كثير أن هذا أمر مبتدع في دينهم وبين له السبب في ذلك ثم قال ابن كثير : « وقد تكلمت معه في دينهم ونصوص ما يعتقده كل من الطوائف الثلاثة وهم الملكية واليعقوبية – ومنهم الافرنج والقبط – والنسطورية فإذا هو يفهم بعض الشيء ولكن حاصلة أنه حمار من أكفر الكفار »[2] .

- وكذلك إلمامه ومعرفته بالجغرافيا والفلك يقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾[3] : « كانت الجنان بحافتي هذا النهر من أوله إلى آخره في الشقين جميعًا ما بين أسوان إلى رشيد وكان له سبع خَلُج، خليج الإسكندرية وخليج دمياط وخليج سردوس، وخليج مَنْف، وخليج الفيوم، وخليج المَنْهى، متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء وزروع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلى أخره ما

---

(١) المرجع نفسه ١٥٤/٣، وانظر كذلك ٥٢٤/٣ .

(٢) البداية والنهاية ٧١٦/١٨ .

(٣) سورة الدخان آية ٢٥-٢٧ .

يبلغه الماء، وكانت جميع أرض مصر تروى من ستة عشر ذراعًا لما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخلجها »[1] .

ويقول عن أنوع الرياح عند تفسير قول الله تعالى : ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2] : « أي جنوبًا وشامًا ودبورًا، وصبا بحرية وبرية ليلية ونهارية ومنها ما هو للمطر ومنها ما هو للّقاح ومنها ما هو غذاء الأرواح ومنها ما هو عقيم »[3] .

ويقول عن الكواكب التي في السماء : « وأن منها سيارات وهي المتحيّرة في اصطلاح علماء التسيير، وهو غالبه صحيح بخلاف علم الأحكام فإن غالبه باطل، ودعوى ما لا دليل عليه، هي سبعة القمر في سماء الدنيا وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة ... وعندهم أن الأفلاك السبعة بل الثانية تدور بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات في اليوم والليلة دورة كلية من الشرق إلى الغرب وعندهم أن كل واحد من الكواكب السيارات يدور على خلاف فلكه من المغرب إلى المشرق فالقمر يقطع لفلكه في شهر والشمس تقطع فلكها وهو الرابع في سنة فإذا كان السَّيْران ليس بينهما تفاوت وحركاتهما متقاربة كان قدر السماء الرابعة بقدر السماء الدنيا اثنتي عشرة مرة وزحل يقطع لفلكه وهو السابع في ثلاثين سنة فعلى هذا يكون بقدر السماء الدنيا ثلاثمائة وستين مرة»[4] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٦٨/٤ .

(٢) سورة الجاثية آية ٥ .

(٣) المرجع نفسه ١٧٥/٤ .

(٤) البداية والنهاية ٧٦/١-٧٧،

ونظرًا لعدم نضوج بعض العلوم آنذاك في عصر ابن كثير كعلم الفلك والطب والكيمياء - يراد بها عند القدماء تحويل بعض المعادن إلى بعض، وعلم الكيمياء عندهم يعرف به طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية وجلب

وأخيرًا عندما تحدث عن الياسق وهو الكتاب الذي وضعه جنكيز خان ملك التتار ليكون شرعًا متبعًا للتتار يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقال عند تفسير قوله تعالى :﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[1]، « ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم « الياسق » وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام تم اقتباسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعًا متبعًا

خاصة جديدة لها ولا سيما تحويلها إلى ذهب . المعجم الوسيط ص ٨٠٨ – ونحوها من العلوم الطبيعية كما هي عليه الآن، فإنه يلتمس العذر لابن كثير فيما يقع فيه أحيانًا من الآراء والأحكام التي تظهر مخالفتها لما هو معلوم في الواقع الحالي، وذلك مثل قوله : « ومعلوم أن اللؤلؤ والمرجان إنما يستخرجان من الملح لا من الحلو » وذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الرحمن ٢٢، التفسير ٢/٢٣١)، وقد ثبت أن بعض الأنهار الحلوة الماء قد يستخرج منها اللؤلؤ كما نصت الآية، ففي القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي تم استخراج اللؤلؤ من بعض الانهار الواقعة في النصف الشمالي من الكرة الارضية، حيث يعيش بعض انواع المحار في المياه العذبة، واستخرج اللؤلؤ النهري من أنهار اسكتلندا، وعرف باللؤلؤ الانجليزي، وقد بيع قسم منه إلى فرنسا والدول المجاورة الأخرى.(منتدى الساحات الالكترونية www.arabsys.net) وكذلك في سنة ١٩٨٨م انتجت اليابان ٧١,٦ طن من اللؤلؤ من بينها ٧٠ طنا من المياه المالحة و ١,٧ طن من المياه العذبة . (موقع جامعة الملك عبد العزيز صفحة الدكتور / سامي عبد العزيز رحيم الدين www.kau.edu.sa) .

وانظر: إسماعيل عبد العال، ابن كثير ومنهجه في التفسير، ص٣٤٣-٣٤٧، مطبعة الملك فيصل الإسلامية، القاهرة، ط١ ١٩٨٤م .

[1] سورة المائدة آية ٥٠ .

يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يُحكم سواه في قليل ولا كثير»[1] .

[1] تفسير القرآن العظيم ٢/٨٨ .

-شيوخه :

تلقى الحافظ ابن كثير العلم على شيوخ كثيرين[1] لهم قدم راسخة في العلم ومكانة عظيمة عند العامة والخاصة فمنهم :

١- إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضياء بن سباع الفزاري المعروف ببرهان الدين ابن الفِرْكاح، شيخ المذهب وعلمه ومفيد أهله شيخ الإسلام مفتي الفرق بقية السلف سمع عليه ابن كثير صحيح مسلم وغيره وقال : «وبالجملة فلم أر شافعيًا من مشايخنا مثله »[2]، توفى سنة ٧٢٩هـ .

٢- شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن أبي طالب بن نعمه بن حسن الصالحي الحجازي المعروف بابن الشحنه، سمع ابن كثير عليه بدار الحديث الأشرفية في أيام الشتويات نحو من خمسمائة جزء بالاجازات والسماع[3]. توفي سنة ٧٣٠هـ.

٣- الحافظ أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك جمال الدين ابن الزكي أبو محمد القضاعي الكلبي المشهور بالمزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ، وقد لازم ابنُ كثير المزي وسمع منه أكثر تصانيفه واستفاد منه في الحديث والرجال وتخرج على يديه، وصاهره فتزوج ابنته وصار قريبًا منه في بيته وترجم له ووصف يوم وفاته[4].

---

(1) بلغ مجموعهم أربعة وأربعين شيخًا، انظر الإمام ابن كثير سيرته ومؤلفاته ومنهجه في كتابه التاريخ، د. مسعود عبد الرحمن الندوي، ص٤٣ مطبعة دار ابن كثير بدمشق، ط١ ١٤٢٠هـ .

(2) البداية والنهاية ١٨/٣١٦-٣١٧ .

(3) المرجع نفسه ١٨/٣٢٧-٣٢٨ .

(4) المرجع نفسه ١٨/٤٢٧-٤٢٨ .

٤- الحافظ الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله شمس الدين الدمشقي الحافظ للحديث المحقق مؤرخ الإسلام والمسلمين المتوفى سنة ٧٤٨هـ، وتكرر وصف ابن كثير له بـ« شيخنا » وقال : « وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه »[1] .

٥- كمال الدين أبو المعالي بن الشيخ علاء الدين على بن عبد الواحد بن خطيب زمكلا عبد الكريم بن خلف من نبهان الأنصاري الشافعي ابن الزملكاني المتوفى سنة ٧٢٧هـ،وصفه ابن كثير بشيخنا العلامة وقال : « انتهت إليه رياسة المذهب تدريسًا وإفتاء ومناظرة »[2] .

٦- الحافظ علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد البرزالي الشافعي المتوفى سنة ٧٣٩هـ مؤرخ الشام، تكرر ذكر ابن كثير له بشيخنا، واعتبر كتابه البداية والنهاية ذيلًا لتاريخ البرزالي وقال : « هذا آخر ما أرّخه شيخنا الحافظ البرزالي في كتابه الذي ذّيل به على تاريخ شهاب الدين أبي شامه وقد ذيلت على تاريخه إلى زماننا هذا وكان فراغي من الانتقاء من تاريخه في يوم الأربعاء ٢٠ جمادى الآخرة من سنة ٧٥١هـ»[3].

٧- شيخ الإسلام أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة ٧٢٨هـ، صحبه ابن كثير وتعلم منه وتفقه

---

(1) البداية والنهاية ١٨/٥٠٠ .

(2) المرجع نفسه ١٨/٢٨٦ .

(3) المرجع نفسه ١٨/٤٠٨ .

عليه وأحبه[1] بل فتن بحبه كما قال ابن حجر : « وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه وامتحن بسببه»[2]، وقال ابن العماد[٣] : « وصحب ابن تيمية – يعني ابن كثير – وكانت له خصوصية بابن تيمية ومناضلة عنه وإتباع له في كثير من آرائه، وكان يُفتي برأيه في الطلاق وامتحن بسبب ذلك وأوذي »[4] .

ويظهر هذا الحب في عبارات ابن كثير المتكررة التي ملئها الإطراء والثناء والإعجاب بشيخه فمثلًا : حينما ذكر وصف المجلس الذي حضره القضاة والعلماء عند نائب السلطة بالقصر لقراءة عقيدة الشيخ ابن تيمية « الواسطية »، وتكلم الشيخ صفي الدين الهندي[٥] مع ابن تيمية كلامًا كثيرًا، فقال ابن كثير: « ولكن ساقيته لا طمت بحرًا »[6] . ولما طلب السلطان العلماء لمناظرة ابن تيمية قال ابن كثير : « فاعتذروا بأعذار بعضهم بالمرض، وبعضهم بغيره

---

(1) كانت صلة ابن كثير بابن تيمية ومحبته له مبكرة يقول ابن كثير في حوادث سنة ٧٠٩هـ أي لما كان عمره ثمان سنوات أو تسع : « وجلست يومًا إلى القاضي صدر الدين الحنفي بعد مجيئه من مصر قال لي أتحب ابن تيمية ؟ قلت نعم فقال لي وهويضحك والله لقد أحببت مليحًا »، البداية والنهاية ٩٦/١٨ .

(2) الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ٤٠٠/١ دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ .

(٣) هو عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي ابو الفلاح، مؤرخ، فقيه، عالم بالأدب، ولد في صالحية دمشق، وأقام في القاهرة مدة طويلة، ومات بمكة حاجا، له شذرات الذهب في أخبار من ذهب وشرح متن المنتهى في فقه الحنابلة وغيرها توفي سنة ١٠٨٩هـ . الأعلام ٢٩٠/٢ .

(4) شذرات الذهب ٢٣١/٦-٢٣٢ .

(٥) هو محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي أبو عبد الله، صفي الدين الهندي، فقيه أصولي، ولد بالهند وخرج من دهلي سنة ٦٦٧هـ فزار اليمن وحج ودخل مصر والروم واستوطن دمشق له مصنفات منها نهاية الوصول إلى علم الأصول، والفائق في أصول الدين والزبدة في علم الكلام وغيرها توفي سنة ٧١٥هـ . الأعلام ٢٠٠/٦.

(6) البداية والنهاية ٥٣/١٨ .

لمعرفتهم بما ابن تيمية منطوٍ عليه من العلوم والأدلة، وأن أحدًا من الحاضرين لا يطيقه »[1]، وقد تكرر هذه العبارات كثيرًا عند ابن كثير[2] .

وليس غريبًا أن يعجب ابن كثير بشيخه هذا الإعجاب، ويصل إلى حد الافتتان كما قال ابن حجر[٣] فليس هو وحده الذي بهره ابن تيمية وأعجبه بل إن جهابذة العلماء وأكابرهم في ذلك العصر من شيوخ ابن تيمية وأقرانه وتلاميذه وممن يحبه ويعاديه كل أولئك أعجبوا بان تيمية وأدهشتهم شخصيته وهالهم غزارة علمه وتنوع معارفه، فمثلاُ يقول الذهبي وهو من تلاميذ ابن تيمية : « وهو – أي ابن تميمة – أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته فلو حلِّفت بين الركن المقام لحلفت ما رأيت بعيني مثله ولا رأى هو مثل نفسه في العلم »[4] .

وابن الزملكاني وهو ممن اختلف مع ابن تيمية في آخر حياته، وهمَّ بإيذائه ولكن عاجلته المنية[5] ومع ذلك فقد وجد ابن كثير بخط الزملكاني :

---

(1) المرجع نفسه ٧٤/١٨ .

(2) وقد تكررت مثل هذه العبارات عن ابن كثير حينما يذكر شيخه أو يتحدث عن مواقفه، انظر مثلًا البداية والنهاية ٤٦/١٨، ٥٠/١٨، ٥٣/١٨، ٥٥/١٨، ٦٧/١٨، ٨٤/١٨، ٩٤/١٨، ١٠٧/١٨، ٢٥٦/١٨، ٢٥٨/١٨، ٢٩٣/١٨، ٢٩٨/١٨ .

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين ومولده ووفاته بالقاهرة، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره من تصانيفه الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ولسان الميزان والاصابة في تمييز الصحابة وابناء الغمر بأنباء العمر وفتح الباري في شرح صحيح البخاري وغيرها توفي سنة ٨٥٢هـ . الأعلام ١٧٨/١ .

(4) البداية والنهاية ٢٩٨/١٨ .

(5) المرجع نفسه ٢٩٨/١٨ .

« أنه – ابن تيمية – اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها وأن له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين

كما أن هذا الثناء جاء من شخص بينه وبين ابن تيمية مودة ومحبة منذ الصغر وسماع الحديث والطلب في نحو خمسين سنة »[1]، وقال بعد مناظرة له «لم ير من خمسمائة سنة ... أحفظ منه »[2]، وكذلك ابن مخلوف[3] قاضي القضاء بمصر، وهو من ألد أعداء ابن يتيمة وممن حرّض السلطان على قتله، لم يسعه إلا أن يعترف بفضل ابن تيمية بل وأنه ما رأى مثله فيقول : « ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا»[4] .

وقال ابن دقيق العيد[٥] : « لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلًا العلوم كلها بين يديه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد »[6].

---

(1) المرجع نفسه ١٨/٢٩٨-٢٩٩ .

(2) الرد الوافر للإمام ابن ناصر الدين الدمشقي ص ١٠٣، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ بيروت .

(3) هو علي بن مخلوف قاضي القضاة زين الدين من ناهض بن مسلم بن خلف النويري المالكي سمع الحديث واشتغل وحصّل وكان عزير المروؤة والاحتمال والاحسان إلى الفقهاء ومن يقصده توفي سنة ٧١٨هـ ودفن بسفح المقطم بمصر . البداية والنهاية ١٨/١٨٥-١٨٦ .

(4) البداية والنهاية ١٨/٩٥ .

(٥) هو محمد بن علي بن وهب ابن مطيع أبو الفتح، تقي الدين القشيري، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد، قاض من أكابر العلماء بالاصول، مجتهد، تعلم بدمشق والاسكندرية ثم بالقاهرة وولي قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥هـ، له تصانيف منها إحكام الأحكام والالمام بأحاديث الاحكام، وكان مع غزارة علمه ظريفًا له أشعار وملح وأخبار توفي سنة ٧٠٢هـ . الأعلام ٦/٢٨٣ .

(6) العقود الدرية لابن عبد الهادي ص١٠ تحقيق محمد حامد الفقي دار الكتب العلمية بيروت لبنان، والشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيميه تأليف مرعى بن يوسف الكرمي ص٢٩ تحقيق وتعليق نجم عبد الرحيم خلف دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ .

هذا هو ابن تيمة في عيون محبيه وأصحابه وأعدائه فلا عجب إذًا بعد ايراد مثل هذه النصوص وهي كثيرة[1] أن يُحب ابن كثير شيخه بل يفتن في ذلك ويمتحن ويؤذى بسببه[2] .

ولا شك أن هذه الصحبة لابن تيمية أثرت في حياة ابن كثير تأثيرًا عميقًا وأفادته في علمه ودينه وخلقه وتكوين شخصية مستقلة له فالتجديد الذي تميز

---

(1) للاستزادة انظر مثلًا ما قاله :

- أبو الفتح محمد بن محمد بن سعيد الناس اليعمري الشافعي المتوفى سنة ٧٣٤هـ قال : « .... برز في كل فن على أشياء جنسه ولم تر عين من رأه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه ... كان يتكلم في التفسير فيحضر مجلسه الجمّ الغفير ... إلى أن دب إليه من أهل بلدة زاد الحسد » . الرد الوافر ص ٥٧-٥٨، والشهادة الزكية ص ٢٦ .
- وقال المزي : « ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا اتباع لهما منه » الرد الوافر ص ٢١٣-٢١٤، الشهادة الزكية ص ٤٤-٤٥ .
- وقال أحمد بن طرخان الملكاوي الشافعي المتوفى سنة ٨٠٣هـ : « مع ذلك والله إن الشيخ تقي الدين ابن تيمية شيخ الإسلام لو دروا ما يقول لرجعوا إلى محبته وموالاته » وقال : « كل صاحب بدعة ومن ينتصر له — لو ظهروا - لابد من خمودهم وتلاشي أمرهم وهذا الشيخ تقي الدين ابن تيمية كلما تقدمت أيامه تظهر كرامته ويكثر محبوه وأصحابه » الرد الوافر ص ١٣٤. وغيرهم كثير انظر دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها على الحركات الإسلامية تأليف صلاح الدين مقبول أحمد، ج٢ ص٦٢٩-٦٣٨، طبعة دار ابن الأثير الكويت، ط٢ ١٤١٦هـ .

(2) وليس كما يقول الإمام تقي الدين الحسيني رحمه الله أنه لا يؤخذ بقول ابن كثير وغيره من الذين جالسوا ابن تيمية وهم شباب فافتتنوا بحبه ومجالسته يقول : « أن ابن كثير والشمس ابن عبد الهادي والصلاح الكتبي لا يؤخذ بأقوالهم في ابن تيمية لافتتانهم بمجالسته وهم شباب » الحسيني : ذيل تذكرة الحفاظ ص٥٩ .
ولا أدري هل ابن دقيق العيد والمزي والذهبي وابن الزملكاني والبرزالي وغيرهم كان غاية اعجابهم بابن تيمية وشدة مدحهم واطرئهم له هو بسبب افتتانهم بمجالستهم له وهم شباب!!!

به ابن كثير مع غزارة العلم وأصالة الفكر كان فضله يعود بعد توفيق الله إلى علاقته بابن تيمية[1] .

بل إن ابن كثير نفسه قد تفوق على شيخه في تطبيق المنهج النظري الذي صاغه ابن تيمية في تفسير القرآن وأخذ هذه النظرية عنه تلميذه ابن كثير نجد أنه يعد خير من طبقها « ولا نغالي إذا قلنا أنه كان أكثر إلتزامًا بها من أستاذه الذي طالما استطرد وضمَّن مباحث ومسائل وقضايا كان الواجب أن لا تندرج تحته »[2] .

وهناك غيرهم ممن ذكرت صرّح ابن كثير أنه تتلمذ عليهم واستفاد منهم وذكرهم بقول : « شيخنا » سأذكر بعضهم على سبيل الإجمال : ضياء الدين عبد الله الزربندي النحوي قال ابن كثير : « كنت ممن اشتغل عليه في النحو توفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة[3] والشيخ نجم الدين موسى بن علي بن محمد المعروف بابن البُصَيْص المتوفي سنة ٧١٦هـ قال ابن كثير « شيخ صناعة الكتابة في زمانه لا سيما في المَزَّوج والمثلث وأنا ممن كتب عليه »[4] .

وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن شرف الدين بن حسين بن غيلان البعلبكي الحنبلي المتوفى سنة ٧٣٠هـ، قال ابن كثير : « عليه ختمت القرآن في سنة أحد عشر وسبعمائة »[5] .

---

(1) انظر الإمام ابن كثير سيرته ومؤلفاته، د. مسعود الندوي، ص٤٩، مطبعة دار ابن كثير بدمشق، ط١ ١٤٢٠هـ .

(2) ابن كثير منهجه في التفسير، د. اسماعيل عبد العال، ص٢٧٦.

(3) البداية والنهاية ١٨/٢٢٩-٢٣٠ .

(4) المرجع نفسه ١٨/١٥٩ .

(5) المرجع نفسه ١٨/٣٢٦ .

وشمس الدين أبو محمد بن عبد بن محمد بن يوسف بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي الحنبلي المتوفى سنة ٧٣٧هـ، قال ابن كثير « قرأت عليه عام ثلاث وثلاثين وسبعمائة كثيرًا من الأجزاء والفوائد »[1] .

والقاضي محي الدين أبو زكريا يحيى بن اسحاق بن خليل بن فارس الشيباني الشافعي المتوفى سنة ٧٢٤هـ، قال ابن كثير : « سمعنا عليه الدار قطني وغيره »[2] . والشيخ محمد بن جعفر فرعوش ويقال له : اللبّاد المتوفى سنة ٧٢٤هـ، قال ابن كثير : « قرأت عليه شيئًا من القراءات »[3] .

والشيخ عفيف الدين محمد بن عمر بن عثمان بن عمر الصِّقلِّي المتوفى سنة ٧٢٥هـ، قال ابن كثير : « سمعنا عليه شيئًا من سنن البيهقي »[4] .

والشيخ الصالح أبو الحسين علي بن محمد بن عبد اللّه الجُبُنِّي المتوفى سنة ٧١٧هـ،قال ابن كثير : « صححت عليه العمدة وغيرها »[5] .

ونجم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الواحد المتوفى سنة ٧٢٩هـ، قال ابن كثير : « سمعنا عليه الموطأ وغيره »[6]، وجمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن نصر اللّه ابن أسد بن حمسة

---

(1) المرجع نفسه ٣٩٧/١٨ .

(2) المرجع نفسه ٢٤٨/١٨ .

(3) المرجع نفسه ٢٤٦/١٨ .

(4) المرجع نفسه ٢٥٨/١٨ .

(5) البداية والنهاية ١٧٠/١٨ .

(6) المرجع نفسه ٣١٥/١٨ .

التميمي المعروف بابن القلانسي المتوفى سنة ٧٣١هـ، قال ابن كثير : « وهو من أذن لي في الإفتاء وخرّج له فخر الدين البعلبكي مشيخه سمعنا ها عليه »[1] .

وممن ذكرهم بـ « شيخنا » :

١. ابن تيمية[2] المتوفى سنة ٧٢٨هـ .

٢. الحافظ الذهبي[3] المتوفى سنة ٧٤٨هـ .

٣. الحافظ المزي[4] المتوفى سنة ٧٤٢هـ .

٤. ابن الزملكاني[5] المتوفى سنة ٧٢٧هـ .

٥. البرزالي[1] المتوفى سنة ٧٣٩هـ .

---

(1) المرجع نفسه ١٨/٣٤١-٣٤٢ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٣٨٩، والبداية والنهاية ٨/٥٤٩، ٨/٥٧٩، ٨/٥٨٧، ٩/٢٨٩، ١٢/٢٨٧، ١٢/٥٩٨، ١٥/١١٢، ١٥/١٨٤، ١٥/٢٧٨، ١٧/٤٥١، ١٧/٤٨٣، ١٧/٥٩١، ١٧/٥٩٢، ١٨/٢١٣، ١٨/٢٣٧، ١٨/٤٦٦، ١٨/٤٨٦، ١٨/٥١٠ .

(3) انظر البداية والنهاية ٤/٢١١، ٧/٦٦٨، ٧/٦٧٧، ٧/٦٧٨، ٧/٦٨١، ٨/٥٦٨، ٩/٢٩١، ٩/٣٦٧، ٩/٦٠٤، ٩/٦٤٣، ٩/٦٤٤، ٩/٦٦٨، ٩/٦٦٩، ٩/٦٧١، ١٠/٣٠، ١٠/٧٦، ١٠/١٠٩، ١٠/١٦٠، ١٠/١٧٠، ١٠/١٩٩، ١٠/٢٠٢، ١٠/٢٣٤، ١٠٣٤٦، ١٠/٤٠٠، ١١/٧٦، ١١/٨٠، ١١٨٣، ١١/٧١٩، ١٢/١٦٩، ١٢/٣٧١، ١٢/٤٢٠، ١٢/٦٠٠، ١٢/٦٥٩، ١٣/٣٦، ١٣/٢٠٣، = ١٣/٤٣٤، ١٤/٦٥٤، ١٤/٦٨٤، ١٤/٦٨٧، ١٥/١١٢، ١٩/١٦، ١٧/٢١٢، ١٧/٣٦٣، ١٨/٤٣٢، ١٨/١٦٣، ١٨/١٦٥، ١٨/١٧٥، ١٨/١٨٣، ١٨/١٨٧، ١٨/٢٠٠، ١٨/٢٠٨، ١٨/٢١٠، ١٨/٢١٤، ١٨/٢١٦ .

(4) انظر البداية والنهاية ١/٩، ١/٣١٨، ٥/٦٧، ١٤/٥٥٢، ١٤/٦٥٤، ١٤/٦٨٤، ١٤/٣٩٦، ١٨/٤٠، ١٨/١٨١، ١٨/٢٣٥، ١٨/٢٨٦، ١٨/٢٨٩، ١٨/٣٠٠، ١٨/٣٠٥، ١٨/٣١٩، ١٨/٤٢٣، ١٨/٤٣٠، ١٨/٥٠٥، ١٩/٦٥، ١٩/١٥٢،٣٠٧، ١٩/٣٢٣، ١٩/٤٣٧، ١٩/٤٣٢، ١٩/٤٦٩، ١٩/٤٧١ .

(5) انظر المرجع نفسه ٩/٣١٠، ٩/٣٢٨، ٩/٣٣٤، ٩/٣٤٧، ٩/٣٤٨، ٩/٣٥١، ٩/٣٥٢، ٩/٣٥٤، ٩/٣٥٥، ٩/٣٦٥، ٩/٣٩٠، ٩/٣٩٢، ٩/٣٩٥، ١٧/٣٨٥، ١٨/٤١، ١٨/٢٨٦ .

٦. ابن حامد[2] البجلي المتوفى سنة ٧٢٢هـ .

٧. الدمياطي[3] المتوفى سنة ٧٠٥هـ .

٨. والزربندي[4] النحوي المتوفى سنة ٧٢٣هـ .

٩. برهان الدين الفزاري[5] المتوفى سنة ٧٢٩هـ .

١٠. عفيف الدين الأزجي[6] الحنبلي المتوفى سنة ٧٢٨ هـ .

١١. أبو محمد عبد بن الله العفيف المقدسي الحنبلي[7] المتوفى سنة ٧٣٧هـ .

تلاميذه :

ذكر ابن العماد الحنبلي أن تلاميذ ابن كثير عدد كبير[8]، ويؤيد ذلك أن ابن كثير نفسه تولى التدريس في عدة مدارس مثل النجيبية[9] والفاضلية[10] كما تولى مشيخة الحديث بالمدارس ودور الحديث الكبرى مثل المدرسة

---

(1) انظر المرجع نفسه ٢٤٥/١٧، ٥١٤/١٧، ٤٢/١٨ .

(2) انظر المرجع نفسه ٢٢٠/١٨ .

(3) تنظر المرجع نفسه ٦٠/١٨ .

(4) انظر المرجع نفسه ٢٣٠/١٨ .

(5) انظر المرجع نفسه ٣١١/١٨، ٢٣٩/١٨، ٣١٦/١٨ .

(6) انظر المرجع نفسه ٣٠٦/١٨ .

(7) انظر المرجع نفسه ٣٩٧/١٨ .

(8) انظر شذرات الذهب ٢٣١/٦ .

(9) انظر الدارس في تاريخ المدارس للنعمي ٤٦٨/١-٤٧٢ وانظر ص ٦٣٥ من هذا البحث .

(10) انظر ابناء الغمر بأنباء العمر لابن حجر ٦٨/١ تحقيق الدكتور حسن حبش إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة ١٣٨٩هـ . وانظر ص ٦٣٦ من هذا البحث.

الصالحية[1] ودار القرآن والحديث التنكيزية[2] ودار الحديث الاشرفية الجوانية[3] وغيرها من المدارس .

ومن أشهر تلاميذه :

١- شهاب الدين حجي بن أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد شهاب الدين الشافعي[4] المتوفى سنة ٨١٦هـ، وقد استفاد ابن حجي من شيخه ابن كثير وأثنى عليه وقال : « ما اجتمعت به قط إلا استفدت منه ولازمته ست سنين »[5] .

٢- الزركشي محمد بن بهادر بن عبد الله بدر الدين الزركشي الشافعي[6] المتوفى سنة ٧٩٤هـ، قال ابن حجر[7] : « رحل إلى دمشق فأخذ عن ابن كثير الحديث وقرأ عليه مختصره في علوم الحديث ومدحه ببيتين »[8] .

---

(1) انظر الدارس ٣٦/١-٣٢٦ . وانظر ص ٦٣٥ من هذا البحث.

(2) انظر المرجع نفسه ١٢٣/١-١٢٧ وانظر صفحة ٦٣٦ من هذا البحث.

(3) انظر المرجع نفسه ١٩/١-٤٧ .

(4) انظر شذرات الذهب ١١٧/٧، الدارس ١٣٨/١-١٤٣، والاعلام لخير الدين الزركلي ١٠٥/١ .طبعة دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ط ١٥، ٢٠٠٢م.

(5) انباء الغمر ٣٩/١، الدارس ٣٦/١ .

(6) شذرات الذهب ٣٣٥/٦، الدر الكامنه ٣٩٧/٣.

(7) الدر الكامنه ٣٩٧/٣ .

(8) والبيتان هما :

لفقدك طلاب العلوم تأسفوا وجادوا بدمع لا يبيد غزير

ولو مزجوا ماء المدامع بالدما لكان قليلًا فيك يا ابن كثير

وذكرهما ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ١٢٤/١١.

٣- ابن الجزري شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الشافعي[1] المتوفى سنة ٨٣٣هـ، وقد صرح ابن الجزري نفسه بالسماع من ابن كثير حيث قال : « وأما حديث أم زرع فسمعت شيخنا الحجة عماد الدين إسماعيل ابن كثير يقول ... »[2] .

٤- سعد الدين سعد بن يوسف بن إسماعيل النووي[3] المتوفى ٨٠٥هـ، قال النعمي : « حمل عن ابن كثير وقرأ عليه تأليفه اختصار علوم الحديث وأذن له ابن كثير في الفتوى »[4] وغيرهم كثير .

صفات ابن كثير وفضائله :

لقد حبى الله سبحانه وتعالى الإمام ابن كثير حافظة قوية ومتميزة وموهبة عالية ومتفوقة ونبوغًا مبكرًا، فحفظ القرآن كما مر معنا وهو في الحادية عشرة من عمره، وحفظ التنبيه في الفقه الشافعي وعرضه وهو في السنة الثامنة عشر من سِنّه.

فلذلك وصفه عدد من العلماء بحفظ المتون فقال شيخه الذهبي : « ويحفظ جُملة صالحة من المتون والرجال وأحوالهم وله حفظ ومعرفة »[5]،

---

(1) مفتاح دار السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد مصطفى طاش كبرى زاده ١٩٢/١ دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٨م، الأعلام ٢٧٤/٧.

(2) المصعد لأحمد بن الجزري وهو منشور في أول مسند الإمام أحمد بتحقيق أحمد شاكر ٣١/١.

(3) شذرات الذهب لابن العماد ٩/٧ .

(4) الدارس في تاريخ المدارس ٣٢٠/١ .

(5) معجم محدثي الذهبي المعجم المختص لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ص٥٦ حققه وعلق عليه الدكتوره روحيه عبد الرحيم السويفي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

وقال عنه تلميذه ابن حجي : « أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث ورجالها وأعرفهم بجرحها وصحيحها وسقيمها وكان أقرانه يعترفون له بذلك »[1] [2].

ثم إنه مع حفظه يتصف بكثرة الاستحضار فيصفه ابن العماد فيقول : « كان كثير الاستحضار قليل النسيان ... وكان يستحضر التنبيه ويكرر عليه إلى آخر الوقت »[3] .

وقال تلميذه ابن حجي : « وكان يستحضر كثيرًا من الفقه والتاريخ قليل النسيان »[4]، ثم إنه رحمه الله مع قوة حفظه واستحضاره فهو جيد الفهم كما

---

(1) طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي ١١١/١ نشر مكتبة وهبة – القاهرة ط١ ١٣٩٢هـ، والدارس للنعيمي ٣٦/١ .

(2) ومع اعتراف أقران ابن كثير له بذلك وشهادة الجهابذة منهم له كالذهبي إلا أن الحافظ ابن حجر رحمه الله قلل من شأن ابن كثير في معرفة علوم الحديث ورجاله حيث قال في الدرر الكامنة : « ولم يكن على طريقة المحدثين في تحصيل العوالي وتمييز العالي من النازل ونحو ذلك من فنونهم وإنما هو من محدثي الفقهاء » (٣٧٤/١)، وهذا عجيب!! فكيف يكون ذلك وابن كثير المعروف بسعة علمه في الحديث وعلومه ومعرفة الأسانيد والعلل فهو صاحب الموسوعة الضخمة في الحديث « جامع الأسانيد والسنن » الذي جمع فيه أحاديث الكتب الستة والمسانيد الأربعة (الصحيحان وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة ومسند الإمام أحمد والبزار وأبي يعلي الموصلي ومعجم الطبراني)، وكتاب التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل وكتاب اختصار علوم الحديث اختصر فيه مقدمة ابن الصلاح في المصطلح، إلى جانب أنه لازم شيخه الإمام الحافظ المزي، ولذلك لما نقل السيوطي في ذيل طبقات الحفاظ كلام ابن حجر في أنه : « لم يكن على طريقة المحدثين .. » تعقبه بقوله : « العمدة في علم الحديث معرفة صحيح الحديث وسقيمه وعلله واختلاف طرقه ورجاله جرحًا وتعديلًا وأما العالي والنازل فهو من الفضلات لا من الأصول المهمة » (ص٣٦٢)، « وهذا حق » كما يقوله الأستاذ أحمد شاكر في تعقيبه على كلام السيوطي (عمدة التفسير ٢٧/١) .

(3) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد الحنبلي ٢٣/١، طبعة القدسي القاهرة ١٣٥٠هـ .

(4) طبقات المفسرين ١١١/١ .

يقول تلميذه ابن حجي : « وكان فقيهًا جيد الفهم صحيح الذهن »[1]، ويقول ابن حجر : « كان ... جيد الفهم »[2]،ويقول ابن العماد عنه بأنه : « جيد الفهم»[3] .

ثم أنه رحمه اللّٰه صاحب خلق وفضيلة، شعاره العدل والإنصاف، فإن العدل كما يقول رحمه اللّٰه : « واجب على كل أحد في كل أحد في كل حال .. والعدل به قامت السماوات والأرض »[4]، ويتجلى ذلك في المواقف التي مر بها والأحداث التي عايشها وهي كثيرة جدًا، وسنتحدث عن ذلك بشكل أكثر في الفصول القادمة إن شاء اللّٰه .

---

(1) المرجع نفسه ١١١/١، وطبقات الشافعية أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن تقي الدين بن قاضي شهبه ٢٣٨/٢ نشر مؤسسة الندوة الجديدة ١٤٠٧هـ .

(2) إنباء الغمر بأنباء العمر للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق الدكتور حسن حبش ٣٩/١، إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٣٨٩هـ .

(3) شذرات الذهب ٢٣١/٦ . وانظر ابن كثير د. محمد الزحيلي ص ١١٨-١٢٣، مطبعة دار القلم بدمشق ١٤١٥هـ .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ١٠/٢ .

ثناء العلماء عليه :

إن مكانة ابن كثير العلمية، ومنزلته الرفيعة، وصفاته الحميدة، وأخلاقه العالية، ومحبته للناس، وعدله وإنصافه في التعامل معهم، جعلت شيوخه ورجال عصره يثنون عليه ويعترفون بعلمه ويشيدون بفضله ويُقِّرون بأمانته وحفظه، فهذا الإمام العيني[1] يقول فيما نقله عنه ابن تغري بردي : «كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، سمع وجمع وصنّف ودّرس وحّدث وألّف، كان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ، واشتهر بالضبط والتحرير، انتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير وله مصنفات عديدة ومفيدة »[2] .

وقال عنه شيخه الحافظ الذهبي : « الإمام المفتي المحدث البارع ثقة متفنن ومحدث متقن ومفسر نقاد »[3]، وقال أيضًا عنه : « له عناية بالرجال والمتون والفقه خرّج وألّف وناظر وصنّف وفسّر وتقدم »[4] .

وأما ابن حبيب[1] فيقول عن ابن كثير : « إمام ذوي التسبيح والتهليل وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنف وأطرب الأسماع بالفتوى وصنف

---

(١) هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد أبو محمد بدر الدين العيني الحنفي، مؤرخ علامة من كبار المحدثين، أصله من حلب، ولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية، ونظر السجون وتقرب من الملك المؤيد حتى عد من أخصائه، ثم صُرف عن وظائفه وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة من كتبه عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، وعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان وغيرها، توفي بالقاهرة سنة ٨٥٥هـ (الأعلام ١٦٣/٧) .

(2) النجوم الزاهرة ١٢٣/١١ .

(3) الدر الكامنه ٤٠٠/١، وطبقات المفسرين ١١١/١ .

(4) تذكرة الحفاظ للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي طبعت دار التراث العربي بيروت ١٩٥٨ .

وحدث وأفاد ، وطارت فتاويه إلى البلاد ، واشتهر بالضبط والتحرير وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير »[2] .

وقال ابن ناصر الدين[٣] الدمشقي : « الشيخ العلامة الحافظ عماد الدين ثقة المحدثين وعمدة المؤرخين وعلم المفسرين »[4] .

وقال الداودي[٥] : « كان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ»[6] .

وغير ذلك من عبارات المدح والثناء والإعجاب والتي لو ذكرناها لطال بنا المقام .

---

(١) هو حسن بن عمر بن الحسن بن حبيب أبو محمد بدر الدين الحلبي مؤرخ، من الكتاب المترسلين ولد في دمشق، ونُصب أبوه محتسبًا في حلب فانتقل معه، فنشأ فيها ونسب إليها ثم رحل إلى مصر والحجاز وعاد، وتنقل في بلاد الشام واستقر في حلب له نسيم الصبا ودرة الأسلاك في دولة الأتراك والمقتفى في فضائل المصطفى وغيرها، توفي سنة ٧٧٩هـ (الأعلام ٢/٢٠٨-٢٠٩) .

(2) شذرات الذهب ٦/٢٣١، ومفتاح دار السعادة ١/٢٥٢ .

(٣) هو محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيس الدمشقي الشافعي شمس الدين الشهير بابن ناصر الدين ولد بدمشق سنة ٧٧٧هـ ونشأ بها وتفقه واتقن العلوم واغترف من المعارف فنبه ذكره وعلا شأنه وكان مؤرخا ثقة حافظا للحديث، ولي مشيخة دار الحديث الاشرفية سنة ٨٣٧هـ وارتحل إلى بعلبك وحلب والمدينة المنورة والديار المصرية في طلب العلم ونشره له من المؤلفات عقود الدرر في علوم الأثر والرد الوافر وغيرها، توفي مسموما سنة ٨٤٢هـ، شذرات الذهب ٧/٢٤٣، والبدر الطالع ٢/١٩٨.

(4) الرد الوافر ص ٩٢ .

(٥) هو محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداودي المالكي، شيخ أهل الحديث في عصره، مصري من تلاميذ جلال الدين السيوطي له كتب منها طبقات المفسرين، وذيل طبقات الشافعية للسبكي للحافظ السيوطي، توفي في القاهرة سنة ٩٤٥هـ (الأعلام ٦/٢٩١) .

(6) طبقات المفسرين ١/١١٠ .

وفاته :

اتفق المؤرخون على أن ابن كثير رحمه الله توفي بدمشق سنة ٧٧٤هـ في شعبان يوم الخميس في خامس عشر شعبان[1] .

وحدد الداودي وفاته فقال : « مات في يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة »[2]،وقال ابن تغري بردى : « توفي يوم الخميس سادس و عشرين شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة بدمشق عن أربع وسبعين سنة »[3] .

ودفن رحمه الله بتربة شيخ الإسلام ابن تيمية بمقبرة الصوفية خارج باب الصغير من دمشق وكانت جنازته مشهودة [4] .

وقد رثاه أحد طلابه فقال :

لفقدك طلاب العلوم تأسفوا وجادوا بدمع لا يبيد كثيـــر

ولو مزجوا ماء المدامع بالدما لكان قليلًا فيك يا ابن كثير[٥]

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه وجزاه على ما قدم للإسلام والمسلمين خيرًا .

---

(1) أبناء الغمر ١/٤٠٠ .

(2) طبقات المفسرين ١/١١١ .

(3) المنهل الصافي ٢/٤١٥ .

(4) النجوم الزاهرة ١١/١٢٤ .

(٥) المرجع نفسه ١١/١٢٤، المنهل الصافي ٢/٤١٥ .

ثانيًا : تفسير القرآن العظيم « لابن كثير » مكانته وأهميته :

يعتبر تفسير[1] القرآن العظيم لابن كثير من أفضل التفاسير وأهمها قال

---

(1) لم يبدأ الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير القرآن من أول الكتاب العزيز وإنما بدأ بالتفسير من أول الآية ١٠٠ من سورة الأنعام، حتى أتم تفسير القرآن، ثم رجع عودًا على بدء فكتب تتمة التفسير من أوله إلى أخر الآية ٩٩ من سورة الأنعام (عمدة التفسير ٨/٥) .

وقد حاول الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله أن يجد تعليلًا وتفسيرًا لهذا الأسلوب الذي سلكه ابن كثير حيث لم يبدأ من أول القرآن كعادة المفسرين فذكر الأستاذ شاكر بأن « الحافظ ابن كثير رحمه الله بدأ دروسًا علمية لتلاميذه في تفسير القرآن تفسيرًا شفويًا في الدرس فقط، وأن الرغبة كانت تساوره ليكتب ما يفسر به، فيتردد في الكتابة، أو أن طلابه كانوا يسألونه كتابة التفسير فيتراوح بين الإقدام والأحجام، حتى أتم التفسير الشفوي في الدرس إلى نهاية الآية ٩٩ من سورة الأنعام، ثم زال تردده ووفقه الله للعزم على كتابة هذا التفسير الجليل، فلم يرد أن يقطع الدرس ويستأنف التفسير فكتب من حيث انتهى في القراءة من بدء الآية ١٠٠ من سورة الأنعام حتى إذا أتم درس التفسير العظيم قراءة وكتابة استأنف إتمام التفسير من أول الكتاب العزيز إلى حيث انتهى من قبل، فكان القسم الذي كتبه من سورة الأنعام إلى أخر الآية ٩٩ هو أخر الجزء الأول من تفسيرها في خطه فهو جزء أول في تفسيرها لهذا السبب، لا قصدًا إلى تقسيم سورة الأنعام إلى أجزاء، ولا قصدًا إلى تقسيم التفسير نفسه إلى أجزاء، إذ لو قصد هذا لم يكن من أول سورة الأنعام أول أجزاء التفسير كما هو بديهي» (عمدة التفسير ٨/٥).

ومع تقديرنا لهذا التعليل من الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله إلا أن هذا التحليل التنبأي يبقى احتمالًا ظنيًا وليس هو عين الحقيقة وهو ما أكده الأستاذ أحمد شاكر بنفسه حيث قال : « ولعلنا نجد فيما نستقبل من العمل فيه إن شاء الله ما يدلنا على حقيقة ما كان وهذا غاية جهدنا الآن » (عمدة التفسير ٩/٥)، ويمكن أن يقال أن السبب – في ظني والله أعلم – أن ابن كثير رحمه الله قد تأثر بشيخه ابن تيمية في عدم الحاجة إلى كتابة تفسيرًا للقرآن كاملًا – كما أفاد بي بذلك الدكتور جعفر شيخ إدريس وهو ممن لهم اهتمام بابن تيمية – لأن ما هو موجود يغني عن ذلك، فهو يرى أن العالم يكتب ما فتح الله عليه من معاني في الآيات التي قرأها وتدبرها دون الحاجة أن يكتب تفسيرًا كاملًا للقرآن من أول سورة الفاتحة إلى سورة الناس، ولذلك لم يكتب رحمه الله تفسير للقرآن كاملًا، وإنما فسر بعض الآيات في مواطن مختلفة للقرآن فلعل ابن كثير تأثر بشيخه في هذا ولذلك كان مترددًا في كتابة التفسير، ثم زال هذا التردد، وبالتالي بدأ الكتابة في التفسير من حيث انتهى في القراءة في الدرس الشفوي وهو الآية ٩٩ من سورة الأنعام، كما قال الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله .

الإمام السيوطي[1] : « لم يؤلف على نمطه مثله »[2]، وهذا راجع إلى سلامة المنهج الذي سار عليه ابن كثير في تفسيره وهو التفسير بالمأثور، وقد بيّن ذلك في مقدمة التفسير بقوله : « فإن قال قائل فما أحسن التفسير ؟ فالجواب إنّ أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أُجمل في مكان فإنه قد يبسط في موضع آخر، فإن أعياك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ... وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح .... »[3]، ثم قال « فصل إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عند الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير ..... وكسعيد بن جبير[4] وعكرمة مولى

---

(1) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي جلال الدين إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ٦٠٠مصنف منها الكتاب الكبير والرسالة الصغيرة، نشأ في القاهرة يتيمًا ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل منواريًا عن أصحابه جميعًا كأنه لا يعرف أحدًا منهم فألف أكثر كتبه، من كتبه الإتقان في علوم القرآن وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، والدرر المنثور في التفسير بالمأثور وغيرها، توفي سنة ٩١١هـ (الأعلام ٣٠١/٣) .

(2) ذيل طبقات الحفاظ ص٣٦١ ، وقد أثنى عليه من المعاصرين الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني مدرس علوم القرآن بالأزهر في كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن بقوله : « وتفسير ابن كثير من أصح التفاسير بالمأثور إن لم يكن أصحها جميعًا » ٤٩٨/١، طبعت دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ١٠/١ .

(4) هو سعيد بن جبير الأسدي بالولاء، الكوفي أبو عبد الله، تابعي كان أعلمهم على الإطلاق وهو حبشي الأصل، من موالي بني والية من الحارث من بني أسد، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، وكان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه قال أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيدًا، ولما خرج عبد الرحمن الأشعث على عبد

ابن عباس وعطاء ابن أبي رباح[1] والحسن البصري ومسروق بن الأجدع[2] وسعيد بن المسيب[3] »[4] .

وهذه الطريقة تعتبر أحسن الطرق في تفسير القرآن الكريم، وقد اعتنى العلماء والمسلمون بهذا التفسير عناية عظيمة فمنهم من حققه وصححه وعلق عليه ومنهم من اختصره[5] .

الملك بن مروان كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن، فذهب سعيد إلى مكة فقبض عليه واليها خالد القسري وأرسله إلى الحجاج فقتله بواسط سنة ٩٥هـ (الأعلام ٩٣/٣) .

(١) هو عطاء بن أسلم (أبي رباح) بن صفوان، تابعي من أجلاء الفقهاء، كان عبدًا أسود وُلد في اليمن، ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم، توفي سنة ١١٤هـ (الأعلام ٢٣٥/٤).

(٢) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة تابعي ثقة من أهل اليمن، قدم المدينة في أيام أبي بكر، وسكن الكوفة، وشهد حروب علي وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه بالقضاء، توفي سنة ٦٣هـ (الأعلام ٢١٥/٧) .

(٣) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي أبو محمد سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاءًا، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سمي راوية عمر، توفي بالمدينة سنة ٩٤هـ (الأعلام ١٠٢/٣) .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ١٢/١ .

(5) من أشهر طباعته :

- طبعة بولاق بمصر عام ١٣٠٢هـ .
- طبعة السيد محمد رشيد رضا مع تفسير البغوي في تسعة مجلدات .
- طبعة دار أحياء التراث العربية لعيسى السبابي الحلبي وشركاه، عام ١٣٧٢هـ في أربع مجلدات .
- طبعة مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة عام ١٣٤٤هـ في اربع مجلدات .
- طبعة دار الفكر، ودار الأندلس عام ١٣٨٥هـ في سبع مجلدات .
- طبعة دار الشعب سنة ١٣٩٠هـ في ثمانية أجزاء .
- طبعة دار الأرقم في الكويت صدر الجزء الأول عام ١٤٠٥هـ
- طبعة دار طيبه سنة ١٤١٨هـ في ثمانية مجلدات تحقيق سامي محمد سلامة .
- طبعة دار عالم الكتب بالرياض في أربع مجلدات ١٤١٨هـ .

انظر منهج ابن كثير في التفسير د. سليمان للاحم ص٦٥-٦٧، وانظر حياة ابن كثير وكتابه تفسير القرآن العظيم، د. محمد الفالح ص ٧١-٧٥ .

أما المختصرات فمن أقدمها :

- مختصر تفسير ابن كثير لابن اليونانيه محمد علي البعلي الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٢هـ، وهذا المختصر لا يزال مفقودًا ، انظر حياة ابن كثير، للفالح، ص ١٢٩ مرجع سابق .
- عمدة التفسير لأحمد محمد شاكر عام ١٣٧٦هـ في دار المعارف بمصر في خمسة أجزاء من أول التفسير إلى نهاية أية ٨ من سورة الأنفال، وقد استمر مطبوعا على هذا النحو حتى عام ١٤٢٣هـ وذلك ظنا من الباحثين أن المنية عاجلت المؤلف قبل أن يتم هذا العمل، والحقيقة أن المؤلف قام باختصار تفسير ابن كثير إلى آخر سورة الناس حيث أن دار الوفاء اتصلت بآل شاكر وحصلت على النسخة التي قام فضيلة الشيخ أحمد شاكر باختصارها بخط يده والتي ختمها بقوله (أتممت اختصار هذا السفر الجليل في المسودة ليكون « عمدة التفسير بين العشائين يوم الاحد الثاني عشر من محرم سنة ١٣٧٦هـ ») انظر : عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير في اختصار القرآن العظيم، المحقق الشيخ أحمد شاكر، أعده أنور الباز ص ٦، ٧ طبعة دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ. وأعادت طبعته دار الوفاء ثانية عام ١٤٢٦هـ .
- تيسير العلي القدير لاختصار ابن كثير، لمحمد نسيب الرفاعي طبع في أربعة مجلدات سنة ١٣٩٢هـ .
- مختصر تفسير ابن كثير لمحمد كريم راجح طبع سنة ١٤٠٣هـ في مجلدين .
- لباب التفسير من ابن كثير طبع سنة ١٤١١هـ في أربع أجزاء للدكتور عبد الله محمد بن عبد الرحمن آل الشيخ .
- فتح القدير في تهذيب تفسير ابن كثير، لمحمد أحمد كنعان، طبع سنة ١٤١٢هـ .

انظر منهج ابن كثير للدكتور اللاحم ص٦٩-٧٠، مرجع سابق، وانظر حياة ابن كثير، د. الفالح ص ١٢٩-١٣٢، مرجع سابق . وكان آخر الطبعات التي وقفت عليها طبعة دار الحديث بالقاهرة عام ١٤٢٢هـ في ثمانية مجلدات بتحقيق الدكتور . السيد محمد السيد، والدكتور وجيه محمد أحمد، ومصطفى فتحي عبد الحكيم وسيد إبراهيم صادق، وكذلك طبعة دار عالم الكتب بالرياض عام ١٤٢٥هـ في خمسة عشر مجلدًا بتحقيق مصطفى السيد محمد، ومحمد السيد رشاد، ومحمد فضل العجماوي، وعلي أحمد عبد الباقي، وحسن عباس قطب .

أما آخر المختصرات التي وقفت عليها :

- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير في مجلد واحد، إعداد جماعة من العلماء بإشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، مطبعة دار السلام بالرياض ١٤٢٠هـ

منهجه في التفسير :

سبق وأن قلنا أن مكانة تفسير ابن كثير ترجع أهميته إلى أنه تفسير بالمأثور، وهذا النوع من التفسير هو الطريق الوحيد لفهم القرآن فهمًا صحيحًا سليمًا من الزيغ والضلالات[1] وقد التزم ابن كثير بهذا المنهج تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين إضافة إلى اللغة العربية .

- تفسير القرآن بالقرآن :

وقد اعتمد ابن كثير على هذه الطريقة اعتمادًا كبيرًا، واعتبر هذه الطريقة هي أولى ما يفسر به القرآن الكريم، فقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[٢]، بعدما أورد أقوال المفسرين في معنى الصلصال : « والظاهر أنه كقول تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[٣] وتفسير الآية بالآية أولى »[4] .

- تفسير القرآن بالسنة :

- اليسير في اختصار تفسير ابن كثير في مجلد واحد، اختصار وتحقيق صلاح محمد عرفات، محمد عبد الله الشنقيطي، خالد فوزي عبد الحميد، إشراف د. صالح بن حميد، مطبعة دار الهداة للنشر جدة، ط١ ١٤٢٦هـ .

(1) منهج ابن كثير، د. اللاحم، ص١٨١، مرجع سابق .

(٢) سورة الحجر آية ٢٦ .

(٣) سورة الرحمن الآيتان ١٤-١٥ .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٧٩/٢ .

فبعد أن يفسر القرآن بالقرآن ينتقل إلى التفسير بالسنة، فيذكر الأحاديث التي تفسر وتوضح معنى الآية والتي لها علاقة بالآية من أي وجه من الوجوه كما كانت طريقته في تفسير القرآن بالقرآن، فمن السنة ما جاء بيانًا لمجمل القرآن[1]، ومنها ما جاء لتوضيح مشكل[2]، ومنها ما جاء مخصصًا لعموم بعض الآيات[3]، ومنها ما جاء مقيدًا لبعض

---

(1) مثل قوله تعالى :﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة ١٥٨)، وقوله تعالى :﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ ﴾ (البقرة ١٩٦)، فقد بينت السنة ذلك بفعل الرسول ﷺ وتقريره في حجته وعُمرته، انظر التفسير ٢٤٧/١، ٢٨٧/١ .

(2) مثل قوله تعالى :﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾(البقرة ١٨٧)، فقد أشكل المراد على بعض الصحابة حتى أخذ عقالين أحدهما أسود والآخر ابيض، فلا يزال يأكل حتى يتبين له الأسود من الأبيض فقال ﷺ : « إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل »، انظر التفسير ٢٧٥/١ .

و الحديث متفق عليه و أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب قوله تعالى : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾(البقرة ١٨٧) رقم (١٩١٦) وكذلك في كتاب التفسير باب قوله تعالى ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾(البقرة ١٨٧) رقم (٤٥٠٩) (٤٥١٠)، ومسلم في كتاب الصيام باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر رقم (١٠٩٠) وأبو داود في كتاب الصيام باب وقت السحور رقم (٢٣٤٩) .

(3) مثل تحديد السنة لقدر النصاب التي تقطع به يد السارق كما في مسلم عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدًا » فهذا الحديث وغيره مخصص لعموم قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة ٣٨) التفسير ٧٢/٢ .

والحديث متفق عليه و أخرجه البخاري في كتاب الحدود باب قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ (المائدة ٣٨) وفي كم يقطع ؟ رقم (٦٧٩٠)، ومسلم في كتاب الحدود، باب حد السرقة ونصابها رقم (١٦٨٤) .

الآيات[1]، ومنها ما جاء موافقًا لما جاء في القرآن بغرض تأكيد الحكم وتقويته[2]، فابن كثير رحمه الله تعالى أعطى هذا المصدر من مصادر التفسير اهتمامًا عظميًا وإعتمادًا كبيرًا، ففسر القرآن بالقرآن ثم بالمروي عن الرسول ﷺ من الأحاديث، مع مناقشة الأسانيد والمتون وبيان الصحيح و الضعيف منها[3] .

- تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين :

فالصحابة رضوان الله عليهم هم أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ، لأنهم صحبوا الرسول ﷺ وعاصروا نزول الوحي، يقول ابن تيمية رحمه الله : «وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح »[4] ، ثم يأتي بعد تفسير الصحابة تفسير التابعين وهم الذين عاصروا الصحابة يقول ابن تيمية : « إذا لم تجد التفسير في القرآن

---

(1) كتقييد السنة لليد المقطوعة في السرقة في قوله تعالى ﴿ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ (المائدة ٣٨)، باليمين لقول الرسول ﷺ لما أخبروه بالمرأة التي سرقت فقال : « اقطعوا يدها اليمنى »، التفسير ٧٤/٢ . والحديث أخرجه أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ٢٣٧/١١، طبعة مؤسسة الرسالة بيرت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

(2) ومن ذلك موافقة الحديث النبوي الذي رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل » فهذا الحديث موافق لقوله تعالى :﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة ٢٨٦)، التفسير ٤١٨/١ .
والحديث أخرجه البخاري في كتاب الطلاق باب الطلاق في الإعلان والكره والسكران والمجنون حديث رقم (٥٢٦٩) .

(3) انظر: سليمان اللاحم، منهج ابن كثير، مرجع سابق، ص٢٥٨ .

(4) مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ص٩٥، نشر دار الفرقان بالكويت ومؤسسة الرسالة بيروت، ط٢ سنة ١٣٩٢هـ .

ولا في السنة ولا وجدته عند الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين »[1]،لذا فالإمام ابن كثير رحمه الله إذا لم يجد التفسير في القرآن ولا في السنة انتقل بعد ذلك إلى التفسير بأقوال الصحابة ثم التابعين، فيذكر عند كل آية ما ورد من الآثار والأقوال في تفسيرها[2]، وابن كثير حينما يروي هذه الأقوال لا ينقلها على عَلاَّتها وإنما يناقشها ويختار أصحها وأرجحها حسب موافقتها للأدلة من الكتاب والسنة وبهذا امتاز عن غيره من الذين اقتصروا على الجمع دون المناقشة والترجيح .

- تفسير القرآن بلغة العرب :

فقد اعتمد ابن كثير على اللغة العربية في تفسيره لا شك أنها من أهم المصادر في التفسير وذلك برجوعه إليها واحتكامه لها من خلال الاستشهاد بكلام العرب شعرًا أو نثرًا أو بذكر أقوال علماء اللغة والاحتجاج بها[3] .

---

(1) المرجع نفسه، ١٠٢ .

(2) فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ ﴾ (الرعد ٤١)، أورد عدة أقوال للصحابة والتابعين، فعن ابن عباس أنه فسرها بالفتوحات الإسلامية للرسول ﷺ، وفي رواية عنه أو لم يروا إلى القرية تخرب حتى يكون العمران في ناحية، وقال مجاهد وعكرمة المراد خرابها وقال الحسن والضحاك وهو ظهور المسلمين على المشركين وفي رواية عن ابن عباس أيضا نقصان أهلها وبركتها وعن مجاهد أيضًا نقصان الأنفس والثمرات، وقال عكرمة هو الموت وفي رواية عن ابن عباس أيضًا خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير فيها وكذا قال مجاهد أيضًا موت العلماء، التفسير ٦٤٢/٢ .

(3) فمثلًا عند تفسيره قوله تعالى : ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ (البقرة ٤٩)، قال : « معنى يسومونكم أي يولونكم قال أبو عبيدة يقال سامه خطة خسف إذ أولاه إياها قال عمرو بن كلثوم :

إذا ما الملك سام الناس خسفًا أبينا أن نقر الخسف فينا »، التفسير ١١٦/١، وانظر شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ص ٣٥١، طبعت المكتبة العصرية بيروت، ط١ ١٤٢٣هـ،

مصادر تفسير ابن كثير :

اعتمد ابن كثير رحمه الله تعالى مصادر كثيرة ومتنوعة في تفسيره، سواء من كتب التفسير وكتب السنة التي هي عمدته، أو كتب الفقه والعقائد والتاريخ والسير واللغة العربية، أو غيرهما من المصادر الأخرى[1] .

فمثلًا في التفسير: تفسير الطبري[2]، وابن أبي حاتم[3]،وابن مردويه[4]،

وعند تفسيره قوله تعالى : ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ (مريم ١٣) يقول : « فالحنان هو المحبة في شفقة وميل كما تقول العرب حنَّت الناقة على ولدها وحنّت المرأة على زوجها » التفسير ١٤٤/٣ .

وسيأتي الكلام مفصلًا على اعتماد ابن كثير على اللغة العربية في تفسيره للقرآن الكريم في المباحث القادمة ان شاء الله .

(1) أورد الدكتور مطر الزهراني ص ١٦٤ مصدرًا منوعًا ورتبها على حروف الهجاء،
انظر الإمام ابن كثير المفسر، رسالة ماجستير ص ١١٢-١٧٢، رسالة غير منشورة،
وكذلك د. إسماعيل عبد العال، حصر ما يقارب ٢٤١ مصدرًا ورتبها حسب الموضوعات، انظر ابن كثير ومنهجه في التفسير، د. إسماعيل عبد العال ص ١٧٢-٢٣٢، رسالة دكتوراه مطبوعة، طبعة مكتبة فيصل الإسلامية بالقاهرة ١٩٨٤م، الطبعة الأولى .

(2) محمد ابن جرير بن زيد بن كثير بن غالب الإمام أبو جعفر الطبري كان مولده سنة ٢٢٤هـ وتوفى سنة ٣١٠هـ له من المصنفات التفسير الكامل الذي لا يوجد له نظير والتاريخ الكامل المشهور بتاريخ الأمم والملوك وتهذيب الآثار لكنه لم يتمه، انظر البداية والنهاية ٨٤٦/١٤ .

(3) هو أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم بن إدريس الرازي توفي سنة ٣٢٧هـ وله كتاب الجرح والتعديل وكتاب العلل وكتاب التفسير الذي وصفه ابن كثير بقوله : « وله التفسير الحافل الذي اشتمل على النقل الكامل الذي يربو فيه على تفسير ابن جرير وغيره من المفسرين إلى زماننا » انظر البداية والنهاية ١١٣/١٥-١١٤ .

(4) الحافظ العلامة أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني ولد سنة ٣٢٣هـ وتوفي سنة ٤١٠ هـ صاحب التفسير والتاريخ، انظر طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤١٢.

والبغوي[1]، والزمخشري[2]،

وابن عطية[3]، والرازي[4]، والقرطبي[5] ... وغيرهم .

ومن كتب الحديث :

صحيح البخاري[6]، وصحيح مسلم[7]، وسنن أبي داود[1]،

---

(1) هو أبو محمد الحسن بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء اللغوي الفقيه الشافعي المحدث المفسر الملقب بمحي السنة له عدة مؤلفات منها التفسير المسمى معالم التنزيل والمصابيح والجمع بين المصححين توفي سنة ٥١٠هـ، انظر طبقات المفسرين للسيوطي ص ١٣ .

(2) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوازمي الزمخشري ولد سنة ٤٦٧هـ وتوفي سنة ٥٣٨هـ وله عدة مؤلفات منها الكاشف في التفسير، وأساس البلاغة، والفائق والمفصل، انظر طبقات المفسرين للسيوطي ص ٤١ .

(3) هو القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ولد سنة ٤٨١هـ وتوفي سنة ٥٤٦هـ وله عدة مؤلفات منها التفسير المسمى المحرر الوجيز في الكتاب العزيز، انظر بغية الوعاة في طبقاة النحاه للسيوطي ص٢٩٥ .

(4) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن علي القرشي التميمي البكري الطبرستاني فخر الدين الفقيه الشافعي ولد سنة ٥٤٤هـ وقيل سنة ٥٤٣هـ وتوفي سنة ٦٠٦هـ، قال ابن كثير : « وله أكثر من مائتي مصنف، ومن أجل مصنفاته التفسير المسمى مفاتيح الغيب »، انظر البداية والنهاية ١١/١٧، ومعجم المؤلفين لرضا كحاله ٧٩/١١ .

(5) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي توفي ليلة الاثنين التاسع من شهر شوال سنة ٦٧١هـ وله عدة مؤلفات من أهمها الجامع لأحكام القرآن ويعتبر من تفاسير الفقهاء وهو من أفضل التفاسير ومن مؤلفاته كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، وكتاب المتذكر في أفضل الأذكار وغير ذلك، انظر الأعلام ٢١٧/٦-٢١٨ .

(6) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله ﷺ صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، ولد في بخارى سنة ١٩٤هـ ونشأ يتيمًا وقام برحلة طويلة سنة ٢١٠هـ في طلب الحديث فزار خراسان والعراق ومصر والشام وسمع من نحو ألف شيخ توفي سنة ٢٥٦هـ رحمه الله، الأعلام ٣٤/٦.

(7) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو الحسين حافظ من أئمة المحدثين ولد بنيسابور سنة ٢٠٤هـ ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق وتوفي بظاهر نيسابور سنة ٢٦١هـ أشهر كتبه صحيح مسلم فيه اثني عشر ألف حديث كتبها في خمسة عشر سنة وهو أحد الصحيحين المعول عليهم عند أهل السنة في الحديث وقد شرحه كثيرون، الأعلام ٢٢١/٧ .

والنسائي[2]، والترمذي[3]،وابن ماجه[4]، والمستدرك على الصحيحين للحـــــاكـــم[5]، وصحيـــــــح ابـــن خزيـــــــمـــة[6]، وابـن حبان[7]،وموطأ مالك[1]، ومعجم الطبراني[2]، وسنن الدار قطني[3]، وسنن

---

(1) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني أبو داود إمام أهل الحديث في زمانه ولد سنة ٢٠٢هـ أصله من سجستان رحل رحلة كبيرة وتوفي بالبصرة سنة ٢٧٥هـ رحمه الله، له السنن وهو أحد الكتب الستة جمع فيه ٤٨٠٠ حديث انتخبها من ٥٠٠٠٠٠ حديث، الأعلام ١٢٢/٣ .

(2) أحمد بن شعيب بن علي بن سفيان بن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن النسائي القاضي الحافظ شيخ الإسلام أصله من نسا بخراسان رحل في البلاد واستوطن مصر فحسده مشايخها فخرج إلى الرملة بفلسطين، فسئل عن فضائل معاوية فأمسك عنه فضربوه في الجامع وأخرج عليلًا فمات سنة ٣٠٣هـ ودفن ببين المقدس وكانت ولادته سنة ٢١٥هـ، الأعلام ١٧١/١ .

(3) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البدغي الترمذي أبو عيسى من أئمة علماء الحديث وحفاظه من أهل ترمذ على نهر جيحون، تتلمذ للبخاري وشاركه في بعض شيوخه وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في أخر عمره وكان يضرب به المثل في الحفظ مات بترمذ سنة٢٧٩هـ وكان مولده ٢٠٩ هـ من تصانيفه الجامع الكبير، الأعلام ٣٢٢/٦ .

(4) محمد بن يزيد الربعي القزويني أبو عبد الله ابن ماجة أحد الأئمة في علم الحديث من أهل قزوين رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري في طلب الحديث وصنف كتابه سنن ابن ماجه وهو أحد الكتب الستة المعتمدة توفي سنة ٢٧٣هـ، الأعلام ١٤٤/٧ .

(5) محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري الشهير بالحاكم أبو عبد الله من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه مولده ووفاته بنيسابور رحل إلى العراق سنة ٣٤١هـ وحج وجال في بلاد خراسان وما وراء النهر وأخذ عنه نحو ألفي شيخ، وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه، صنف كتبًا كثيرة جدًا منها المستدرك على الصحيحين وتوفي سنة ٤٠٥هـ رحمه الله، الأعلام ٢٢٧/٦ .

(6) محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي أبو بكر إمام نيسابور في عصره كان فقيهًا مجتهدًا عالمًا بالحديث، مولده ووفاته بنيسابور، رحل إلى العراق والشام والجزيرة ومصر، ولقبه السبكي بإمام الأئمة، تزيد مصنفاته على ١٤٠ منها التوحيد وإثبات صفات الرب ومختصر المختصر المسمى بصحيح ابن خزيمة توفي سنة٣١١هـ، الأعلام ٢٩/٦ .

(7) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم البستي ويقال له ابن حبان بن مؤرخ علامة جغرافي ومحدث ولد في بست من بلاد سجستان وتنقل في الأقطار فرحل إلى خراسان والشام ومصر والعراق

البيهقي[4]، وسنن سعيد بن منصور[5]، ومسند الإمام أحمد بن حنبل[6]، ومسند

والجزيرة وتولى قضاء سمرقند ثم عاد إلى نيسابور ومنها إلى بلدة حيث توفي في عشر الثمانين من عمره، من كتبه المسند الصحيح توفي سنة ٣٥٤هـ، الأعلام ٦/٧٨ .

(1) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري أبو عبد الله إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة واليه تنسب المالكية مولده ووفاته بالمدينة كان صلبًا في دينه بعيدًا عن الأمراء والملوك وشي به إلى جعفر عم المنصور العباس فضربه سياطًا انخلعت لها كتفه، وسأله المنصور أن يضع كتابًا للناس فصنف الموطأ توفي سنة ١٧٩هـ رحمه الله، الأعلام ٥/٢٥٧ .

(2) سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم من كبار المحدثين، أصله من طبريه الشام، وإليها نسبته ولد بعكا ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة وتوفي بأصبهان له ثلاث معاجم في الحديث توفي سنة ٣٦٠هـ، الأعلام ٣/١٢١ .

(3) علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن الدار قطني الشافعي إمام عصره في الحديث وأول من صنف القراءات وعقد لها أبوابًا ولد بدار قطن من أحياء بغداد ورحل إلى مصر وعاد إلى بغداد فتوفي بها سنة٣٨٥هـ، من تصانيفه كتاب السنن، الأعلام ٤/٣١٤ .

(4) أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر من أئمة الحديث ولد في خسروجرد من قرى بيهق، بنيسابور، ونشأ في بيهق ورجل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما وطلب إلى نيسابور فلم يزل فيها إلى أن مات ونقل جثمانه إلى بلده، له من المصنفات السنن الكبرى والسنن الصغرى ودلائل النبوة، توفي سنة ٤٥٨هـ، الأعلام ١/١١٦ .

(5) سعيد بن منصور ابن شعبه الحافظ الإمام شيخ الحرم أبو عثمان الخراساني المروزي سمع بخرسان والحجاز والعراق ومصر والشام والجزيرة وكان من أبناء الثمانين سنة أو أزيد وتوفي بمكة في شهر رمضان سنة٢٢٧هـ، سير أعلام النبلاء ١٠/٥٨٦-٥٨٧ .

(6) أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني الوائلي إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة أصله من مرو وكان أبوه والي سرخس وولد ببغداد فنشأ منكبًا على طلب العلم وسافر في سبيله أسفارًا كثيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والثغور والمغرب والجزائر والعراقين وفارس وخراسان والجبال والأطراف، وصنف المسند ويحتوي على ثلاثين ألف حديث، وسجنه المعتصم ثمانية عشر شهرًا لامتناعه عن القول بخلق القرآن توفي سنة ٢٤١هـ الأعلام ١/٢٠٣ .

البزار[1]، والشافعي[2]، وأبي يعلى[3]، والطيالسي[4]، ومصنف عبد الرزاق[5]، وابن أبي شيبة[6] .

ومن كتب التاريخ والسير : تاريخ ابن عساكر[7]، والسيرة النبوية لابن إسحاق[8]، والواقدي[9]، ودلائل النبوة

---

(1) أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار حافظ من العلماء بالحديث من أهل البصرة حدّث في آخر عمره بأصبهان وبغداد والشام وتوفي في الرملة له مسندان أحدهما كبير سماه البحر الزاخر والثاني صغير توفي سنة ٢٩٢هـ الأعلام ١٨٩/١ .

(2) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي الكلبي أبو عبد الله أحد الأئمة عند أهل السنة واليه نسبة الشافعية كافة، ولد في غزة بفلسطين وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين وزار بغداد مرتين وقصد مصر سنة ١٩٩هـ فتوفي بها وقبره معروف بالقاهرة وكان ذكيًا مفرطًا، له تصانيف كثيرة أشهرها كتاب الأم في الفقه والرسالة في أصول الفقه توفي سنة ٢٠٤هـ، الأعلام ٢٦/٦ .

(3) أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي أبو يعلي حافظ من علماء الحديث ثقة مشهور لقبه الذهبي بمحدث الموصل عمّر طويلًا حتى ناهز المائة، ورحل الناس إليه وتوفي بالموصل سنة ٣٠٧هـ، الأعلام ١٧١/١.

(4) هشام بن عبد الملك الباهلي مولاهم أبو الوليد الطيالسي من كبار حفاظ الحديث من أهل البصرة روى عنه البخاري ١٠٧ أحاديث توفي سنة ٢٢٧هـ، الأعلام ٨٧/٨ .

(5) عبد الرزاق بن نعمان بن نافع الحميري مولاهم أبو بكر الصنعاني من حفاظ الحديث الثقات من أهل صنعاء كان يحفظ نحوًا من سبعة عشر ألف حديث، له الجامع الكبير، توفي سنة ٢١١، الأعلام ٣٥٣/٣ .

(6) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي مولاهم الكوفي أبو بكر حافظ للحديث له فيه كتب منها المسند والمصنف في الأحاديث والآثار طبع خمسة أجزاء، توفي سنة ٢٣٥هـ، الأعلام ١١٧/٤-١١٨ .

(7) علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم ثقة الدين بن عساكر الدمشقي المؤرخ الحافظ الرحالة كان محدث الديار الشامية ورفيق السمعاني صاحب لأنساب في رحلاته، مولده ووفاته بدمشق له تاريخ دمشق الكبير يعرف بتاريخ ابن عساكر اختصره الشيخ عبد القادر بدران، توفي سنة ٥٧١هـ، الأعلام ٢٧٣/٤ .

(8) سبق ترجمته ص٣٩ .

(9) محمد بن عمر بن واقد السهمي بالولاء المدني أبو عبد الله الواقدي من أقدم المؤرخين في الإسلام ومن أشهرهم ومن حفاظ الحديث ولد بالمدينة وكان حناطًا (تاجر حنطه) وضاعت ثروته فانتقل إلى العراق ١٨٠هـ في أيام الرشيد واتصل بيحيى بن خالد البرمكي فأفضى عليه عطاياه وقربه من الخليفة، تولى القضاء ببغداد واستمر إلى أن توفي فيها سنة ٢٠٧هـ، من كتبه المغازي النبوية، الأعلام ٣١١/٦ .

للأصبهاني[1]، وكتاب الشفاء للقاضي عياض[2] .

ومن كتب العقائد الأسماء والصفات للبيهقي، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، وكتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب السنة لابي القاسم اللالكائي[3] .

ومن كتب الفقه الاستذكار لابن عبد البر[4]، والشرح الكبير للرافعي[5]، والأم للشافعي، والأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام[6]، والشامل

---

(1) إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطلحي التميمي الاصبهاني أبو القاسم الملقب بقوام السنة من أعلام الحفاظ كان إمامًا في التفسير والحديث واللغة وهو من شيوخ السمعاني في الحديث من كتبه الجامع في التفسير ودلائل النبوة والتذكرة، توفي سنة ٥٣٥هـ، الأعلام ٣٢٣/١ .

(2) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي أبو الفضل عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم ولي قضاء سبته ثم قضاء غرناطة من تصانيفه الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، توفي بمراكش مسمومًا سنة ٥٤٢هـ، الأعلام ٩٩/٥ .

(3) هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي أبو القاسم اللالكائي حافظ للحديث من فقهاء الشافعية من أهل طبرستان استوطن بغداد وخرج في آخر أيامه إلى الدينور فمات بها كهلًا، قال الزبيدي في التاج : نسبته إلى بيع اللوالك التي تلبس في الأرجل على خلاف القياس، له شرح السنة، توفي ٤١٨هـ، الأعلام ٧١/٨ .

(4) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي أبو عمر من كبار حفاظ الحديث مؤرخ أديب بحاثه يقال له حافظ المغرب ولد بقرطبة ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقها، توفي بشاطبه سنة ٤٦٣هـ، من كتبه الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار، والتمهيد، الأعلام ٢٤٠/٨ .

(5) عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم أبو القاسم الرافعي القزويني فقيه من كبار الشافعية كان له مجلس بقزوين للتفسير والحديث وتوفي فيها نسبته إلى رافع بن خديج الصحابي، له التدوين في ذكر أخبار قزوين والإيجاز في أخطار الحجاز والمحرر فقه وفتح العزيز في شرح الوجيز للغزالي في الفقه، توفي ٦٢٣ هـ، الأعلام ٥٥/٤ .

(6) القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء الخراساني البغدادي أبو عبيد من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه من أهل هراة ولد وتعلم بها ورحل إلى بغداد فولي القضاء بطرسوس ثمان عشرة سنة ورحل إلى مصر سنة ٢١٣هـ فسمع الناس من كتبه وحج وتوفي بمكة سنة ٢٢٤هـ، الأعلام ١٧٦/٥ .

لأبي نصر الصباغ[1] .

ومن كتب اللغة الصحاح للجوهري[2]، والأسماء واللغات للنووي، والغريب لأبي عبيد القاسم، وغيرها من المصادر الأخرى الكثيرة والمتنوعة.

هل يعد تفسير ابن كثير اختصارًا لتفسير الطبري ؟

قد يتوهم البعض ويظن أن تفسير ابن كثير يعد مختصرًا لتفسير الطبري والسبب في ذلك كثرة نقوله من ابن جرير، فلا تكاد تجد صفحة من تفسير ابن كثير إلا وقد نقل فيها عن ابن جرير، وأحيانًا ينقل أسطرًا كاملة، ولكن الحق أن ابن كثير وإن أكثر من النقل عن ابن جرير الطبري إلا أن له طريقته الخاصة وأسلوبه المتميز الذي يجعل تفسيره يختلف عن تفسير ابن جرير الطبري وقد ذكر الدكتور اللاحم جملة من الفروق التي توضح اختلاف طريقة ابن كثير في عرضه وأسلوبه عن ابن جرير الطبري رحمهما الله ومنها :

١- اعتماد الحافظ ابن كثير على تفسير القرآن بالقرآن كمصدر أول من مصادر التفسير بينما نجد الإمام الطبري لا يعتمد في تفسيره على تفسير القرآن بالقرآن كمصدر أول من مصادر التفسير .

---

(1) عبد السيد بن محمد بن عبد الواح أبو نصر ابن الصباغ فقيه شافعي، من أهل بغداد ولادة ووفاة كانت الرحلة إليه في عصره وتولى التدريس بالمدرسة النظامية أول ما فتحت وعمي في آخر عمره، له الشامل في الفقه وتذكرة العلام والعدة في أصول الفقه، توفي سنة٤٧٧هـ، الأعلام ١٠/٤ .

(2) إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر أول من حاول الطيران، ومات في سبيله لُغوي من الأئمة أشهر كتبه الصحاح أصله من فاراب ودخل العراق صغيرًا وسافر إلى الحجاز فكان بالبادية وعاد إلى خراسان ثم أقام بنيسابور مات سنة ٣٩٣هـ، الأعلام ٣١٣/١ .

٢- الغالب على الإمام الطبري إيراد الأحاديث الضعيفة بدون مناقشة أو تضعيف لها، لأنه رحمه الله يرى أن من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند ومعرفة حالهم من العدالة والجرح، فيكون بهذا قد خرج من العهدة، بينما الحافظ ابن كثير يقلل من ذكر الأحاديث الضعيفة ويناقشها ويبين ضعفها في كثير من المواضع .

٣- الإكثار من ذكر الأسانيد في تفسير الآية ونقلها على كثرتها بطولها عند ابن جرير، بينما ابن كثير يختصر في ذكره للأسانيد ويكتفي بذكر مصدرها وأسماء من رويت عنهم كعلي وابن مسعود وابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم .

٤- الغالب على ابن جرير ذكر الأسانيد من غير نقد لها ولا تعريف بأحوال رجالها، بينما ابن كثير يناقش هذه الأسانيد ويكشف النقاب عن أحوال رواتها .

٥- الإكثار من ذكر الإسرائيليات عند ابن جرير الطبري بدون تعقب لها في الغالب، بينما الحافظ ابن كثير يتعقبها في كثير من الأحيان بنقدها وبيان ضعفها فهي عنده تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد .

٦- أن ابن جرير رحمه الله يكثر المناقشات والاستفسارات ويورد على نفسه الإشكالات ويجيب عنها، بينما الحافظ ابن كثير أقل من ابن جرير في هذا .

٧- يَتَّسم أسلوب ابن جرير في تفسيره بالارتقاء والارتفاع بحيث قد يستعصي فهم بعض عباراته على أواسط الناس وبعض المتعلمين بينما نجد أسلوب ابن كثير ميسرًا للخاصة والعامة على السواء.

٨- أن ابن كثير رحمه الله نقل في تفسيره كتبًا كثيرة من التفسير والحديث واللغة والعقائد والأحكام والتاريخ والأدب وغالبها مما جاء بعد ابن جرير إضافة إلى أن هناك كثيرًا من الآيات لم ينقل الحافظ ابن كثير في الكلام عنها في تفسيرها شيئًا عن ابن جرير[1] .

موقفه من الإسرائيليات :

رسم الحافظ ابن كثير منهجًا له في التعامل مع الإسرائيليات فقال : «ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد، فإنها على ثلاث أقسام أحدها ما علمنا صحته بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذلك صحيح، والثاني ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه، والثالث ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم وغالب ذلك مما لا فائدة تعود إلى أمر ديني[2] .

لذا نجد أن ابن كثير رحمه الله استخدم هذا المنهج الذي حدّده والخطة التي رسمها عند إيراده للروايات والأحاديث الإسرائيلية فمثلًا :

- لما ذكر قصة بقرة بني إسرائيل عند تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ ....﴾[٣]، قال : « وهذه السياقات كلها عن عبيدة وأبي العالية والسدي

---

(1) انظر: سليمان اللاحم، منهج ابن كثير في التفسير، ص٩٨-١٠٠ بتصرف، مرجع سابق .
وهناك رسالة دكتوراه مطبوعة للدكتور محمد مختار طالب آل نوح بين فيها الكاتب الاختلاف بين منهج ابن جرير وابن كثير في التفسير وهي بعنوان « المقارنة بين منهج الإمامين ابن جرير وابن كثير في التفسير » مطبعة دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع بجدة، ط١ ١٤٢٣هـ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ١١/١ .

(٣) سورة البقرة آية ٦٧ .

وغيرهم فيها اختلاف، والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل وهي مما يجوز نقلها، ولكن لا نصدق ولا نكذب، فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا، والله أعلم »[1] .

ويقول عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ ....﴾[٢]، « وقد رويت قصة هارون وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد[٣] والسدي[٤] والحسن[٥] ... وحاصلها راجع – في تفصيلها – إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراد الله تعالى والله أعلم بحقيقة .الحال»[6]، وكذلك لما ذكر الخلاف في أول من بنى الكعبة

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ١/١٤٠ .

(٢) سورة البقرة آية ١٠٢ .

(٣) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم، تابعي مفسر من أهل الكوفة، قال الذهبي : شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات يقف عند كل آية يسأله فيم أنزلت وكيف كانت؟ وتنقل في الأسفار واستقر في الكوفة، وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها، ويقال أنه مات وهو ساجد سنة ١٠٤هـ (الأعلام ٥/٢٧٨) .

(٤) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، تابعي، حجازي الأصل سكن الكوفة قال فيه ابن تغري بردي : « صاحب التفسير والمغازي والسير » وكان إمامًا عارفًا بالوقائع وأيام الناس، توفي سنة ١٢٨هـ (الأعلام ١/٣١٧) .

(٥) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد تابعي، كان أمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمانه وهو أحد العلماء الفقهاء والنصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة وشب في كنف علي بن أبي طالب، وسكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم ولا يخاف في الحق لومه، قال الغزالي كان الحسن البصري أشبه الناس كلامًا بكلام الأنبياء وأقربهم هديًا من الصحابة وكان غاية في الفصاحة تتصبب الحكمة من فيه وله مع الحجاج بن يوسف مواقف، وسلم من أذاه، أخباره كثيرة وله كلمات سائرة، توفي ١١٠هـ (الأعلام ٢/٢٢٦) .

(6) انظر تفسير القرآن العظيم ١/١٧٨ .

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[1]، قال : « وغالب من يذكر هذا إنما يأخذه من كتب أهل الكتاب وهي مما لا يصدق ولا يُكَّذب ولا يعتمد عليها بمجردها وأما إذا صح حديث في ذلك فعلى العين والرأس »[2].

وكذلك لما أورد قول كعب الأحبار بأن الله لما كلم موسى كلمّه بالألسنة كلها سوى كلامه، فقال له موسى يا رب هذا كلامك قال : ولو كلمتك بكلامي لم تستقِم له، فقال ابن كثير : « فهذا موقوف على كعب الأحبار وهو يحكي عن أهل الكتب المتقدمة المشتملة على أخبار بني اسرائيل وفيها الغث[٣] والسمين »[4] . وأحيانًا يورد الخبر وينتقده ويرد عليه كما في خبر عوج بن عنق، من العماليق عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٥]، فقال : « وقد ذكر كثير من المفسرين ها هنا أخبارًا من وضع بني إسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين وأن فيهم عوج بن عنق وأنه كان طوله ثلاث ألاف ذراع وثلاثمائة وثلاثًا وثلاثون ذراعًا وثلث ذراع تحرير الحساب! وهذا شيء يستحيا من ذكره ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٥ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٢١٦/١ .

(٣) الغث والغثيث اللحم المهزول، وهو أيضًا الحديث الرديء الفاسد، مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ص٤٦٩، طبعت دار الكتاب العربي بيروت، ط١ ١٩٦٧م .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٧١٨/١ .

(٥) سورة المائدة آية ٢٢ .

خلق آدم وطوله ستون ذراعًا ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن »[1] ، ثم ذكروا أن هذا الرجل كافر وأنه كان ولد زنيه وأنه امتنع من ركوب السفينة، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته وهذا كذب وافتراء فإن اللّه ذكر أن نوحًا دعا على أهل الأرض من الكافرين فقال : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[٢] وإذا كان ابن نوح الكافر غرق فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر وولد زنيه، هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع ثم في وجود رجل يقال له عوج بن عنق نظر واللّه أعلم »[3].

وكذا رده على قول كعب الأحبار إن ذا القرنين كان ربط خيله في الثريا وذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾[٤] ، فقال : « وتأويل كعب قوله تعالى : ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ واستشهاده في ذلك على ما يجده في صحفه من أنه كان يربط خيله بالثريا غير صحيح ولا مطابق فإنه لا سبيل للبشر إلى شيء من ذلك ولا إلى الترقي في أسباب السموات »[5]، وكذلك رده على من قال بأن « ق » جبل يحيط بجميع الأرض يقال له قاف وذلك عند تفسيره لآية : ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ ﴾[٦] ، فقال : « وكان هذا – واللّه أعلم – من خرافات بني

---

(1) هذا الحديث أخرجه البخاري بلفظ خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا .... فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن، أول كتاب الاستئذان، باب السلام رقم٦٢٢٧ ٣/١١ من فتح الباري طبعت دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١٠هـ .

(٢) سورة نوح آية ٢٦ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٥٠-٥١ .

(٤) سورة الكهف آية ٨٤ .

(5) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/١٢٩ .

(٦) سورة ق آية ١ .

إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم فيما لا يصدق ولا يكَّذب، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يُلبِّسون به على الناس أمر دينهم، كما افترى في هذه الأمة – مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها – أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم، وشربهم للخمور وتحريف علمائهم الكلام عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله : « وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » فيما يُجَوّزه العقل، فأما فيما تحيله العقول ويحكم عليه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل والله أعلم »[1] .

بل إن ابن كثير رحمه الله يعتبر ما صح في الأخبار الإسرائيلية قليل الفائدة بقوله رحمه الله : « ثم ليعلم أن أكثر ما يحدثون به – يقصد أهل الكتاب – غالبه كذب وبهتان لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل وما أقلَّ الصدق فيه، ثم ما أقلَّ فائدة كثير منه لو كان صحيحًا »[2] .

وهكذا نجد أن ابن كثير يتعقب الإسرائيليات عند ذكره لها، ويرد عليها ويخضعها للمنهج الذي رسمه والخطة التي تبناها في مقدمة تفسيره[3] بشأن الإسرائيليات .

ومع ذلك فإن ابن كثير رحمه الله أورد في تفسيره أحاديث وروايات وأخبار إسرائيلية دون مناقشة لها أو تعقيب أو حتى التنبيه عليها، فمثلًا ما ذكره عن

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٢٦٠ .

(2) المرجع نفسه ٣/٥١٤ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ١/١١ .

ابن أبي حاتم[1] عن ابن عباس[2] في قصة سفينة نوح عليه السلام وأنها دارت بالبيت أربعين يومًا[3]، وكذلك ما أورده عن ابن حزم وابن عساكر وابن إسحاق في قصة « بلعم » الذي أوتي النبوة فانسلخ منها وأنه اندلع لسانه على صدره فهو كالكلب[4] ...، أو قصة المرأة التي أخذها الطلق، فأمرت أجيرها أن يأتيها بنار فخرج فإذا هو برجل واقف على الباب فقال ما ولدت المرأة ؟ قال جارية فقال أما إنها ستزني بمائة رجل ثم يتزوجها أجيرها ويكون موتها بالعنكبوت .. »[5].

وغير ذلك من الأخبار والحكايات الإسرائيلية التي ساقها ابن كثير دون التعليق عليها برد أو قبول أو توقف بل إن بعض الحكايات لا ينبه على أنها إسرائيلية كما في حكاية المرأة التي أخذها الطلق .....، الأمر الذي جعله كما قال أحمد شاكر: « لم يستطع أن يسير على ما رسم وغلبه ما وجده من

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم ابن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي أبو محمد، حافظ للحديث، من كبارهم، كان منزله في درب حنظلة بالري واليهما نسبته، له تصانيف منها الجرح التعديل،والرد على الجهمية وعلل الحديث وغيرها، توفي سنة ٣٢٧هـ . الأعلام ٣٢٤/٣.

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو العباس حبر الأمة الصحابي الجليل ولد بمكة ولازم رسول الله ﷺ وروى عنه الاحاديث، وشهد مع علي الجمل وصفين، وكف بصره في آخر عمره فسكن الطائف وتوفي بها سنة ٦٨هـ له في الصحيحين وغيرها ١٦٦٠ حديثا، قال ابن مسعود ونعم ترجمان القرآن ابن عباس. قال عمرو بن دينار ما رأيت مجلسا كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس، الحلال والحرام والعربية والانساب والشعر، وينسب إليه كتاب في تفسير القرآن جمعه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه في كل آية فجاء تفسيرًا حسنًا واخباره كثيرة . الاعلام ٩٥/٤.

(3) المرجع نفسه ٥٥١/٢، وذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ (هود ٤٤) .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٣٣/٢-٣٣٥، وذلك عند تفسير الآية : ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥﴾ (الأعراف ١٧٥) .

(5) المرجع نفسه ٦٤٢/١ عند تفسير الآية : ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴾(النساء ٧٨) .

الروايات في كثير من المواطن فأثبت طائفة منها غير قليلة »[1]، ولذا فإننا نجد الأستاذ أحمد شاكر في كتاب عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير حذف جميع الأخبار الإسرائيلية وأشار إلى ذلك في المقدمة بقوله : « نفيت عن كتابي هذا الأخبار الإسرائيلية وما أشبهها »[2] لأنه يرى « أن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه وكذبه شيء وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولًا أو رواية في معنى الآيات أو في تعيين ما لم يعين فيها وتفصيل ما أجمل فيها شيء آخر، لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مُبين لمعنى قول الله سبحانه ومفصل لما أجمل فيه وحاشا لله ولكتابه ذلك »[3] .

ولكننا نقول مع ذلك إن تنبيه ابن كثير رحمه الله على أورده من الإسرائيليات – عدا القليل منها –، وتصديّه لها وبيان حكمها وبطلانها، وتوضيح زيفها وعدم الفائدة منها، ووقوفه منها موقف الناقد البصير لها، فلعل ذلك يزيل الحرج الذي ذكره الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله والذي قال هو بنفسه : « فإن المؤلف رحمه الله – يعني ابن كثير – قد جدبها[4] في مواضع كثيرة من تفسيره وأبان خطأها وضررها »[5] .

---

(1) عمدة التفسير ٩/١ .

(2) المرجع نفسه ٩/١ .

(3) المرجع نفسه ص١٥ .

(4) أي ذمها وعابها . انظر المعجم الوسيط مادة : جدب ص ١٠٩.

(5) المرجع نفسه ص ٩ .

وقد أثنى كثير من المعاصرين على موقف ابن كثير من الإسرائيليات في تفسيره كالدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرين ١٧٥/١، والدكتور محمد محمد أبو شهبة في كتابه الإسرائيليات والموضوعات في كتب تفسير ص

والحاصل أن تفسير ابن كثير كما ذكرنا من قبل هو من أفضل التفسير وأحسنها إن لم يكن أحسنها كما قال الشوكاني : « وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها »[1]، وقد تلقاه الناس بحمد الله بالقبول وأثنوا عليه لا سيما العلماء منهم، « فلا عجب أن يدرس في المساجد والجامعات وان تجده في كل مكتبة بل قد لا يخلو منه بيت مسلم »[2] .

ثالثًا : مفهوم الدعوة وأهميتها عند ابن كثير:

ولفظ الدعوة يطلق على الدعوة إلى الخير والدعوة إلى الشر كما في قوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ ﴾[٣].

و دعوت الله أدعوه دعاء ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيدًا ناديته وطلبت إقباله، ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة فهو داعي الله، والجمع دعاة وداعون[4] .

والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى دين أو بدعة، أُدخلت الهاء للمبالغة[5] .

١٨٢-١٨٣، وغيرهم كما أن هناك رسائل علمية تناولت هذا الجانب سبق وأن أشرنا إليها في ص ٧ عند ذكرنا للدراسات السابقة .

(1) البدر الطالع ١٥٣/١ .

(2) حياة ابن كثير وتفسيره، د. الفالح ص١٢٠، مرجع سابق .

(٣) سورة البقرة آية ٢٢١.

(4) المصباح المنير، أحمد محمد الفيومي المقرئ ص ٧٤، طبعة مكتبة لبنان، ١٩٨٧م .

(5) لسان العرب لابن منظور ٢٥٩/١٤ .

معنى الدعوة في الاصطلاح :

جاءت تعاريف العلماء للدعوة إلى الله متباينة ومختلفة وذلك حسب اختلافهم في المقصود بالدعوة فمن يقول إن المقصود بالدعوة هو الدين أو الإسلام يُعَرِّفها بقوله : « الدعوة الإسلامية هي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين وأنزل تعاليمه وحيًا على رسول الله ﷺ وحفظها في القرآن الكريم وبينها في السنة النبوية »[1] .

وهناك تعريف شامل لمعنى الدعوة إلى الله في الاصطلاح يقول بأنها : «

وهذا التعريف هو المختار لأنه شامل لجميع أركان الدعوة، حيث اشتمل على موضوع الدعوة والداعية والمدعوين ووسائل الدعوة وأساليبها ومنهجها التي تقوم عليه.

مفهوم الدعوة الى الله وحكمها وفضلها ومنزلتها عند بن كثير:

لقد اعتنى الحافظ ابن كثير رحمه الله بموضوع الدعوة إلى الله خاصة في تفسيره القرآن العظيم، فبين ونوّه في عدة مواضع من التفسير عن مفهوم الدعوة إلى الله وأهميتها وحكمها وفضلها ومنزلتها في الدين، وكذلك تحدّث عن الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الدعاة إلى الله، وعن طبيعة المدعوين وأصنافهم وأساليب الدعوة ووسائلها، إلى غير ذلك من الموضوعات الدعوية، ولعلي أشير هنا إلى مفهوم الدعوة وحكمها وفضلها بشيء من الاختصار

---

(1) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش ص١٢-١٣، مطبعة دار الكتاب المصري بالقاهرة، ط٢ ١٤٠٧هـ .

والإيجاز، حيث أن تفصيل بقية المباحث وبسطها سيكون في الفصول القادمة إن شاء الله .

مفهوم الدعوة إلى الله :

يُعرف الإمام ابن كثير الدعوة إلى الله بأنها هي : « الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يدعو الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة وبرهان عقلي وشرعي »[1] .

حكم الدعوة إلى الله :

يرى ابن كثير رحمه الله ويؤكد على أنه لا بد للأمة أن تقوم بأمر الدعوة إلى الله، وأن ذلك واجب عليها، فيقول عند تفسير الآية : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٢]، « يقول تعالى : ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون .... والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم ... : قال رسول الله ﷺ :

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٦١٠ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٤.

« من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطيع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[1] .

ويقول رحمه عند تفسير الآية : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾[2] : « يقول تعالى فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض ... وقد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيرًا، وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غِيَره وفجأة نِقَمه، ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر »[3] .

كما يحذر رحمه الله من التولي عن نصرة دين الله بالدعوة إليه، وإقامة شرعه، فإن الله يستبدل به من هو خير منه فيقول عند تفسير الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[4] ، : « يقول الله تعالى مخبرًا عن قدرته العظيمة أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه وأشد منعة وأقوم سبيلًا »[5].

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٧٧/١ والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان رقم (٤٩)، وابو داود في كتاب الصلاة باب الخطبة يوم العيد رقم (١١٤٠)، والترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب رقم (٢١٧٢).

(٢) سورة هود الآية ١١٧ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٧٢/٢ .

(٤) سورة المائدة آية ٥٤.

(5) المرجع نفسه ٩١/٢ .

كما يُذَّكر رحمه الله بالوعيد الشديد لمن كتم ما جاءت به الرُسل من الدلالات البيِّنة والهدي النافع للقلوب، فيقول عند تفسير الآية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[1]، : « هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البيّنة على المقاصد الصحيحة والهدي النافع للقلوب من بعد ما بيّنه الله تعالى لعباده في كتبه التي أنزلها على رسوله ..... وجاء في هذه الآية أن كاتم العلم يلعنه الله والملائكة والناس أجمعون »[2] .

فضل الدعوة إلى الله :

وهكذا نجد أن الإمام ابن كثير رحمه الله يؤكد على أهمية الدعوة إلى الله وبيان فضلها ومنزلتها العظيمة من هذا الدين وذلك :

١- لأنها وظيفة الرسل ومهمتهم التي من أجلها بعثوا إلى الناس، فالله سبحانه أرسل الرسل لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، يقول ابن كثير عند تفسير الآية : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[3]، « أي وإن دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد وملة واحدة وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له »[4]، فمهمة الرسل جميعًا دعوة الناس إلى هدى الله وشرعه، مبشرين ومنذرين، كما قال سبحانه : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[5]، « أي

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٩.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٤٩/١ .

(٣) سورة المؤمنون آية ٥٢.

(4) المرجع نفسه ٣١٠/٣ .

(٥) سورة النساء آية ١٦٥.

يبشرون من أطاع اللّه واتبع رضوانه بالخيرات وينذرون من خالف أمره وكذّب رسله بالعقاب والعذاب ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾[1]، أي أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه لئلا يبقى لمعتذر عذر »[2]، وقال سبحانه : ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ﴾[3]، « أي مبشرين عباد اللّه المؤمنين بالخيرات ومنذرين من كفر باللّه النقمات والعقوبات »[4]، فحين يقع الناس في ظلمات الشرك والشبهات والضلالات تكون مهمة الأنبياء والرسل عليهم السلام الدعوة إلى توحيد اللّه وعبادته ونبذ ما سواه،يقول ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[5]: « أي ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة .... وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهي عنها والدعوة إلى إفراد العبادة للّه وحده لا شريك له »[6]، ويقول عند تفسير الآية : ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾[7] ، « أي فاعبد اللّه وحده لا شريك له وادع الخلق إلى ذلك

---

(١) سورة النساء آية ١٦٥.

(2) المرجع نفسه ١/٧١٨ .

(٣) سورة الأنعام آية ٤٨.

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/١٧١ .

(٥) سورة الزمر آية ٣.

(6) المرجع نفسه ٤/٥٥ .

(٧) سورة الزمر آية ٢.

وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده، وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد »[1].

فوظيفة الرسل عليهم السلام، التي بعثوا من أجلها وانزلها على ألسنتهم هي الدعوة إلى عبادته سبحانه وترك عبادة ما سواه، يقول ابن كثير عند تفسير الآية : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾[٢] ، « أي طال عليهم العمر حتى نسوا الذكر، أي نسوا ما أنزلته إليهم على ألسنة رسلك من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك »[3].

ولذلك نجد أن نبي الله عيسى عليه السلام يطلب من الحواريين أن يكونوا أنصارا له في تبليغ دينه إلى الناس، ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾[٤] ، يقول ابن كثير عند تفسيره هذه الآية : « أي من معيني في الدعوة إلى الله عز وجل، فقال الحواريون وهم أتباع عيسى عليه السلام : نحن أنصار الله، أي نحن أنصارك على ما أرسلت به ونؤازرك على ذلك، ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام ..... »[5]، وختم الله سبحانه أنبياءه ورسله عليهم السلام بسيدهم وخاتمهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، حيث بعثه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق، يقول ابن

---

(1) المرجع نفسه ٤/٥٤ .

(٢) سورة الفرقان آية ١٨.

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٣٨٩ .

(٤) سورة الصفة آية ٦.

(5) المرجع نفسه ٤/٤٢٧ .

كثير عند تفسير الآية : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾[1]، « فبعث الله محمد صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق فيه هدايتهم، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله .... وجمع له تعالى – وله الحمد والمنه – جميع المحاسن ممن كان قبله، وأعطاه مالم يعط أحدًا من الأولين ولا يعطيه أحدًا من الآخرين فصلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين »[2] .

٢- ولأن الدعاة إلى الله والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر هم خير الناس، ولذا كانت الأمة المحمدية خير الأمم، لأنها إتصفت بهذه الصفات فاستحقت المدح والثناء من الله سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[3] ، « فيخبر سبحانه عن هذه الأمة المحمدية بأنها خير الأمم فقال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ ... ﴾ يعني خير الناس للناس، والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس ولهذا قال: ﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ »[4] .

٣- ولما كان الدعاة إلى الله والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر خير الناس، فهم أيضًا أحسن الناس قولًا وحديثًا كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ

---

(١) سورة الجمعة آية ٢.

(2) المرجع نفسه ٤/٤٢٩ .

(٣) سورة آل عمران آية ١١٠.

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٤٧٩ .

قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1] ، يقول ابن كثير «يقول تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي دعا عباد الله إليه، ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ أي هو في نفسه مهتديًا بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى ..... وعن الحسن البصري أنه تلا هذه الآية : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ فقال : هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحًا في إجابته وقال إنني من المسلمين هذا خليفة الله»[2].

---

(١) سورة فصلت آية ٣٣.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ١١٩/٤ .

الباب الأول :

خصائص منهج الدعوة إلى الله عند ابن كثير

ويحتوي على خمسة فصول:

الفصل الأول : اعتماد منهج ابن كثير الدعوي على الكتاب والسنة.

الفصل الثاني : النقل والعقل ونظرية المعرفة منهج دعوي عند ابن كثير.

الفصل الثالث : الاحتجاج باللغة العربية وأثره في المدعويين. .

الفصل الرابع : من منهج ابن كثير الدعوي تقديم قول الصحابي على غيره .

الفصل الخامس : الشمول والموضوعية منهج دعوي أصيل عند ابن كثير.

الفصل الأول

اعتماد منهج ابن كثير الدعوي على الكتاب والسنة

ويحتوي على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تقديم ابن كثير الكتاب والسنة على ما سواهما

المبحث الثاني : الرد إلى الكتاب والسنة عند الاختلاف

المبحث الثالث : رد ابن كثير الأقوال والأفعال التي تخالف الكتاب والسنة .

توطئة :

إن أول خصائص منهج الدعوة إلى الله تعالى عند ابن كثير رحمه الله في تفسيره القرآن العظيم اعتماده على الكتاب والسنة، فكل مصدر سواهما إنما هو تبع لهما، فهما المقدمان على غيرهما، وعند الخلاف يجب الرجوع والاحتكام إليهما، فكل قول أو رأي مهما كان قائله وأيا كان مصدره مما يخالف الكتاب والسنة فهو مردود على صاحبه،فالداعية إلى الله والسالك إليه لا يسعه في دعوته وسلوكه إلا الإلتزام بالكتاب والسنة حتى يسلم منهجه في الدعوة إلى الله ويصح سيره إليه، وقد أكد علماء السلف رحمهم الله على ذلك في كثير من أقوالهم و كتاباتهم فمن ذلك مثلا قول الجنيد بن محمد[1] رحمه الله « علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ الكتاب والسنة لا يصلح أن يتكلم في علمنا »[2] .

وقول أبي سليمان الداراني[3] « إنه ليقع في قلبي النكتة (كلمة الحق) من نكتب القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين اثنين الكتاب والسنة »[4] . يقول ابن تيمية

---

(1) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي أبو القاسم صوفي من العلماء بالدين مولده ومنشأه ووفاته ببغداد وعده العلماء شيخ مذهب التصوف، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة ولكونه مصونًا من العقائد الذميمة، سالما من كل ما يوجب اعتراض الشرع توفي سنة ٢٩٧هـ . الأعلام.٢/١٤١

(2) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/٢١٠، طبعت دار عالم الكتب بالرياض، ط١٤١٢هـ .

(3) هو أبو سليمان الداراني عبد الرحمن بن عطيه العنسي المذحجي أبو سليمان زاهد مشهور من أهل « داريّا» بغوطة دمشق، رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام، وتوفي في بلده، كان من كبار المتصوفين له أخبار في الزهد من كلامه « خير السخاء ما وافق الحاجة » توفي سنة ٢١٥هـ . الأعلام ٣/٢٩٣-٢٩٤.

(4) المرجع نفسه ١١/٢١٠ .

رحمه الله « على كل مسلم أن ينظر فيما أمر الله به ورسوله فيفعله وما نهى الله عنه ورسوله فيتركه، هذا هو طريق الله وسبيله ودينه الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين »[1] .

وهذا المنهج هو ما قرره ابن كثير رحمه الله في ثنايا تفسيره، وهو ما يدعوني إلى الحديث عنه في المباحث التالية :

وقبل البدء في الحديث عن اعتماد ابن كثير على الكتاب والسنة أود أن ابدأ بتعريف الكتاب والسنة في اللغة والاصطلاح، وبما أن معنى القرآن معروف فنكتفي بتعريف السنة في اللغة والإصطلاح .

السنة في اللغة :

السنة لغة: الطريقة محمودة كانت أم مذمومة، ومنه قول النبي ﷺ « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة »[2] .

وأما السنة في الاصطلاح :

فهي عند المحدثين « ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلْقية أو خُلُقيه) وهي بهذا التعريف تكون مرادفة للحديث، وأما عند علماء أصول الفقه فهي « ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، ويضيف بعضهم « مما يصلح أن يكون دليلًا شرعيًا »، والسنة عند الفقهاء : ترادف

---

(1) الفتاوى لابن تيمية ٢٦/١١.

(2) أخرجه مسلم كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار رقم (١٠١١٧) .

المستحب وهو ما يُثاب فاعله ولا يُعاقب تاركه، وعند علماء العقيدة : هي كل ما ثبت بالدليل الشرعي أو ما دل عليه الدليل الشرعي سواء كان قرآنا أو حديثا، أو من القواعد الشرعية العامة، فهم نظروا إلى السنة من حيث مقابلتها للبدعة[1] .

ونحن نريد بالسنة ما عناه الأصوليون لأنها بتعريفهم هي مصدر التشريع .

---

(1) علوم القرآن والسنة ١٠١-١٠٢ مرجع سابق، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٤٧-٤٨ مرجع سابق. وللاستزادة يمكن الرجوع لكتاب الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب د/ محمد زين الهادي ص ٥٩-٧٥ مطابع السودان للعمله الطبعة الاولى ٢٠٠٥م

المبحث الأول

تقديم ابن كثير الكتاب والسنة على ما سواهما

ليس لمسلم يشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا رسول الله أن يتردد في الأخذ بالكتاب والسنة، أو أن يعرض عن التحاكم إليهما، لأنه « لا يسع مسلما يقر بالتوحيد أن يرجع عند التنازع إلى غير القرآن والخبر عن رسول الله ﷺ ولا أن يأبى عما وجد فيهما »[1] . ولا عجب في ذلك فالرسول ﷺ لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر ولذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نأخذ ما أمرنا به وننتهي عما نهانا عنه كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2] ، « أي مهما أمركم به فاتبعوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمركم بخير وإنما ينهاكم عن شر »[3] . فابن كثير رحمه الله يقرر أن تقديم الكتاب والسنة على ما سواهما أمر لا خيار فيه لأن هذا مقتضى الإيمان بالله ورسوله ومخالفة ذلك يعتبره ابن كثير تقدم بين يدي الله ورسوله فيقول عند تفسير الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[4]، « أي لا تسرعوا

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٩١ تحقيق أحمد شاكر طبعت دار الآفاق الجديدة بيروت ط ١ ١٤٠٠هـ .

(٢) سورة الحشر آية ٧.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٩٧/٤.

(٤) سورة الحجرات آية ١.

في الأشياء بين يديه أي قبله بل كونوا تبعا له في جميع الأمور حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن بم تحكم؟ قال بكتاب الله قال فإن لم تجد؟ قال بسنة رسول الله قال فإن لم تجد؟ قال أجتهد رأيي فضرب في صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي الله[1] ... فالغرض منه أنه أَخّر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله»[2] . فمن ترك العمل بكتاب الله أو قدم عليه ما سواه من الأقوال والآراء والقوانين والأحكام البشرية فقد هجره ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾[3]، يقول ابن كثير، وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه وترك العمل به من امتثال أوامره واجتناب زواجره هو العدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناءٍ أو لهو أوكلام أوطريقة مأخوذة من غيره من هجرانه، فنسأل الله الكريم المنّان القادر على ما يشاء أن يخلصنا مما يسخطه ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يحبه ويرضاه إنه كريم وهاب »[4] . وكيف يسوغ للمسلم أن يقدم قول أحد أو رأيه كائنًا من كان والقرآن أشرف كتاب أنزله الله ومحمد صلوات الله وسلامه عليه أعظم نبي أرسله الله »[5] .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي رقم (١٣٢٧) . وأبو داود كتاب القضاء، باب اجتهاد الراي في القضاء رقم (٣٥٩٢) .

(٢) التفسير ٢٤٢/٤.

(٣) سورة الفرقان آية ٣٠.

(٤) المرجع نفسه ٣٩٤/٣.

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٩٥/٣.

فإذا قضى الله ورسوله أمرًا فلا يسع لأحد مخالفة ذلك الأمر أو تقديم غيره عليه ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[1].

فالمسلم الذي يتحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويظن أن ذلك هو الذي يتناسب مع هذا العصر ويتماشى معه هو مخطيء في تصوره، وجاهل بحكم الله وشرعه، لأن « حكم الله ورسوله لا يختلف في ذاته باختلاف الأزمان وتطور الأحوال وتجدد الحوادث، فإنه ما من قضية كائنة ما كانت إلا وحكمها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ نصا أو ظاهرا، أو استنباطا أو غير ذلك، علمه من علمه وجهله من جهله »[2]. إضافة إلى ذلك فقد عصى الله ورسوله وتعدى حدوده فهو بذلك يُعَرِّض نفسه لسخط الله وعذابه ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[3]، « أي لكونه غيّر ما حكم الله به، ومَعادٍ لله في حكمه، وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قسم الله وحكم به، ولهذا يجازيه بالاهانة في العذاب الأليم المقيم »[4]، فالحاصل أن مقتضى الإيمان ولازمه تقديم الكتاب والسنة على ما سواهما من القوانين الوضعية، التي يضعها الناس بأهوائهم وآرائهم وتصوراتهم من عند أنفسهم، ويتخذونها شرعًا من دون الله ويقدمونها على كتاب الله

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٦.

(٢) فتاوى محمد بن إبراهيم ٢٨٨/١٢ جمع وترتيب وتحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم طبعت مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ط١ ١٣٩٩هـ .

(٣) سورة النساء آية ١٤.

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٦٥/١.

وسنة رسوله ﷺ فإن هذا قادح في إيمان العبد ومُخرج له من الملة إن اعتقد عدم وجوب الحكم بما أنزل الله، واستحل أن يحكم بين الناس فيما يراه من غير اتباع لما أنزل الله .

يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله « الإشراك بالله في حكمه والإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد لا فرق بينهما البتة، فالذي يتبع نظاما غير نظام الله وتشريعا غير تشريع الله كالذي يعبد الصنم ويسجد للوثن لا فرق بينهما البته بوجه من الوجوه فهما واحدٌ وكلاهما مشرك بالله »[1] . ولقد أفاض كثير من العلماء قديما وحديثا في تقرير هذه المسألة وبيان خطورتها وأهميتها وعلاقتها بإيمان المسلم وعقيدته.(٣)

فواجب الدعاة إلى الله أن يعيدوا الأمة إلى رشدها ويرجعونها إلى التمسك بدينها في جميع مجالات الحياة وأن يردوا على الشبه التي يثيرها اعداء الإسلام من المستشرقين وأصحاب التغريب والعلمانيين حول صلاحية تطبيق الشريعة ومناسبتها لهذا العصر، فالشريعة والدين هو النظام العام والقانون الشامل لامور الحياة كلها ومناهج السلوك للإنسان ألتي أوحى بها الله عز وجل إلى نبيه ﷺ

---

(١) أضواء البيان ٥/٢٢٧.

(٣) فمنهم على سبيل المثال لا الحصر ابن عبد البر في التمهيد (٤/٢٢٦، ٧/٦١١) وابن تيمية في الفتاوى (٢٨/٤٧١، ٣٥/٣٦٣،٧٠٤)، وابن القيم في أعلام الموقعين (١/٤٩، ٥٠) وابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٢٨)، وابن عبد الوهاب في رسالته نواقض الإسلام وهي ضمن مجموعة مؤلفاته (١/١٩٠)، ومحمد رشيد رضا في تفسيره المنار (٥/٢٢٧)، والشوكاني في تفسيره فتح القدير (١/٤٨٤)، وابن سعدي في تفسيره (٣/١٥٦)، ومفتي الديار السعودية محمد بن إبراهيم في فتاواه (١٢/٢٥١)، ورسالته تحكيم القوانين، وأحمد محمد شاكر في عمدة التفسير (١/١٢٥)، وابن باز في فتاواه (١/٢٧٣) وفي رسالة وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما يخالفه، وسيد قطب في ظلال القرآن (٢/٨٩٤، ٨٩٥) وابن عثيمين في فتاواه (١/٣٦) وغيرهم كثير من علماء الإسلام في القديم والحديث

وأمر بتبليغها إلى الناس كافة مع ما يترتب على التقيد بها أو عدمه من ثواب وعقاب وأن الدين والشريعة مرتبطة بالدولة في الإسلام ارتباط القاعدة بالبناء فالدين والشريعة اساس الدولة وموجهها فلا يمكن تصور دولة اسلامية بلا دين وشريعة كما لا يمكن تصور الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية فارغا من توجيه المجتمع وسياسة الدولة لأنه حينئذ لا يكون اسلاما ولا تكون شريعة اسلامية[1] .

[1] انظر مفرح القوسي، الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية ص ٦٠٠ طبعة دار الفضيلة بالرياض ط١ ١٤٢٣هـ .

المبحث الثاني

الرد إلى الكتاب والسنة عند الخلاف

إن أهم ما يميز منهج السلف الذي ينتمي إليهم ابن كثير أنهم يلتزمون بنصوص الكتاب والسنة عند الخلاف فلا يعارضونها باجتهاداتهم وأقوالهم ولا يترددون في الأخذ بها بل يعظمونها ويُسلِّمون لها ويرون الزيغ والهلاك في مخالفتها يقول سبحانه : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1] ، يقول ابن كثير رحمه الله : « وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى : ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[2] ، فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وشهدا له بالصحة فهو الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال ولهذا قال تعالى : ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾[3] ، أي رُدُّوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فدل على أن من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنًا بالله ولا باليوم الآخر وقوله : ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾، أي التحاكم

---

(١) سورة النساء آية ٥٩.

(٢) سورة الشورى آية ١٠ .

(٣) سورة النساء آية ٥٩ .

إلى كتاب الله وسنة رسوله والرجوع في فصل النزاع إليهما خير ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾، أي وأحسن عاقبة ومآلًا »[1]، ويقول سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[2] ، قيل إنها نزلت في الزبير بن العوام[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحاطب بن أبي بلتعة[4] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما اختصما في ماء فقضى النبي ﷺ أن يسقي الأعلى ثم الأسفل[5]، يقول ابن كثير في تفسير الآية : « يقسم تبارك وتعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكِّم الرسول ﷺ في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا، ولهذا قال : ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾، أي إذا حَكَّموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن، فيُسَلِّمون لذلك تسليمًا

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٣٣/١ .

(٢) سورة النساء آية ٦٥ .

(٣) هو الزبير بن العوام بن خويلد الاسدي القرشي أبو عبد الله الشجاع أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من سل سيفه في الإسلام، وهو ابن عمة الرسول ﷺ أسلم وله ١٢ سنة وشهد بدرا وأحدا وغيرها،وشهد الجابية مع عمر بن الخطاب، وجعله عمر فيمن يصلح للخلافة بعده وكان موسرًا كثير المتاجر خلّف أملاكا بيعت بنحو أربعين مليون درهم وكان طويلًا جدًا إذا ركب تخط رجلاه الأرض، قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل بوادي السباع سنة ٣٦هـ . الأعلام ٤٣/٣ .

(٤) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي صحابي شهد الوقائع كلها مع رسول الله ﷺ وكان من أشد الرماة في الصحابة، وكانت له تجارة واسعة بعثه النبي ﷺ بكتابه إلى المقوقس صاحب الاسكندرية، وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية مات سنة ٣٠هـ . الأعلام ١٥٩/٢ .

(5) انظر المرجع نفسه ٦٣٦/١ .

كليًا من غير مخالفة ولا مدافعة ولا منازعة، كما ورد في الحديث (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به)[1] »[2] .

ولهذا تضافر كلام السلف رحمهم الله على أن الواجب الرد إلى الكتاب والسنة عند الخلاف وعدم تجاوزهما، وأنكروا على من لم يأخذ بهما فالشافعي رحمه الله لما أتاه رجل فسأله عن مسألة فقال له قضى رسول الله ﷺ كذا وكذا، قال الرجل : ما تقول أنت ؟ فقال سبحان الله تُراني في كنيسة ؟ تُراني في بيعة[3] ؟ ترى على وسطي زنار[4] ؟ أقول قضى رسول الله ﷺ كذا وكذا وأنت تقول لي ما تقول أنت !!

فالسلف رحمهم الله يجعلون كلام الله وكلام رسول ﷺ هو الأصل الذي يعتمد عليه، وإليه يرد ما تنازع الناس فيه فما وافقه كان حقًا وما خالفه كان باطلًا . فرد التنازع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إنما هو لرفع الخلاف ودفع النزاع بين الناس في أمر دينهم ومعتقداتهم قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤ ﴾[5].

يقول ابن كثير : « ثم قال تعالى لرسوله ﷺ أنه إنما أنزل عليه الكتاب ليبين لهم أي الناس الذي يختلفون فيه، فالقرآن فاصل بين الناس في كل ما

---

(1) أخرجه ابن أبي عاصم في كتابه السنة ١٢/١ طبعة المكتب الإسلامي ١٤٠٠هـ رقم الحديث (١٥).

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٣٥/١ .

(3) البيعة : مُتعبَّد النصارى، ترتيب القاموس ٣٥٠/١ للطاهر أحمد الزاوي ط عيسى البابي الحلي وشركاه.

(4) الزنار : وهو ما على وسط النصارى والمجوس، ترتيب القاموس ٤٨٢/٢ .

(٥) سورة النحل آية ٦٤.

يتنازعون فيه وهدى أي للقلوب ورحمة أي لمن تمسك به »[1]، كما أن رد التنازع إلى الكتاب والسنة فيه تحقيق الإيمان بالله واليوم الآخر كما قال سبحانه : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾[٢]، وإن عدم رد التنازع إلى الكتاب والسنة هو من صفات المنافقين كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١﴾[٣] ، « فلا يسع المسلم الذي يقر بالتوحيد أن يرجع عند التنازع إلى غير القرآن والخبر عن رسول الله ﷺ، ولا أن يأبى عما وجد فيهما فإن فعل بعد قيام الحجة عليه فهو فاسق، وأما من فعله مستحلًا الخروج عن أمرهما موجبًا لطاعة أحد دونهما فهو كافر لا شك عندنا في ذلك »[4]، ويقول الشوكاني رحمه الله : « فقد اتفق المسلمون سلفهم وخلفهم من عصر الصحابة إلى عصرنا هذا – وهو القرن الثالث عشر من الهجرة النبوية – أن الواجب عند الاختلاف في أي أمر من أمور الدين بين الأئمة المجتهدين هو الرد إلى كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ الناطق بذلك الكتاب العزيز ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٥]، ومعنى الرد إلى الله سبحانه الرد إلى كتابه ومعنى الرد إلى رسوله ﷺ الرد إلى

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٧٠٩ .

(٢) سورة النساء آية ٥٩.

(٣) سورة النساء آية ٦١.

(4) الأحكام لابن حزم ١/١١٠، وانظر منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة، عثمان علي حسن ١/٣٠٧-٣٠٨، طبعة مكتبة الرشد، الرياض ط١، ١٤٢٢هـ .

(٥) سورة النساء آية ٥٩.

سنته بعد وفاته وهذا مما لا خلاف فيه بين جميع المسلمين »[1] .

وأخيرًا يجب رد التنازع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأن ذلك وحي من الله فالرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فما قاله حق وما أخبر به حق، يقول الإمام ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾[٢] : « وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه على سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فما قاله فهو حق وما أخبر به فهو صدق، وهو الإمام المحكم الذي إذا تنازع الناس في شيء وجب رد نزاعهم إليه فما يوافق أقواله و أفعاله فهو الحق وما يخالفها فهو مردود على قائله وفاعله كائنًا من كان »[3] .

---

(1) شرح الصدور بتحريم رفع القبور للشوكاني ص ٥٩٣، مطبعة العيبكان، ط٣ ١٤٠٨هـ، الرياض، وانظر المرجع نفسه ٣٠٣/١ .

(٢) سورة الفرقان آية ٥٩.

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٠٢/٣ .

المبحث الثالث

رد ابن كثير الأ قوال والآراء التي تخالف الكتاب والسنة

ينطلق الإمام ابن كثير رحمه الله في رده للأقوال والآراء التي تخالف الكتاب والسنة من قول الرسول ﷺ : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»[1]، ويعتبر أن دليل محبة الإنسان لله هي إتباع محمد ﷺ فيما أمر به وتصديقه فيما أخبر به واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، يقول عند تفسير الآية: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[٢]، : أي خالفوا أمره فإن الله لا يحب الكافرين، فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك وإن ادعى وزعم في نفسه أنه يحب الله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول الأمي خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس، الذي لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولو العزم منهم في زمانه لما وسعهم إلا اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته »[3]، فالميزان الذي يوزن به الأقوال والأفعال هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على صاحبه كائنًا من كان يقول رحمه

---

(1) متفق عليه، وأخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود رقم (٢٦٩٧)، ومسلم، كتاب الاقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور رقم (١٧١٨).

(٢) سورة آل عمران آية ٣٢.

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٤٤٠-٤٤١ .

الله عند تفسير الآيـــة: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾[1] ، « أي أَمْر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنًا من كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد) »[2] .

ولذا كان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أن لا يقبل من أحد قط معارضته القرآن برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإن السلف ثبت عنهم بالبراهين القاطعة والآيات البينات أن الرسول ﷺ جاء بالهدي والقرآن يهدي للتي هي أقوم[3]، وإذا حكم الله ورسوله فليس لأحد مخالفته ويجب رد جميع الأحكام إلى حكم الله ورسوله ﷺ، يقول ابن كثير عند تفسير الآية : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[٤] ، «فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء ليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ها هنا ولا رأي ولا قول »[5] .

وقال تعالى :﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[٦] .
يقول ابن كثير : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ ﴾ أي يبتغون ويريدون وعن حكم الله

---

(١) سورة النور آية ٦٣.

(2) المرجع نفسه ٣٨٢/٣، والحديث سبق تخريجه ص ١٢٦.

(3) انظر الفتاوى ١٧/١٣-٢٩ بتصرف .

(٤) سورة الأحزاب آية ٣٦.

(5) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٠٣/٣ .

(٦) سورة المائدة الآية ٥٠.

يعدلون ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء »[1]، وابن كثير رحمه الله حينما يتبنىّ هذا المنهج ويدافع عنه وينكر على من يخالفه، فهو أيضًا من أشد الناس حرصًا على تطبيقه والالتزام به سواء في آرائه واجتهاداته العلمية أو مواقفه العملية « فهو مستقل الرأي يدور مع الدليل حيث دار لا يتعصب لمذهبه ولا لغيره وكتبه العظيمة وخاصة هذا التفسير الجليل فيه الدلائل الوافرة، ونجده – مع أنه شافعي المذهب – يُفتي في مسألة طلاق الثلاث بلفظ واحد بما رجحته الدلائل الثابتة الصحاح أنه يقع طلقة واحدة ثم يمتحن ويلقى الأذى فيثبت على قوله ويصر على ما يلقى في سبيل الله »[2] .

ومن الأمثلة على ذلك أيضًا ترجيحه لمذهب الإمام مالك وأحمدرحمهما الله في وجوب مسح جميع الرأس حيث يقول في إيراده النصوص الدالة على ذلك : « ففي هذه الأحاديث الدلالة لمن ذهب إلى وجوب تكميل مسح جميع الرأس كما هو مذهب الإمام مالك وأحمد ... وذهب أصحابنا – يعني الشافعية – إلى أنه يجب ما يطلق عليه اسم مسح، لم يُقدَّر ذلك بحد، بل لو مسح بعض شعره من رأسه أجزأه ... » ثم يقول مرجحًا قول المالكية والحنابلة : « ونحن نقول بذلك وأنه يقع عن الموقع كما وردت بذلك أحاديث كثيرة وأنه كان يمسح على

---

(1) المرجع نفسه ٨٨/٢ .

(2) عمدة التفسير ٢٨/١ .

العمامة وعلى الخفين فهذا أولى وليس لكم فيه دلالة على جواز الاقتصار على مسح الناصية أو بعض الرأس من غير تكميل العمامة والله أعلم»[1] .

فابن كثير رحمه الله يدور مع الدليل حيث دار فلا غرابة أن يخالف مذهبه الذي ينتسب إليه، بل قد يخالف إمام مذهبه وهو الإمام الشافعي رحمه الله ففي تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾[٢]، فبعد أن ذكر تفسير الشافعي وغيره لمعنى تعولوا بمعنى تكثر عيالكم فقال رحمه الله : «وفي هذا التفسير ها هنا نظر فإنه كما يخشى كثرة العائلة من تعداد الحرائر لذلك يخشى من تعداد السراري أيضًا » ثم قال : « والصحيح قول الجمهور ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ أي تجوروا واستدل بحديث عائشة عن النبي ﷺ : « ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ أي تجوروا »[3] [٤]، ثم أنه أيضًا في مواقفه العملية ملتزم بالكتاب والسنة ويقف عند حدود الشريعة المطهرة فعندما غدر الإفرنج بمدينة الإسكندرية، وأشاعوا الرعب وارتكبوا الفظائع، وغدروا بالناس كما قال هو في تاريخه : « وعاثوا في أهلها فسادًا، يقتلون الرجال ويأخذون الأموال ويأسرون النساء والأطفال، فالحكم لله العلي الكبير المتعال، ثم ذكر أن الأمير الكبير يلبغا ظهر يومئذ ولكن قد تفارط الحال وتحولت الغنائم كلها إلى الشواني[٥] بالبحر، فسمع للاسارى من العويل والبكاء والجأر إلى الله والاستعانة به

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٣/٢ .

(٢) سورة النساء آية ٣ .

(3) الحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري في كتاب الحيل، باب ما ينهى عن الاحتيال للولي في اليتيمه المرغوبة، وأن لا يكمل لها صداقها، رقم (٦٩٦٥) ومسلم في كتاب التفسير، باب في تفسير آيات متفرقة رقم (٣٠١٨).

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٥٢/١.

(٥) الشواني هي السفن الحربية القديمة انظر المعجم الوسيط ص ٥٠١.

وبالمسلمين ماقَطَّع الأكباد وذرفت له العيون وأصم الأسماع فإنا لله وإنا إليه راجعون ... وجاء المرسوم الشريف من الديار المصرية إلى نائب السلطنة بمسك النصارى من الشام جملة واحدة وأن يُأخذ منهم ربع أموالهم لعمارة ما خُرَّب من الإسكندرية ولعمارة مراكب تغزو الفرنج، فأهانوا النصارى وطلبوا من بيوتهم بعنف وخافوا أن يقتلوا ولم يفهموا ما يراد منهم فهربوا كل مهرب ولم تكن هذه الحركة شرعية ولا يجوز اعتمادها شرعًا»[1]، ولم يكتف رحمه الله بهذا الحكم والبيان بل اتخذ موقفًا عمليًا بالاجتماع بنائب السلطنة بشأن هذا الأمر يقول رحمه الله بعد اجتماعه به : « فذكرت له أن هذا لا يجوز اعتماده في النصارى، فقال إن بعض فقهاء مصر أفتى للأمير الكبير بذلك، فقلت له هذا مما لا يسوغ شرعًا ولا يجوز أن يفتى بهذا ومتى كانوا باقين على الذمة يؤدون لنا الجزية ملتزمين بالذمة والصغار وأحكام الملة فإنه لا يجوز أن يؤخذ منهم الدرهم الواحد الفرد فوق ما يبذلونه من الجزية ومثل هذا لا يخفى على الأمير ... »[2].

يقول الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله تعليقًا على موقف ابن كثير من هذه الحادثة : « فانظر إلى هذا الإمام العظيم الذي يقف عند حدود الشريعة المطهرة، ويقيم ميزان العدل الصحيح كما عرفه من دينه الحنيف، ويألم ويسترجع لما ناب النصارى من مصادرة ظالمة من أمراء طغاة جائرين كما ألم

---

(1) البداية والنهاية ١٨/٧٠٦.

(2) المرجع نفسه ١٨/٧٠٥-٧٠٦ .

واسترجع من قبل لما أصاب المسلمين غدر النصارى وبغيهم وشتان هذا وذلك ولكنه لا يرضى إلا أن يقيم ميزان العدل »[1] .

وإذا قارنا بين موقف ابن كثير العادل والمنصف من النصارى والذي هو موقف كل مسلم ملتزم بتعاليم دينه وشريعته في كل زمان ومكان وهو الانصاف والعدل وعدم الظلم،وهو الموقف الذي سار عليه الرسول ﷺ وخلفاؤه من بعده وقادة المسلمين وبين ما كان يفعله النصارى واليهود مع المسلمين وهو الغدر والخيانة والظلم بل والقتل والتشريد فمثلا ما ذكره صاحب كتاب حضارة العرب عن معاملة النصارى للمسلمين في الأندلس يقول « وعاهد فرديناند (نصراني أسباني كاثوليكي استولى على آخر مملكة اسلامية وهي غرناطة سنة ١٤٩٢م) العرب على منحهم حرية التدين واللغة، ولكن لم تكد تحل سنة ١٤٩٩م حتى حل بالعرب دور الاضطهاد والتعذيب الذي دام قرونا والذي لم ينته إلا بطرد العرب من أسبانية ... وكان تعميد العرب كرهًا فاتحة ذلك الدور، ثم صارت محاكم التفتيش تأمر بإحراق كثير من المعمدين على أنهم من النصارى ولم تتم عملية التطهر بالنار إلا بالتدريج لتعذر احراق الملايين من العرب دفعة واحدة ... ونصح كاردينال طليطلة التقي .... الذي كان رئيسا لمحاكم التفتيش بقطع رؤوس جميع من لم يتنصر من العرب رجالا ونساءً وشيوخًا وولدانا ... ولم ير الراهب الدومينيكي بليدا الكفاية في ذلك فاشار بضرب رقاب من تنصر من العرب ومن بقي على دينه منهم وحجته في ذلك أن من المستحيل معرفة صدق إيمان من تنصر من العرب، فمن المستحب

---

(1) عمدة التفسير ١/٣٢ .

اذن قتل جميع العرب بحد السيف لكي يحكم الرب بينهم في الحياة الأخرى ويدخل النار من لم يكن صادق النصرانية منهم !!

إلى أن قال وخسرت اسبانيا بذلك مليون مسلم من رعاياها في بضعة أشهر ويقدر كثير من العلماء ومنهم سيديو عدد المسلمين الذين خسرتهم اسبانية منذ أن فتح فرديناند غرناطة حتى إجلائهم الاخير بثلاثة ملايين ولا تعد ملحمة سان باتلمي ازاء تلك المذابح سوى حادثة تافهة لايُؤبه لها، ولا يسعنا سوى الاعتراف بأننا لم نجد من الوحوش الفاتحين من يؤاخذ على اقترافه مظالم قتل كتلك التي اقترفت ضد المسلمين[1] .... الخ .

وليس ما فعله النصارى الصرب ضد المسلمين في البوسنة والهرسك عنا ببعيد، وكذلك ما تفعله جيوش النصارى في العراق وافغانستان والصومال وغيرها من بلدان المسلمين، مما يدل على شدة العداوة والحقد والبغضاء للإسلام والمسلمين[2] .

وأما اليهود فهم أهل الغدر والخيانة، شعارهم المكر والخديعة، وطبيعتهم نقض العهود والمواثيق، وهم اشد عداوة للذين آمنوا، وتاريخهم الطويل مع المسلمين مليء بالكيد والتحريض والدسائس ضد الإسلام والمسلمين وما يفعله اليهود اليوم في فلسطين ضد المسلمين من انزال اشد انواع العذاب من البطش

---

(١) حضارة العرب، غوستاف لوبون نقله إلى العربية عادل زعيتر ص ٢٧٠-٢٧٢، طبعت بمطابع عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ١٩٦٩م.

(٢) يمكن الاطلاع على ما تعيشه الاقليات والجاليات الإسلامية من الاضطهاد والعدوان من قبل النصارى وغيرهم لا سيما بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ن في كتاب اوضاع الاقليات والجاليات الإسلامية في العالم (قبل وبعد احداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م) للدكتور مجدي الداغر طبعة دار الوفا، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ .

والتعذيب في السجناء المسلمين والقتل وتدمير المنازل وغير ذلك من ألوان العذاب شاهد على ذلك، وقد اعترفت منظمة العفو الدولية بذلك حتى أصدرت بتاريخ ١٩٨٦/٩/١٦م تقريرا دعت فيه إلى إجراء تحقيقات وافية عن تعذيب اليهود للمعتقلين المسلمين في داخل الاراضي المحتلة، أما المجازر التي ارتكبها اليهود بحق المسلمين فأذكر مثلا أوردته صحيفة هاآرتس اليهودية الصادرة في ٢١ آذار ١٩٧٨م فنشرت نبأ بعث به مراسلها في واشنطن كشف فيه النقاب عن مجزرة بشرية رهيبة ارتكبها الجنود اليهود اثناء عملية اجتياح جنوب لبنان وذلك حينما قتلوا سبعين عجوزا وأمرأة وطفلا من المسلمين كانوا قد لجأوا إلى داخل المسجد في قرية الخيام طلبا للأمان، ووصف المراسل اليهودي المجزرة قائلا « إن عملية ذبح المسلمين جرت بسرعة، وان الجنود اليهود بالاشتراك مع جنود سعد حداد الموارنة نفذوا المذبحة بدم بارد ».

الفصل الثاني

النقل والعقل ونظرية المعرفة منهج دعوي عند ابن كثير

ويحتوي على مبحثين :

المبحث الأول : عدم تعارض النقل مع العقل .

المبحث الثاني : نظرية المعرفة عند ابن كثير .

المبحث الأول

عدم تعارض النقل مع العقل

المطلب الأول : معنى العقل ومكانته في الإسلام

للعقل في الإسلام مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة، فقد أثنى الله سبحانه تعالى على أرباب العقول وأولي الألباب، ومدحهم وخصهم بخطابه يقول تعالى : ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1]، وقال سبحانه : ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2]، ويقول عز وجل : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[3] ، وغيرها من الآيات، كما حث الإسلام على النظر والتفكر والاعتبار في آيات كثيرة من القرآن يقول تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[4]، وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[5] ، وقال سبحانه : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[6] وغيرها من الآيات

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٧ .

(٢) سورة البقرة ٢٦٩ .

(٣) سورة العنكبوت آية ٣٥ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٩٠-١٩١ .

(٥) سورة يونس آية ١٠١ .

(٦) سورة الذاريات آية ٢١ .

التي تحث على النظر والتفكر والاتعاظ والاعتبار، وفي المقابل ذم الله سبحانه المعرضين عن ذلك فقال : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[1]، كما ذم المقلدين والمتبعين لآبائهم وكبرائهم دون حجة ودليل، لأن في هذا تعطيل لنعمة العقل التي أنعم الله بها على الإنسان وميّزه بها عن غيره، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] .

ومن هنا جعل الإسلام العقل مناط التكليف « فإذا فقد – أي العقل – ارتفع التكليف وعَّد فاقده كالبهيمة المهملة »[3]، فالعقل « أكبر المعاني قدرًا، وأعظم الحواس نفعًا، فإن به يتميز الإنسان من البهيمة، ويعرف به حقائق المعلومات، ويهتدي إلى مصالحه، ويتقي ما يضره، ويدخل به في التكليف، وهو شرط في ثبوت الولايات وصحة التصرفات وأداء العبادات »[4]، ولهذا جاء في الحديث : « رفع القلم عن ثلاثة، النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل »[5] .

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٥ .

(٢) سورة الزخرف آية ٢٣-٢٤ .

(3) الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي ٢٧/٣، طبعت دار المعرفة بيروت، ط٢ ١٣٩٥هـ .

(4) المغني لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي ١٥٢/١٢، طبعت دار عالم الكتب بالرياض، ط٣ ١٤١٧هـ .

(5) أخرجه أبو داوود كتاب الحدود باب في المجنون يسرق ويصيب حدًا رقم (٤٤٠٣)، والترمذي بلفظ « رفع القلم عن ثلاثه عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل » كتاب الحدود، باب ما جاء فيما لا يجب عليه الحد رقم (١٤٢٣) .

وسنتناول في هذا المبحث إن شاء الله نظرة ابن كثير للعقل وأنه لا يتعارض مع النقل، وإنكاره على من عارض النصوص بالآراء والأهواء والعقول الفاسدة، وأثر ذلك على انحراف الفرق التي ضلت بسبب ذلك عن المنهج الصحيح الذي سار عليه الرسول ﷺ وصحابته والسلف الصالح من بعدهم، وقبل ذلك أود أن أعَّرف العقل في اللغة والاصطلاح .

تعريف العقل لغة :

العقل مصدر عقل يعقل عقلًا فهو معقول، وأصل معنى العقل المنع والامساك والحبس، وسمي العقل عقلًا لأنه يعقل صاحبه، أي يحبسه عن التورط في المهالك[1]، أو لأنه يعقل حقائق الأشياء[2] .

ويطلق الحِجْر على العقل لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق معه الأفعال والأقوال، يقول ابن كثير في تفسير : ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾[3] ، «أي لذي عقل ولب وحجا، وإنما سمي العقل حِجْرًا لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق من الأفعال والأقوال، ومنه حِجْر البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي ومنه حجر اليمامة، وحجر الحاكم على فلان إذا منعه من التصرف »[4] .

---

(1) انظر لسان العرب لابن منظور مادة عقل ٨٥٤/١١، الفيروز آبادي القاموس المحيط فصل العين باب اللام .

(2) الجرجاني التعريفات ص ١٩٧، تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميره، عالم الكتب، ط١ ١٤٠٧هـ .

(٣) سورة الفجر آية ٥ .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٠١/٤ .

تعريف العقل اصطلاحا :

يقع استعمال العقل في الاصطلاح على أربعة معان :

١- الغريزة التي في الإنسان، فبها يعلم ويعقل، وهي مناط التكليف و بها يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان.

٢- العلوم الضرورية كالعلم بالممكنات والواجبات والممتنعات .

٣- العلوم النظرية وهي التي تحصل بالنظر والاستدلال والناس فيها يتفاوتون ويتفاضلون في ذلك .

٤- الأعمال التي تكون بموجب العلم، فالعقل كما قال الأصمعي[١]: « الإمساك عن القبيح وقصر النفس وحبسها على الحسن[٢].

لفظ العقل في القرآن :

لم يرد لفظ العقل في القرآن من حيث حقيقتة بصيغته الإسمية وإنما الآيات التي ذكر فيها العقل جاءت بصيغة الفعل – يعقل وتعقل ويعقلون وتعقلون – كما أنها جاءت في القرآن ألفاظ مرادفه للعقل وبصيغة المصدر في عدة

---

(١) هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، نسبته إلى جده أصمع ومولده ووفاته في البصرة كان كثير التطواف بالبوادي يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، أحباره كثيره جدًا وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر، له تصانيف الأبل وخلق الإنسان والخيل وغيرها، توفي سنة ٢١٦هـ (الأعلام ١٣٢/٤) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٢٨٦/٩، ٨٧، ٣٠٥، ٣٣٦/١٦، درر تعارض العقل والنقل ٨٩/١، والفقيه والمتفقه للبغدادي ٢٠/٢، والأذكياء لابن الجوزي ص٢٣-٢٤، وانظر مفرح القوسي، المنهج السلفي، ص ٢٣٠-٢٣١ طبعة دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٥هـ .

مواضع مثل الحجر كما في قوله تعالى : ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥ ﴾[1]، والألباب كما في قوله تعالى : ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾[2] ، والأحلام كما في قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٣٢ ﴾[3]، والنُهى كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾[4] ، والفؤاد كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[5]، وجاءت بالجمع كما في قوله تعالى :﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨ ﴾[6] .

---

(١) سورة الفجر آية ٥ .

(٢) سورة ص آية ٢٩ .

(٣) سورة الطور آية ٣٢، وأحلامهم : عقولهم، التفسير ٢٨٧/٤ .

(٤) سورة طه آية ٥٤، والنهى : العقول المستقيمة، التفسير ١٩٧/٤ .

(٥) سورة الإسراء آية ٣٦، والأفئدة العقول، التفسير ٧١٥/٢ .

(٦) سورة النحل آية ٧٨ .

المطلب الثاني

نظرة ابن كثير إلى العقل

أولًا : فضل العقل ومنزلته عند ابن كثير :

يرى ابن كثير أن العقل أشرف ما في الإنسان فيقول عند تفسير الآية :﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1] ، « ناسب ذكر العقل هاهنا ، فإنه أشرف ما في الإنسان ولهذا حرّم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانة لعقولها»[2].

ويقول رحمه الله عند تفسير الآيات : ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾[3] ، « يرشد تعالى خلقه إلى التفكر في آياته ونعمه وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات والأرض ... إلى أن قال رحمه الله وقال أولًا : لآيات للمؤمنين ثم يوقنون ثم يعقلون وهو ترق من حال شرف إلى ما هو أشرف منه وأعلى »[4]، والذي هداهم الله في الدنيا والآخرة هم ذو العقول الصحيحة والفطرة السليمة يقول ابن كثير عند تفسير الآية : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ

---

(١) سورة النحل آية ٦٧ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٧١٠ .

(٣) سورة الجاثية آية ٣-٥ .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/١٧٥ .

هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[1] ، « أي يفهمونه ويعملون بما فيه... أولئك الذين هداهم الله أي المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة، وأولئك هم أولو الألباب، أي العقول الصحيحة والفطرة السليمة»[2].

ولذلك نجد أن ابن كثير يحذر من الأمور التي تضر بالعقل وتفسده، فيقول عند تفسير الآية : ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[3] ، « أي لا تسرفوا في الأكل لما فيه مضرة العقل والبدن كما في قوله : ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾[4] »[5] .

ثانيًا : مكان العقل من الجسد :

اختلف العلماء في تحديد مكان العقل من الإنسان، فمنهم من يرى أنه في الرأس، أي في الدماغ،وكما يظنه بعض الغربيين ودليلهم أن الإنسان إذا ضرب على رأسه ذهب عقله، واعترض القاضي أبو يعلي[6] على ذلك فقال : « وما ذكروه من زوال العقل بضرب الرأس فلا يدل على أنه محله كما أن عصر

---

(١) سورة الزمر آية ١٧-١٨ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٩/٤ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٤١ .

(٤) سورة الأعراف آية ٣١ .

(5) ٢٣٢/٢ .

(6) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء، أبو يعلى، عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون من أهل بغداد، ارتفعت مكانته عند القادر والقائم العباسيين، وولاه القائم قضاء دار الخلافة والحريم وحران وحلوان، وكان قد امتنع، واشترط أن لا يحضر أيام المواكب، ولا يخرج في الاستقبالات ولا يقصد دار السلطان فقبل القائم شرطه، له تصانيف كثيرة، منها الإيمان، والاحكام السلطانية، والكفاية في أصول الفقه وأحكام القرآن وغيرها، توفي سنة ٤٥٨هـ . الأعلام ٩٩/٦.

الخصية تزيل العقل والحياة، ولا يدل على أنها محله »[1] . والراجح هو ما ذكره ابن كثير رحمه الله وهو أن العقول مركزها القلب على الصحيح فيقول عند تفسير الآية : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[٢] ، « ثم ذكر منته على عباده في إخراجه إياهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا ثم بعد هذا يرزقهم تعالى السمع ... والأفئدة، وهي العقول التي مركزها القلب على الصحيح، وقيل الدماغ، والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها »[3] .

وجمهور العلماء والمفسرين يرون أن العقل في القلب وهو كلام علي بن أبي طالب و أبو هريرة[4] وكعب بن مالك[5] رضي الله عنهم حيث قالوا أن العقل في

---

(1) أبو يعلي، العدة في أصول الفقه ٩٣/١-٩٤، وانظر: خليل الحدري، منهجية التفكير العلمي في القرآن، ص ٥٨-٥٩، طبعة دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ .

(٢) سورة النحل آية ٧٨ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٧١٥/٢ .

(4) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة صحابي كان أكثر الصحابة حفظًا للحديث ورواية له، نشأ يتيمًا ضعيفًا في الجاهلية وقدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر فأسلم سنة ٧هـ ولزم صحبة النبي فروى عنه ٥٣٧٤ حديثًا وولي إمرة المدينة مدة ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين ثم لم رآه لين العريكة مشغولًا بالعبادة فعزله وأراده بعد زمن على العمل فأبى، وتوفي بالمدينة سنة ٥٩هـ (الأعلام ٣٠٨/٣) .

(5) هو كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري السلمي الخزرجي، صحابي من أكابر الشعراء من أهل المدينة اشتهر في الجاهلية وكان في الإسلام من شعراء النبي ﷺ، وشهد أكثر الوقائع ثم كان من أصحاب عثمان وأنجده يوم الثورة وحرض الأنصار على نصرته، وعمي في أخر عمره وعاش سبعًا وسبعين عامًا، وتوفي سنة ٥٠هـ (الأعلام ٢٢٨/٥) .

القلب [1] ، ومنهم من يرى أن العقل في القلب وله تعلق بالدماغ كابن تيمية وابن القيم[2] .

ثالثًا : تأثير الشرك والانحراف والنفاق على صحة العقل وإدراكه :

وكما أن الهداية لها أثر على سلامة العقل وصحته، لأن المؤمنين والمهتدين وصفهم الله بأنهم هم أولو الألباب والعقول الصحيحة كما قال سبحانه : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[3] ، وكما قال سبحانه : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾[4] ، فكذلك الشرك والكفر والنفاق يؤثر على صحة الفهم والقصد، يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[5] ، « وقال محمد بن إسحاق[6] المنافقون، قلت ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا لأن كلًا منهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح ثم أخبر تعالى بأنهم لا فهم لهم صحيح ولا قصد صحيح لو فرض أن لهم فهمًا »[7] .

---

(1) أبو يعلي العدة في أصول الفقه، ٩٢/١-٩٣، انظر منهجية التفكير ص ٥٨ مرجع سابق .

(2) انظر الفتاوى ٣٠٣/٩، ومفتاح السعادة ص٢٣٠، وانظر منهجية التفكير ص ٥٨-٥٩، مرجع سابق .

(٣) سورة الزمر آية ١٧-١٨ .

(٤) سورة الطلاق آية ١٠ .

(٥) سورة الأنفال آية ٢٢ .

(6) سبق ترجمته ص ٧٤ .

(7) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٧٢/٢ .

رابعًا : العقل وحده لا يستقل بمعرفة الحق و الباطل والحسن والقبيح :

فإن ابن كثير رحمه الله ينظر إلى أن العقل وحده لا يستقل بالتمييز بين الحق والباطل والحسن والقبيح فيقول عند تفسير الآية : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ....﴾[1] ، « أي إنما يأتمر بهواه فمهما رآه حسنًا فعله ومهما رآه قبيحًا تركه ثم قال وهذا يُسْتدل به على المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقلين »[2]، فالعقل يحتاج إلى الوحي والرسالة حتى يهتدي إلى الحق ويستطيع أن يميز بينه وبين الباطل وبين الحسن والقبيح، « ولولا الرسالة لم يهتد عقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد »[3]، وكما أن العقل مناط التكليف وهو « شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال وبه يكتمل العلم والعمل لكنه ليس مستقلًا بذلك »[4] .

---

(١) سورة الجاثية آية ٢٣ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ١٧٨/٤، ومعنى ذلك أن العقل يدرك الحسن والقبيح في شيئين الأول ملاءمة الغرض للطبع ومنافرته له فالموافق حسن عند العقل والمنافر قبيح عنده، الثاني صفة الكمال والنقص فصفات الكمال حسنة عند العقل وصفات النقص فبيحة عنده، انظر محمد علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ص ٧، طبعت دار المعرفة بدون تاريخ .

(3) الفتاوى لابن تيمية ١٠٠/١٩ .

(4) المرجع نفسه ٣٣٨/٣ .

خامسًا : حثه على استخدام العقل والاستدلال به :

وقد تقرر ذلك في عدة مواضع من التفسير منها قوله عند تفسير الآية : ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[1] ، « أي أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له وعُدُولكم إلى إتباع الشيطان »[2] .

وهكذا نجد أن ابن كثير إنما يستخدم العقل في الاستدلال على بطلان الأمور التي لم تثبت بالنقل أو المخالفة للعقل، فمثلاُ عند ما أورد قول بعض المفسرين عن القوم الجبارين وهم العماليق، وفيهم رجل يقال له عوج بن عنق، وإن طوله ثلاثة آلاف ذراع، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته فقال : « وإذا كان ابن نوح الكافر غرق فكيف يبقى عوج ابن عنق وهو كافر وولد زنيه هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع »[3]، وكذلك رده على من قال إن «ق» جبل يحيط بجميع الأرض يقال له قاف، قال رحمه الله : « وكان هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل، وإنما أباح الشرع الرواية عنهم في قوله حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج فيما يجوزه العقل، أما فيما تحيله العقول ويحكم عليه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل والله أعلم »[4] . وغيرها من المواضع

---

(١) سورة يس آية ٦٣ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٧٠٦ .

(3) المرجع نفسه ٢/٥٠-٥١ .

(4) المرجع نفسه ٤/٢٦٠ .

التي حث فيها ابن كثير على استخدام العقل والاستدلال به فيما لا يتسع المجال لذكره[1]، كما حث على التفكر والتدبر[2] .

ولا شك أن الداعية بأمس الحاجة في دعوته إلى الأساليب الدعوية التي ترتكز على العقل وتدعوا إلى التفكر والتدبر والاعتبار في المواطن التي ينكر فيها المدعوون الأمور الظاهرة والبدهيات العقلية مثل قوله تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[3]، وقوله سبحانه : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[4]، وكذلك مع المُعتدين بعقولهم وأفكارهم من المدعوين لأنهم أسرع من يتأثر بالمنهج العقلي السليم، وكذلك مع المنصفين من الناس البعيدين عن التعصب

---

(1) أنظر مثلًا :

١- تفسير الآيات ٢٨—٢٩ من سورة ص، ٤١/٤ .

٢- تفسير الآية ٧ من سورة آل عمران، ٤٢٨/١ .

٣- تفسير الآية ٨٦ من سورة الكهف، ١٣٠/٣ .

٤- تفسير سورة ٩٤ من سورة الكهف، ١٣٢/٣ .

٥- تفسير الآية ١٢ من سورة النور، ٣٤٢/٣ .

٦- تفسير الآية ٦١-٦٣ من سورة العنكبوت، ٥١٩/٣ .

٧- تفسير الآية ٣ من سورة فاطر، ٦٧١/٣ .

٨- تفسير الآية ٤٤ من سورة فاطر، ٦٨٩/٣ .

٩- تفسير الآية ١٦ من سورة النمل، ٤٤٤/٣ .

١٠- تفسير الآية ٣٥ من سورة النمل، ٤٤٩/٣ .

١١- تفسير الآية ٤٢ من سورة النمل، ٤٥٢/٣ .

١٢- تفسير الآية ٢٩ من سورة غافر، ٩٢/٤-٩٣ .

(2) انظر مثلًا ١٦١/٢، ٧١٦/٢، ٢٢٥/٣، ٢٣٢/٣، ٥٠٤/٣، ٥٣٠/٣، ٥٥٥/٣، ٥٥٨/٣، ٩٠/٤، ١٧٥/٤، ٣٩٠/٤، ٣٣٩/٢، ٥٣٤/٢، ٦٠٨/٢ .

(٣) سورة الطور آية ٣٥ .

(٤) سورة الأنبياء آية ٢٢ .

لآرائهم والمتجردين من الأغراض الخاصة، إضافة إلى المتأثرين بالشبهات والمنخدعين بالباطل، ففي هذه المواطن وأمثالها تظهر فائدة استخدام الدعاة للمنهج العقلي في التأثير على المدعوين واستجابتهم للدعوة بعد توفيق الله وإخلاص الداعية وتمكنه وقدرته، وكما أن التدبر والتفكر في القرآن الكريم وفي آيات الله الكونية وفي الآفاق والأنفس يكون سببًا في إيمان المدعو من غير المسلمين واستجابته للإسلام فهو كذلك يكون سببًا في زيادة إيمان المؤمن وفتح مجال واسع ورحب للبحث في كنوز القرآن والوقوف على أوجه الإعجاز المختلفة والمتنوعة في القرآن مما لا مجال للحديث عنه هنا .

سادسًا : النقل الصحيح لا يتعارض مع العقل الصريح :

يرى ابن كثير رحمه الله أن الثابت بالنقل والشرع هو ثابت بالعقل، فالعقل الصريح لا يتعارض مع النقل الصحيح فحينما استدل على وقوع النسخ في القرآن بالنقل وهو قوله تعالى : ﴿ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾[1]، قرر رحمه الله أنه أيضًا جائز عقلًا ولا يتعارض مع النقل فقال عند تفسير الآية : « ففي هذا المقام بين تعالى جواز النسخ ردًا على اليهود عليهم لعائن الله ... ثم قال والذي يحمل اليهود إلى البحث في مسألة النسخ إنما هو الكفر والعناد، فإنه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في أحكام الله لأنه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد »[2]، فاليهود حينما أنكروا النسخ واعترضوا عليه ليس لهم دليل عقلي ينافي النقل، وإنما دعواهم مبنية على الجهل والكفر والعناد والتحريض يقول ابن كثير : « وفي هذا المقام رد

---

(1) سورة البقرة آية ١٠٦ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ١٨٩/١ .

عظيم وبيان بليغ لكفر اليهود وتزييف شبههم لعنهم الله في دعوى استحالة النسخ، إما عقلًا كما زعمه بعضهم جهلًا وكفرًا وإما نقلًا كما تخرَّصه آخرون افتراء وإفكًا »[1] .

ويقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾[٢]، « ومن هنا استدل من استدل بهذه الآية على أن الذبيح إسماعيل وأنه يمتنع أن يكون هو إسحاق لأنه وقعت البشارة به، وأنه سيولد له يعقوب فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده، ووعد الله حق لا خلف فيه، فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه، فتعين أن يكون هو إسماعيل، وهذا من أحسن الإستدلال وأصحه وأبينه »[3]، ويقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾[٤] ، : « وهذا يقوله مشركوا العرب المنكرون للمعاد ... ويقوله الفلاسفة الدهرية والدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ولهذا قالوا وما يهلكنا إلا الدهر»[5]، وكذلك استدلاله رحمه الله بالعقل الموافق للنقل في أن الذي يكفر بمحمد ﷺ فهو كافر بجميع الرسل فيقول عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قَٰتِلُوا

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ١٨٩/١ .

(٢) سورة هو آية ٧١ .

(3) المرجع نفسه ٥٥٧/٢ .

(٤) سورة الجاثية آية ٢٤ .

(5) المرجع نفسه ١٧٩/٤ .

ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾[1] ، «فهم في نفس الأمر كما كفروا بمحمد ﷺ لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد من الرسل ولا بما جاؤوا به وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآباءهم فيما هم فيه لا لأنه شرع الله ودينه لأنهم لو كانوا مؤمنين بما في أيديهم إيمانًا صحيحًا لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد ﷺ، لأن جميع الأنبياء بَشَّرُوا به وأمُروا بإتباعه فلما جاء كفروا به وهو أشرف الرسل، عُلم أنهم ليسوا مستمسكين بشرع الأنبياء الأقدمين لأنه من عند الله، بل لحظوظهم وأهواءهم فلهذا لا ينفعهم إيمانهم ببقية الأنبياء وقد كفروا بسيدهم وأفصحهم وخاتمهم وأكملهم ﷺ »[2]، وهكذا فالعقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح وإنما الذي يعارضه الشبهات الفاسدة والآراء المنحرفة والاجتهادات الخاطئة، وكما قال ابن تيمية : « وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسده يُعلم بالعقل بطلانها بل يعلم بالفعل ثبوت نقيضها الموافق للشرع ... ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط بل السمع الذي يقال أنه يخالفه إما حديث موضوع أو دلالته ضعيفة فلا يصح أن يكون دليلًا لو تجرد عن معارضته العقل الصريح فكيف إذا خالفه صريح المعقول »[3] فابن تيمية وهو شيخ ابن كثير يقرر هذه القاعدة وهي أنه لا يمكن لصريح المعقول أن يعارض صحيح المنقول في عدة مواضع من كتبه خاصة كتابه درء تعارض العقل النقل ويحتج على ذلك بأمور منها :

---

(١) سورة التوبة آية ٢٩ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٣٠/٢ .

(3) درء تعارض العقل والنقل ١٤٧/١ .

١- أن التعارض بين العقل والنقل إما أن يراد به القطعيان فلا نسلم بامكان وقوع ذلك بينهما وإما أن يراد به الظنيان فالراجح منهما هو المقدم مطلقًا سواء كان عقليًا أو نقليًا فتبين أن من قدم العقل على النقل مطلقًا فقد أخطأ، وإنما المقدم هو الراجح القطعي[1] .

٢- أن العقل قد شهد بصحة ما جاء به الشرع ودل عليه دلالة عامة مطلقة والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به و إلا كان العلم بصدق الشرع موقوفًا على كل ما يخبر به العقل، وما دام قد شهد بتزكيته الشرع وتعديله فلا يجوز تقديم العقل عليه لأن ذلك قادح في شهادته [2].

٣- أن ما يعلمه العقل ليس شيئًا واحدًا يشترك فيه جميع العقول وليس أمرًا مبنيًا معلومًا عند كل الناس، بل هو من الأمور النسبية الإضافية فإن زيدًا قد يعلم بعقله ما لا يعلمه بكر بعقله، وقد يعلم الإنسان في حال بعقله ما يجهله في وقت آخر»[3].

٤- أنه لا يوجد في النصوص الثابتة في الكتاب والسنة ما يناقض العقل الصريح، وان ما يعارضه هو إما حديث مكذوب أو دلالته ضعيفة والرسل إنما جاءت بمحارات العقول – أي بما يُحير العقول – لا بمحالات العقول أي بما يستحيل في العقول التي يعلم إنتفاؤها فتبين أن صحيح النقل لا يعارض صحيح العقل وأن الحق لا يضاد نفسه[4] .

---

(1) درء تعارض العقل والنقل ١/٨٦ .

(2) المرجع نفسه ١/١٣٨ .

(3) المرجع نفسه ١/١٤٤-١٤٥ .

(4) المرجع نفسه ١/١٤٧-١٤٨، وانظر تكامل المعرفة عند ابن تيمية ص ٢٩٩-٣٠٠ .

وقد أشار الراغب الأصفهاني[1] إلى تكامل العقل والنقل وأنهما متعاضدان ومتحدان وليسا متعارضين ومتناقضين حيث قال : « إعلم أن العقل لا يهتدي إلا بالشرع ،و الشرع لا يتبين إلا بالعقل فالعقل كالأس والشرع كالبناء ولن يغني أس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس، وأيضًا فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج، ولن يُغني الشعاع ما لم يكن بصر، فلهذا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ ﴾[2] » . وأيضًا فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمده فإن لم يكن زيت لم يحصل السراج وما لم يكن سراج لم يضىء الزيت، وعلى هذا نبه الله تعالى بقوله : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ ﴾[3]، فالشرع عقل من خارج والعقل شرع من داخل وهما متعاضدان بل متحدان) [2] فالذي يعارض النصوص والنقل ليس

---

(1) هو الحسين بن محمد المفضل أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء من أهل اصبهان سكن بغداد واشتهر حتى كان يُقرن بالإمام الغزالي من كتبه محاضرات الأدباء والذريعة إلى أحكام الشريعة وتفصيل النشأتين في الحكمة وعلم النفس، توفي سنة ٥٠٢ (الأعلام ٢/٢٥٥) .

(٢) سورة المائدة آية ١٥-١٦ .

(٣) سورة النور آية ٣٥ .

(٢) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ص ١٤٠-١٤١،انظر أثر علم أصول الحديث في تشكيل العقل المسلم محاضرة ألقاها الدكتور خدون الأحدب في ١٢صفر ١٤٢٧ هـ في منتدى الفكر الإسلامي بجدة.

هو العقل الصريح إنما هو الهوى والاستبداد بالرأي والقياس الفاسد، وكما قال الشهرستاني [٣] : « إن أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس لعنه الله، ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضته الأمر، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين [٤] .

---

[٣] هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهر ستاني من فلاسفة الإسلام،كان إمامًا في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة،يلقب بلأفضل،ولد في شهر ستان بين نيسابور وخوارزمي وانتقل الى بغداد سنة ٥١٠هـ فأقام ثلاث سنين وعاد الى بلده وتوفي بها سنة ٥٤٦هـ، من كتبه الملل والنحل ونهاية الإقدام في علم الكلام وغيرها .الأعلام ٦/٢١٥.

[٤] الملل والنحل للشهرستاني ١/١٦، وقد أورد الدكتور محمد زين الهادي أبياتًا جميله في كتابه منهج العاملين في الدعوة عن الأرض وما تميزت به عن النار في الفوائد والمنافع البشرية والرد على إبليس في تفضيله نفسه على آدم (أنا خير منه خلقني من نار وخلقته من طين » ومطلع هذه البيات

زعمت النار أكرم عنصرًا وفي الأرض تحيى في الحجارة والزندِ

انظر منهج العاملين في الدعوة، د. محمد زين الهادي ص ١٧٢ طبعت مركز الكتاب للنشر عُمان ١٩٩١م .

المطلب الثالث

إنكار ابن كثير على من عارض النصوص بالرأي

سبق وأن ذكرنا أن العقل والنقل متكاملان ومتعاضدان ومتحدان وليسا متعارضين، وأن العقل لا يهتدي إلا بالشرع والشرع لا يتبين إلا بالعقل، فالعقل الصريح لا يتناقض مع النقل الصحيح، وإنما الذي يعارضه ويناقضه هي الأهواء الفاسدة، والآراء المنحرفة، والاجتهادات الخاطئة، وإن سماها أصحابها عقليات فهي في الحقيقة جهالات وضلالات، لذا نجد ابن كثير رحمه الله يسير على هذه القاعدة فيرد وينكر على من يعارض النصوص بأخبار أو آراء أو اجتهادات ويسمي ذلك كله جهالات وضلالات، فمثلًا رده لقول بعض المفسرين الذين ذكروا أن طول عوج بن عنق ثلاثة آلاف ذراع لمخالفته النصوص الواردة بخلاف ذلك فقال عند تفسير الآية : ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ..... ﴾[1] ، «وان فيهم عوج بن عنق وأن طوله ثلاثة ألاف ذراع ... وهذا شيء يستحيا من ذكره ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : (إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعًا ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن) »[2]، وكذلك رده على الرافضة الذين أنكروا مشروعية المسح على الخفين فقال عند تفسير الآية: ﴿ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ .....﴾[3] « وقد خالفت الروافض ذلك كله بلا

---

(١) سورة المائدة آية ٢٢ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٥٠ .

(٣) سورة المائدة ٦ .

مستند بل بجهل وضلال مع أنه ثابت في صحيح مسلم[1]، كما ثبت في الصحيحين[2] عن النبي ﷺ نهى عن نكاح المتعة وهم يستبيحونها وكذلك هذه الآية الكريمة دالة على وجوب غسل الرجلين مع ما ثبت بالتواتر من فعل النبي ﷺ على وفق ما دلت عليه الآية الكريمة وهم مخالفون لذلك كله وليس لهم دليل صحيح في نفس الأمر ولله الحمد »[3]، وكذلك في رده على من أنكر البعث بناء على رأيه وهواه وتركه ما أنزل الله، فقال عند تفسير الآية : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ ﴾[٤]، « يقول تعالى ذامًا لمن كذّب بالبعث وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى معرضًا عما أنزل الله على أنبيائه متبعًا في قوله وإنكاره وكذبه كل شيطان مريد من الإنس والجن، وهذا حال أهل الضلال والبدع المعرضين عن الحق المتبعين للباطل يتركون ما أنزل الله على رسوله ﷺ من الحق المبين ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة والدعاة إلى البدع والأهواء والآراء »[5] .

كما نعى رحمه الله على من يتبع الآباء والأسلاف، ويعتبر أن ذلك من التقليد الأعمى التي يعارضون به ما أنزل الله على رسوله، فيقول عند تفسير

---

(١) عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ خرج لحاجته فاتبعه المغيرة بأداة فيها ماء، فصب عليه حين فرغ من حاجته، فتوضأ ومسح على الخفين، أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين رقم (٢٧٤) .

(2) متفق عليه وأخرجه البخاري، كتاب النكاح باب نهي النبي ﷺ عن نكاح المتعة أخيرًا رقم (٥١١٥)، ومسلم، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة رقم (١٤٠٧) .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٨/٢ .

(٤) سورة الحج آية ٣ .

(5) المرجع نفسه ٢٥٩/٣ .

الآية: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[1] ، « فالمشركون لا يعقلون ذلك عن دليل قادهم إلى ما هم فيه من الإفك والضلال وإنما يفعلون ذلك إتباعًا لآبائهم وأسلافهم الحيارى الجهال كما قالوا ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾[2] »[3]، كما رد على المشركين الذين عارضوا النسخ بعقولهم واتهامهم للرسول ﷺ بالافتراء في ذلك فقال عند تفسير الآيـــة: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4]، «يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين، وقلة ثباتهم وايقانهم وأنه لا يتصور منهم الإيمان، وقد كتبت عليهم الشقاوة، وذلك أنهم لما رأوا تغير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا للرسول ﷺ : ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۚ ﴾أي كذاب، وإنما هو الرب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد »[5] ، وكذلك بيانه رحمه الله خطأ اجتهاد بعض من نفى الزكاة من أحياء العرب في أنها لا تصرف إلا للرسول ﷺ فقال عند تفسير الآية : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾[6] ، « أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وهذا عام ..... ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون، وإنما كان هذا

---

(١) سورة المؤمنون آية ٩٠ .

(٢) سورة الزخرف آية ٢٢ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٣١٨/٣ .

(٤) سورة النحل آية ١٠١ .

(5) المرجع نفسه ٧٢٤/٢ .

(٦) سورة التوبة آية ١٠٣ .

خاصًا برسول الله ﷺ .... وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد الصديق أبو بكر وسائر الصحابة، وقاتلوهم حتى أدَّوا الزكاة إلى الخليفة كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ »[1] .

ومن المواقف التي رد فيها ابن كثير على من يعترضون على أمر الله وشرعه، حيث بعث بشرًا وأنزل عليهم وحيًا لدعوة الناس وهدايتهم، وحجتهم أن هؤلاء الأنبياء والرسل بشرًا ولم يكونوا ملائكة، وأن أتباعهم هم أراذل الناس وليسوا أشرافهم فيقول عند تفسير الآية : ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾[٢] ، « أي لستَ بملَكٍ ولكنك بشر فكيف أوحى إليك من دوننا ؟ ثم ما نراك اتبعك إلا أراذلنا كالباعة والحاكة وأشباههم ولم يتبعك الأشراف والرؤساء ... هذا اعتراض الكافرين على نوح عليه السلام وأتباعه، وذلك دليل على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم، فإنه ليس بعار على الحق رذالة من اتبعه، فإن الحق في نفسه صحيح وسواء اتبعه الأشراف أو الأراذل بل الحق الذي لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف ولو كانوا فقراء، وأن الذين يأبونه هم الأراذل ولو كانوا أغنياء »[3]، وكذلك نجد أن ابن كثير خطّأ من يحلل شيئًا حرّمه الله أو يُحرِّم شيئًا أحلَّه الله بمجرد رأيه، فيقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٤٧٦ .

(٢) سورة هو آية ٢٧ .

(3) المرجع نفسه ٢/٥٤٥ .

وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾[1]، « نهى تعالى عن سلوك سبيل المشركين الذين حللوا وحرموا بمجرد ما وضعوه واصطلحوا عليه من الأسماء بآرائهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وغير ذلك مما كان شرعًا لهم ابتدعوه في جاهليتهم، فقال : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ ﴾ ويدخل في هذا كل مبتدع ابتدع بدعة ليس فيها مستند شرعي، أو حلل شيئًا مما حرم الله، وحرم شيئًا مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه »[2]، وهكذا نجد الإمام ابن كثير رحمه الله يتعقب ويرد ويعترض على الذين يخالفون النصوص بالآراء، ويعترضون عليها بالأهواء والاجتهادات الخاطئة، والتي يزعمون أنها معقولات، وهي في الحقيقة جهالات وضلالات .

فواجب الدعاة اليوم أن يكونوا كالإمام ابن كثير رحمه الله فيواجهوا ويتصدوا في هذا العصر للاتجاهات والتيارات التي تمجد العقل الإنساني وتغالي في تقديمه على الدين وتحكيمه في عالمي الغيب والشهادة وتعطي العقل اعتبارًا فوق اعتبار النصوص الشرعية الثابة عن الله ورسوله ﷺ وتجعل العقل وسيلة الأثبات وأساس الحكم على الأشياء وطريق القبول لها .

---

(1) سورة النحل آية ١١٦ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٧٢٨ .

المطلب الرابع

انحراف أصحاب الفرق الذين غلوا في العقل

اختلف الناس في النظرة إلى العقل والتعامل معه والاحتجاج به على أقسام :

فمنهم من غلا فيه وقدّمه على نصوص الشرع، لأن دلالتها ظنيه ودلالات المعقول قطعية، والبعض الآخر ردَّ المعقولات الصريحة بما ظنه سمعيًا أو حسيًا، وتوسط آخرون وقالوا بامتناع التعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح، لأن الحق الثابت لا ينقض بعضه بعضًا كما قال سبحانه : ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾[1] [2] . قال ابن كثير «يؤفك عنه من أفك أي إنما يروج على من هو ضال في نفسه لأنه قول باطل، إنما ينقاد له ويضل بسببه ويؤفك عنه من هو مأفوك ضال غَمْر[3] لا فهم له »[4].

وهذا الصنف من الناس – ومنهم علماء السلف الصالح – توسطوا في نظرهم للعقل فلم يغالوا فيه ولم يقدسوه ولم يردوا المعقولات الصريحة بما ظنوه سمعيًا أو حسيًا كما أنهم نظروا إلى العقل على أن له امكانية محدودة كمحدودية الحواس التي لها محدودية لا تتجاوزها ومقدرة لا تتخطاها فالعقل عندهم ليس معصومًا من الزلل، كما قال الشافعي رحمه الله : « إن للعقل حدًا

---

(١) سورة الذاريات آية ٧-٩ .

(2) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٣/١٣٢-١٣٣ .

(3) الغَمْر : الذي لم يُجرب الأمور، ترتيب القاموس للطاهر أحمد الزاوي ٣/٤١٦ .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٢٧٤ .

ينتهي إليه كما أن للبصر حدًا ينتهي إليه »، يقول الشاطبي[1] رحمه الله : « إن الله جعل للعقول في إدراكها حدًا تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبيلًا إلى الإدراك في كل مطلوب ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف يكون، فمعلومات الله لا تتناهى ومعلومات العبد متناهية، والمتناهي لا يساوي ما لا يتناهى »[2]، وهذا في عالم الشهادة والواقع أما في عالم الغيب فهو بحاجة إلى هداية الوحي فالعلاقة بين العقل والوحي من حيث المعرفة المكتسبة علاقة تكامل، فالعقل كالعين أو البصر والوحي كالشعاع المنبثق عن الشمس ولن يغني البصر ما لم يكن شعاعًا من خارج، ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر فالعقل « غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس، وان انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكها »[3] .

وابن كثير رحمه الله من الفريق الذين توسطوا في نظرتهم إلى العقل فلم يُقدِّمه ويجعله معصومًا من الزلل ولم يرد المعقولات الصريحة بل رد الاجتهادات والآراء المنحرفة والمخالفة للعقول الصريحة والنقول الصحيحة فمثلًا لما أنكر المعتزلة رؤية المؤمنين للرب سبحانه يوم القيامة بناء على فهمهم الخاطئ للآية :

---

(1) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية من كتبة الموافقات في أصول الفقه، والاعتصام والمقاصد الشافعية في شرح خلاصه الكافيه، توفي سنة ٧٩٠هـ (الأعلام ١/٧٥) .

(2) الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي ٢/٣١٨، طبعت دار المعرفة بيروت ١٤٠٢هـ .

(3) مجموع الفتوى لابن تيمية ٣/٣٣٩، وانظر مفرح القوسي، المنهج السلفي ص ٢٣٨-٢٤٠، مرجع سابق .

﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1] ، بَيّن ابن كثير خطأ هذا الفهم وفساده، فقال عند تفسير الآية : « وقال آخرون من المعتزلة بمحض ما فهموه من هذه الآية أنه لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ »[2]، والطوائف والفرق التي ضلت بسبب الهوى والرأي والقياس الفاسد وظنت أن هذا هو العقل الصريح سندهم وإمامهم وقدوتهم في هذا إبليس لعنه الله فهو أول من قاس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس كما قال ابن سيرين[3] رحمه الله، قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾[4] ، يقول ابن كثير في تفسير الآية : «وقول إبليس لعنه الله أنا خير منه، من العذر الذي هو أكبر من الذنب كأنه امتنع من الطاعة لأنه لا يُؤمر الفاضل بالسجود للمفضول، يعني لعنه الله : وأنا خير منه فكيف تأمرني بالسجود له ؟! ثم بين أنه خير منه بأنه خلق من نار والنار أشرف مما خلقته منه وهو الطين فنظر اللعين إلى أصل العنصر ولم ينظر إلى التشريف العظيم، وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه وقاس قياسًا فاسدًا في مقابلة نصَّ قوله تعالى (فقعوا له ساجدين) فشذ من الملائكة بترك السجود

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٣ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٠٥/٢ .

(3) هو محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي من أشراف الكتاب، مولده ووفاته بالبصرة، نشأ بزازًا، في أذنه صمم وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، واستكتبه أنس بن مالك بفارس، وكان أبوه مولى لأنس، ينسب إليه كتاب تعبير الرؤيا، توفي سنة ١١٠هـ (الأعلام ١٥٤/٦) .

(٤) سورة الأعراف آية ١٢ .

فلهذا طرد إبليس من رحمة الله ..... وعن ابن سيرين قال أول من قاس إبليس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس »[1] .

فالخلاصة أن العقول الصريحة هي الموافقة للنقول الصحيحة، وهي التي تهدي أصحابها إلى الخير والصلاح، وتدلهم على الصواب والفلاح، ومن هنا فلا يمكن القول « بأن إنسانًا ضل لأنه اتبع عقله فإن هذا مخالف لما هو مقرر في هذا الدين ولهذا لم يكن أسلافنا يسمون المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة بالعقلانيين كما نسمي نحن بعضهم اليوم بل كانوا يسموهم بأهل الأهواء لأنهم لم يجدوا في كتاب الله ذمًا لإنسان اتبع عقله وإنما الذم للذين لا يعقلون أما أصحاب العقول فهم أهل الدين الصحيح وأهل الدين هم أصحاب العقول، انظر كيف جمع الله تعالى هذين الأمرين في قوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾[2] ، وانظر في مقابل ذلك كيف جعل الله تعالى عقاب عدم العقل كعقاب عدم الإيمان فقال تعالى في سورة يونس : ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[3]، وقال في سورة الأنعام : ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾[4] [5] .

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٢٥٨-٢٥٩ .

(٢) سورة الزمر آية ١٨ .

(٣) سورة يونس آية ١٠٠ .

(٤) سورة الأنعام آية ١٢٥ .

(5) انظر : جعفر شيخ إدريس، ليسوا عقلانيين وإنما هم أهل الأهواء، مجلة البيان عدد ١٤١، جمادى الأولى ١٤٢٠هـ .

بينما المغالاة في تقديس العقل والاعتداد بالرأي بغير حق هو في الحقيقة هوى ورأي فاسد وليس من العقل في شيء و صاحبه ليس عقلانيًا وإنما هو من أهل الأهواء يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ﴾[1] ، « أي بلا عقل صريح ولا نقل صحيح صريح بل بمجرد الرأي والهوى »[2] .

---

(1) الحج آية ٨ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٦٢/٣ .

ولذلك نجد أن بعض المدارس الإصلاحية التي غالت في تقديس العقل وقعت في انحرافات وضلالات خطيرة فمثلًا المدرسة الإصلاحية الحديثة التي ظهرت في أواخر القرن الماضي والذي أسسها الشيخ جمال الدين الأفغاني (ت١٣١٥هـ) وقد قامت هذه المدرسة الإصلاحية للنهوض بالأمة من كبوتها الحضارية والفكرية ومواجهة سيل الاستشراق الحاقد والرد على الشبهات الكثيرة التي أثيرت حول الإسلام من قبل أعدائه وأذنابهم من أبناء الأمة فحاول أولئك الرواد أن يُثبتوا أن الإسلام لا يحارب التقدم ولا النهوض المادي والعلمي ولا ينافي العقل ولا التطور إلا أنهم في رد فعل ملحوظ وقعوا في العديد من المحاذير حيث أعلوا من شأن العقل إعلاء وصل إلى حد الغلو، ولهذا كان لهذه المدرسة آراء وشطحات عقلية كثيرة ولا سيما فيما يتعلق بقضيا الغيب والنبوات والمعجزات، فهم عمموا ما يرون أن الإيمان بهذه القضايا وفق الأسلوب المعتاد الذي درج عليه المسلمون وثبت بالكتاب والسنة لا يكفي لاثباتها اثباتًا علميًا (وهو حصر الناحية العلمية بالأمور التجريبية فقط) بل لا بد لاخضاعها للاستدلال العلمي، لان المسلين لا يمكن أثبات عقائدهم في هذا العصر إلا بتأييد العقل والعلم لها واخضاع أصولها للبحث العلمي بالأسلوب الغربي (انظر مفرح القوسي، الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية، ص ٤٠-٤١، مرجع سابق) .

المبحث الثاني

نظرية المعرفة عند ابن كثير

المطلب الأول

المعرفة عند ابن كثير

توطئة :

النظرية هي : « تركيب عقلي مؤلف من تصورات منسّقة تهدف إلى ربط التاريخ بالمبادئ »[1]، ونظرية المعرفة : « تبحث في مبادئ المعرفة الإنسانية وطبيعتها ومصدرها وطرائفها وقيمها وحدودها، وفي الصلة بين الذات المدركة والموضوع المدرك، وبيان إلى أي مدى تكون تصوراتنا مطابقة لواقع الشيء المستقل عن الذهن »[2]،ومصادر المعرفة هي أحد مباحث نظرية المعرفة، وستتناول في هذا المبحث معنى المعرفة والفرق بينها وبين العلم، والمراد بها عند ابن كثير، وكذلك مصادر المعرفة وطرقها عند العلماء المسلمين – ومنهم ابن كثير – أو عند العلماء والفلاسفة الغربيين .

---

(١) جميل صليبا المعجم الفلسفي ٤٧٧/٢ .

(٢) مجمع اللغة العربية المعجم الفلسفي، ص٢٠٣ .

معنى المعرفة لغة واصطلاحًا :

قال ابن فارس : « العين والراء والفاء واصلان صحيحان يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلًا بعضه ببعض والأخرى على السكون والطمأنينة ... تقول عرف فلان فلانًا عِرْفانًا ومعرفة، وهذا أمر معروف، وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه لأن من أنكر شيئًا توحش منه ونبا عنه »[1] .

واصطلاحًا :

« إدراك الشيء على ما هو عليه وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم، ولذلك يسمى الحق تبارك وتعالى بالعالم دون العارف »[2]،وقد ذكر التهانوي[3] أن من معاني المعرفة :

- إدراك الشيء باحدى الحواس .
- العلم مطلقًا تصورًا كان أم تصديقًا .
- إدراك البسيط سواء كان تصورًا للماهية أو تصديقًا بأحوالها[4] .

---

(1) ابن فارس معجم مقاييس اللغة ٢٨١/٤ .

(2) الجرجاني التعريفات ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(3) هو محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي، الحنفي التهانوي، باحث هندي له «كشاف اصطلاح الفنون» وسبق الغايات في نسق الآيات، توفي سنة ١١٥٨هـ . الأعلام .

(4) انظر محمد التهانوي، كشاف اصطلاح الفنون ١٠٣٩/٢ .

الماهية : هي ما يجاب به على سؤال ما هو ؟ وهي الشيء المتعقّل من شيء ما بغض النظر عن وجوده الظاهر وأعراضه مثل الحيوانية والنطق عند الإنسان، انظر الجرجاني التعريفات ١٩٥ وجميل صليبا المعجم الفلسفي ٣١٤/٢ .

معنى العلم لغة واصطلاحًا :

قال ابن فارس[1] : « العين واللام والميم أصل صحيح واحد يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره من ذلك العلامة، وهي معروفة والعلم والراية والجمع أعلام والعلم الجبل والعلم نقيض الجهل »[2]، وعرفّه صاحب القاموس بقوله : «علمه كسمعه علمًا بالكسر عرفه »[3] .

واصطلاحًا :

اختلف العلماء في حد العلم فمنهم من رأى أنه لا يُحَّد كالغزالي[4]، والرازي[5]، والجويني[6]، وآخرون قالوا بإمكان حده

---

(1) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب بن عباد وغيرهما من أعيان البيان، أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان ثم انتقل إلى الري فتوفي بها سنة ٣٩٥هـ من تصانيفه مقاييس اللغة، والمجمل، والصاجي في علم العربية ألفه لخزانة الصاحب بن عباد، وجامع التأويل في تفسير القرآن وغيرها، الأعلام ١٩٣/١.

(2) معجم مقاييس اللغة مادة علم .

(3) القاموس المحيط فصل العين باب اللام .

(4) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد حجة الإسلام، فيلسوف متصوف له نحو مئتي مصنف، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر وعاد إلى بلدته، نسبته إلى صناعة الغزل عند من يقول بتشديد الزاي أو إلى غزاله من قرى طوس لمن قال بالتخفيف، من كتبه : احياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والجام العوام عن علم الكلام، والوجيز وغيرها، توفي سنة ٥٠٥ . الأعلام ٢٢/٧.

(5) سبق ترجمته ص ٧١.

(6) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين، من أصحاب الشافعي، ولد في جوين من نواحي نيسابور ورحل إلى بغداد فمكة حيث جاور اربع سنين، وذهب إلى المدينة فافتى ودرس، ثم عاد إلى نيسابور فبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية فيها، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء، له مصنفات كثيرة منها : غياث الأمم والتياث الظلم، والورقات في أصول الفقه وغيرها، توفي سنة ٤٧٨هـ . الأعلام ١٦٠/٤.

كالباجي[1] فقال هو : « معرفة المعلوم على ما هو به »[2]،وعرفه القاضي[3] عبد الجبار بأنه : « المعنى الذي يقتضي سكون نفس العالم »[4]،وعرفه الجرجاني[5] بقوله : « الاعتقاد الجازم المطابق للواقع »[6] .

الفرق بين العلم والمعرفة :

يذكر الإمام ابن القيم أن هناك فرق بين العلم والمعرفة لفظي ومعنوي، فاللفظي يتمثل في أن فعل المعرفة يقع على مفعول واحد، قال تعالى:﴿ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾[7]، بينما فعل العلم يقتضي مفعولين كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ ﴾[8]، فإن وقع على مفعول واحد كان بمعنى المعرفة كما في قوله

---

(1) هو سليمان بن خلف بن سعد القرطبي، أبو الوليد الباجي، فقيه مالكي كبير من رجال الحديث ولد في باجه بالأندلس، رحل إلى الحجاز سنة ٤٢٦هـ فمكث ثلاثة أعوام وأقام ببغداد ثلاثة أعوام وبالموصل عامًا وفي دمشق وحلب مدة، وعاد إلى الأندلس فولي القضاء في بعض أنحائها، من كتبه السراج في علم الحجاج واحكام الفصول في احكام الأصول، والتسديد في معرفة التوحيد وغيرها، توفي سنة ٤٧٤هـ . الأعلام ١٢٥/٣.

(2) الحدود للباجي ص٢٤ .

(3) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني أبو الحسين قاض أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره، وهم يلقبونه قاضي القضاة ولا يطلقون هذا اللقب على غيره، ولي القضاء بالري ومات بها سنة ٤١٥هـ له تصانيف كثيرة منها : تنزيه القرآن عن المطاعن والأمالي شرح الاصول الخمسة وغيرها . الأعلام ٢٧٣/٣.

(4) المغني للقاضي عبد الجبار ١٣/١٢ .

(5) هو هو علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكو قرب استراباد، ودرس في شيراز، ولما دخلها تيمور سنة ٧٨٩هـ فر الجرجاني إلى سمرقند ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور فأقام إلى أن توفي سنة ٨١٦هـ له نحو خمسين مصنفا منها : التعريفات، ومقاليد العلوم وتحقيق الكليات وغيرها . الأعلام ٧/٥.

(6) التعريفات للجرجاني ص ٢٠٠ .

(٧) سورة يوسف آية ٥٨.

(٨) سورة الممتحنة آية ١٠.

تعالى : ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[1] ، وأما الفرق المعنوي فمن وجوه :

١- أن المعرفة تتعلق بذات الشيء والعلم يتعلق بأحواله، تقول عرفت أباك وعلمته صالحاً فالمعرفة حضور صورة الشيء ومثاله العلمي في النفس، والعلم حضور أحواله وصفاته ونسبتها إليه، فالمعرفة تشبه التصور، والعلم يشبه التصديق[2] .

٢- أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه فإذا أدركه قيل عرفه، أو تكون لما وصف بصفات قامت في نفسه فإذا رآه وعلم أنه الموصوف بها قيل عرفه، ومن الأول قوله تعالى : ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾[3]، ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾[4]، لما كانت صفاته معلومه عندهم فرأوه عرفوه بتلك الصفات ولهذا كان ضد المعرفة الإنكار وضد العلم الجهل .

٣- إن المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره والعلم يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره، فإذا قلت علمت زيدًا لم يفد المخاطب شيئًا لأنه ينتظر بعد أن تخبره على أي حال علمته فإذا قلت كريمًا أو شجاعًا حصلت له

---

(١) سورة الأنفال آية ٦٠.

(2) التصور : حصول صورة الشيء في العقل، والتصديق : حكم بالنسبة من طرفين، انظر الجرجاني التعريفات ص ٣٧، وجميل صليبا المعجم الفلسفي ٢٧٧/١ .

(٣) سورة يوسف آية ٥٨.

(٤) سورة البقرة آية ١٤٦.

الفائدة، وإذا قلت عرفت زيدًا استفاد المخاطب أنك أثبته وميّزته عن غيره ولم يبق منتظرًا لشيء أخر[1] .

والبعض يرى أنه لا فرق بين العلم والمعرفة كابن حزم[2] فيقول : « وحد العلم بالشيء هو المعرفة به أن تقول العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنى واحد وهو اعتقاد الشيء على ما هو عليه وتيقنه به وارتفاع الشكوك عنه، ويكون ذلك إما بشهادة الحواس وأول العقل، وإما ببرهان راجع من قرب أو من بعد إلى شهادة الحواس وأول العقل وأما باتفاق وقع له في مصادفة اعتقاد الحق خاصة بتصديق ما أفترض الله عز وجل إتباعه خاصة دون استدلال »[3] .

أما ابن كثير فقد فسر المعرفة بعلم القلب، فقال عند تفسير الآية : ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾[4] ، « أي فكَّذب بالحق .... ثم قال وعلمه بأن ما جاء به – موسى – أنه حق لا يلزم منه أنه مؤمن به لأن المعرفة علم القلب والإيمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع له »[5].

---

(1) انظر ابن القيم مدارج السالكين ٣/٣٣٥-٣٣٧، وانظر مفرح القوسي المنهج السلفي ص ٢١١-٢١٢، مرجع سابق، وللاطلاع على المزيد مما ذكره بعض العلماء في بيان الفرق بين العلم والمعرفة وتحديد العلاقة بينهما انظر:
١- المفردات في غريب القرآن للاصفهاني ص ٣٣١ .
٢- الذريعة إلى أحكام الشريعة للاصفهاني ص ١٠٢-١٠٣ .

(2) انظر ترجمته في ص ٣٥٢ .

(3) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٥/٢٤٢، انظر : أحمد الدغثي، نظرية المعرفة في القرآن الكريم، ص ٩١ .

(٤) سورة النازعات آية ٢١.

(5) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٥٥٢ .

وقد عبر البعض عن ترادف معنى العلم والمعرفة بقوله « أرى أن مصطلحي العلم والمعرفة من قبيل المصطلحات التي بينهما اتصال وانفصال واتفاق واقتران بحيث يصدق عليها القول بأنها إذا اتفقت اختلفت وإذا اختلفت اتفقت شأنها في ذلك شأن التربية والتعليم والإيمان والإسلام والأخلاق والقيم وسواها يكون السياق هو المحدد الوحيد لمن يراه تفريقًا بينهما ولكن تفريق موضعي لا موضوعي لا يصمد ولا يَطَّرِد في كل حين »[1] .

[1] انظر : أحمد الدغثي، نظرية المعرفة في القرآن، ص ٩٢ .

المطلب الثاني

طرق المعرفة عند ابن كثير

أولًا : الحس والتجربة « الكون » :

يعتبر العلماء والفلاسفة الغربيون أن الكون هو مصدر المعرفة فالحقائق والمعارف والعلوم التي تثبت عن طريق العقل والحس[1] والتجربة[2] تعتبر حقائق علمية والطريق المتبع في الوصول إلى هذه الحقائق هو منهج علمي بل هو المنهج العلمي وعليه « فالعلم باصطلاحهم محصور – مصدرًا – في التجربة وميدانًا في

---

(1) الحس : لغة : أصله من الصوت الخفي مأخوذ من قوله تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ (الأنبياء ١٠٢)، والحِس بكسر الحاء من أحس بالشيء وأحسه وحس به يحس حسًا وحسيسًا شعر به، انظر ابن منظور لسان العرب مادة « حسس » .

والحواس في الإنسان تطلق عند العرب على المشاعر الخمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس، ومفردها حاسة، انظر الصحاح مادة «حسس» .

وفي الاصطلاح : « إدراك الشيء بإحدى الحواس فإن كان الإحساس للحس الظاهر فهو المشاهدات وان كان للحس الباطن فهو الوجدانيات »، الجرجاني التعريفات ص٣٠ .

(2) التجربة : لغة : الإختبار ويقال جرب الرجل تجربة أي اختبره ورجل مُجَّرب بالفتح أختبر في الأمر وعرف ما عنده ومجرِّب بالكسر عرف الأمور وخبرها، انظر قاموس المحيط فصل الجيم باب الباء، ولسان العرب والمعجم الوسيط مادة جرب .

وأما التجربة في الاصطلاح : فهي تطلق على ملاحظة العالم ظواهر طبيعية بشروط معينة يهيئها بنفسه ليصل من ذلك إلى علم قضية أو قضايا تسمى بالمجربات، انظر عبد الرحمن الزنيدي مصادر المعرفة ص ٤٣٦ .

والمجربات هي « القضايا التي يحتاج العقل في جزم الحكم بها إلى واسطة تكرار المشاهدة » . النهانوي كشاف اصطلاح الفنون ٢٦٩/١، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، وانظر المنهج السلفي لمفرح القوسي ص٢٢٦ مرجع سابق .

المجال الرياضي والطبيعي وما يُقبل موضوعه للتجربة والاستقراء والمقاييس الكمية»، لذلك فالإطار الذي توضع فيه العلوم عند العلماء الغربيين هو إطار يقوم على فلسفة لا دينية، هذه الفلسفة ترى أن الظواهر الكونية والمعارف والحقائق الطبيعية وغيرها ينبغي أن تفسر بأسباب من داخل هذا الكون أي بأسباب طبيعة لا دخل فيها للإرادة الإلهية، وبذلك فإن كل عبارة تنطوي على دعوى تخالف في ظاهرها هذا التصور فإما أن نحكم ببطلانها وإما أن نعيد تفسيرها بحيث نجد لها مكانًا داخل هذا الإطار الإلحادي المادي، وكذلك كل ظاهرة يُدَّعى أنها خارقة لقوانين الطبيعة فهي إما كذب أو وهم لا أساس له، وحتى الظواهر النفسية والاجتماعية إذا فسَّرت بأسباب خارج هذا الإطار فإن هذا التفسير لا يعتبر تفسيرًا علميًا، أي أن التفسير العلمي هو بالضرورة تفسير إلحادي حتى أصبحت كلمة العلم في العالم كله تقريبًا علمًا على هذا التصور الإلحادي، ولهذا أمكنت المقابلة بين العلم والدين[1] ولا شك أن المفهوم الذي يحصر العلم فيما جاء عن طريق التجربة والخبرة الحسية وحدها مخالف لمفهوم العلم في الإسلام، فإن مسماه يشمل « جميع أنواع المعارف الإنسانية سواء كان مصدرها العقل كالرياضيات أم الحس والتجربة بالإضافة إلى العقل كالطب أو العقل والسماع كاللغة أو الوحي والعقل كعلوم الدين »، فأثمر هذا التصور للعلم والتصور للإطار الفلسفي للعلوم أن انحصرت مصادر المعرفة في الكون المحسوس، بحيث أصبح كل تفسير للحقائق والعلوم والمعارف خارج هذا الإطار لا يعتبر تفسيرًا علميًا مقبولًا، فالوحي المنزل من الله سبحانه كالقرآن الكريم والسنة المطهرة والأخبار التي وردت في الوحي عن اليوم الآخر

---

(1) انظر جعفر شيخ إدريس إسلامية العلوم وموضوعيتها ص٧ مرجع سابق .

والجنة والنار وعذاب القبر الملائكة ... ونحو ذلك، كل ذلك لا يعتبر مصادر علميه بل تسمى مصادر دينية أشبه ما تكون بالظن والخرافة[1] .

ولعل الصراع الذي حصل بن العلماء ورجال الدين في أوروبا وانتهى بانتصار وغلبة العلماء على الكنيسة والدين النصراني واعتبروا هذا الانتصار على جميع الأديان لأنهم يظنون أن دينهم – الباطل – هو أحسن الأديان، فكان من نتيجة ذلك أن وضع العلم في جانب ونُحّي الدين في زمرة السحرة والكهانة والخرافات لأن هذا الدين النصراني الذي صارعه العلم وتغلب عليه كان مختلطًا بهذه الأمور[2] .

وأما في المنهج الإسلامي فأول مصادر المعرفة هو الوحي الذي أنزله الله على رسوله ﷺ من القرآن والسنة فهما مصدرا الحق والتشريع، وقد سبق أن بينا ذلك في المباحث السابقة، فعلماء السلف يقطعون أن المعرفة المكتسبة عن طريق الوحي معرفة يقينية مطلقة، لأن الوحي جزء من علم الله تعالى له ما لهذه الصفة من كونها حقيقة مطلقة غير محدودة، وقد تكفل الله بحفظه من التحريف والتبديل والتغيير، كما حصل للكتب السماوية السابقة الأخرى المنزلة : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[3] ، كما أن الوحي مصدر للمعرفة في المنهج الإسلامي فكذلك الكون وهو إفادته للعلم اليقيني كالوحي من حيث أن الوحي كلام الله والكون خلقه سبحانه ولا يمكن بجال أن

---

(1) انظر جعفر شيخ إدريس، إسلامية العلوم وموضوعاتها، ص ٨، مرجع سابق .

(2) انظر جعفر شيخ إدريس، مناهج العلوم الإنسانية ومشكلاتها، محاضرة ألقيت في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض ١٩٨٧/٣/٢٥م .

(3) سورة الحجر آية ٩.

يحصل تعارض بين الحقائق المنزلة والحقائق الطبيعية التي خلقها الله فعن طريق الحس عرفنا أن الشمس حارة، وان الأرض كروية وان السم يميت والأكل الطيب يغذي إلى غير ذلك من العلوم الطبيعية والتي هي علوم استفدناها من الكون دون الحاجة أن ينزل فيها علم من الله وذلك بما زودنا به سبحانه من الوسائل التي تمكنا بها من الحصول على هذه العلوم والمعارف من الكون مباشرة، ولهذا لم تكن هذه العلوم من شأن الوحي بل كان القرآن يتعامل معها باعتبارها مسلمات ليست موضوع نقاش من الجميع فكان سبحانه يضرب بها المثال على قدرته ووحدانيته إلى غير ذلك مما يدل على أنه سبحانه يعتبرها مصادر يقينية للعلم والمعرفة[1]، ولذا نجد الإمام ابن تيمية يسمي العلوم التي تتعلق بتربية الإنسان وتعليمه وهدايته عقائديًا ونفسيًا واجتماعيًا « علومًا سمعية» لأنها جاءت بالسماع عن طريق الوحي والنوع الذي يتعلق بجسده وعقله كالطب والهندسة والرياضيات والفلك يسميها « علومًا عقلية »، وكلا النوعين علومًا شرعية فيقول : « فإن الشرعيات ما أخبر الشارع بها وما دل الشارع عليها، وما دل الشارع عليها ينتظم ما يحتاج إلى علمه بالعقل وجميع الأدلة والبراهين وأصول الدين مسائل الإعتقاد ... وعلى هذا فتكون العلوم الشرعية قسمين عقلية وسمعية، وقد تبين بهذا أن كل علم عقلي أمر الشرع به أو دل الشرع عليه فهو شرعي أيضًا »[2] .

---

(1) انظر محمد الخرعان، العلم أصوله ومصادره ص ٤٢، وانظر مبارك الشريف مفهوم العلم ومصادر المعرفة ص١١-١٢ .

(2) الفتاوى لابن تيمية ١٩/٢٣٢-٢٣٣، وانظر الفكر التربوي عند ابن تيمية لماجد عرسان الكيلاني ص ١١٩-١٢٠، طبعة مكتبة دار التراث المدينة المنورة ط٢ ١٣٠٧هـ .

وابن كثير رحمه الله يؤكد ما قرره علماء السلف من أن الوحي هو المصدر الأول للحقائق والعلوم والمعارف والتشريعات، لأن أخباره صادقة وأحكامه عادله فقد « أمر بكل خير ونهي عن كل شر كما قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾[1] أي صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأحكام »[2]، وكذلك الكون هو مصدر للمعرفة عند ابن كثير فقد ذكر رحمه الله أن الله إمتن على عباده بأن أخرجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة فقال عند تفسير الآية : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[3] ، « ذكر منّته على عباده في إخراجه إياهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا ثم بعد هذا يرزقهم السمع الذي به يدركون الأصوات والأبصار التي بها يحسون المرئيات والأفئدة وهي العقول .... والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها وهذه القوى والحواس تحصل للإنسان على التدرج قليلًا قليلًا وكلما كبر زيد في سمعه وبصره وقوي عقله حتى يبلغ أشده »[4]، وقد أرشد الله سبحانه وتعالى أن يستفاد من هذه الحواس في تحصيل العلم والمعرفة وأن تستخدم في طاعة الله وعبادته، يقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[5]، « أي ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون، أي ما أقل

---

(١) سورة الأنعام آية ١١٥.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٧٩-٨٠ .

(٣) سورة النحل آية ٧٨.

(4) المرجع نفسه ٢/٧١٥ .

(٥) سورة الملك آية ٢٣.

ما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره »[1]، كما أشار ابن كثير أن هذه الحقائق والمدركات التي في الكون هي مما يضرب الله به الأمثال على قدرته ووحدانيته فيقول رحمه عند تفسير الآية : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢] ، «يقول تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تلك في ارتفاعها وإتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها وهذه الأرض في انخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ هذا يجئ ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه لا يتأخر عنه لحظة .... و تارة يطول ويقصر هذا وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتقارضان ... ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ أي في تسخيره البحر لحمل السفن من جانب إلى جانب لمعاش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم ونقل هذا إلى هؤلاء عند أولئك إلى هؤلاء ... ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ أي على اختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها وصِغرها وكِبرها ... ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ أي فتارة تأتي بالرحمة ... وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب وتارة تسوقه وتارة تجمعه وتارة تفرقه وتارة تصرفه .... ﴿لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي في هذه الأشياء دلالات بينة على وحدانية الله »[3] .

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٤٧١ .

(٢) سورة البقرة آية ١٦٤.

(3) المرجع نفسه ١/٢٥٠-٢٥١ .

وكذلك في استدلاله بالحس في رده على منكري البعث وأن هذه المشاهد من عظيم قدرته فقال رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾[1]، « وهي الأرض التي كانت هامدة فلمّا نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من أزاهير وغير ذلك مما يحار الطرف في حسنها وذلك بعد ما كانت لا نبات بها فأصبحت تهتز خضراء فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك كذلك يحي الله الموتى وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث »[2] .

وكذلك لفت النظر إلى ما هو مشاهد بالحس فقال عند تفسير الآية:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾[3]، « أي يظهر قدرته لخلقه بما يشاهدونه في خلقه العلوي والسفلي من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ ﴾ وهو المطر الذي يخرج به من الزرع والثمار ما هو مشاهد بالحس من اختلاف ألوانه وطعومه وروائحه وأشكاله وألوانه وهو ماء واحد فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء »[4]، كما بين رحمه الله أن ما يعرفه الإنسان عن طريق المشاهدة والمعاينة للمحسوس أبلغ تأثيرًا من الذي يعرفه عن طريق الخبر، فقال رحمه الله عند تفسير الآية:﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾[5]، « وفي هذه دلالة على

---

(١) سورة ق آية ١١.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٢٦٢ .

(٣) سورة غافر آية ١٣.

(4) المرجع نفسه ٤/٨٨ .

(٥) سورة الأعراف آية ١٠٥.

ما جاء في الحديث ليس الخبر كالمعاينة .... قال النبي ﷺ : (يرحم الله موسى ليس المعاين كالمخبر، أخبره ربه عز وجل أن قومه فُتِنوا بعده فلم يلق الألواح فلما رآهم وعاينهم ألقى الألواح)»[1].

وكذلك علم التجربة علم زائد على العلوم بل هو أقوى في تحصيل المطلوب من المعرفة الكثيرة، وقد أشار إلى ذلك ابن حجر، في شرح حديث الإسراء والمعراج وقد جاء فيه أن موسى عليه السلام قال لنبينا محمد ﷺ بعد ما فرضت عليه الصلاة خمسين صلاة كل يوم فقال موسى : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة .... الحديث[2]، فقال ابن حجر رحمه الله : « وفيه أن التجربة أقوى في تحصيل المطلوب من المعرفة الكثيرة »[3]، وكذلك الإمام ابن أبي جمره[4] رحمه الله قال تعليقًا على هذا الحديث : « فيه دليل على أن علم التجربة علم زائد على العلوم، ولا يقدر على تحصيلها بكثرة العلوم، ولا يكتسب إلا بها أعني التجربة، لأن النبي ﷺ هو أعلم الناس وأفضلهم سيما الآن الذي هو قريب عهد بالكلام مع ربه عز وجل وارد من موضع لم يطأه ملَكَ مقرب ولا نبي

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٣١٣/٢، والحديث أخرجه ابن حبان، كتاب التاريخ، باب يدبر الخلق رقم (٦٢١٤)، انظر : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ٩٧/١٤ طبعة مؤسسة الرسالة ط٢، ١٤١٤هـ، والحاكم في مستدركه ٣٨٠/٢، طبعة دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .

(2) أخرجه البخاري كتاب مناقب الأنصار باب المعراج رقم الحديث (٣٨٨٧) .

(3) فتح الباري لابن حجر ٢١٨/٧ .

(4) هو محمد بن أحمد بن عبد الملك ابن أبي جمرة الأموي بالولاء، أبو بكر فقيه مالكي، من أعيان الأندلس ولد بمرسيه وتفقه وولي خطة الشورى ارثًا عن آبائه وهو في نحو الحادية والعشرين، وتقلد قضاء مرسيه وبلنسيه وشافيه في مدد مختلفة، من كتبه نتائج الافكار ومناهج النظار في معاني الاثار، وإقليد التقليد، وغيرها توفي سنة ٥٥٩هـ . الأعلام ٣١٩/٥.

مرسل، ثم مع هذا التفضيل العظيم قال له موسى أنا أعلم بالناس منك ثم أعطاه العلة التي لأجلها كان أعلم منه بقوله : « عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة » فأخبره أنه أعلم في هذا العلم الخاص الذي لا يؤخذ ولا يدرك إلا بالمباشرة وهي التجربة»[1].

وقد نبه ابن كثير رحمه الله على أنه يمكن التوصل للأمور المعنوبة عن طريق الأمور الحسية فقال رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٢]، « لما ذكر تعالى من الحيوانات ما يسار عليه في السبل الحسية نبه على الطريق الدينية المعنوبة وكثيرًا ما يقع في القرآن العبور من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية النافعة »[3]،وابن كثير رحمه الله ينعى على الذين يكابرون المحسوسات ويرد عليهم ويبين خطأهم فيقول عند تفسير الآية : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[٤] ، « يقول تعالى مخبرًا عن كفر المشركين وعنادهم ومكابرتهم للحق ومباهتتهم ومنازعتهم فيه ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ أي عاينوه ورأوا نزوله وباشروا ذلك ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ وهذا كما قال تعالى مخبرًا عن مكابرتهم للمحسوسات ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ

---

(1) بهجة النفوس لأن أبي حمزة ٢١٦/٣، وانظر الدروس الدعوية المتعلقة بالصلاة من خلال حادثة الإسراء والمعراج، د. سليمان الحبس ص٣٤٣-٣٤٤، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد ٥٢ شوال ١٤٢٦هـ.

(٢) سورة النحل آية ٩.

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٩٦/٢ .

(٤) سورة الأنعام آية ٧.

يَعۡرُجُونَ ﴾[1] »[2]، وقال عند تفسير الآية : ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ﴿٤٤﴾ ﴾[3]، « يقول تعالى مخبرًا عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس »[4] .وأحيانًا نجد أن ابن كثير يجمع بين الوحي والكون كمصدرين للمعرفة فيقول عند تفسير الآية : ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ ﴾[5] ، « أي واحدة فوق واحدة وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط؟ أو هو من الأمور المدركة بالحس مما علم من التسيير والكسوفات فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضًا »[6] .

إلى غير ذلك مما عرضه ابن كثير وأشار إليه من المنهج الحسي مما هو جدير بالدعاة إلى استخدامه والاستفادة منه في الدعوة إلى الله وذلك بدعوة العلماء والمتخصصين في العلوم التطبيقية التجريبية ويعين في ذلك الاستدلال بالاعجاز العلمي في القرآن والسنة مع ملاحظة ضرورة عدم التوسع في استخدام النصوص الشرعية لتأييد النظريات العلمية والفرضيات، ويكتفى بالاستشهاد بها على الحقائق العلمية الثابتة بأسلوب مناسب .

وكذلك يستخدم المنهج الحسي في دعوة المتجاهلين للسنن الكونية والمنكرين للبديهيات العقلية، فإن المعاندين لا تفيد معهم إلا الحقائق المعتمدة على الملموسات والمحسوسات، وعلى هذا الاساس جاءت كثير من معجزات

---

(١) سورة الحجر آية ١٤ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ١٦١/٢ .

(٣) سورة الطور آية ٤٤.

(4) المرجع نفسه ٢٨٨/٤ .

(٥) سورة نوح آية ١٥.

(6) المرجع نفسه ٥٠٢/٤ .

الأنبياء والرسل عليهم السلام مادية محسوسة اضافة إلى ذلك فيستخدم المنهج الحسي في تعليم الأمور التطبيقية العملية والدعوة إليها وكلما كان الأمر المدعو إليه دقيقًا ومهمًا، كانت الحاجة إليه اشد كما فعل ﷺ في تعليم الوضوء والصلاة والحج وغير ذلك.

ثانيًا : الأدلة الشرعية « الوحي » :

تعريف الوحي لغة واصطلاحًا :

الوحي لغة الإعلام الخفي السريع[1] .

واصطلاحًا إعلام الله لنبي من أنبياءه بشرعه ودينه[2] .

والوحي يشمل القرآن والسنة.

والوحي مصدر لاكتساب المعرفة يقول تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾[٣]، وقال تعالى : ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾[٤] .

يقول ابن كثير في تفسير الآية : « فإن القرآن اشتمل على كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم»[5]، فعلماء السلف – ومنهم ابن كثير – يقررون أن الوحي مصدر أساس للحصول

---

(1) انظر الجوهري الصحاح مادة وحي .

(2) انظر ابن حجر العسقلاني فتح الباري ٩/١ .

(٣) سورة الشورى آية ٥٢ .

(٤) سورة النحل آية ٨٩ .

(5) التفسير ٧١٩/٢ .

على المعرفة وأن المعرفة المكتسبة عن طريق الوحي هي معرفة يقينية مطلقة سواء كانت أخبارًا أو حقائق غيبية أو في سنن الكون وهذا بخلاف الكتب السماوية المحرفة، يقول الإمام ابن كثير عند تفسير الآية : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[1]، أي حاكمًا على ما قبله من الكتب ... فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2] »[3]، وكذلك السنة فهي وحي مثل القرآن « تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن»[4]، وقد سبق أن استعرضنا موقف ابن كثير من الوحي كمصدر أساس للحقائق و المعارف والتشريعات وتقديمه على ما سواه في الفصل السابق فيمكن الرجوع إليه.

فابن كثير رحمه الله يعتبر طرق العلم ومصادر المعرفة هي الحس والعقل (الكون) والخبر (الوحي) وهو ما قرره شيخه ابن تيمية رحمه الله فقال : «طرق العلم ثلاثة : الحس والعقل والمركب منهما كالخبر، فمن الأمور ما لا يمكن علمه إلا بالخبر، كما يعلمه كل شخص بأخبار الصادقين كالخبر

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٢) سورة الحجر آية ٩ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٨٦/٢ .

(4) المرجع نفسه ١٠/١ .

المتواتر، وما يعلم بخبر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وهذا التقسيم يجب الإقرار به، وقد قامت الأدلة اليقينية على نبوَّات الأنبياء وأنهم يعلمون بالخبر ما لا يُعلم إلا بالخبر، وكذلك يُعلَّمون غيرهم بخبرهم ويمتنع أن يقوم دليل صحيح على أن كل ما أخبر به الأنبياء يمكن معرفته بدون الخبر ولهذا كان أكمل الأمم علما المقرون بالطرق الحسية والعقلية والخبرية فمن كذب بطريقة منها فاته من العلوم بحسب ما كذَّب به من تلك الطرق »[1] .

---

[1] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/١٧٨ .

الفصل الثالث

الاحتجاج باللغة العربية منهج دعوي لدى ابن كثير

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : مكانة اللغة العربية من الدين

المبحث الثاني : اعتماد ابن كثير اللغة العربية في تفسيره القرآن الكريم

المبحث الثالث : عناية ابن كثير بالمصطلحات

المبحث الأول

مكانة اللغة العربية من الدين

تعريف كلمة لغة :

اللغة مشتقة من لغا يلغو إذا تكلم، فمعناها الكلام فهذا تعريفها في اللغة[1] .

وأما في الاصطلاح فقد عُرِّفت بتعريفات من أشهرها ما ذكره ابن جني[٢] في كتابه الخصائص فقال : « حد اللغة أصوات يُعّبر بها كل قوم عن أغراضهم»[3] وعرفها ابن الحاجب بأنها « كل لفظ وضع لمعنى »[4]، وعرفها البعض بأنها : « نظام من الرموز الصوتية، أو مجموعة من الصور تختزن في أذهان أفراد في الجماعة اللغوية، تستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين »[5] .

أصل نشأة اللغة وأشهر النظريات في ذلك :

هناك عدة نظريات في أصل نشأة اللغة :

---

(1) لسان العرب ٢٥١/١٥ .

(٢) هو عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح من أئمة الأدب والنحو، وله شعر، ولد بالموصل وتوفي ببغداد، عن نحو ٦٥ عامًا، وكان أبوه مملوكًا روميًا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي، من تصانيفه رسالة في من نسب إلى أمه من الشعراء، وشرح ديوان المتنبي و الخصائص واللمع وغيرها توفي سنة ٣٩٢هـ (الأعلام ٢٠٤/٤) .

(3) الخصائص ٨٧/١ .

(4) بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب لأبي الثناء الأصفهاني ١٥٠/١ .

(5) علم اللغة، د. حاتم الضامن ص ٣٢، وانظر محمد إبراهيم الحمد، فقه اللغة ص ١٨-١٩ مطبعة دار ابن خزيمة، ط١ ١٤٢٦هـ .

النظرية الأولى : نظرية التوقيف والإلهام، فأصحاب النظرية يرون أن اللغة الإنسانية إلهام ووحي من الله عز وجل، ولا دخل للإنسان في وضعها فهي توقيفية لا مجال للإجتهاد فيها، وممن يرى هذا الرأي ابن فارس حيث يقول: « إن لغة العرب توقيف ودليل ذلك قوله جل ثناؤه: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[1] »[2] .

النظرية الثانية : نظرية التواضع والاصطلاح، فاللغة مواضعة واتفاق بين الناس بحيث يصطلحون على كذا وكذا من الألفاظ، وممن يقول بهذا أبي هاشم الجبائي[3] كما حكاه عنه ابن تيمية[4] .

النظرية الثالثة : نظرية المحاكاة والتقليد فيرون أصحاب هذه النظرية أن منشأ اللغة بدأت محاكاة للاصوات الطبيعية وتقليدًا للأصوات المسموعة من الحيوانات والأشجار وصوت الرعد وغيره، يقول ابن جني : « وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا وجه صالح ومذهب متقبل»[5] .

---

(١) سورة البقرة آية ٣١ .

(2) الصاحبي ص ١٣ .

(3) هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب أبو هاشم الجبائي المعتزلي، من أبناء أبان مولى عثمان، عالم بالكلام، من كبار المعتزلة، له آراء وإنفراد بها وتبعته فرقة سميت البهشمية نسبة إلى كنيته أبي هاشم وله مصنفات منها الشامل وتذكرة العالم والعدة في أصول الفقه، توفي سنة ٣٢١هـ (الأعلام ٧/٤) .

(4) الفتاوى ٦٢/٧ .

(5) الخصائص ٩٨/١-٩٩، انظر أيضًا محمد الحمد فقه اللغه ص ٥٦-٦٢،مرجع سابق

والنظرية الرابعة هي نظرية الغريزة الكلامية، وهذه النظرية ترى أن الإنسان مزوّد بغريزة خاصة كانت تحمل كل إنسان على التعبير عن كل مدرك حسي أو معنوي بكلمة خاصة، ولذلك إتحدت المفردات والتعابير عند الإنسان الأول وأنه بعد نشأة اللغة لم يستخدم الإنسان هذه الغريزة فانقرضت[1].

وحاول البعض التوفيق بين القول بالإلهام والقول بالاصطلاح والمواضعة كالقاضي أبو بكر بن الباقلاني[2] كما نقله السيوطي عنه في المزهر: «وقال القاضي أبو بكر يجوز أن يثبت توقيفًا ويجوز أن يثبت اصطلاحًا ويجوز أن يثبت بعضه توقيفًا وبعضه اصطلاحًا والكل ممكن »[3] .

وعلى كل حال فكل منهما يحتمل شيئًا من الصواب ويتوجه إليه اعتراض فلو جمعنا النظريات وأخذنا الجانب الإيجابي من كل منها دون إغفال لنظرية أخرى لربما أمكن الوصول إلى تصور أفضل، فالله سبحانه علم آدم الإسماء كما وهب الإنسان قدرة على التعبير عما في نفسه، فذلك الجهاز المسمى بجهاز النطق، وذلك العقل المدبر المحرك للإنسان قادران على التعبير فما يستجد من أمور، إما عن طريق التقليد والمحاكاة كما هو الحال عند الأطفال، وإما عن طريق الاصطلاح كما يحدث كلما جد جديد في الحياة

---

(1) انظر المرجع نفسه، ٦٢-٦٣ .

(2) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو الطيب الباقلاني، قاض، من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها، كان جيد الأستنباط سريع الجواب، وجهه عضد الدولة سفيرًا عنه إلى ملك الروم فجرت له في القسطنطنية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها، من كتبه اعجاز القرآن والأصناف ومناقب الأئمة ودقائق الكلام وغيرها، توفي سنة ٤٠٣هـ (الأعلام ١٧٦/٦) .

(3) المزهر ٢٠/١، وانظر المرجع نفسه ص ٦٤ .

وضع له الاصطلاح المناسب وبهذا يمكن الجمع بين النظريات في تصور نشأة اللغة[1] .

فضل اللغة العربية :

اللغة العربية لها فضل وتميز على غيرها من اللغات وذلك من جهة اعتدال كلماتها، حيث أن أكثر ألفاظها وُضِع على ثلاثة أحرف، وأقل من ذلك ما وضع على أربعة أحرف، وأقل من الرباعي ما وضع على خمسة أحرف، ولا يوجد فيها كلمة ذات ستة أحرف أصلية، كما أن لها فضل من جهة فصاحة مفرداتها وجمالها وحسنها فليس في كلماتها الجارية في الإستعمال ما يثقل على اللسان أو ينبو عنه السمع، ويمكن أن تصاغ من مفرداتها خطبًا تسترق الأسماع وتسحر الألباب، وكذلك فاللغة العربية أقرب سائر اللغات إلى قواعد المنطق فعباراتها سلسة طبيعية يسهل على الإنسان أن يعبر فيها عما يريده دون تصنع أو تكلف، ثم أن تعدد أساليبها مما يشهد بارتقائها وسعة نمائها في البيان إلى غير ذلك من الصفات التي تجعل اللغة العربية تختلف عن غيرها من اللغات وتتميز عليها[2] .

أثر الإسلام على اللغة العربية :

لقد كان للإسلام أثر كبير على اللغة العربية لا سيما ما جاء في الوحي المنزل من القرآن والسنة من الفصاحة والبلاغة، فلقد كان لذلك تأثير كبير في نهضة اللغة العربية وارتقاء مستواها وسمو منزلتها ولقد وصف هذا الأثر ابن

---

(1) انظر المرجع نفسه ٦٤-٦٥ .

(2) انظر المرجع نفسه ص١٣٣-١٣٤ .

فارس في كتابه الصاحبي حيث قال : « كانت العربية في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرابينهم، فلما جاء اللّه – جل ثناؤه – بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أُخر بزيادات زِيْدت، وشرائع شُرِعت، وشرائط شُرِطت، فعفى الآخر الأول، وشغل القوم بعد المغاورات والتجارات وتطلّب الأرباح والكدح للمعاش في حالة الشتاء والصيف، وبعد الإغرام بالصيد والمعاقرة والمياسرة، بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وبالتفقه في دين اللّه – عز وجل – وحفظ سنة رسول اللّه ﷺ مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الإسلام فصار الذي نشأ عليه آباؤهم ونشأوا عليه كأن لم يكن، وحتى تكلموا في دقائق الفقه وغوامض أبواب المواريث وغيرها من علم الشريعة وتأويل الوحي بما دُوِّن وحُفظ حتى الآن فصاروا بعد ما ذكرنا – إلى أن يُسأل إمام من الأئمة وهو يخطب على منبره على فريضة فيفتي ويحسب بثلاث كلمات ... فسبحان من نقل أولئك في الزمن القريب بتوفيقه عما أَلِفوه ونُشِّئوا عليه وغُذُّوا به إلى مثل هذا الذي ذكرناه، وكل ذلك دليل على حق الإيمان وصحة نبوة نبينا محمد ﷺ، فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان هو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافًا بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنًا وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والسَّتر، ومما جاء في الشرع الصلاة وأصلها في لغتهم الدعاء، وقد كانوا عرفوا الركوع والسجود، وإن لم يكن على هذه الهيئة فقالوا :

أوْ دُرةٍ صدفية غوّاصها بَهج متى يرها يُهلَّ ويسْجدُ [1]

وكذا الصيام أصله عندهم الإمساك ويقول شاعرهم :

خيلٌ صيام وأخرى غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللُجما [2]

ثم زادت الشريعة النية وحظرت الأكل والمباشرة، وغير ذلك من شرائع الصوم، وكذلك الحج لم يكن عندهم فيه غير القصد وسَبْر الجراح من ذلك قولهم :

وأشهد من عرف حلولًا كثيرة يَحجُّون سِبَّ الزَّبرقان المُزعفرا [3]

ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره، وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء وزاد الشرع ما زاده فيها مما لا وجه لإطالة الباب بذكره، وعلى هذا سائر ما تركناه من العمرة والجهاد وسائر أبواب الفقه، كل ذلك له اسمان لغوي وصناعي »[4] .

وهكذا فالإسلام خطا بالعربية خطوات كبيرة بعد أن كانت محصورة في مكان محدد فعمَّت البلاد الإسلامية كلها وأثبتت – باستيعابها لكتاب الله أولًا ثم بنقلها لكل العلوم العربية وغير العربية ثانيًا – أنها لغة حية قادرة على مسايرة الحياة وليست لغة عقيمة جافة كما يصورها من يجهل اللغة العربية وقيمتها ومنزلتها[5] .

---

(١) القائل هو النابغة الذبياني انظر ترجمته ص ١٩٨ .

(٢) البيت لخلف الأحمر وقيل للنابغة الذبياني انظر المزهر للسيوطي ١/ ١٣٩ .

(٣) القائل هو المخبل السعدي ربيع بن مالك انظر ترجمته في الأعلام ٣ / ١٥ .

(4) الصاحبي ص ٤٤-٤٦، وانظر المرجع نفسه ١٢٩-١٣٢ .

(5) انظر المرجع نفسه ١٢٩ .

مكانة اللغة من الدين :

لا شك أن اللغة العربية هي الوسيلة لفهم القرآن والسنة لذا فإن سبب ضلال من ضل من الأمة بسبب الجهل بدلالة ألفاظ القرآن الكريم وذلك نتيجة لعدم العلم بالعربية التي هي لغة القرآن والسنة « فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله ﷺ على ما يدَّعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك »[1] .

فأهمية اللغة العربية ومكانتها في الدين تكمن في أن علوم الشريعة لها إرتباط وثيق بالعربية فلا غنى لعلم من علوم الشريعة عنها « فصارت معرفة اللسان العربي من العربية لأن معرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني »[2]، يقول الزمخشري مبينًا أهمية اللغة العربية وارتباط العلوم الشرعية بها: «وذلك أنهم لا يجدون علمًا من العلوم الإسلامية فقَهها وكلامها وعلمي تفسيرها وأخبارها إلا وافتقاره إلى العربية بَيِّن لا يدفع ومكشوف لا يُتَقنَّع، ويرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنيًا على علم الإعراب والتفاسير مشحونة بالرواية عن سيبويه[٣] والأخفش[١] والكسائي[٢] والفرّاء[٣]

---

(1) الفتاوى لابن تيمية ١١٦/٧ .

(2) الفتاوى لابن تيمية ١١٦/٧، وانظر اقتصاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٢٠٤ .

(٣) هو عمر بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر الملقب بسيبويه، إمام النحاة وأول من بسط علم النحو، ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، وصنف كتابه المسمى كتاب سيبويه لم يضنع قبله ولا بعده مثله ورحل إلى بغداد فناظر الكسائي وأجازه الرشيد بعشرة ألاف درهم، وعاد إلى الأهواز فتوفي بها سنة ١٨٠هـ (الأعلام ٨١/٥) .

وغيرهم من النحويين البصريين والاستظهار في مآخذ النصوص بأقاويلهم والتشبث بأهداب فَسْرهم وتأويلهم، وبهذا اللسان مناقلتهم في العلم ومحاولاتهم وتدريسهم ومناظرتهم وبه تقطر في القراطيس أقلامهم وبه تسطَّر الصكوك والسجلات حكامهم فهم ملتبسون بالعربية أية سلكوا غير منفكين عنها أينما وجهوا كل عليها حيث سَيَّروا »[4] .

---

(١) هو عبد الحميد بن عبد المجيد مولى قيس بن ثعلبة، أبو الخطاب الأخفش، من كبار العلماء بالعربية لقي الأعراب وأخذ عنهم، وهو أول من فسر الشعر تحت كل بيت وما كان الناس يعرفون ذلك قبله، وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها، توفي سنة ١٧٧هـ (الأعلام ٢٨٨/٣) .

(٢) هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي، إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة، ولد في إحدى قراها وتعلم بها وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية وسكن بغداد وتوفي بالري عن سبعين عامًا سنة ١٨٩هـ، وهو مُؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين، له تصانيف منها معاني القرآن والمصادر والحروف والقراءات والنوادر وغيرها (الأعلام ٢٨٣/٤) .

(٣) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي مولى بني أسد أبو زكريا المعروف بالفراء، إمامم الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، كان يقال الفراء أمير المؤمنين في النحو، ومن كلام ثعلب لولا الفراء ما كانت اللغة، ولد بالكوفة وانتقل إلى بغداد وعهد إليه المؤمون بتربية أبنيه فكان أكثر مقامه بها، توفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ، من كتبه المقصود والمحدود، ومعاني القرآن، اللغات، والمذكر والمؤنث، وغيرها (الأعلام ١٤٦/٨) .

(4) المفصل للزمخشري ص٣، وانظر فقه اللغة لمحمد الحمد ص ٢٩-٣٠ مرجع سابق .

المبحث الثاني

اعتماد ابن كثير اللغة العربية في تفسيره القرآن الكريم

توطئة :

نزل القرآن الكريم بلغة العرب كما قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾[2]، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3]، وغيرها من الآيات التي تدل على أن القرآن نزل بلغة العرب على نبي من العرب وهو محمد ﷺ، ولذلك تعتبر اللغة العربية من أهم مصادر تفسير القرآن الكريم، والصحابة رضوان الله عليهم يرجعون إلى اللغة العربية في معرفة معاني القرآن وتفسيره ويستشهدون بأشعار العرب وأقوالهم فالشعر ديوان العرب كما يقول ابن عباس: « الشعر ديوان العرب فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم فالتمسوا معرفة ذلك »[4]،وقد روي عنه رضي الله عنه أنه قال : « ما كنت أدري ما قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ۝٨٩ ﴾[5] ، حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري[1] وهي تقول

---

(١) سورة يوسف آية ٢ .

(٢) سورة فصلت آية ٢ .

(٣) سورة الزخرف آية ٣ .

(4) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٩٤/١ مرجع سابق .

(٥) سورة الأعراف آية ٨٩ .

أفاتحك يعني أقاضيك » وقال أيضًا : « ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما أنا فطرتها ابتدأتها »[2]، بل إن السلف رحمهم الله شددوا في منع من ليس له علم بلغة العرب أن يفسر القرآن كما قال الإمام مالك رحمه الله : « لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالًا »، وعن مجاهد قال : « لا يحل لأحد يؤمن بالله وباليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب »[3]، وقال الزركشي في غريب القرآن : « وهذا الباب عظيم خطير ومن هنا تهّيب كثير من السلف تفسير القرآن وتركوا القول فيه حذرًا أن يَزِلُّوا فيذهبوا عن المراد وإن كانوا علماء في اللسان فقهاء في الدين وكان الأصمعي وهو إمام اللغة لا يفسر شيئًا من غريب القرآن »[٨]، وقال الزركشي أيضًا : « واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله ولا يكفي في حقه تعلم اليسير فيها فقد يكون اللفظ مشتركًا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الأخر »[4] .

---

(١) هو سبف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير بن سبأ ويكنى أبا مرة، وقد خرج إلى ملك بصرى ملك الروم وشكا له ما هم فيه من أمر الحبشة وسأله أن يخرجهم عنه ويليهم هو يخرج إليهم من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن فلم يشكه، فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر عامل كسرى على الحيرة فأدخله على كسرى فبعث معه كسرى جيشًا، وحملت الفرس على الحبشة فهزمتهم وقتلوا وهربوا في كل وجه، ووفدت العرب من الحجاز على سيف يهنئونه بعودة الملك إليه (البداية والنهاية ١٥٨/٣-١٦١).

(2) البرهان ٢٩٣/١ .

(3) البرهان ٢٩٢/١ .

(٨) المرجع نفسه٣٩٣/١

(4) البرهان ص ٢٩٢/١، وانظر اللاحم، منهج ابن كثير ص ٣٦٧-٣٧٢ مرجع سابق .

وغالب العلوم التي يحتاج إليها المفسر ترجع إلى اللغة العربية كمعرفة اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع وعلم القراءات وغيرها[1] .

فلأهمية اللغة العربية في تفسير القرآن ومعرفة معانيه نجد أن الإمام ابن كثير رحمه الله اعتمد عليها في تفسير القرآن اعتمادًا كبيرًا وأولاها عناية تامة وهذا ما سنتطرق إليه في هذا المبحث من خلال المطالب التالية .

---

(1) انظر السيوطي الاتقان ٢/١٨٠١٨١ .

المطلب الأول

رجوع ابن كثير إلى اللغة واحتكامه إليها

ويتمثل ذلك في :

أ. الاستشهاد بكلام العرب شعرًا ونثرًا :

أما الاستشهاد بما ورد عن العرب من الشعر فهو كثير[1] من ذلك مثلًا قوله: « وأما الآية من العلامة على انقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها وانفصالها أي هي بائنة عن أختها ومنفردة قال تعالى : ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ﴾[2] وقال النابغة[3] :

توهمت آيات لها فعرفتها لِستَة أعوام وذا العام سابع[4]

وقال عند تفسير الآية : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ

---

(1) انظر مثلًا ١/١٧، ١/٢٥، ١/٣٠، ١/٥٥، ١/٥٦، ١/٥٩، ١/٦٤، ١/٧١، ١/٧٣، ١/٨٤، ١/٨٧، ١/٨٨، ١/١١٣، ١/١٦٧، ١/٢٠٢، ١/٢٨٤، ١/٢٨٥، ١/٣٣٥، ١/٣٦٣، ١/٣٦٤، وهذا فقط في سورتي الفاتحة والبقرة .

(٢) سورة البقرة جزء من آية ٢٤٨.

(3) هو زياد بن معاوية بن ضباب الغطفاني المصري، أبو امامة، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها، وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة وكان أبو عمرو بن العلاء يفضله على سائر الشعراء، وهو أحد الاشراف في الجاهلية وكان أحسن شعراء العرب ديباجة لا تكلف في شعره ولا حشو وعاش عمرًا طويلًا ومات سنة ١٨ قبل الهجرة . الأعلام ٣/٥٤، ٥٥ .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ١/١٦ .

يُنفِقُونَ ﴾[1]، « وأصل الصلاة في كلام العرب الدعاء قال الأعشى[2] :

لها حارس لا يبرح الدهر بيتها وان ذبحت صلى عليها وزمزما[3]

وعند تفسير الآية : ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[4]، قال : « اختلف علماء العربية في معنى قوله تعالى : ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ بعد الاجتماع على استحالة كونها للشك فقال بعضهم : أو هاهنا بمعنى الواو تقديره كالحجارة أو أشد قسوة كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾[5] .

وقال ابن جرير: وقال جرير[6] بن عطية :

---

(1) سورة البقرة من الآية ٣ .

(2) هو ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس من ثعلبة الوائلي، أبو بصير المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والاعشى الكبير، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعرا منه، وكان يغنى بشعره فسمي صناجة العرب، عاش طويلًا وأدرك الإسلام ولم يسلم، ولقب بالاعشى لضعف بصره وعميّ في آخر عمره، مولده ووفاته في قرية منفوحة باليمامة سنة ٧هـ . الأعلام ٣٤١/٧.

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٩/١، ومعنى ذبحت استعارة لثب الاناء، والجامع هو سيلان الخمر من الدن كسيلان دم الذبيحة، صلى عليها يقصد أنه امتدح جودتها، زمزم استعارة قصد بها الاشارة إلى صوت العلوج حين يديرون الكلام في خياشيمهم دون اللسان فلا يفهمه سواهم، ديوان الاعشى، شرحه وضبط نصوصه عمر فاروق الطباع ص ٢١٧، طبعة دار القلم بيروت ١٣٩٣هـ .

(4) سورة البقرة من الآية ٧٤ .

(5) سورة الإنسان آية ٢٤ .

(6) هو جرير بن عطيه بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي من تميم اشعر أهل عصره ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمانه ويساجلهم وكان هجاءًا مرًا فلم يثبت امامه غير الفرزدق والاخطل، وكان عفيفا وقد جمعت نقائضه مع الفرزدق وديوان شعره وأخباره مع الشعراء وغيرهم كثيرة جدا مات سنة ١١٠هـ . الأعلام ١١٩/٢

نال الخلافة أو كانت له قدرًا كما أتى ربه موسى على قدر

قال ابن جرير يعني نال الخلافة وكانت له قدرًا »[1] .

وعند تفسير الآية : ﴿فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾[٢] ، قال : « ضربوا في الأرض ... ويقال لمن طوّف في البلاد نقب فيها قال امرؤ القيس[3] :

لقد نقبت في الأرض حتى رضيت من الغنيمة بالإياب »[4] .

وأما استشهاد ابن كثير النثر فمن أمثلته :

ما جاء عند تفسير الآية : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (البقرة ٢٦)، «والفاسق في اللغة الخارج عن الطاعة ... وتقول العرب فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرتها ولهذا يقال للفأرة الفويسقة لخروجها من جحرها للفساد »[5] .

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ١/١٤٤-١٤٥ .

(٢) سورة ق آية ٣٦ .

(3) هو امرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي من بني آكل المرار اشهر شعراء العرب على الاطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد اشتهر بلقبه، وكان أبوه ملك اسد وغطفان وأمه اخت المهلهل الشاعر فلقنه الشعر فقاله وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب فبلغ بذلك اياه فنهاه عن سيرته فلم ينته فأبعده إلى حضرموت وهو في نحو العشرين من عمره فأقام زهاء خمس سنين إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فبلغ ذلك امرئ القيس وهو جالس للشراب فقال رحم الله أبي ضيعني صغيرًا وحملني دمه كبيرا لاصحو اليوم ولا سكر غدا . اليوم خمر وغدا امر، ونهض من غده فلم يزل حتى ثار لأبيه من بني أسد وقال في ذلك شعرا كثيرا، ويعرف امرئ القيس بالملك الضليل لإضطراب أمره طول حياته وكتب الادب محشوة بأخباره مات سنة ٨٠ قبل الهجرة . الأعلام ٢/١١.

(4) المرجع نفسه ٤/٢٦٩ .

(5) المرجع نفسه ١/٨٦ .

وعند تفسير الآية : ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[1]، قال : «واليتامى هم الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء، وقال أهل اللغة : اليتيم في بني آدم من الآباء ومن البهائم من الأم »[2] .

وعند تفسير الآية : ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[3]، قال : «قال ابن جرير : والعرب تسمي اليقين ظنًا و الشك ظنًا نظير تسميتهم الظلمة سُدْفةً والضياء سُدْفَةً . والمغيث صارخًا والمستغيث صارخًا وما أشبه ذلك من الأسماء التي يسمى بها الشيء وضده »[4] .

وعند تفسير الآية : ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[5]، قال : « قيل تأكيد كما تقول العرب رأيت بعيني ووسمعت بأذني وكتبت بيدي »[6]، وعند تفسير الآية: ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ﴾[7]، قال : « والنطيحة فعيلة بمعنى مفعوله أي منطوحة وأكثر ما ترد هذه البنية في كلام العرب بدون تاء تأنيث فيقولون: كف خضيب وعين كحيل، ولا يقولون : كف خضيبة ولا عين كحيله وأما هذه فقال بعض النحاة إنما استعمل فيها تاء التأنيث لأنها أجريت مجرى الأسماء كما في قولهم : طريقة طويلة وقال بعضهم إنما أُتي بتاء التأنيث فيها لتدل على

---

(١) سورة البقرة آية ٨٣ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ١٥١/١ .

(٣) سورة البقرة الآية ٤٦ .

(4) المرجع نفسه ١١٣/١ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٩٦ .

(6) المرجع نفسه ٢٩٢/١ .

(٧) سورة المائدة آية ٢٢ .

التأنيث من أول وهلة بخلاف (عين كحيل، وكف خضيب) لأن التأنيث مستفاد من الكلام »[1] .

وأخيرًا عند تفسير الآية : ﴿فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾[٢]، قال : « وأهل اللغة يقولون النوص التأخر والبوص التقدم ولهذا قال تعالى : ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ أي ليس الحين حين فرار ولا ذهاب »[3] .

ب. ذكر أقوال أهل اللغة والاستشهاد بها :

كالجوهري والزجاج[4] وسيبويه والفراء والأصمعي والخليل[5] وغيرهم فمن أمثلة ذلك :

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ١٦/٢ .

(٢) سورة ص آية ٣ .

(3) المرجع نفسه ٣٣/٤ ، وانظر للاستزادة : ٣٣/١، ١٧/١، ٢٩/١، ١٤٤/١، ١٥٣/١، ٤/٢، ٦٠١/٢، ٣٩٩/٣، ٤٢٥/٣، ٤٩١/٣، ٧/٣، ٢٦٩/٤، ٣٤٥/٤، ٥٤٦/٤ .

(4) هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو اسحاق الزجاج عالم بالنحو واللغة، ولد ومات في بغداد، كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد، وطلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدبا لابنه القاسم فدله المبرد على الزجاج فطلبه الوزير فأدب له ابنه إلى أن ولي الوزارة مكان أبيه فجعله القاسم من كتابه فاصاب في ايامه ثروة كبيرة وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره من كتبه معاني القرآن والاشتقاق والامالي والمثلث وغيرها توفي سنة ٣١١هـ . الأعلام ٤٠/١.

(5) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الازدي، أبو عبد الرحمن من أئمة اللغة والادب وواضع علم العروض، اخذه من الموسيقى وكان عارفا بها وهو استاذ سيبويه في النحو، ولد ومات في البصرة، وعاش فقيرا صابرا كان شعث الراس شاحب اللون مغمورا في الناس لا يعرف، له كتاب العين في اللغة ومعاني الحروف والعروض وغيرها توفي سنة ١٧٠هـ . الأعلام ٣١٤/٢.

ما جاء عند تفسير الآية : ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾[1]، قال ابن كثير : «والجلباب هو الرداء فوق الخمار ... قال الجوهري : الجلباب الملحفة قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلًا لها :

تمشي النسورُ إليه وَهْيَ لا هَيةٌ مَشيَ العذارى عليهنَّ الجلابيبُ »[2] .

وعند تفسير الآية : ﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾[3] ، قال الفراء معناه مال عليهم ضربًا باليمين، وقال قتادة والجوهري فأقبل عليهم ضربًا باليمين »[4] .

وعند تفسير الآية : ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ ﴾[5] قال : « وما أنت بمجبرهم على الإيمان إنما أنت مبلغ قال الفراء سمعت العرب تقول جبر فلان فلانًا على كذا بمعنى أجبره»[6] .

وعند تفسير الآية : ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴿١٤﴾ ﴾[7] ، « أي من السحاب .... وقال الفراء هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد ، كما يقال امرأة معصر إذا دنا حيضها ولم تحض »[8] .

---

(١) سورة الاحزاب آية ٥٩. .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٣٧/٣ .

(٣) سورة الصافات آية ٩٢ .

(4) المرجع نفسه ١٨/٤ .

(٥) سورة ق آية ٤٥ .

(6) المرجع نفسه ٣٧١/٤ .

(٧) سورة النبأ آية ١٤ .

(8) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٤٦/٤ .

وعند تفسير الآية : ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ ﴾[1] ، « أي سبحي معه ... وقال أبو القاسم ابن إسحاق الزجاجي في كتابه الجمل في باب النداء منه ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ ﴾ أي سيري معه بالنهار كله والتأويب سير النهار كله والإساد سير الليل كله وهذا لفظه وهو غريب جدًا لم أجده لِغيره وان كان له مساعدة من اللفظ في اللغة لكنه بعيد في معنى الآية هاهنا والصواب أن المعني في قوله تعالى : ﴿ أَوِّبِي مَعَهُۥ ﴾ أي رجعي مسبحةً معه كما تقدم والله أعلم »[2] .

وعند تفسير الآية : ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ﴾[3]، قال : « والويل الهلاك والدمار وهي كلمة مشهورة .... وقال الخليل بن أحمد : الويل شدة الشر، وقال سيبويه : ويل لمن وقع في الهلكة وويح لمن أشرف عليها، وقال الأصمعي : الويل تفجع والويح ترحم، وقال غيره : الويل الحزن، وقال الخليل في معنى ويل : ويح وويس وويه وويك وويب ومنهم من فرق بينها »[4] .

---

(١) سورة سبأ آية ١٠ .

(2) المرجع نفسه ٦٤٧/٣ .

(٣) سورة البقرة آية ٧٩

(4) التفسير ١٤٨/١-١٤٩ .

المطلب الثاني

اهتمام ابن كثير رحمه الله بشتى جوانب اللغة

إهتم ابن كثير في تفسيره بشتى جوانب اللغة من نحو وتصريف وبلاغة واشتقاق وغير ذلك، فمن الأمثلة على اهتمامه بالنحو ما جاء عند تفسير الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ﴾[1] قال : « أي : أي مثل كان، بأي شيء كان، صغيرًا كان أو كبيرًا، وما هاهنا للتقليل وتكون بعوضه منصوبة على البدل كما تقول لأضربن ضربًا ما، فيصدق بأدنى شيء واختار ابن جرير أن ما موصولة وبعوضه معربة إعرابها قال : وذلك سائغ في كلام العرب .... قال : ويجوز أن تكون بعوضة منصوبه بحذف الجار وتقدير الكلام إن الله لا يستحي أن يضرب مثلًا ما بين بعوضة إلى ما فوقها وهذا الذي اختاره الكسائي والفراء »[2].

وعند تفسير الآية : ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ ﴾[3] ، قال : «إنما صرف عرفات وان كان علمًا على مؤنث لأنه في الأصل جمع كمسلمات ومؤمنات سمي به بقعة معينة فروعي فيه الأصل فصرف اختاره ابن جرير »[4]،

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦ .

(2) المرجع نفسه ١/٨٤ .

(٣) سورة البقرة آية ١٩٨ .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٣٠٠ .

وعند تفسير الآية : ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨ ﴾[1] ، قال : « وانتصاب صبغة الله على الإغراء كقوله ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[2]، أي ألزموا ذلك عليكموه، وقال بعضهم بدلًا من قوله : ﴿ مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾[3] وقال سيبويه هو مصدر مؤكد انتصب على قوله : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾[4]، كقوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ﴾[5] »[6].

ومن الأمثلة على تعرضه للنواحي الصرفية، ما جاء عند تفسير الآية : ﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ١٠ ﴾[7] ، قال : « وقد قرأ الجميع ﴿ مَعَٰيِشَۗ ﴾ بلا همز إلا عبد الرحمن بن هرمز[8] الأعرج فإنه همزها والصواب الذي عليه الأكثرون بلا همز لأن معايش جمع معيشة من عاش يعيش عيشًا ومعيشة أصلها مَعْيَشة فاستثقلت الكسرة على الياء فنقلت إلى العين فصارت معيشة فلما جمعت رجعت الحركة إلى الياء لزوال الاستثقال فقيل معايش ووزنه مفاعل لأن الياء أصلية في الكلمة، بخلاف مدائن وصحائف

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٨ .

(٢) سورة الذاريات آية ٥٠ .

(٣) سورة البقرة آية ٣٠ .

(٤) سورة البقرة آية ٨ .

(٥) سورة المائدة من الآية ٩ .

(6) المرجع نفسه ١/٢٣٤ .

(٧) سورة الأعراف آية ١٠ .

(8) هو عبد الرحمن بن هرمز أبو داود، من موالي بني هاشم عرف بالأعرج، حافظ قارئ من أهل المدينة، ادرك ابا هريرة وأخذ عنه، وهو أول من برز في القرآن والسنة وكان خبيرا بأنساب العرب وافر العلم ثقة رابط بثغر الاسكندرية مدة مات بها سنة ١١٧هـ . الأعلام ٣/٣٤٠.

وبصائر، جمع مدينة وصحيفة وبصيرة من مَدَن وصحَّف وأبصر فإن الياء فيها زائدة ولهذا تجمع على فعائل وتهمز لذلك والله أعلم »[1]، وعند تفسير الآية : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ ﴾[٢]، قال : « والنطيحة فعيلة بمعنى مفعوله، أي منطوحة وأكثر ما هذه البنْية في كلام العرب بدون تاء التأنيث فيقولون : (كف خضيب وعين كحيل) ولا يقولن : (كف خضيبة ولا عين كحيلة) وأما هذه فقال بعض النحاة إنما استعمل فيها تاء التأنيث لأنها أجريت مجرى الأسماء كما في قولهم طريقة طويلة وقال بعضهم إنما أُتي بتاء التأنيث فيها لتدل على التأنيث من أول وهلة بخلاف (عين كحيل وكف خضيب) لأن التأنيث مستفاد من أول الكلام »[3]،وكذلك عند تفسير الآية:﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[٤]، قال : « نزَّل فعَّل من التكرر والتكثر كما قال تعالى ﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾[٥]لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة، والقرآن نزل منجمًا مفرقًا مفصلًا آيات بعد آيات، وأحكام بعد أحكام، وسورًا بعد سور، وهذا أبلغ وأشد اعتناء بمن أُنزل عليه »[6] .

ومن الأمثلة على الاشتقاق ما جاء عند كلام ابن كثير على أحكام الاستعاذة فقال : « والشيطان في لغة العرب مشتق من شطن إذا بعد ... وقيل

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٢٥٧ .

(٢) سورة المائدة آية ٣.

(3) المرجع نفسه ٢/١٦ .

(٤) سورة الفرقان آية ١ .

(٥) سورة النساء آية ١٣٦ .

(6) المرجع نفسه ٣/٣٨٤ .

مشتق من شاط لأنه مخلوق من نار، ومنهم من يقول كلاهما صحيح في المعنى ولكن الأول أصح وعليه يدل كلام العرب، قال أمية بن أبي الصلت[1] في ذكر ما أوتي سليمان عليه السلام :

أيما شاطن عصاه عكاه[2] ثم يلقى في السجن والأغلال

فقال أيما شاطن، ولم يقل أيما شائط.

وقال سيبويه : العرب يقولون : تشيطن فلان إذا فعل فعل الشياطين ولو كان من شاط لقالوا تشيَّط »[3] .

وكذلك عند تفسير الآية : ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾[٤]، قال : «قال قتادة : للمطيعين أهل الصلاة وعن ابن عباس المسبحين – ثم قال ابن كثير بعد استعراضه لأقوال العلماء – وقال ابن جرير : والأولى في ذلك قول من قال هو التائب من الذنب الراجع عن المعصية إلى الطاعة مما يكره الله إلى ما يحبه الله ويرضاه، وهذا الذي قاله هو الصواب، لأن الأواب مشتق من الأوب وهو

---

(1) هو أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف قدم دمشق قبل الإسلام وكان مطلعا على الكتب القديمة، وهو ممن حرموا على انفسهم الخمر ونبذوا عبادة الاصنام في الجاهلية ن ورحل إلى البحرين فاقام ثماني سنين ظهر في اثنائها الإسلام وعاد إلى الطائف وسال عن خبر محمد بن عبد الله ﷺ فقيل له يزعم أنه نبي فخرج حتى قدم عليه بمكة وسمع منه آيات من القرآن وانصرف عنه فتعقبته قريش تسأله عن رأيه فقال أشهد أنه على الحق فقالوا فهل تتبعه ؟ فقال حتى انظر في امره وخرج إلى الشام وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وحدثت وقعة بدر وعاد أمية من الشام فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له فامتنع وأقام في الطائف إلى أن مات سنة ٥ هـ أخباره كثيرة وشعره من الطبقة الأولى . الأعلام ٢٣/٢.

(2) شدّه في الحديد (المعجم الوسيط ص ٦٢٠ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٥/١ .

(٤) سورة الاسراء آية ٢٥ .

الرجوع تقول آب فلان إذا رجع، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ كان إذا رجع من سفر قال : (آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون) [2] »[3] .

ومن الأمثلة التي أشار فيها ابن كثير لبعض فنون البلاغة في القرآن الكريم ما جاء عند تفسير الآية : ﴿ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ ﴾[4] قال : « أي عليكم، قال علماء البيان هذه أحسن مما حيوه به لأن الرفع يدل على الثبوت والدوام »[5]، وكذلك عند تفسير الآية : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[6] ، قال : « وفي الكتب المتقدمة القتل أنفى للقتل فجاءت هذه العبارة في القرآن أفصح وأبلغ وأوجز »[7]،وقال عند تفسير الآية : ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[8]، قال : «الرفع أقوى وأثبت من النصب فرده أفضل من التسليم »[9] .

---

(١) سورة الغاشية آية ٢٥ .

(2) اخرجه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب الذكر إذا ركب دابته متوجها لسفر حج أو غيره، رقم (١٣٤٢).

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٤٨-٤٩ .

(٤) سورة هود آية ٦٩ .

(5) المرجع نفسه ٢/٥٥٦ .

(٦) سورة البقرة آية ١٧٩ .

(7) المرجع نفسه ١/٢٦٢ .

(٨) سورة الذاريات آية٢٥ .

(9) المرجع نفسه ٤/٢٧٧ .

ومن فنون البلاغة التي ذكرها ابن كثير في تفسيره اللف والنشر، كما في تفسير الآية : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[1]، قال : « هذا من باب اللف والنشر »[2].

وعند تفسير الآية : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾[3]، قال : « وهو من باب اللف والنشر فذكر الأمم المكذبة ثم قال فكلًا أخذنا بذنبه »[4] .

وعند تفسير الآية : ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[5] ، قال : « هذا من باب اللف والنشر أي واحد من الفريقين مبطل والأخر محق لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال بل واحد منا مصيب»[6] .

وقد استعمل ابن كثير رحمه الله السجع في تفسيره وهي قليلة بالنسبة لاستعماله السجع في كتابه التاريخ البداية والنهاية[7]، فمن ذلك مثلًا قوله :

---

(١) سورة القصص آية ٧٣ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٩٢/٣، واللف والنشر هو أن تلف شيئين ثم تأتي بتفسيرهما جملة، ثقة بأن السامع يرد إلى كل واحد منهما ماله كقوله تعالى ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (القصص ٧٣) انظر التعريفات للجرجاني ص ٢٤٧ تحقيق إبراهيم الابياري .

(٣) سورة العنكبوت آية ٤٠ .

(4) المرجع نفسه ٥١٠/٣ .

(٥) سورة سبأ آية ٢٤ .

(6) المرجع نفسه ٦٦٠/٣ .وكذلك عند تفسير الآية ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ (الاسراء ٢٩) .

(7) فقد أكثر من السجع أنظر مثلًا ٣٢٠/١٤، ٥٣٥/١٧، ٢٧٥/١٥، ٢٨٣/١٥، ٢٩٠/١٥، ٤٩٤/١٥، ٦٥٥/١٥، ٢٨٦/١٨، ٥١٤/١٦، ٥٧١/١٦، ٥٨٠/١٦، ٥٨٩/١٦، ٥٠٠/١٦، ٦٢١/١٦، ٦٥٣/١٦، ٥٣٥/١٧، ٢٨٦/١٨.

«ومن قتله العدو البشرى كان شهيدًا ومن قتله العدو الباطن كان طريدًا ومن غلبه العدو الظاهر كان مأجورًا ومن قهره العدو الباطن كان مفتونًا مأزورًا»[1].

وقال أيضًا عن الكافرين: « يخبر تعالى عن حالهم أنهم أخسر الناس صفقه في الدار الآخرة لأنهم استبدلوا الدركات عن الدرجات وعن نعيم الجنان بجحيم آن وعن شرب الرحيق المختوم بسموم وحميم وظل من يحموم، وعن الحور العين بطعام من غسلين، وعن القصور العالية بالهاوية، وعن قرب الرحمن ورؤيته بغضب الديان وعقوبته فلا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون»[2].

وقال عن المؤمنين العاملين : « أنهم ورثوا الجنات المشتملة على الغرف العاليات والسرر المصفوفات، والقطوف الدانيات، والفرش المرتفعات والحسان الخيرات والفواكه المتنوعات، والمآكل المشتهيات والمشارب المستلذات، والنظر إلى خالق الأرض والسماوات، وهم في ذلك خالدون لا يموتون ولا يهرمون ولا يمرضون، ولا ينامون ولا يتغوطون ولا يبصقون ولا يتمخطون، إن هو إلا رشح المسك يعرقون »[3].

وقال عند تفسير الآية : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ ﴾[4]، قال : « وقال كعب الأحبار : والله إني لأجد صفة المنافقين في كتاب الله عز وجل شرابين للقهوات

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٢٥ .

(2) المرجع نفسه ٢/٥٤٤، عند تفسير الآية : ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ (هود ٢٢) .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٤٤٥ عند تفسير لآية :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (هو ٢٣) .

(4) سورة مريم آية ٥٩ .

تراكين للصلوات لعابين بالكعبات رقادين عن العتمات مفرطين في الغدوات تاركين للجمعات»[1].

وقال عند تفسير الآية : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾[٢]، « فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره وحاشا وكلا، بل أبقى الله ذكره على رؤوس الأشهاد وأوجب شرعه على رقاب العباد مستمرًا على دوام الآباد إلى يوم المحشر و المعاد صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم التناد »[3] .

وقال عند تفسير الآية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[٤] ، « وقام بالأمر بعد وزيره وخليفته أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد مال الدين ميلة كاد أن ينجفل فثبته الله به فوطد القواعد وثبت الدعائم ورد شارد الدين وهو راغم ورد أهل الردة إلى الإسلام وأخذ الزكاة ممن منعها من الطغام وبيّن الحق لمن جهله وأدى عن الرسول ما حمله ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبده الصلبان والى الفرس عبدة النيران ففتح الله ببركة سفارته البلاد وأرغم أنف كسرى وقيصر ومن أطاعهما من العباد ....»[5].

---

(1) المرجع نفسه ١٦٣/٣ .

(٢) سورة الكوثر آية ٣ .

(3) المرجع نفسه ٦٤٧/٤ .

(٤) سورة التوبة آية ١٢٣ .

(5) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٩٥/٢ .

وقال عند تفسير الآية : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[1]، « ثم عمدوا إلى إبراهيم فكتفوه وألقوه في كفة المنجنيق ثم قذفوا به فيها، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا وخرج منها سالمًا بعد ما مكث فيها أيامًا، ولهذا وأمثاله جعله الله للناس إمامًا، فإنه بذل نفسه للرحمن وجسده للنيران وسخا بولده للقربان وجعل ماله للضيفان ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان »[2] .

---

(١) سورة العنكبوت آية ٤٢ .

(2) المرجع نفسه ٣/٥٠٥ .

المطلب الثالث

الاستدلال باللغة في المسائل الخلافية

فابن كثير رحمه الله يستدل باللغة في المسائل الخلافية وقد يناقش بعض الأقوال اللغوية والنحوية فيعين الراجح منها فمن ذلك مثلًا ما جاء عند تفسير الآية : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1] ، قال : « قال ابن عباس ومجاهد والضحاك[2] أن الضمير في قوله ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ عائد على اخوة يوسف، وقال قتادة بل هو عائد على السيارة والأول أقوى لأن قوله ﴿ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ إنما أراد إخوته لا أولئك السيارة، لأن السيارة استبشروا به وأسرُّوه بضاعة ولو كانوا فيه زاهدين لما شتروه فترجح من هذا أن الضمير في ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ إنما هو لإخوته »[3]،وعند تفسير البسملة من سورة الفاتحة قال : « اللّٰهُ عَلَمٌ على الرب تبارك وتعالى ... وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى ولهذا لا يعرف في كلام العرب له اشتقاق من فعل ويفعل فذهب

---

(١) سورة يوسف آية ٢٠ .

(2) هو الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم مفسر كان يؤدب الأطفال، ويقال كان في مدرسته ثلاثة الاف صبي قال الذهبي كان يطوف عليهم على حمار . وذكره هـ ابن حبيب تحت عنوان اشراف المعلمين وفقهاؤهم له كتاب في التفسير توفي بخراسان سنة ١٠٥هـ . الأعلام ٢١٥/٣.

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٨٢/٢ .

من ذهب من النحاة إلى أنه اسم جامد لا اشتقاق له ... وقيل إنه اسم مشتق واستدلوا عليه بقول رؤبة بن العجاج[1] :

لله در الغانيات المُدَّهِ سَبّحنَ واسترجعن من تَألُّهي[2]

وقد صرح الشاعر بلفظ المصدر وهو التأله من إله يأله الاهة وتأله ... وقد استدل بعضهم على كونه مشتقًا لقوله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[3] أي المعبود في السماوات والأرض كما قال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ ﴾[4] ونقل سيبويه عن الخليل أن أصله الاه مثل فعال فأدخلت الألف واللام بدلًا من الهمزة قال سيبويه : مِثْل الناس أصله أناس وقيل أصل الكلمة لاه فدخلت الألف واللام للتعظيم وهذا اختيار سيبويه ....،وقال الكسائي والفراء أصله الاله حذفوا النمرة وأدغموا اللام الأولى في الثانية كما قال تعالى : ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨ ﴾[5] ، أي لكن أنا ، وقد قرأها كذلك الحسن،

---

(1) هو رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الحجاف، أو أبو محمد، راجز من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية، كان أكثر مقامه في البصرة، واخذ عنه اعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره، ويقولون بإمامته في اللغة، مات في البادية وقد أسن وله ديوان رجز، وفي الوفيات لما مات رؤبة قال الخليل دفنا الشعر واللغة والقصاصة توفي سنة ١٤٥هـ . الأعلام ٣٤/٣.

(٢) جاء في لسان العرب المدّهِ المدْه في نعت الهيئة والجمال والمدح في كل شيء وقال الخليل بن أحمد مدهته في وجهه ومدحته إذا كان غائبا، وقيل المده والمدح واحد وقيل الهاء في كل ذلك بدل من الحاء والماده المادح والتمده التمدح – ابن منظور، لسان العرب ٥٤٠/١٣، فالمعنى لله در الغانيات المادحات . سبحن : أي قلن سبحان الله، واسترجعن أي قلن انا لله وانا إليه راجعون، من تألهي أي بسبب عبادتي، ومن هنا فيها معنى السبب أي سبحن واسترجعن بسبب عبادتي لله عز وجل .

(٣) سورة الأنعام آية ٣.

(٤) سورة الزخرف آية ٨٤.

(٥) سورة الكهف آية ٣٨.

قال القرطبي : ثم قيل هو مشتق من وله إذا تَحَيَّرَ والوله ذهاب العقل يقال رجل واله وامرأة ولهى وماء مؤله إذا أرسل في الصحاري، فالله تعالى تتحير الألباب والفكر في حقائق صفاته، فعلى هذا يكون أصله وِلاَه فأبدلت الواو همزة كما قالوا في وشاح إشاح ووسادة إسادة، وقال فخر الدين الرازي، وقيل إنه مشتق من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره والأرواح لا تعرج إلا بمعرفته لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره، قال تعال : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]، قال : وقيل من لاه يلوه إذا احتجب وقيل من أله الفصيل إذا أُولْع بأمه والمعنى أن العباد مُوْلوعون بالتضرع إليه في كل الأحوال، وقيل مشتق من أله الرجل يألة إذا فزع من أمر نزل به فألهه أي أجاره، فالمجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه لقوله : ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾[2] ..... وقد اختار فخر الدين أنه اسم علم غير مشتق البته، قال وهو قول الخليل وسيبويه وأكثر الأصوليين والفقهاء»[3] .

وعند تفسير الآية : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾[4]، قال : « اشتهر عن كثير من العلماء المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية والشكر لا يكون إلا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والأركان كما قال الشاعر[5] :

---

(١) سورة الرعد آية ٢٨.

(٢) سورة المؤمنون آية ٨٨.

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٣٠-٣١ .

(٤) سورة الفاتحة آية ٢ .

[5] لم أعثر على قائله.

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

ولكنهم اختلفوا أيهما أعم الحمد أو الشكر على قولين والتحقيق أن بينهما عمومًا وخصوصًا فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه لأنه يكون على الصفات للازمة والمتعدية تقول حمدته لفروسيته، وحمدته لكرمه وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه لأنه يكون بالقول والعمل والنية كما تقدم وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية لا يقال شكرته لفروسيته وتقول شكرته على كرمه وإحسانه الي »[1]، وعند تفسير الآية : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾[٢]، قال : «وقال ابن جرير وإن الصلاة المفروضة سميت صلاة لأن المصلي يتعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله، مع ما يسأل ربه فيها من حاجته، وقيل مشتق من الصَّلَوين إذا تحركا في الصلاة عند الركوع وهما عرقان ممتدان من الظهر حتى يكتنفا عجب الذنب ومنه سمي المصلي وهو الثاني للسابق في حلبة الخيل وفيه نظر، وقيل مشتقة من المصلَّى وهو الملازمة للشيء من قوله: ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ ﴾[٣] أي لا يلزمها ويدوم فيها إلا الأشقى وقيل مشتقة من تصلية الخشبة في النار ليقوَّم كما أن المصلي يقوَّم عوجه بالصلاة، لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر واشتقاقها من الدعاء أصح وأشهر والله أعلم »[4] .

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٣٤ .

(٢) سورة البقرة آية ٣.

(٣) سورة الليل آية ١٥.

(4) المرجع نفسه ١/٥٩ .

وعند تفسير الآية : ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣﴾[1]، قال : « قال بعضهم أدنى ألا تكثر عائلتكم قال زيد بن أسلم[2] وسفيان بن عيينة والشافعي رحمهم الله وهذه مأخوذ من قوله : ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾ أي فقرًا ﴿فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾[3] وقال الشاعر :

فما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني من يعيل [4]

وتقول العرب : عال الرجل يعيل عليه إذا افتقر ولكن في هذا التفسير هاهنا نظر فإنه كما يخشى كثرة العائلة من تعداد الحرائد كذلك يخشى من تعداد السراري أيضًا والصحيح قول الجمهور ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣﴾[5] أي تجوروا، يقال عال في الحكم إذا قسط وظلم وجار وقال أبو طالب[6] في قصيدته المشهورة :

---

(١) سورة النساء آية ٣.

(2) هو زيد بن اسلم العدوي العمري، مولاهم، أبو اسامة أو أبو عبد الله فقيه مفسر، من أهل المدينة، كان مع عمر بن عبد العزيز ايام خلافته . واستقدمه الوليد بن يزيد، في جماعة من فقهاء المدينة إلى دمشق مستفتيًا في أمر، وكان ثقة كثير الحديث له حلقة في المسجد النبوي، وله كتاب في التفسير توفي سنة ١٣٦هـ . الأعلام ٥٦/٣، ٥٧.

(٣) سورة التوبة آية ٢٨.

(٤) القائل هو أحيحة بن الجلاح شاعر جاهلي قديم وهو سيد الأوس توفي سنة ١٣٠ قبل الهجرة، الأعلام ٢٧٧/١.

(٥) سورة النساء آية ٣.

(6) هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من قريش أبو طالب والد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعم النبي ﷺ وكافله ومربيه ومناصره، كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم ومن الخطباء العقلاء الأباة، وله تجارة كسائر قريش، نشأ النبي ﷺ في بيته وسافر معه إلى الشام في صباه، ولما أظهر الدعوة إلى الإسلام همّ اقرباؤه بني قريش بقتله فحماه أبو طالب وصدهم عنه فدعاه النبي ﷺ إلى الإسلام فامتنع خوفا من أن تعيره العرب بتركه دين آبائه ووعده بنصره وحمايته مات سنة ٣ قبل الهجرة (الأعلام ١٦٦/٤).

بميزان قسط لا يَخيُس[1] شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل

وقال هشيم[2] عن ابن إسحاق قال كتب عثمان بن عفان إلى أهل الكوفة في شيء عاتبوه فيه : إني لست بميزان لا أعول »[3] .

وعند تفسير الآية : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ﴾[٤] ، قال : « ومن زعم أن إرم مدينة فإنما أخذ ذلك من الإسرائيليات من كلام كعب ووهب[5] وليس لذلك أصل أصيل ولهذا قال : ﴿ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ ﴾[٦] ، أي لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدتهم وجبروتهم ولو كان المراد بذلك مدينة لقال : التي لم يبن مثلها في البلاد »[7] .

وعند تفسير الآية : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾[٨] ، قال : «قرئ

---

(1) لا ينقص (المعجم الوسيط ص ٢٦٤) .

(2) هوهشيم بن بشير بن أبي حازم قاسم بن دينار السلمي أبو معاوية الواسطي نزيل بغداد مفسر، من ثقات المحدثين، قيل أصله من بخارى، كان محدث بغداد، ولزمه الامام أحمد بن حنبل أربع سنين، قال الداودي له غير التفسير كتاب السنن في الفقه والمغازي، توفي سنة ١٨٣هـ (الأعلام ٨/٨٩) .

(3) التفسير ١/٥٥٢ .

(٤) سورة الفجر آية ٧ .

(5) هو وهب بن منبه الأنباري الصنعاني الذماري أبو عبد الله، مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات، يعد في التابعين، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن ولد ومات بصنغاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها، من كتبه ذكر الملوك المتوجه من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم، وله قصص الأنبياء ومصتفي الأخبار، توفي سنة ١١٤هـ (الأعلام ٨/١٢٥-١٢٦) .

(٦) سورة الفجر آية ٨ .

(7) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٤٢٥ .

(٨) سورة المائدة ٦ .

وأرجلَكم بالنصب عطفًا على وجوهكم وأيديكم ...وهذه قراءة ظاهرة في وجوب الغسل كما قال السلف ومن هاهنا ذهب من ذهب إلى وجوب الترتيب كما هو مذهب الجمهور خلافًا لأبي حنيفة[1] حيث لم يشترط الترتيب بل لو غسل قدميه ثم مسح رأسه وغسل يديه ثم وجهه أجزأه ذلك لأن الآية أمرت بغسل هذه الأعضاء والواو لا تدل على الترتيب، وقد سلك الجمهور في الجواب على هذا البحث طرقًا، فمنهم من قال الآية دلت على وجوب غسل الوجه ابتداء عند القيام إلى الصلاة لأنه مأمور به بفاء التعقيب وهي مقتضية الترتيب ولم يقل أحد من الناس بوجوب غسل الوجه أولًا ثم لا يجب الترتيب بعده بل القائل إثنان : أحدهما بوجوب الترتيب كما هو واقع الآية والآخر يقول لا يجب الترتيب مطلقًا والآية دلت على وجوب غسل الوجه ابتداء فوجب الترتيب فيما بعده بالإجماع حيث لا فارق، ومنهم من قال لا نسّلم لأن الواو لا تدل على الترتيب بل هي دالة كما هو مذهب طائفة من النحاة وأهل اللغة وبعض الفقهاء، ثم نقول بتقدير تسليم كونها لا تدل على الترتيب اللغوي هي دالة على الترتيب شرعًا فيما من شأنه أن يرتب، والدليل على ذلك أنه ﷺ لما طاف بالبيت خرج من باب الصفا وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾[٢]، ثم قال : (أبدأ بما بدأ

---

(1) هو النعمان بن ثابت النيمي بالولاء، الكوفي أبو حنيفة إمام الحنفية الفقيه المجتهد المحقق أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، قيل أصله من أبناء فارس ولد ونشأ بالكوفة وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه ثم انقطع للتدريس والإفتاء، وكان قوي الحجة من أحسن الناس منطقًا قال الإمام مالك يصفه رأيت رجلًا لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجته وعن الإمام الشافعي قال الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة، توفي سنة ١٥٠هـ (الأعلام ٣٦/٨) .

(٢) سورة البقرة آية ١٥٨ .

اللّه به)[1] لفظ مسلم ولفظ النسائي : (ابدؤوا بما بدأ اللّه به)، وهذا لفظ أمر واسناده صحيح فدل على وجوب البداءة بما بدأ اللّه به وهو معنى كونها تدل على الترتيب شرعًا واللّه أعلم »[2] .

وغيرها من المواضع التي استدل فيها ابن كثير رحمه اللّه تعالى باللغة العربية في المسائل الخلافية في تفسيره .

وهكذا نجد أن من أهم خصائص منهج ابن كثير الدعوي عنايته باللغة العربية وإهتمامه بها ودفاعه عنها واستخدامه لها وذلك لادراكه رحمه اللّه بأهمية اللغة وضروريتها للمسلم بشكل عام وللعلماء والدعاة بشكل خاص فاللغة بمفرداتها ونحوها وصرفها واشتقاقتها وآدابها لازمة لسلامة لسان الداعية وحجة أدائه، فضلًا عن حسن أثرها في السامع بل في حجة الفهم أيضًا فالأخطاء اللغوية إن لم تحرف المعنى وتشوه المراد يمجها الطبع وينفر منها السمع، وكذلك الأدب بشعره ونثره وأمثاله وحكمه ووصاياه وخطبه مهم للداعية يثقف لسانه ويُجوِّد أسلوبه، ويرهف حسه ويوقفه على أبواب من العبارات الرائعة والأساليب الفائقة، والصور المعبرة والأمثال السائرة، والحكم البالغة، ويفتح له نافذة على الروائع والشوامخ ويضع يده على مئات بل ألوف من الشواهد البليغة التي يستخدمها الداعية في محلها فتقع من القلوب أحسن موقع وأبلغه.

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ رقم (١٢١٨)، وأخرجه النسائي في كتاب الحج باب ذكر الصفا والمروه رقم (٢٩٧٢، ٢٩٧٣) .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٤/٢ .

وكذلك علم الصرف الذي يهتم بتركيب الكلمة والبحث في أصلها وبنيتها ومشتقاتها وزوائدها، وكذلك فقة اللغة الذي يزيد في حصيلة الداعية اللغوية وينمي ثروته من اللغة العربية ومفرداتها[1] .

وإن مما يزيد عناية الدعاة إلى الله باللغة العربية وإهتمامهم بها هو ما تواجهه اليوم من تحديات وهجوم عليها، والمتمثل في اثارة الشبهات حولها والدعوة إلى تغيير الحروف العربية، وكذلك الدعوة إلى العامية ونحو ذلك من ألوان الهجوم والعداء، وذلك بحجة أنها لا تتناسب مع هذا العصر وأنها « عسيرة لأن نحوها ما زال قديمًا عسيرًا ولأن كتاباتها ما زالت قديمة عسيرة »[2]، ويصف بعضهم اللسان العربي بأنه « جزء من هياكل التخلف والانهيار، وكما نطالب بإصلاح وسائل الإنتاج وقانون الإصلاح الإداري والتربية نطالب في الوقت نفسه بإصلاح ذلك اللسان الموروث في حروفه وصرفه ونحوه »[3] .

فالخلاصة أن عناية الدعاة باللغة العربية وإهتمامهم بها أمر في غاية الأهمية والسبب كما ذكرنا أن اللغة العربية هي الطريقة والأداة لفهم الشرع ونصوص الوحي، ولأنها الوسيلة لتبليغ هذا الدين والدعوة إليه وثالثًا لما يقوم به أعداء الإسلام سواء كانوا من غير المسلمين كاليهود والنصارى وغيرهم، أو من المنافقين المنسلخين من دينهم من دعاة التغريب من أبناء المسلمين، من محاربتها والهجوم عليها فواجب الدعاة اليوم الحرص على تعلم اللغة العربية

---

(١) انظر محمد زين الهادي، الدعوة الإسلامية الاستيعاب والشمول ص ١١٢، مرجع سابق .

(٢) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين ص ١٩٥ .

(٣) مقال للدكتور عبد الله الوردي، جريدة الرياض السعودية ص ٧، الثلاثاء ١٢ محرم ١٤٠٧هـ .

وتعليمها والدفاع عنها[1]، ونشرها بين أبناء المسلمين وغير المسلمين في المناهج التعليمية والعناية بمدارس ومعاهد تعليم اللغة العربية وغيرها من الوسائل والطرق الكثيرة الأخرى .

---

(١) ومن الأمثلة على دفاع الدعاة عن اللغة العربية البحث الذي ألقاه الدكتور شكري فيصل رحمه الله في الندوة التي عقدت في مسقط في شعبان ١٤٠٥هـ ومما جاء فيه : « أن اللغة العربية لغة الدين وليست لغة الحياة وأنها لغة الماضي وليست لغة المستقبل، وأنها لغة الأدب والشعر وليست لغة العلم والحضارة الجديدة، أما قولهم أنها لغة الدين وليست لغة الحياة فذلك في المفهوم الإسلامي نوع من الفصل لم يكن لنا عهد به، فالدين في ضمير المسلم نهج للحياة ونوع من السلوك وصلة ما بين الدنيا والآخرة، وأما أن اللغة العربية لغة الماضي وليست لغة الحاضر والمستقبل، فقد كان صورة أخرى لواقع خصوم الإسلام، نقلوها من حياتهم التي عاشوها .... وكان ماضيهم متصلًا باللغة اليونانية أولًا، ثم باللغة اللاتينية، لما فصلوا ما بين الدولة والكنيسة قادهم ذلك إلى الفصل بيم اللغة اللاتينية وبين اللهجات التي تفرقت واستقلت عنها في وجود لغوي خاص بها وخُيّل لهم أن ذلك هو الشأن في اللغة العربية أما أن اللغة العربية لغة الأدب والشعر وليست لغة العلم والثقافة فلقد كانت اللغة لغة الطب والفلك والهندسة والفلسفة قبل أن تؤول هذه العلوم إلى الأوروبين في فترة نهضتهم، فهل هي عاجزة عن أن تكون كذلك في فترة نهضتنا »، انظر المرجع السابق ص ٥٨-٥٩ .

المبحث الثالث

عناية ابن كثير بالمصطلحات

تعريف المصطلح لغة :

قال ابن فارس : « صلح : الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد ، ويقال صلح الشيء صلاحًا ويقال صَلَح بفتح اللام »[1] .

وقال ابن منظور : « الإصطلاح نقيض الفساد . والمصلحة واحدة المصالح والاستصلاح نقيض الاستفساد وأصلح الشيء بعد فساده : أقامه »[2] .

أما في الاصطلاح :

فهو : « إتفاق القوم على وضع الشيء، وقيل إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، واصطلاح التخاطب هو عرف اللغة، والاصطلاح مقابل الشرع في عرف الفقهاء، ولعل وجه ذلك أن الاصطلاح، "إفتعال" من "الصلح"، للمشاركة كالإقتسام والأمور الشرعية موضوعات الشارع وحده لا يتصالح عليها بين الأقوام وتواضع منهم، ويستعمل الاصطلاح غالبًا في العلم الذي تحصل معلوماته بالنظر والاستدلال»[3].

---

(1) معجم مقاييس اللغة مادة (صلح) ص ٥٧٤ .

(2) لسان العرب مادة صلح، ٢/٥١٦-٥١٧ .

(3) الكليات، ص ١٢٩-١٣٠ .

وقال الجرجاني: الاصطلاح : « إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإبراز المعنى، وقيل الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين »[1] .

وقال أحمد فارس الشدياق[٢] : « هو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص »[3] .

---

(1) التعريفات، ص ٢٨ .

(٢) هو أحمد بن فارس بن يوسف بن منصور الشدياق، عالم باللغة والأدب ولد في قرية عشقوت بلبنان وأبواه مسيحيان مارونيان سمياه فارسًا ورحل إلى مصر فتلقى الأدب على علمائها، وتنقل في أوربا ثم سافر إلى تونس فاعتنق الدين الإسلامي وتسمى أحمد فارس، وتوفي بالاستانه سنة ١٢٠٤هـ ونقل جثمانه إلى لبنان من أثاره كنز الرغائب في منتجات الجوائب الواسطة في أحوال مالطه والجاسوس على القاموس وغيرها (الأعلام١/١٩٣).

(3) الجاسوس على القاموس، ص٤٣٧ .

المطلب الأول

صحة نسبة المصطلح ومعناه

تأتي أهمية صحة نسبة المصطلح ومعناه حتى لا تكون الألفاظ والمصطلحات نسبية ومطلقة غير محررة، بحيث يستخدمها كل إنسان كما يحلو له بناء على ما تدفعه إليه الأهواء وما تمليه عليه العقائد الفاسدة والأفكار الضالة، وكذلك حتى لا تُحْمل الألفاظ الشرعية على الاصطلاح الحادث لقوم أو فئة، فكثير من الناس ينشأ على اصطلاح قومه وعاداتهم في الألفاظ ثم يجد تلك الألفاظ في النصوص الشرعية أو في كلام أهل العلم فيظن أن مرادهم بها نظير مراد قومه ويكون مراد الشارع خلاف ذلك لأن « من لم يعرف لغة الصحابة التي كانوا يتخاطبون بها ويخاطبهم بها النبي ﷺ وعاداتهم في الكلام، وإلاصرف الكلم عن مواضعه، فإن كثيرًا من الناس ينشأ على اصطلاح قومه وعاداتهم في الألفاظ ثم يجد تلك الألفاظ في كلام اللّه أو رسوله أو الصحابة فيظن أن مراد اللّه أو رسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته وإصطلاحهم ويكون مراد اللّه ورسوله والصحابة خلاف ذلك .... وهذا واقع لطوائف من الناس من أهل الكلام والفقه والنحو والعامة وغيرهم، وآخرون يتعمدون وضع ألفاظ الأنبياء وأتباعهم على معان أُخر مخالفة لمعانيهم ثم ينطلقون بتلك الألفاظ مريدين بها ما يعنونه هم ويقولون إنا موافقون

للأنبياء وهذا موجود في كثير من الملاحدة المتفلسفة والإسماعيلية ومن ضاهاهم من ملاحدة المتكلمة والمتصوفة »[1] .

كما تأتي أهمية صحة نسبة المصطلح ومعناه إلى أن المصطلحات أصبحت أدوات في الصراع الحضاري والفكري بين الأمم بل وفي داخل الأمة الواحدة، إذ يهتم أعداء أي مبدأ أو فكر في صراعهم مع المبادئ الأخرى بالألفاظ والمصطلحات، وحين يكون هؤلاء معادين للحق فإنهم يحرفون الألفاظ والمعاني ويغيبون الحق فيها ، فالمصطلح هو الوعاء المعبر عن العقيدة أو الفكر أو الرأي، ولذلك فإن كسر ذلك الوعاء غرض رئيس للمعادين، كما أن إفساد المصطلح أو تغييره يمثل خطورة كبرى على العقائد والآراء والأفكار لأي أمة وبهذا كان الحفاظ على مصطلحات الأمة من جهة وكشف مصطلحات الأمم المعادية من جهة أخرى ركنين أساسيين في عملية الصراع، وبما أن اللغة هي وعاء الفكر بما تحمله ألفاظها من معان ومصطلحات مما جعل الاصطلاح وسيلة للغزو الثقافي، فحسب الأمة الغازية أن تشحن لغة الأمة المغزوَّة بمصطلحاتها لتصبح هذه الثانية تابعة فكريًا للأولى، ولقد كان لعلم الكلام أثر على الأمة الإسلامية بما أحدثه من لبس وتشويش فكري بسبب المفاهيم التي تحملها تلك الألفاظ والمصطلحات الوافدة وحملها الألفاظ العربية مزاحمة بذلك مفاهيمها الأصلية مما جعل الناس في حيرة منها والتباس، وفي هذا يقول الإمام الشافعي

---

(1) الفتاوى لابن تيمية ٢٤٣/١ .

رحمه الله مبينًا خطورة قضية المصطلح والاختلاط اللغوي : « ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس[1]»[2] .

وابن كثير رحمه الله عُني بضبط المصطلح وصحة نسبته ومعناه فمثلاُ ما جاء عند تفسير أول سورة الفاتحة قال : « وأما مسألة الإسم هل هو المسمى أو غيره ؟ ففيها للناس ثلاثة أقوال أحدها : أن الاسم هو المسمى وهو قول أبو عبيدة[3] وسيبويه، وإختاره الباقلاني وابن فورك[4] وقال فخر الدين الرازي : وقالت الحشوية[5] والكرامية[6]

---

(1) هو أرسطو، وأرسطاطاليس (بالإغريقة) هو ابن نيقوما خوس طبيب باسطاغيرا وهي مدينة تقع شمال اليونان على الساحل الشمالي من بحر إيجه أمضى حوالي عشرين عامًا متتلمذًا على أفلاطون، وقد حكم عليه مجمع حكماء أثينا بالإعدام ومات سنة ٣٢١ ق. م، (موسوعة أعلام الفلاسفة، روني إيلي إلفا، ٧٢/١ طبعت دار الكتب العلمية ط١ ١٤١٢هـ) .

(2) صون المنطق والكلام للسيوطي / ص١٥، وانظر مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، د. عبد الرحمن الزنيدي ص ٥٠٦، دار اشبيليا – الرياض ط١ ١٤١٨هـ .

(3) هو معمر بن عبيدة بن المثنى التميمي بالولاء البصري أبو عبيدة النحوي، من أئمة العلم بالأدب واللغة مولده ووفاته في البصرة، استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨هـ وقرأ عليه أشياء من كتبه قال الجاحظ لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه، له نحو ٢٠٠ مؤلف منها نقائض جرير والفرزدق ومجاز القرآن ومآثر العرب وأيام العرب وغيرها، توفي سنة ٢٠٩هـ (الأعلام ٢٧٢/٧) .

(4) هو محمد بن الحسن بن فورك الانصاري الاصبهاني أبو بكر واعظ عالم بالاصول والكلام من فقهاء الشافعية سمع بالبصرة وبغداد وحدث بنيسابور وبنى فيها مدرسة وتوفي بها على مقربة منها سنة ٤٠٦هـ، له تصانيف منها مشكل الحديث وغريبه، والحدود، واسماء الرجال وغرائب القرآن . الاعلام ٨٣/٦ .

(5) الحشوية أو الحشووية نسبة إلى الحشو أو الحشا طائفة تمسكوا بالظواهر وذهبوا إلى التجسيم وغيره (المعجم الوسيط لإبراهيم أنيس وزملائه ص ١٧٧، مرجع سابق) .

(6) الكرامية فرقة ظهرت في مدينة سجستان في القرن الثاني الهجري على يد محمد بن كرام وانتهت دعوتهم الأولى إلى التجسيم (الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي ص ٢٠٢، طبعت دار الأفاق الجديدة بيروت ط٣ ١٩٧٨م).

والأشعرية[1] : هو الاسم نفس المسمى وغير التسمية، وقالت المعتزلة : الاسم غير المسمى ونفس التسمية، والمختار عندنا أن الاسم غير المسمى وغير التسمية، ثم نقول : إن كان المراد بالاسم هذا اللفظ الذي هو أصوات مقطعه وحروف مؤلفة فالعلم الضروري حاصل أنه غير المسمى، ثم نقول إن كان المراد بالاسم ذات المسمى فهذا يكون من باب إيضاح الواضحات وهو عبث فثبت أن الخوض في هذا المبحث على جميع التقديرات يجري مجرى العبث، ثم شرع يستدل على مغايرة الإسم للمسمى بأنه قد يكون الاسم موجودًا والمسمى مفقودًا كلفظة المعدود وبأنه قد يكون للشيء أسماء متعددة كالمترادفة، وقد يكون الاسم واحدًا والمسميات متعددة كالمشترك، وذلك دال على تغاير الاسم والمسمى، وأيضا فالاسم لفظ وهو عَرَض والمسمى قد يكون ذاتًا ممكنة أو واجبة بذاتها وأيضًا فلفظ النار والثلج لو كان هو المسمى لوجد اللافظ بذلك حر النار أو برد الثلج ونحو ذلك، ولا يقوله عاقل، وأيضًا فقد قال الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[٢]، وقال النبي ﷺ : « إنَّ لله تسعة وتسعين إسمًا »[3]، فهذه أسماء كثيرة والمسمى واحد وهو الله تعالى، وأيضًا فقوله : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ

---

(1) الأشاعرة : هم المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري في مذهبه الثاني بعد رجوعه عن الأعتزال، وعامتهم يثبتون سبع صفات فقط، وينفون عن الله علو الذات، ويقولون أن الإيمان هو التصديق كما هو ظاهر من كتبهم التي من أشهرها الإرشاد للجويني والمحصل للرازي والمواقف للإيجي (انظر النحل والملل محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني ١/٩٤-١٠٣ طبعت دار المعرفة بيروت، بدون عنوان، و مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي ١/٤٨٧-٧٤٨، طبعت دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٩م) .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٠ .

(3) متفق عليه وأخرجه البخاري كتاب الشورط، باب ما يجوز من الاشتراط رقم (٢٧٣٦) ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة الاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وقضل من أحصاها رقم (٢٦٧٧)، والترمذي كتاب الدعوات، باب أن لله تسعة وتسعون اسمًا رقم (٣٥٠٦) .

فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ إضافتها إليه كما قال تعالى : ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾[1] ونحو ذلك والإضافة تقتضي المغايرة وقوله : ﴿ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ أي فالمدعو الله بأسمائه وذلك دليل على أنه غيره، واحتج من قال الاسم هو المسمى بقوله : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ﴾[2] والمتبارك هو الله، والجواب أن الاسم يعظم لتعظيم الذات المقدسة، وأيضًا فإذا قال الرجل زينب طالق – يعني امرأته طالق – طلقت، ولو كان الاسم غير المسمى لما وقع الطلاق والجواب أن المراد أن الذات المسماه بهذا الاسم طالق، قال الرازي وأما التسمية فإنها فعل الاسم معيَّنا لهذه الذات فهي غير الاسم أيضًا والله أعلم»[3] .

---

(١) سورة الواقعة آية ٩٦ .

(٢) سورة الرحمن آية ٨٧ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٩/١ .

المطلب الثاني

إتباع المنقول من المصطلحات

الألفاظ والمصطلحات نوعان : نوع جاء به الكتاب والسنة حيث أن الكتاب مبينًا معنى كل لفظ من الألفاظ الشرعية حيث لا يوجد فيهما لفظ أو معنى يهم الناس في دينهم إلا وقد جاء بيانه بأوجز وأوضح عبارة .

فمما ورد في الكتاب والسنة من بيان الألفاظ والمصطلحات وضبطها قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾[3] ، وقوله تعالى : ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾[4] ، وغيرها من الآيات، ومن السنة قول النبي ﷺ : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة

---

(١) سورة البقرة آية ١٠٤ .

(٢) سورة البقرة آية ١٥٤ .

(٣) سورة النساء آية ٤٦ .

(٤) سورة الحجرات آية ١٤ .

بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»[1] .

وقوله ﷺ من حديث جابر[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « ولينصر الرجل أخاه ظالمًا أو مظلوما ، إن كان ظالمًا فلينهه وانه له نصر وان كان مظلومًا فينصره وفي رواية قالوا فينصره مظلومًا فكيف ينصره ظالمًا ، قال يمنعه من الظلم فإن ذلك نصره »[3]، وغير ذلك من الأحاديث .

فهذا النوع من الألفاظ والمصطلحات « يجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك فيثبت ما أثبته الله ورسوله وينفي ما نفاه الله ورسوله، فاللفظ الذي أثبته الله أو نفاه حق، فإن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل والألفاظ الشرعية لها حرمة ومن تمام العلم أن تبحث عن مراد رسوله بها ليثبت ما أثبته وينفي ما نفاه من المعاني، فإنه يجب علينا أن نصدقه في كل ما أخبر به ونطيعه في كل ما أوجب وأمر ... وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب ولا في السنة ولا اتفق السلف الصالح على نفيها أو اثباتها – وهذه هي النوع الثاني - فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده فإن أراد بها معنى يوافق خبر

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم رقم (٢٥٨١) .

(2) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي، صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ له ولأبيه صحبه، غزا تسعة عشر غزوة وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، توفي سنة ٧٨هـ، الأعلام ١٠٤/٢.

(3) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالما أو مظلومًا رقم (٢٥٨٤) .

الرسول ﷺ أقربه وإن أراد معنى يخالف خبر الرسول ﷺ أنكره »[1] .

وعناية القرآن والسنة في كثير من نصوصهما الشريفة بتحرير المصطلحات والألفاظ، والوقوف عندها ورفض بعضها، أو إعادة تفسيرها فيما يناسب الشرع والدين راجع إلى أهمية ذلك في بناء المعرفة، لأن المعرفة تتكون من مجموعة المفاهيم والمعلومات والقيم التي تتضمنها تلك المبادئ والذي يجري تقديمها من خلال المصطلحات والألفاظ والكلمات، ثم إن التساهل في استخدام المصطلحات الحادثة يؤدي إلى هجر المصطلحات الشرعية واستعمالها في غير مواضعها التي تدل عليها في اللفظ الشرعي فإن « من أعظم أسباب الغلط في فهم كلام الله ورسوله أن ينشأ على اصطلاح حادث فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح ويحمله على تلك اللغة التي اعتادها »[2] .

فألفاظ القرآن تفهم من خلال القرآن ومراد الله وكذلك السنة من خلال لغة الرسول ﷺ ومراده « لأن دلالة الخطاب إما تكون بلغة المتلكم وعادته المعروفة في خطابه لا بلغة وعادة اصطلاح أحدثه قوم آخرون بعد انقراض عصره وعصر الذين خاطبهم بلغتهم وعادته كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾[3] »[4]، ولقد أكد الإمام الغزالي رحمه الله إتباع المنقول من المصطلحات والألفاظ ونبّه على خطر تبدل أسامي بعض العلوم والمعاني عما كانت تدل عليه في عهود السلف وحذّر من خطر هذا التبديل وتضليله لأفهام

---

(1) الفتاوى لابن تيمية، ١٢/١١٣-١١٤ .

(2) الفتاوى ٢/١٠٥-١٠٧، وانظر محمد الخرعان الرأي العام ١٤-٢٠، مطبعة اسبيليا الرياض ط١ ١٤٢٦هـ .

(٣) سورة إبراهيم آية ٤ .

(4) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، ٧/١٢٣ .

من لا يتعمقون في تحديد المفاهيم وعقد لذلك فصلًا قيمًا في كتابه الإحياء قال فيه : « إعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرون الأولى وهي خمسة ألفاظ : الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكم فهذه أسام محمودة والمتصفون بها أرباب المذاهب في الدين ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامي عليهم »[1] .

وهناك بعض الدعاة وغيرهم من المخلصين الذين وقعوا في خطأ تأويل النصوص الشرعية بقصد التوفيق بينها وبين تلك المصطلحات التي استهوت العقول دون أن يدركوا واقعها وحقيقة أمرها وخطورة ما تحمل من مفاهيم وأفكار متناقضة للإسلام بل هادمة له، فاستعملوها تارة بنصها وتقيدوا بحرفيتها وأخرى أردفوها بوصف ينبي عن إسلاميتها[2]، وحينما سئل الباحث المسلم النمساوي محمد أسد « ليوبلدفايس »[٣] هل الدولة الإسلامية دولة

---

(1) إحياء علوم الدين للغزالي ١/٥٣-٥٤ .

(2) انظر عبد العزيز البدري حكم الإسلام في الاشتراكية ص ٢٣-٢٤ .

(٣) محمد أسد مستشرق نمساوي ولد لأسرة يهودية نمساوية في مدينة ليفو بالنمسا ودرس في جامعة فينا وعمل مراسلًا في الشرق الأوسط لعدد من الصحف النمساوية والألمانية خلال الحرب العالمية الأولى فبهره الشرق واستولى الإسلام على قلبه فاعتنقه عام ١٩٢٦م واتخذ لنفسه اسم محمد أسد، وبعد عودته إلى المانيا تزوج من سيدة ألمانية دخلت الإسلام على يديه هي و إبنها وأخذهما معه إلى الحج فتوفيت زوجته في مكة ودفنت فيها وبقي في الجزيرة العربية يجوب أطرافها، فكانت رحلاته موضوع كتابه الطريق إلى مكة وله أيضًا كتاب الإسلام على مفترق الطريق وأصول الفقه الإسلامي ومبادئ الدولة والحكومة في الإسلام وغيرها توفي في أسبانية سنة ١٤١٢هـ (ذيل الأعلام، محمد العلاونه ١/١٦٦/١٦٧) .

ثيوقراطية[1] أم لا ؟ فتوقف عن الإجابة عن السؤال مؤكدًا أن هذا المصطلح وما يتفرع عنه أو يشابهه له خصوصية فكرية أوروبية فلا يمكن الإجابة عنها بالنسبة للإسلام لا بنفي ولا إثبات بل قرر الرجل رحمه الله جذور المشكلة بقوله : « انه من باب التضليل المؤذي إلى أبعد الحدود أن يحاول الناس تطبيق المصطلحات التي لا صلة لها بالإسلام على الأفكار والأنظمة الإسلامية، إن للفكرة الإسلامية نظامًا اجتماعيًا متميزًا خاصًا بها وحدها يختلف من عدة وجوه عن الأنظمة السائدة في الغرب ولا يمكن لهذا النظام أن يدرس ويفهم إلا في حدود مفاهيمه ومصطلحاته الخاصة، وأن أي شذوذ عن هذا المبدأ سوف يؤدي حتمًا إلى الغموض والالتباس بدلًا من الوضوح والجلاء »[2] .

وابن كثير رحمه الله ينبه إلى أهمية ذلك فيقول عند تفسير الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]، « نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالكفار في مقالهم وفعالهم وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقص – عليهم لعائن الله – فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولون راعنا يورون بالرعونه .... وكان المسلمون يحسبون أن الأنبياء تفخّم بهذا ... فنهى الله

---

(١) الثيوقراطية شكل من أشكال الحكومات النصرانية الغربية، يحكم الدولة فيها فسيس، أو كاهن أو مجموعة فساوسة، ويكون لرجال الدين سلطة في الأمور المدنية والدينية، وقد جاءت كلمة ثيوقراطية من كلمتين يونانيتين الأولى كلمة ثيود وتعني إله والثانية قراط وتعني الحكم، والحكومة أو علماء الدين في الإسلام ليسوا وسطاء بين العبد وربه، فضلًا عن أن الدين الإسلامي نفسه ليس به رجال كهنوت، كما أن العلماء أو الحكومة في الإسلام ليسوا أوصياء من الله على خلقه (الموسوعة العربية العالمية ٨/٩٠-٩١، نشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ط٢ ١٤١٩هـ)

(2) منهاج الحكم في الإسلام محمد أسد ص ٥٢، ترجمة منصور ماضي، مطبعة بيروت ط ٢ ١٩٦٧هـ .

(٣) سورة البقرة آية ١٠٤ .

المؤمنين أن يقولوا لنبيه ﷺ راعنا لأنها كلمة كرها الله تعالى أن يقولوها لنبيه ﷺ نظير الذي ذكر عن النبي ﷺ : « لا تقولوا للعنب الكرم ولكن قولوا الحبلة ولا تقولوا عبدي ولكن قولوا فتاي وما أشبه ذلك »[1]، وكذلك عند تفسير الآية : ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾[٢] ، قال رحمه الله بعد أن ذكر معاني السياحة « وليس المراد من السياحة ما قد يفهم بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض والتفرد في شواهق الجبال و الكهوف والبراي فإن هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتن والزلازل في الدين »[3] .

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ١/١٨٦-١٨٧، والحديث أخرجه مسلم كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب كراهيته العنب كرمًا رقم (٢٢٤٧) وأبو داود، بلفظ « لا يقولن أحدكم الكرم فإن الكرم الرجل المسلم ولكن قولوا حدائق الأعناب »، كتاب الأدب، باب في الكرم وحفظ المنطق رقم (٤٩٧٤) .

(٢) سورة البقرة آية ١٠٤ .

(3) المرجع نفسه ٢/٤٨٤ .

المطلب الثالث

أثر مخالفة المصطلحات في اللغة والشرع والعقل على الاختلاف العلمي والعملي على الأمة

إن من أهم أسباب الاختلافات العلمية والعملية والتفرق والتحزب الناشئ في الأمة يرجع إلى سوء التعامل مع الألفاظ والمصطلحات، لأنهم خالفوا فيها اللغة والشرع والعقل، والأمة لا يكون لها عودة إلى وحدتها وتآلفها وانسجامها الفكري والنفسي إلا من خلال المفاهيم التي تتم من خلال توحَّد الإدراك لدلالة الألفاظ والمصطلحات التي هي أوعية المعاني، لذلك فالعلماء والأئمة الكبار «يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة المشتبهه لما فيها من لبس الحق بالباطل مع ما توقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة، بخلاف الألفاظ المأثورة والألفاظ التي تثبت معانيها فإن ما كان مأثورًا حصلت به الألفة وما كان معروفًا حصلت به المعرفة فإذا لم يكن اللفظ منقولًا ولا معناه معقولًا ظهر الجفاء والأهواء »[1] .

وابن كثير رحمه الله يعتبر المصطلحات المخالفة التي لا تستند على الشرع هي شبيه بالآراء والأهواء والضلالات والجهالات فيقول عند تفسير الآية : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ .....﴾[2] ، « ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله

---

(1) درء تعارض النقل والعقل ١/٢٧١.

(٢) سورة المائدة آية ٥٠ .

المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من الشريعة »[1] .

وهناك ألفاظ ومصطلحات طارئة ومحدثة كان لها أثر سيء على الأمة الإسلامية في حياتها العلمية والعملية قديمًا وحديثًا كما أن لها أثرًا على سير الدعوة وقبول الناس لها والتشويش عليها من هذه الألفاظ والمصطلحات :

مصطلحات ومعان محدثة لا توجد في الكتاب والسنة ولا في لغة العرب بحيث يكون المصطلح ودلالته محدثين، فهناك ألفاظ جديدة ومبتدعة جُعلت لها معان جديدة ومبتدعة لا يدل عليها اللفظ ولا العقل بحيث أن المدلول الحقيقي للفظ سواء كان اللغوي أو الشرعي نفوه وغيروا معانيها المفهومة إلى معان أخرى، فعلى سبيل المثال هناك ألفاظ ومصطلحات لا خلاف عليها من حيث المعنى اللغوي ولكنها تحمل لدى أصحابها معان ذات دلالات عقدية وفلسفية معينة فمن أصول المعتزلة « العدل والتوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ولكن مفهوم العدل هو إنكار القدر لأن القدر – بزعمهم – مناف للعدل الذي يقتضى – في نظرهم – أن تكون أفعال العباد غير مقدّره من عند الله عز وجل إذ كيف يجازي على شيء قدره، ويقصدون بالتوحيد القول بخلق القرآن إذ لو كان غير مخلوق لتعدد القدماء، ويقصدون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جواز الخروج على الإمام الجائر، ولا شك أن تعبير المعتزلة وغيرهم من الفرق الإسلامية بالعبارات المعروفة عند المسلمين عن المعاني المتلقاة من الفلاسفة ونحوهم، ثم يريدون أن ينزِّلوا كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ على ما وضعوه من اللغة والاصطلاح وكل منهم يُعبّر عن هذه المعاني والمفاهيم

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٨٨ .

لهذه الألفاظ والمصطلحات بعبارات إسلامية لا شك أن هذا من التلبيس على الأمة ومن تحريف الكلم عن مواضعه فهم كما قال شيخ الإسلام الهروي: «أخذوا مخ الفلسفة فلبسوه لحاء السنة »[1] .

فهذه المصطلحات التي لا خلاف عليها لكونها صالحة وسليمة يجعل بعضهم أعلامًا على ما ينفر منه أصحاب الفكرة المعادية حتى يسهل دخول أفكارهم وعقائدهم دون حصول النفرة والكراهية، وكنا ذكرنا بعض الأمثلة في الصراع الفكري من المذاهب الإسلامية في معنى التوحيد الذي حقيقته إثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه عن أضدادها وعبادته وحده لا شريك له، اصطلح البعض على وضعه بخلق القرآن أو وضعه للتعطيل المحض ثم دعوا الناس إلى التوحيد فخدعوا به من لم يعرف معناه في اصطلاحهم[2] .

ومن أمثلة ذلك في الصراع الفكري في الحياة المعاصرة العلمانية، والنضالية، والإصلاح، والتقدمية، والعقلانية ونحو ذلك فمصطلح العلمانية (secularism) مثلًا الذي حقيقته فصل الدين على الحياة، نسب إلى «العلم» أو إلى « العالم » ليكون مقبولًا في النفوس[3] .

ولكن مهما بُدِّلت الألفاظ وحُسِّنت العبارات فلن تغير من الحقائق شيئًا، «ولو أوجب تبديل الأسماء والصور تبدل الأحكام والحقائق لفسدت الديانات وبُدِّلت الشرائع واضمحل الإسلام وأي شيء نفع المشركين تسميتهم أصنامهم

---

(1) بغية المرتاد لابن تيمية، ص ٢١٩، وشيخ الإسلام الهروب هو أبو عبيد القاسم بن سلام سبق ترجدمته ص ٧٥.

(2) انظر الصواعق المرسلة لابن القيم ٩٢٩/٣ .

(3) للاستزادة من هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب : مجالات انتشار العلمانية، وكتاب نشأة العلمانية ودخولها المجتمع الإسلامي، وكلاهما للأستاذ الدكتور محمد زين الهادي العرمابي، مطبعة دار العاصمة بالرياض ١٩٨٨م.

آلهة وليس فيها شيء من صفات الإلهية وحقيقتها ؟ وأي شيء نفع تسمية الإشراك بالله تقربًا إلى الله ؟ وأي شيء نفع المعطلين لحقائق أسماء الله وصفاته تسمية ذلك تنزيهًا ؟ وأي شيء نفع الغلاة من البشر واتخاذهم طواغيت يعبدونها من دون الله تسمية ذلك تعظيمًا واحترامًا ؟ وأي شيء نفع نفاة القدر المخرجين لأشرف ما في مملكة الرب تعالى من طاعات أنبيائه ورسله وملائكته وعباده عن قدرته تسمية ذلك عدلًا ؟ وأي شيء نفعهم نفيهم لصفات كماله تسميته ذلك توحيدًا ؟ ... فهؤلاء كلهم حقيق عليهم أن يتلى عليهم ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] .

وهناك مصطلحات كثيرة إستخدمها أعداء الإسلام في الصراع الحضاري مع الأمة الإسلامية فجعلوا ألفاظًا ومصطلحات هي في الأصل أعلام على معان ومفاهيم سيئة وأسقطوها على العقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي بل على الإسلام والمسلمين لتنفير الناس بجرس هذه لألفاظ – ناهيك عن معانيها – من ذلك الاعتقاد أو المذهب أو الرأي أو مما يتضمنه من الحق، وممن حورب بهذه الرسل عليهم الصلاة والسلام، « فأشد ما حاول أعداء الرسول محمد ﷺ من التنفير عنه سوء التعبير عما جاء به وضرب الأمثال القبيحة له، والتعبير عن تلك المعاني التي لا أحسن منها بألفاظ منكره ألقوها في مسامع المغترين والمخدوعين فوصلت إلى قلوبهم فنفرت منه وهذا شأن كل مبطل »[2] .

---

(١) سورة النجم آية ٢٣، إعلام الموقعين لابن القيم ١٣٠/٣ .

(2) الصواعق المرسلة لابن القيم، ٩٤٤/٣ .

فمن هذه المصطلحات « الأصولية » الذي نشأ في الغرب ونقل إلى العالم الإسلامي – ظلمًا وعدوانًا – فالخلفية التاريخية الموجودة في أذهان الغربيين تجعلهم إذا سمعوا عن الأصولية (Fundamentalism) تمتلئ أذهانهم رعبًا نفرة بسبب المعاملات الهمجية التي اقترفها النصارى باسم الدين حيث حوربت الإنسانية والتقدم العلمي والتطور، فالأصولية غير محمودة لأنها رجوع إلى أصل الإنجيل المحرف المليء بالضلالات والانحرافات المخالفة للعقل المناوئ للعلم المليء بالأخبار الكاذبة فاختيار هذا المصطلح وإسقاطه على المسلمين أو على طائفة منهم لا يخلو من غرض، أما الأصولية بمعنى الرجوع إلى القرآن فأمر محمود .

وكذلك مصطلح الرجعية التي فيها إشارة إلى الرجوع إلى القرون التي كانت قمة التخلف في التاريخ الأوروبي وهي القرون الوسطى وليس الأمر في التاريخ الإسلامي كذلك، بل كانت تلك القرون قرون حضارة وتقدم ورقي .

وهناك مصطلحات أخرى تخالف في دلالتها عقيدة الإسلام والشريعة ولكن قام بعض الدعاة بحسن نية بإضافتها إلى الإسلام ظنا منهم أن ذلك سيخرجها من معانيها الأصلية التي وضِعت له ويجعلها متوافقة مع الإسلام، والحق أن كل لفظ يحمل اصطلاحا موجودًا معناه في الإسلام فلا مانع شرعًا من جواز استعماله بذكره أو بالدعوة إليه، أما إذا كان الاصطلاح يخالف معناه ما في الإسلام من معان فلا يجوز ذكره على سبيل الدعوة إليه وإن قيد بوصف إسلامي كاليسار الإسلامي أو اليمين الإسلامي أو اشتراكية الإسلام

... لأنه تعبير وضع في الأصل لفكر معين أو لنظام خاص عُرف به أصحابه وحملته[1] .

فمصطلح الاشتراكية التي تعني اصطلاحًا معينًا وهو نظام اقتصادي يقوم على تحقيق المساواة في كل شيء بين الأفراد وعلى إلغاء الملكية الفردية كليًا أو جزئيًا وعلى أن الفرص الخاصة والإرث ليس من أسباب التملك المشروعة وعلى أن الأرض أي أرض ملك للدولة، وعلى فكرة التأميم ... الخ، وبالتالي فإن لهذا النظام عقيدة انبثق عنها وهي العقيدة المادية الإلحادية، هذه معاني لفظة الاشتراكية وهذا مدلولها الواقعي والفكري فحين تطلق هذه اللفظه – الاشتراكية – فإن تلك المعاني تذهب حالًا إلى الذهن، ولا شك أن هذه المعاني كلها للفظة الاشتراكية مناقضة للفطرة البشرية ومخالفة لعقيدة الإسلام ونظامه، لذلك لا يجوز شرعًا استعمال لفظة الاشتراكية بالدعوة إليها وإن سميت اشتراكية إسلامية أو اشتراكية الإسلام لأن وصفها بالإسلامية لا يخرج معانيها المقررة في الذهن، وإنما العكس فإن استعمالها بالدعوة إليها يثبت تلك المعاني في الأذهان ويوهم بموافقتها للإسلام وهذا عين الخطأ والتسليم بهزيمة الإسلام والطعن في العقيدة الإسلامية وهذا لا يريده المخلصون للإسلام والمؤمنون به عقيدة ونظامًا[2].

وهناك مصطلحات كثيرة لم نتعرض لها كالديمقراطية والمبدأ والدستور والموضوعية والإرهاب والتراث والسلفية والماضوية والاسنتاده واليسار واليمين ....

---

(1) انظر حكم الإسلام في الاشتراكية، عبد العزيز البديري، ص ١٢٥ .

(2) المرجع نفسه، ص ١٢٧-١٢٨ .

وغيرها من المصطلحات التي يتعين معرفتها وتميزها، لأن طبيعة البحث تقتضي عدم التوسع في ذلك.

الفصل الرابع

شمول منهج أبن كثير الدعوي وموضوعيته وتقديمه قول الصحابي

ويحتوي على مباحث :

المبحث الأول : ترجيح أبن كثير قول الصحابي على غيره من الناس

المبحث الثاني : شمولية منهج ابن كثير في الدعوة

المبحث الثالث :الموضوعية الدعوية في منهج ابن كثير

المبحث الأول

ترجيح ابن كثير قول الصحابي على غيره من الناس

مر معنا أن منهج ابن كثير رحمه الله في التفسير هو ما قرره في مقدمة تفسيره وهو « أن يفسر القرآن بالقرآن ... فإن لم يجد فمن السنة .. وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لا سيما علماءهم وكبراءهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وعبد الله بن مسعود ... ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس »[1] .

فابن كثير رحمه الله يقدم أقوال الصحابة على غيرهم من الأقوال ويجعلها في المرتبة الثانية بعد القرآن والسنة، فنجد أن تفسيره رحمه الله مليء بأقوال الصحابة وتفسيرهم لآيات القرآن الكريم وبيان معاني لفظه، يورد غالبًا ما روي عنهم عند تفسيره الآيات ويحرص على ذكر أكبر قدر من الآثار والأقوال المروية عنهم في تفسير الآية، ويذكر عباراتهم ولو كانت متقاربة، كما أنه

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ١/١٠-١١ .

يورد لبعض المفسرين من الصحابة أكثر من قول في تفسير الآيات بروايات وطرق متعددة ومختلفة، وحينما يكون بين هذه الأقوال المتعددة اختلاف فإنه يناقش أسانيدها ومتونها ويبّين الصحيح من الضعيف منها، وكذلك يحرص على التوفيق بين الأقوال بعضها مع بعض خاصة إذا كان الاختلاف في الألفاظ فقط فيحاول الجمع بين تلك الأقوال وتقريب بعضها من بعض، إضافة إلى ذلك فهو يبين الراجح والمرجوح مما يذكره من الآثار مستندًا في ترجيحه على ما دل عليه الكتاب والسنة أو ما دل عليه ظاهر الآية، وقد يوجه بعض الأقوال توجيهًا حسنًا ويحملها على أطيب المحامل وأحسنه فالحاصل أن تفسير ابن كثير رحمه الله مليء بالأقوال والآثار عن الصحابة رضوان الله عليهم في تفسير الآيات وبيان معانيها، وسنكتفي بذكر أمثلة محدودة لأن المقام لا يتسع لتفصيل الحديث عن ذلك، فمن الأمثلة على ترجيح ابن كثير أقوال الصحابة على غيرهم ما ذكره عند تفسير الآية : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾[1] ، فقال : « وقد قرأ عبد الله بن مسعود (ثم عرضهن) وقرأ أبي بن كعب (ثم عرضها) أي المسميات والصحيح أنه علّمه أسماء الأشياء كلها ذواتها وأفعالها كما قال ابن عباس »[2]، وعند تفسير الآية : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ ﴾[3] (الرعد ٤١)، قال : « قال ابن عباس أو لم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض

---

(١) سورة البقرة آية ٣١ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٩٥/١ .

(٣) سورة الرعد آية ٤١ .

بعد الأرض .... وقال مجاهد وعكرمة[1] من أطرافها قال خرابها .... وبعد ذكر جملة من الأقوال رجح قول ابن عباس وقدمه على غيره فقال : « والقول الأول أولى وهو ظهور الإسلام على الشرك قرية بعد قرية »[2] وعند تفسير الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ .... ﴾[3] ، قال: « قال عمر بن الخطاب في غلام قتله سبعة فقتلهم، لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم ولا يعرف له في زمانه مخالف من الصحابة وذلك كالإجماع »[4]، وعند تفسير الآية : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ .... ﴾[5] ، قال : « عن ابن عباس في قوله وقالوا قلوبنا غلف، قال قلوبنا مملوءة لا تحتاج إلى علم محمد ولا غيره ... ثم ساق بعض الأقوال والآثار، ثم قال: « والأول أولى وهو المنصوص عن ابن عباس أنهم يقولون نحن في غنية بما عندنا من العلم مما جاء به محمد ﷺ »[6] .

ومن الأمثلة على ما أورده ابن كثير من أقوال الصحابة المتعددة والمختلفة الألفاظ والتي حاول فيها الجمع بين تلك الأقوال وتقريب بعضها من بعض ما ذكره عند تفسير الآية : ﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ﴾[7] ، قال

---

(١) هو عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله مولى ابن عباس، تابعي كان من أعلم الناس بالتفسيروالمغازي، طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعيًا، وكانت وفاته بالمدينة هو و(كثير عزه) في يوم واحد فقيل مات أعلم الناس وأشعر الناس وكانت وفاته سنة ١٠٥هـ (الأعلام ٤/٢٤٤) .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٦٤٢ .

(٣) سورة البقرة آية ١٧٨ .

(4) المرجع نفسه ١/٢٦٠ .

(٥) سورة البقرة ٨٨ .

(6) المرجع نفسه ١/١٥٦ .

(٧) سورة الأعراف آية ٤٦ .

: « الأعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفا ... وعن ابن عباس قال الأعراف سور كعرف الديك، وفي رواية عنه عن ابن عباس الأعراف تل بين الجنة والنار حبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار وفي رواية هو سور بين الجنة والنار ... ثم قال واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم ؟ وكلها تقريبًا ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم نص عليه حذيفة[1] وابن عباس وابن مسعود »[2] .

وعند تفسير الآية : ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ﴾[٣] ، قال : « وفي قوله تعالى وآثارهم قولان : أحدهما أعمالهم التي باشروها بأنفسهم وآثارهم التي أَثَرها مَن بعدهم فنجزيهم على ذلك أيضًا إن خيرًا فخير وان شرًا فشر ....والقول الثاني أن المراد بذلك آثار خطاهم الى الطاعة أو المعصية، وهذا القول لا تنافى بينه وبين القول الأول بل في هذا تنبيه ودلاله على ذلك بطريقة الأولى والأحرى فإنه إذا كانت هذه الآثار تكتب، فلأن تكتب التي فيها قدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى والله أعلم »[4] .

---

(1) هو حذيفة بن حسل بن جار العبسي أبو عبد الله واليمان لقب حسل صحابي من الولاة الشجعان الفاتحين كان صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين لم يعلمهم أحد غيره ولما ولي عمر سأله أفي عمالي منافقين فقال نعم واحد قال من هو ؟ قال لا أذكره وولاه عمر على المدائن، واستقدمه عمر إلى المدينة فلما قرب وصوله أعترضه عمر في ظاهرها فرآه على الحال التي خرج بها فعانقه وسُرَّ بعفته ثم أعاده إلى المدائن فتوفي فيها سنة ٣٦هـ، الأعلام ١٧١/٢ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٧٤/٢ .

(٣) سورة يس آية ١٢ .

(4) المرجع نفسه ٦٩٣/٣-٦٩٤ .

ومن أمثلة ترجيح ابن كثير لبعض الأقوال اعتمادًا على ما دل عليه الكتاب والسنة أو ما دلت عليه ظاهر الآية ما جاء عند تفسير الآية : ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾[1]، فقال : « وكان ابن عباس يرى أن عليها أن تتربص بأبعد الأجلين من وضع الحمل أو أربعة أشهر وعشر للجمع بين الآيتين، وهذا مأخذ جيد ومسلك قوي لولا ما ثبت من السنة من حديث سبيعة[2] الأسلمية المخرّج في الصحيحين من غير وجه أنه توفي عنها زوجها سعد بن خوله[3] وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته ... فلما تعلّت[4] من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك[5] فقال لها ما لي أراك متجملة لعلك ترجين النكاح، والله ما أنت بناكح حتى يمر عليك أربعة أشهر وعشرًا .... فأتيتُ رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣٤ .

(2) هي سبيعة بنت الحارث الأسلمية، كانت امرأة سعد بن خوله رضي الله عنه، توفي عنها بمكة في حجة الوداع وهي حامل فوضعت بعد وفاته بليال، روي لها عن رسول الله ﷺ اثنا عشر حديثًا (تهذيب الأسماء لابي زكريا محي الدين بن شرف النووي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ٢/٢٤٣) .

(3) هو سعد بن خوله القرشي العامري من بني مالك بن حسل بن هامر بن لؤي وقيل من حلفائهم وقيل من مواليهم، قال ابن هشام هو فارسي من اليمن حالف بني عامر، ذكره ابن اسحاق من البدريين، ذكر في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص حيث مرض بمكة فقال النبي ﷺ لكن البائس سعد بن خوله يرثى له رسول الله ﷺ أن مات بمكة، وكذلك له في الصحيحين ذكر في حديث سبيعة بنت الحارث أنها كانت تحت سعد بن خوله فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل (الأصابة في معرفة الصحابة ١/٤٢٦) .

(4) أي خرجت نفاسها وطهرت، المعجم الوسيط لإبراهيم أنيس وزملائه ص ٦٢٣ .

(5) هو أبو السنابل بن بعكك بن الحجاج بن الحارث العبدري القرشي، أمه عمرة بنت أوس من بني عذره ابن سعد، قيل اسمه حبه بن بعكك، من مسلمة الفتح كان شاعرًا ومات بمكة، وهو الذي خطب سبيعة الأسلمية عند وفاة زوجها (الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٢/٣٩) .

وأمرني بالتزويج أن بدالي »[1]، فقدَّم ابن كثير السنة على قول ابن عباس، ومن الأمثلة على توجيه الأقوال توجيه حسن أو حملها على أحسن محمل ما جاء عند تفسير الآية : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ ﴾[2] ، قال : « عن مصعب قال سألت أبي يعني سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ أهم الحرورية[3] ؟ قال لا هم اليهود والنصارى أما اليهود فكذبوا محمد ﷺ وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية الذين ينقضون عهد اللّه من بعد ميثاقه ... وقال علي بن أبي طالب والضحاك وغير واحد : هم الحرورية، ومعنى هذا عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن هذه الآية تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء بل هي أعم من هذا فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج[4] بالكلية وإنما هي عامة في كل من عبد اللّه على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول وهو مخطئ وعمله

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٥٣/١ .

(٢) سورة الكهف آية ١٠٣ .

(٣) الحرورية : نسبة إلى حروراء موضع خرج فيه أول الخوارج على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وهم الغلاة في حب أبي بكر وعمر وبغض علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين . (انظر مقالات الإسلامين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ١٦٧/١ طبعت المكتبة العصرية بيروت ١٤١١هـ) .

(٤) الخوارج : هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما كما أجمعوا – عدا النجدات- على تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار إذا مات مصرًا عليها، وفرق الخوارج تصل إلى عشرين فرقة وكانوا أهل عبادة ولكن على جهل ومن أسمائهم الحرورية . (الملل والنحل محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني ١١٤/١-١١٥، طبعت دار المعرفة، بيروت بدون تاريخ، وانظر أيضًا مقالات الاسلاميين ١٦٧/١-١٦٨) .

مردود »[1] ، فابن كثير رحمه الله حمل قول الصحابة في تفسير ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ بأنها عامة في كل من عبدَ اللهَ على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول وهو مخطئ وعمله مردود ومنهم اليهود والنصارى والخوارج الحرورية .

وهذا المنهج الذي هو ترجيح قول الصحابة وتقديمه على قول غيرهم هو المنهج الذي يجب على الدعاة إلى الله أن يطبقوه ويلتزموا به وهو المنهج الذي سار عليه السلف الصالح من العلماء والدعاة والمصلحين أمثال الإمام ابن كثير رحمه الله، ذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم شاهدوا التنزيل وعاصروه ولازموا رسول الله ﷺ وسمعوا منه وتلقوا عنه وحفظوا مقالته ووعوها ثم نقلوها إلى من بعدهم كما سمعوها وفهموها، ولذا فهم أفقه الأمة وأعلمهم بمراد الله ورسوله ﷺ، فمعاني القرآن كلها عندهم وما يغيب عن بعضهم لا يغيب عنهم كلهم، ولذلك نجد الشافعي رحمه الله يقول مبينًا أهمية إتباع رأيهم والأخذ به وتقديمه وترجيحه : « رأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا »[2] .

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/١٣٦ .

(٢) أعلام الموقعين ٢/٢٠٥، وانظر مفرح القوسي، المنهج السلفي ص ٣٦٢-٣٦٣ طبعت دار الفضيلة، الرياض ط١، ١٤٢٢هـ .

المبحث الثاني

شمولية منهج ابن كثير في الدعوة

توطئة :

إن من تمام نعمة الله على هذه الأمة أن أكمل لها دين الإسلام ورضيه لها دينًا فقال سبحانه : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1] .

« فلا حلال إلا ما أحله الله ولا حرام إلا ما حرمه الله ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب ولا خلف كما قال تعالى:﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾[2] أي صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم ولهذا قال ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ أي فارضوه أنتم لأنفسكم فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه وبعث به أفضل رسله الكرام وأنزل فيه أشرف كتبه »[3] .

---

(١) سورة المائدة آية ٣ .

(٢) سورة الأنعام آية ١١٥ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ١/١٨-١٩ .

ومن هذا المعنى الذي قرره ابن كثير عند تفسير الآية السابقة ينطلق رحمه الله في تصوره لهذا الدين وهو شموله لجميع جوانب الحياة كلها فهو عقيدة وشريعة وعبادة وأخلاق وآداب وسلوك، وهو علم وعمل وظاهر وباطن، لذا نجد من أبرز خصائص منهج ابن كثير الدعوي هو التصور الشمولي والتكاملي في الدعوة، فاشتملت دعوته على جوانب الدين كله فأهتم رحمه الله بتقرير العقيدة والدعوة إلى عبادة الله وحده دون سواه وكذلك شملت دعوته طوائف المجتمع وفئاته وشملت الرجل والمرأة والشباب وكذا غير المسلم من أصحاب الملل والنحل والطوائف والفرق إضافة إلى اهتمامه بمجتمعه وتعامله مع قضاياه وما يجري فيه من أحداث وهذا كله نابع من تصوره الشمولي كما أشرنا ومن إحساسه بواجبه ومسئوليته بإعتباره عالمًا وداعيةً ومصلحًا، وهو ما ينبغي أن يكون عليه الدعاة اليوم فيكونون على مستوى يؤهلهم لدعوة الناس بكافة فئاتهم وشرائحهم ليوصلوا دين الله إلى الناس أجمعين ويقوموا بواجب البلاغ المبين ليكونوا خيرا أمة أخرجت للناس .

المطلب الأول

شمول العقيدة

إن اهتمام ابن كثير رحمه الله بالعقيدة راجع إلى أهميتها فهي أصل الدين وأساسه، والاعتقاد الصحيح له أثر كبير على فهم النصوص الشرعية فهمًا سليمًا، لأن الاعتقاد أساس الفهم والتلقي فكلما كان المعتقد والتصور سليمًا كلما كان منهج فهم النصوص وتلقيها والاستدلال بها موافقًا للحق، وأمر آخر جعل ابن كثير يهتم بجانب العقيدة هو ما أدركه من الضعف في الأمة والخلاف والفرقة مما سبب خللًا في عقائد المسلمين، من هنا كان اهتمام ابن كثير رحمه الله بالعقيدة واضحًا في تفسيره وهذا ما سنتناوله بالتفصيل إن شاء الله في مبحث منهج ابن كثير في الدعوة إلى العقيدة أما هنا فيمكن أن نلخص أبرز ملامح اهتمام ابن كثير بالجانب العقدي في النقاط التالية :

١. حرص ابن كثير على الاستدلال بالكتاب والسنة والآثار على قضايا العقيدة فلا نجد قضية عقدية إلا ويقررها ويثبتها من خلال النصوص والآثار، فمثلًا عند تفسيره الآية ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾[1]، قال : « وقد استدل كثير من أئمة السنة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن لقوله:﴿ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ أي رصدت وهُيئت »[2].

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣١ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٨١/١ .

٢. الدعوة إلى توحيد الله وعبادته : فالله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئًا فهو سبحانه«ماخلق الخلق عبثًاوإنماخلقهم ليعبدوه وليوحدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر »[1]، لذا يجب عبادته سبحانه دون سواه فإن الخلق كلهم عبيده ، « فإذا كان الجميع عبيدًا فلم يعبد بعضهم بعضًا بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الرأي والاختراع والابتداع ؟ ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم تزجرهم عن ذلك وتنهاهم عن عبادة سوى الله »[2] . وقد رد رحمه الله على شبهة المشركين في عبادتهم للأصنام بقولهم ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[٣]، فقال : « وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهي عنها والدعوة إلى إقرار العبادة لله وحده لا شريك له وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به له بل أبغضه ونهى عنه»[4] .

٣. التحذير من الشرك وبيان خطره : وكما يدعو رحمه الله إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له فهو ينهى عن الشرك ويحذر منه وينزه الله عنه ويبين خطر الإشراك بالله وينبه على بعض الأسباب المؤدية للشرك فيقول : « إن الشرك فزعت منه السموات والأرض والجبال وجميع

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٤٠، عند تفسير الآية : ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗا ﴾ (ص ٢٧)

(2) المرجع نفسه ٢/٦٢٦، عند تفسير الآية : ﴿لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا ﴾ (الرعد ١٦) .

(٣) سورة الزمر آية ٣ .

(4) المرجع نفسه ٢/٥٤-٥٥ .

الخلائق إلا الثقلين فكادت أن تزول منه لعظمة الله »[1]، ويقول عند تفسير الآية : ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[٢]، « أي أُنزه الله وأُجلّه وأعظمه وأقدسه عن أن يكون له شريك أو نظير أو عديل أو نديد أو ولد أو والد أو صاحبة أو وزير أو مشير، تبارك وتقدس وتنزه عن ذلك كله علوًا كبيرًا »[3] . وينعى رحمه الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره وأشركوا به سواه بأنهم « لا يفعلون ذلك عن دليل قادهم إلى ما هم فيه من الإفك والضلال وإنما يفعلون ذلك إتباعًا لآبائهم وأسلافهم الحيارى الجهال كما قالوا : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٤] [5]، ومن أضرار الشرك وفساده أنه يؤثر على الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح فيقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٦] « وقال محمد بن إسحاق هم المنافقون قلت ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا لأن كلا منهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح ثم أخبر تعالى بأنهم لا فهم لهم صحيح ولا قصد لهم

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ١٧٦/٣، عند تفسير الآية ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾ (مريم ٩٠) .

(٢) سورة يوسف آية ١٠٨ .

(3) المرجع نفسه ٦١٠/٢ .

(٤) سورة الزخرف آية ٢٣ .

(5) المرجع نفسه ٣١٨/٢ .

(٦) سورة الأنفال آية ٢٢ .

صحيح لو فرض أنهم لهم فهمًا فقال ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾[1] أي لا فهم، وتقدير الكلام ولكن لا خير فيهم فلم يفهمهم »[2] .

٤. الإيمان بتوحيد الربوبية يقتضي الإيمان بتوحيد الألوهية : فابن كثير يقرر دائمًا أن الله الخالق الرازق المحيي المميت هو المستحق للعبادة فيقول عند تفسير الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾[3]، « شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانيته وألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة .... فبهذا إستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره »[4]، وعند تفسير الآيات ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[5]، قال : « يقول تعالى مقررًا أنه لا إله إلا هو لأن المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون أنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار وأنه الخالق الرازق لعباده ... فإذا كان الأمر كذلك فلم يُعبدُ غيره ؟ ولم يتوكل على غيره ؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٣ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٧٢/٢ .

(٣) سورة البقرة آية ٢١ .

(4) المرجع نفسه ٧٦/١ .

(٥) سورة العنكبوت آية ٦١-٦٣ .

عبادته وكثيرًا ما يقرن تعالى مقام الألهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية»[1] ويقول أيضًا : «وإنما يستحق العبادة اللّه وحده لا شريك له الذي بيده الملك وله التصرف وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه فلا إله إلا هو ولا رب سواه »[2] .

٥. أن منهج السلف في إثبات الأسماء والصفات هو المنهج الصحيح فيقول عند تفسير الآية : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[٣] ، « وأما قوله ثم استوى على العرش فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًا ليس هذا موضع بسطها وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك والأوزاعي[4] والثوري[5] والليث بن سعد[6] والشافعي

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٥١٩ .

(2) المرجع نفسه ٢/٥٥٤، عند تفسير الآية : ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ (هود ٥٦) .

(٣) سورة الأعراف آية ٥٤ .

(4) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمد شيخ الإسلام وعالم أهل الشام أبو عمر الأوزاعي كان يسكن بمجلة الأوزاع وهي العُقَيبَة الصغيرة ظاهر باب الفراديس بدمشق ثم تحول إلى بيروت مرابطًا بها إلى أن مات وقيل كان مولده ببعلبك، وكان مولده في حياة الصحابة قال محمد بن سعد: الأوزاعي بطن من همدان من أنفسهم وكان ثقة قال ولد سنة ثمان وثمانين وكان خيرًا فاضلًا مأمونًا كثير العلم والحديث والفقه حُجَّة توفي سنة سبع وخمسين ومئة (سير أعلام النبلاء ٧/١٠٧) .

(5) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من بني ثور بن عبد مناة، أبو عبدالله أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، خرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة ثم طلبه المهدي فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا سنة ١٦١ هـ. الأعلام ٣/١٠٤.

(6) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الإمام الحافظ شيخ الإسلام وعالم الديار المصرية أبو الحارث الفهمي مولى خالد بن ثابت بن طاعن وأهل بيته يقولون نحن من الفرس من أهل أصبهان ولا منافاة بين القولين ولد بقرقشنده قرية من

واحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه[1] وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والظاهر المتبادل إلى أذهان المشبهين منفي عن الله فإن الله لا يشبه شيء من خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢] بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي[3] شيخ البخاري من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى ونفى عن الله النقائص فقد سلك سبيل الهدى »[4].

أسفل أعمال مصر في سنة أربع وتسعين سمع عطاء وابن أبي مليكه وابن شهاب الزهري وغيرهم، كان الليث رحمه الله فقيه مصر ومحدثها ورئيسها ومن يفتخر بوجوده الأقليم بحيث أن متولي مصر وقاضيها وناظرها من تحت أوامره ويرجعون إلى رأيه ومشورته وقد أرادة المنصور على أن ينوب له على الأقليم فاستعفى من ذلك توفي سنة ١٧٥هـ، سير أعلام النبلاء ١٣٦/٨ .

(1) هو الإمام الكبير شيخ المشرق سيد الحفاظ أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبد الله بن مطر التميمي الحنظلي المروزي تزيل نيسابور ومولده سنة إحدى وستين ومائة وسمع عن ابن المبارك قال الحاكم إسحاق بن راهويه إمام عصره في الحفظ والفتوى سكن نيسابور ومات بها سنة ثمان وثلاثين ومئتين سير أعلام النبلاء ٣٥٨/١١ .

(٢) سورة الشورى آية ١١ .

(3) هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي أبو عبد الله، أول من جمع المسند في الحديث، كان من أعلم الناس بالفرائض، ولد في مرو الشاهجان وأقام مدة في العراق والحجاز يطلب الحديث، ثم سكن مصر ولم يزل فيها إلى أن حمل إلى العراق في خلافة المعتصم وسئل عن القرآن أمخلوق هو؟ فأبى أن يجيب فحبس في سامراء ومات في سجنه، من كتبه الفتن والملاحم، توفي سنة ٢٢٨هـ (الأعلام ٤٠/٨) .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٨٠/٢ .

٦. مسمى الإيمان غير مسمى الإسلام وأنه قول وعمل وإعتقاد ويزيد وينقص : فابن كثير رحمه الله يقرر مذهب السلف في أن الإيمان إعتقاد وقول وعمل فالعمل داخل في مسمى الإيمان، ويفرق بين مسمى الإيمان اللغوي والشرعي وأن مسمى الإيمان غير مسمى الإسلام وأن الإيمان يزيد وينقص فيقول[1] رحمه الله: « أما الإيمان في اللغة فيطلق على التصديق المحض وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك كقوله تعالى : ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] وكما قال إخوة يوسف : ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[٣]، وكذلك إذا استعمل مقرونًا مع الأعمال كقوله : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[٤] فأما إذا استعمل مطلقًا فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادًا أو قولًا وعملًا »[5] وقال رحمه الله عند تفسير الآيـــة:﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[٦] « وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب كما هو مذهب جمهور الأمة، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد»[7]،وقد رد رحمه الله على الذين لا يفرقون بين مسمى الإيمان

---

(1) عند تفسير الآية : (البقرة ٢)

(٢) سورة التوبة آية ٦١ .

(٣) سورة يوسف آية ١٧ .

(٤) سورة التين آية ٦ .

(5) المرجع نفسه ٥٦/١ .

(٦) سورة الأنفال آية ٢ .

(7) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٥٩/٢ .

والإسلام فقال عند تفسير الآية : ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]، «احتج بهذه الآية من ذهب إلى رأي المعتزلة ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين، وهذا الاستدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قومًا مؤمنين وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس، فاتفق الإسمان هاهنا لخصوصية الحال ولا يلزم ذلك في كل حال»[2]، ولذلك قال عند تفسير الآية : ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾[3] وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة »[4] .

٧. أصول الإيمان : وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، يقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾[5] قال : فإن من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الإسلام وأخذ بمجامع الخير كله وهو الإيمان بالله وهو أنه لا اله إلا هو وصدّق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله، والكتاب وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء حتى ختمت بأشرفها وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب الذي انتهى

---

(١) سورة الذاريات آية ٣٦ .

(2) المرجع نفسه ٤/٢٧٨ .

(٣) سورة الحجرات آية ١٤ .

(4) المرجع نفسه ٤/٢٥٧ .

(٥) سورة البقرة آية ١٧٧ .

إليه كل خير واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة ونسخ فيه كل ما سواه من الكتب قبله، وآمن بأنبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين »[1]، فابن كثير رحمه الله يؤكد على الإيمان بهذه الأصول والأركان فيذكرها مجتمعة وقد يفرد الحديث عن ركن منها كالإيمان بالله كما سبق أو الملائكة أو بالكتب أو الرسل أو اليوم الآخر أو القضاء والقدر فمثلا يؤكد على الإيمان بجميع الأنبياء والرسل و« أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الإيمان به فعاد كفروا بهود فنزَّل كفرهم منزلة من كفر بجميع الرسل »[2] ، ومن أركان الإيمان وأصوله الإيمان باليوم الآخر « فانه لابد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر، وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لابد من معاد وجزاء فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك . ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده فلابد في حكمة الحكيم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين دار أخرى لهذا الجزاء والمواساة »[3] وكذلك الإيمان بالقدر وثمرة ذلك على المؤمن فيقول رحمه الله عند تفسير آية: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[4] «ولهذا يستدل

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٢٥٨.

(2) المرجع نفسه ٢/٥٥٥ عند تفسير الآية : ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ (هود ٥٧) .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٤١ عند تفسير الآية : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سورة ص ٢٨) .

(4) سورة القمر آية ٤٩ .

بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها[1]» ويقول أيضًا « ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوّضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه، ويقينا صادقا وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرا منه»[2] .

٨. وجوب تحكيم شرع الله ورد النتائج في الحكم إلى الله ورسوله. فابن كثير رحمه الله يؤكد أنه « إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا ولا رأي ولا قول » [3] « ويضيف رحمه الله « أن من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر» [4] وذلك لأنه ليس هناك « أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الأحكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فانه تعالى هو العالم لكل شي القادر على كل شيء العادل في كل شيء»[5] .

٩. حب الصحابة والترضي عنهم وأن الخير كل الخير فيما ورد عنهم . وقد سبق الكلام على موقف ابن كثير من الصحابة فهو رحمه الله يرى أن

---

(1) المرجع نفسه ٣١٦/٤

(2) المرجع نفسه ٤٤٢/٤ عند تفسير الآية : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ ﴾ (التغابن ١١) .

(3) المرجع نفسه ٦٣/٣ عند تفسير الآية ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ (الاحزاب ٣٦) .

(4) المرجع نفسه ٦٣٣/١٠ عند تفسير الآية : ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ (النساء ٥٩) .

(5) انظر تفسير القرآن العظيم ٨٨/٢ عند تفسير الآية : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ ﴾ (المائدة ٥٠) .

الخير كل الخير فيما ورد عنهم لأن« كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة هو بدعه، لأنه لو كان خيرا لسبقونا إليه لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها»[1]، وكذلك موقفه رحمه اللّه من آل بيت النبي ﷺ، حيث ذكر شرفهم وفضلهم وأكد رحمه اللّه أنه « لا تنكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا ونسبا وحسبا ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة، كما كان عليه سلفهم كالعباس[2] وبنيه وعلي وأهل بيته وذويه رضي اللّه عنهم أجمعين » [3] .

١٠. التحذير من البدع وأهلها . إن البدع التي يحذر منها ابن كثير هي البدعة في الدين « فالبدعة على قسمين تارة تكون بدعة شرعية كقوله « فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »[4] وتارة تكون بدعة لغوية كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند جمعه

---

(1) المرجع نفسه ١٨٥/٤ عند تفسير الآية : ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ (الأحقاف آية ١١) .

(2) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو الفضل من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام وجد الخلفاء العباسيين قال رسول الله ﷺ في وصفه أجود قريش كفًا وأوصلها هذا بقية آبائي وهو عمه وكان محسنًا لقومه شديد الرأي واسع العقل وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه وأقام بمكة يكتب إلى رسول الله ﷺ أخبار المشركين ثم هاجر إلى المدينة وشهد وقعة حنين فكان ممن ثبت حين انهزم الناس وشهد فتح مكة، وكانت وفاته في المدينة سنة٣٢هـ، الأعلام ٢٦٢/٣ .

(3) المرجع نفسه ١٣٣/٤ عند تفسير الآية : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (سورة الشورى آية ٢٣) . وانظر التفسير ٦٢٢/٤ عند تفسير الآية : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ (الضحى ٥) .

(4) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب تحقيق الصلاة والخطبة رقم (٨٦٧).

إياهم على صلاة التراويح واستمرارهم نعمت البدعة هذه[1] » [2] ، فأهل البدع الذين يذمهم ابن كثير ويحذر منهم هم « أهل الضلال ... المعرضين عن الحق المتبعين للباطل يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء »[3] .

١١. عدم تكفيره أهل الكبائر : كما هو الحال عند الخوارج ومن تابعهم الذين يكفرون بالكبائر من الذنوب .

١٢. التحذير من موالاة أعداء الإسلام من الكفار ونحوهم .

١٣. الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة : فابن كثير رحمه الله حريص على تقرير هذا المبدأ وبيانه .

---

(١) أخرجه البخاري كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان رقم (٢٠١٠) وهو موقوف عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٠١/١ عند تفسير الآية : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾(البقرة ١١٧) .

(3) المرجع نفسه ٣/ ٢٥٩ .

المطلب الثاني

شمول العبادة

من خصائص منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله في تفسيره الاهتمام بالجانب العبادي في الإسلام ، من الصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو وذلك من العبادات والمعاملات، وسنعرض ذلك مفصلًا أن شاء الله في مبحث منهج ابن كثير في الدعوة إلى الشريعة، أما هنا فسنوجز الحديث عن أبرز الملامح لنظرة ابن كثير للجانب العبادي في الإسلام من خلال تفسيره القرآن العظيم فمن هذه الملامح :

١- سماحة الشريعة الإسلامية ويسرها وشمولها : فمن خصائص الشريعة الإسلامية أنها « تشتمل على شيئين علم وعمل فالعلم الشرعي صحيح والعمل الشرعي مقبول فإخباراتها حق وإنشاءاتها عدل »[1]، والله تعالى « كما جعل هذه الأمة وسطًا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب »[2]، ويقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[3] ، « أي يا هذه الأمة الله اصطفاكم وإختاركم على سائر الأمم وفضّلكم وشرّفكم وخصّكم بأكرم رسول وأكمل شرع ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٢٣٩، عند تفسير الآية : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ (الفتح ٢٨).

(2) المرجع نفسه ١/٣٢٧، عند تفسير الآية : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة ١٤٣) .

(٣) سورة الحج آية ٧٨ .

حَرَجٍ ﴾ أي ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء فشق عليكم إلا جعل لكم فرجًا ومخرجًا، فالصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين تجب في الحضر أربعًا وفي السفر تقصر إلى اثنتين وفي الخوف يصليها بعض الأئمة ركعة كما ورد به الحديث[1]، وتُصَلَّى رجالًا وركبانًا مستقبل القبلة وغير مستقبلها، وكذا في النافلة في السفر إلى القبلة وغيرها والقيام فيها يسقط بعذر المرض فيصليها المريض جالسًا فإن لم يستطع فعلى جنبه، إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات ولهذا قال عليه السلام (بعثت بالحنيفية السمحة) [2] وقال لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري حين بعثهما أميرين إلى اليمن : (بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا) [3]، والأحاديث في هذا كثيرة ولهذا قال ابن عباس في قوله (وما جعل عليكم في الدين من حرج) يعني من ضيق »[4].

٢- عبادة الله هي الغاية من الخلق، وتعني « في اللغة من الذلة يقال طريق معبد وبعير معبد أي مذلل، وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف »[5]، والعبادة في منظور ابن كثير شاملة لأنواع

---

(1) الحديث أخرجه مسلم عن ابن عباس قال : « فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعًا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة » ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها رقم (٦٨٧).

(2) الحديث أخرجه أحمد ٦٢٤/٣٦ رقم (٢٢٢٩١) طبعت مؤسسة الرسالة بيروت ط١ ١٤٢١هـ .

(3) الحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري كتاب المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع رقم (٤٣٤١) ومسلم كتاب الجهاد، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير رقم (١٧٣٣) .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٩٧/٣ .

(5) المرجع نفسه ٣٨/١، عند تفسير الآية : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ (الفاتحة ٥) .

القرب فيذكر رحمه الله أن الله أقسم في سورة الفجر « بأوقات العبادة وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب بها إليه عباده المتقون المطيعون له الخائفون منه المتواضعون لديه الخاشعون لوجهه الكريم »[1]، ويرى رحمه الله أن العبادة لا تتم « إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينكف عن المناهي وبالرجاء ينبعث إلى الطاعات »[2] فالمسلم « في حال عبادته خائف راج، ولا بد في العبادة من هذا وهذا، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب ولهذا قال: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[3] فإذا كان الاحتضار ليكن الرجاء هو الغالب »[4]، كما يشير ابن كثير إلى أهمية التوكل في العبادة وأنه « كثير ما يقرن الله بين العبادة والتوكل كما في قوله ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[5] و ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾[6] و ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾[7] وأمر الله المؤمنين أن يقولوا في كل صلواتهم مرات متعددة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٦٠١، عند تفسير الآية : ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ ﴾ (الفجر ١-٢) .

(2) المرجع نفسه ٣/٦٢، عند تفسير الآية : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ (الإسراء ٥٧) .

(3) سورة الزمر آية ٩ .

(4) المرجع نفسه ٤/٥٧، عند تفسير الآية : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ (الزمر ٩) .

(5) سورة هود آية ١٢٣ .

(6) سورة الملك آية ٢٩ .

(7) سورة المزمل آية ٩ .

نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾[1]»[2] وكذلك يُحَذِّر من عاقبة المعصية وأثرها على العباد فجزاء المعصية الوهن في العبادة »[3] .

٣- الالتزام بجميع شرائع الدين : فالمسلم مطالب بأن يلتزم بجميع شرائع الدين والدخول في الإسلام كافة، فيقول ابن كثير عند تفسير الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾[٤]، « يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين المصدقين برسوله بأن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك »[5] .

٤- شروط العمل الصالح : فحتى تكون العبادة مقبولة عند الله لا بد أن يكون العمل صالحًا « وهو ما كان موافقًا لشرع الله وخالصًا وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، هذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصًا لله صوابًا على شريعة رسول الله »[6]، ولذلك فإن : « كل عمل لا يكون خالصًا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل »[7]، قال سبحانه : ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ ﴾[٨]، « ولم يقل أكثر

---

(١) سورة الفاتحة آية ٥ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٢٨/٢، عند تفسير الآية : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ ﴾ (يونس ٨٥) .

(3) المرجع نفسه ٦٥٤/٣، عند تفسير الآية : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ۝١٧ ﴾ (سبأ ١٧) .

(٤) سورة البقرة آية ٢٠٨ .

(5) المرجع نفسه ٣٠٨/١ .

(6) المرجع نفسه ١٣٨/٣ .

(7) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٩١/٣ .

(٨) سورة هود آية ٧ .

عملًا بل أحسن عملًا ولا يكون العمل حسنًا حتى يكون خالصًا لله عز وجل على شريعة رسول الله ﷺ فمتى فقد العمل واحدة من هذين الشرطين بطل وحبط »[1]،وأحيانًا يكون (العمل موافقًا للشريعة في الصورة الظاهرة ولكن لم يخلص عامله التعبد لله تعالى فهو أيضًا مردود على فاعله، وهذا حال المنافقين والمرائين »[2] . والخلاصة أنه « متى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد فمن فقد الأخلاص كان منافقًا وهم الذين يراؤون الناس ومن فقد المتابعة كان ضالًا جاهلًا ومتى جمعهما فهو عمل المؤمنين »[3] .

٥- الإخلاص وأثره على العبادة والطاعة : إن أثر الإخلاص على العبادة والطاعة عظيم لأن « العبد إذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها لله عز وجل، فلا يسمع ولا يبصر إلا لله أي ما شرعه إلا الله ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة الله عز وجل مستعينًا بالله في ذلك كله »[4] .

٦- الاستمرار على الطاعة : فالمسلم مطالب بأن يستمر ويستقيم على طاعة الله وعبادته، لأن من عاش على شيء مات عليه ولذا نجد الإمام ابن كثير يحث على هذا ويُذَكِّر به دائما فيقول عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[5]، « أي حافظوا على

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٣٩/٢ .

(2) المرجع نفسه ١٩٤/١ عند تفسير الآية : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ (البقرة ١١٢) .

(3) المرجع نفسه ٦٨٢/١، عند تفسير الآية : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ ﴾ (النساء ١٢٤) .

(4) المرجع نفسه ٧١٥/٢-٧١٦، عند تفسير الآية : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ (النحل ٧٨) .

(٥) سورة آل عمران آية ١٠٢ .

الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه فعياذًا باللّٰه من خلاف ذلك »[1] .

٧- أثر تقوى اللّٰه وطاعته : ذكر ابن كثير رحمه اللّٰه آثار التقوى والطاعة منها :

أ. التوفيق للأعمال الصالحة ومغفرة الذنوب فاللّٰه سبحانه وعد المتقين والمستقيمين على طاعته « أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم أي يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية وما قد يقع في المستقبل يلهمهم التوبة منها»[2] .

ب. التوفيق لمعرفة الحق من الباطل : « فإن من اتقى اللّٰه بفعل أوامره وترك زواجره وفق لمعرفة الحق من الباطل فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا، وسعادته يوم القيامة وتكفير ذنوبه -وهو محوها وغفرها وسترها عن الناس -وسببًا لنيل ثواب اللّٰه الجزيل »[3]، ويؤكد أيضًا رحمه اللّٰه أن «حال من سلك طريق الهدى واتبع المرسلين وأعرض عن الظالمين يهدي قلبه ويعلمه ما لم يكن

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٧٥/١ .

(2) المرجع نفسه ٦٤٠/٣، عند تفسير الآية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ (الأحزاب ٧٠) .

(3) المرجع نفسه ٣٧٧/٢، عند تفسير الآية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ (الأنفال ٢٩) .

يعلمه ويجعله إمامًا يقتدى به في الخير داعيًا إلى سبيل الرشاد »[1] .

ج. حفظ اللّه من اتقاه وأطاعه : فعاقبة من أتقى اللّه وأطاعه من عباده أن « يحفظهم اللّه ويكلؤهم وينصرهم ويؤيدهم على أعدائهم ومخالفيهم »[2] .

د. غرس محبة من عبد اللّه واتقاه في قلوب الناس : يقول ابن كثير عند تفسير الآية : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾[3]، « يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات -وهي الأعمال التي ترضي اللّه عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية-يغرس في قلوب عباده الصالحين محبةً ومودةً، وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول اللّه ﷺ من غير وجه .... عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إن اللّه إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال : يا جبريل إني أحب فلانًا فأحبه قال فيحبه جبريل قال ثم ينادي في أهل السماء أن اللّه يحب فلانًا قال فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وإن اللّه إذا أبغض عبدًا دعا

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٥٨٩، عند تفسير الآية : ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ﴾ (يوسف ٣٧) .

(2) المرجع نفسه ٢/٧٣٢، عند تفسير الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ (النحل ١٢٨) .

(٣) سورة مريم آية ٩٦ .

جبريل فقال : يا جبريل إني أبغض فلانًا فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء أن الله يبغض فلانًا فأبغضوه قال فيبغضه أهل السماء ثم توضع له البغضاء في الأرض) »[1] .

هـ. حصول الخير له ودفع الشر عنه : يقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٦ ﴾[٢]، « ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ﴾ أي أخلصوا له العبادة والخوف ذلكم خير لكم أن كنتم تعلمون، أي إذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في الدنيا والآخرة، واندفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة »[3] .

و- صلاح الأرض بالطاعة وفسادها بالمعصية : ولذلك نهى الله سبحانه وتعالى عن الفساد في الأرض بعد إصلاحها فقال سبحانه : ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾[٤] ، ومعنى ذلك : « أنه نهى تعالى عن الفساد في الأرض وما أضره بعد الإصلاح، فإنه إذا كانت الأمور ما شية على السداد ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان أضر ما يكون على العباد

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ١٧٧/٣، والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم رقم (٣٢٠٩) ومسلم في كتاب البر والصلة، باب إذا أحب الله عبدًا أمر جبريل فأحبه وأحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض رقم (٢٦٣٧) .

(٢) سورة العنكبوت آية ١٦ .

(3) المرجع نفسه ٥٠٣/٣ .

(٤) سورة الأعراف آية ٥٦ .

»[1]، ويقول عند تفسير الآية : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ ﴾[٢]، « أي بأن النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي وقال أبو العالية[3] : من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة »[4]، وقال أيضًا عند تفسير الآية ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[٥]، « يعني لا تعصوا في الأرض وكان فسادهم معصية الله لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة »[6] .

٨- الأكل الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[٧] يقول ابن كثير : « يقول تعالى آمرًا المؤمنين بالأكل من طيبات ما

---

(1) المرجع نفسه ٢/٢٨١ .

(٢) سورة الروم آية ٤١ .

(3) هو رفيع بن مهران الإمام المقرئ الحافظ المفسر أبو العالية الرياحي البصري أحد الأعلام كان مولى لإمرأة من بني رياح بن يربوع ثم من بني تميم أدرك زمان الرسول ﷺ وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، وحفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب وتصدر لافادة العلم وَبُعد صبيته مات سنة ٩٣هـ (سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٢٠٧، طبعت مؤسسة الرسالة بيروت ط١١ ١٤٢٢هـ) .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٥٣٧ .

(٥) سورة البقرة آية ١١ .

(6) المرجع نفسه ١/٦٧ .

(٧) سورة البقرة آية ١٧٢ .

رزقهم الله وأن يشكروه على ذلك إن كانوا عبيده، والأكل الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة كما أن الأكل الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة، كما جاء في الحديث ... عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾[1]، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾[2] ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك»[3] .

---

(١) سورة المؤمنون آية ٥١ .

(٢) سورة البقرة آية ١٧٢ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٢٥٤،والحديث أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتبيتها (١٠١٥)، والترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة رقم (٢٩٨٩) .

المطلب الثالث

من منهج ابن كثير الدعوي الإهتمام بقضايا المجتمع

إن عناية واهتمام ابن كثير رحمه الله وتفاعله مع مجتمعه ومناقشته لقضاياه ومشاركته في أحداثه نلمسها في جوانب عديدة من نشاطه العلمي والعملي فكما أن له حضور ومشاركة سواء في المناسبات الإجتماعية أو الأحداث السياسية أو القضايا الدينية أو المناشط العلمية، فنجد حرصه على معرفة ما يدور في واقعه المعاصر ومناقشة الأخطار والانحرافات التي تحدث، بالرد عليها من خلال مناظراته ومحاوراته، أو دروسه العلمية، أو بالنصح والإرشاد والتوجيه، وغير ذلك من المواقف العملية مع الولاة والأمراء في القضايا والمستجدات والأحداث السياسية، ولعل كتابه البداية والنهاية يبرز حجم مشاركاته في أحداث مجتمعه بينما لا نجد ذلك في تفسيره بهذا القدر، فصلته بأحداث المجتمع وقضاياه في كتابه التفسير من خلال التوجيه العام والدعوة إلى الله وبيان سنة الله في الأمم والحضارات وعوامل ضعفها وزوالها وأسباب حفظها وقوتها وانتصارها، أما ماله صلة بالأحداث الإجتماعية لعصره الذي عاش فيه فان الحديث عن ذلك كما يبدو قليل إذا ما قورن بكتابه التاريخ، فمثلا في التفسير تحدث عن قانون التتار المسمى « بالياسق » وبَيَّن أن الاحتكام إليه ضلال وكفر فقال رحمه الله عند تفسيره الآية ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[1] « ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم

---

(١) سورة المائدة آية ٥٠ .

المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما تحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة من ملكهم جنكيز خان[1] الذي وضع لهم « الياسق »، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يُحَكَّم سواه في قليل ولا كثير » [2] .

ومن ذلك أيضا مناقشته لما يسمى بعلم « الكيمياء » وحكمه عليه بالبطلان والتفريق بينها وبين كرامات الأولياء فيقول إن « علم الكيمياء في نفسه علم باطل لأن قلب الأعيان لا يقدر عليها أحد إلا الله عز وجل ... وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال يقول الله تعالى « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة » [3] وهذا ورد في المصورين الذين

---

(1) جنكيز خان : : هو ملك التتر القائم بدولتهم في بلاد الشرق، ولما غلب الملك جنكيز خان وصارت له دولة قرر قواعد وعقوبات أثبتها في كتاب سماه ياسق وجعله شريعة لقومه فالتزموه بعده (المواعظ والآثار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تأليف تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي ٢٢/٢ طبعت دار صادر بيروت، بدون تاريخ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٨٨/٢ .

(3) متفق عليه، وأخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب نقض الصور رقم (٥٩٥٣)، ومسلم كتاب اللبس والزينة، باب تحريم صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتًا فيه صورة أو كلب رقم (٢١١١) .

يُشبِّهون بخلق الله في مجرد الصورة الظاهرة أو الشكل فكيف بمن يدعي أن يحيل ماهية هذه الذات إلى ماهية أخرى، هذا زور ومحال وجهل وضلال وإنما يقدرون على الصنع في الصورة الظاهرة وهو كذب وزغل[1] وتمويه وترويج أنه صحيح في نفس الأمر وليس كذلك قطعا لا محالة ولم يثبت بطريق شرعي أنه صح مع أحد من الناس من هذه الطريقة التي تبناها هؤلاء الجهلة الفسقة الأفاكون المزورون، أما يجريه الله تعالى من خرق العوائد على يدي بعض الأولياء من قلب بعض الأعيان ذهبا أو فضة أو نحو ذلك فهذا امر لا ينكره مسلم ولا يرده مؤمن ولكن ليس هذا من قبيل الصناعات وانما هذا عن مشيئة رب الأرض والسموات واختياره وفعله »[2] .

ومن أمثلة دراسة المجتمع وتحليل أسباب قوته وضعفه ما جاء عند تفسير الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣ ﴾[3] ، « أي قاتلوا الكفار وتوكلوا على الله واعلموا أن الله معكم إن إتقيتموه وأطعتموه، وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير الأمة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى لم يزالوا ظاهرين على عدوهم ولم تزل الفتوحات كثيرة، ولم تزل الأعداء في سفال وخسار، ثم لما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك طمع الأعداء في أطراف البلاد ثم تقدموا إلى حوزة الإسلام فأخذوا من الأطراف بلدانًا كثيرة ثم لم يزالوا حتى إستحوذوا على كثير من بلاد الإسلام، ولله سبحانه الأمر من قبل ومن بعد

---

(1) معنى زغل يعني غش، انظر المعجم الوسيط مادة « زغل » ص ٣٩٥ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٩٣/٣

(٣) سورة التوبة آية ١٢٣ .

فكلما قام ملك من ملوك الإسلام وأطاع أوامر الله وتوكل على الله فتح الله عليه من البلاد وإسترجع من الأعداء بحسبه وبقدر ما فيه من ولاية الله، والله المسؤول المأمول أن يمكن المسلمين من نواصي أعدائه الكافرين وأن يعلي كلمته في سائر الأقاليم إنه جواد كريم »[1] .

وكذلك ما ذكره عن الأمم والمجتمعات التي حادت عن طريق الله وعن هدي رسل الله فضلت وأضلت، عاقبها الله عقابًا شديدًا وعذَّابها عذابًا نكرًا وكان عاقبة أمرها خسرا، ولم تغن عنها قوتها وجبروتها وتقدمها – في العلوم والصناعات ونحوها- من عذاب الله شيئًا، يقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٢١ ﴾[٢]، « أي من الأمم المكذبة بالأنبياء ما حل بهم من العذاب والنكال مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة ﴿ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي أثرَّوا في الأرض من البنايات والمعالم والديارات ما لا يقدر هؤلاء عليه ... ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد أخذهم الله بذنوبهم وهي كفرهم برسلهم ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴾ أي وما دفع عنهم عذاب الله أحد ولا رده عنهم راد ولا وقاهم واق »[3] .

وقال عند تفسير الآية :﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[٤]،

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٤٩٦ .

(٢) سورة غافر ٢١ .

(3) المرجع نفسه ٤/٩٠ .

(٤) سورة غافر ٨٢ .

«يخبر الله عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر وماذا حل بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وما آثروه في الأرض وجمعوه من الأموال فما أغنى عنهم ذلك شيئًا ولا رد عنهم ذرة من بأس الله، وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات والحجج القاطعات والبراهين الدامغات لم يلتفتوا إليهم ولا أقبلوا عليهم واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل »[1].

إلى غير ذلك من التوجيهات والتنبيهات في أخذ العبرة والدروس مما حل بالأقوام والأمم الماضية نتيجة تكذيبهم للرسل وإعراضهم عما جاؤوا به ودعوا إليه وصدهم للناس عن الإيمان به وإتباعه، وكما ذكرت فإن كتاب البداية والنهاية سَجَّل فيه ابن كثير مواقف متعددة من مشاركته في أحداث مجتمعه بشكل عملي ومباشر فمن ذلك مثلًا :

١- اعتراض ابن كثير على أخذ ربع أموال النصارى الذين في الشام لعمارة ما خّرب الإفرنج في الإسكندرية ولعمارة مراكب تغزوهم بسبب اعتدائهم وتخريبهم للإسكندرية فعنئذ أهانوا النصارى وطُلِبوا من بيوتهم بعنف وكان موقف ابن كثير رحمه الله في هذه الحادثة بارز وكبير حيث وصف ما جرى بأنها « لم تكن حركة شرعية ولا يجوز اعتمادها شرعًا » ولم يكتف بذلك بل اجتمع بنائب السلطنة وأبدى اعتراضه على هذا الإجراء وقال أن « هذا مما لا يسوغ شرعًا ولا يجوز لأحد أن يفتي بهذا، ومتى كانوا باقين على الذمة يؤدون إلينا الجزية ملتزمين بالذلة والصغار وأحكام الملة قائمة لا يجوز أن يُؤخذ منهم

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ١٠٦/٤ .

الدرهم الواحد الفرد فوق ما يبذلونه من الجزية ومثل هذا لا يخفى على الأمير »[1] .

٢- حضوره المجلس الذي عقد بدار السعادة بدمشق للتحقيق مع قاضي القضاة تاج الدين السبكي بحضور جمع من العلماء من المذاهب الأربعة في أمور أُتهم بها السبكي وقد كان موقف ابن كثير هو تبرئة السبكي مما أتهم به وقال : « بأني ما رأيت عليه إلا خيرًا »[2] .

٣- ومن المواقف أيضًا ما ذكره في حوادث سنة (٧٦٢هـ) : «وجاءتني فتيا صورتها ما يقول السادة العلماء في ملك اشترى غلامًا فأحسن إليه وأعطاه وقدمه ثم أنه وثب على سيده فقتله وأخذ ماله ومنع ورثته منه وتصرف في ممكلته وأرسل إلى بعض نواب البلاد ليقدم عليه ليقتله فهل له الإمتناع منه ؟ وهل إذا قاتل دون نفسه وماله حتى يقتل يكون شهيدًا أم لا ؟ وهل يثاب الساعي في خلاص حق ورثة الملك المقتول من القصاص والمال ؟ أفتونا مأجورين . فقلت للذي جائني بها من جهة الأمير إذا كان مراده خلاص ذمته فيما بينه وبيَّن الله تعالى فهوا أعلم بنيته في الذي يقصده، ولا يسعى في تحصيل حق معين إذا ترتب على ذلك مفسدة راجحة على ذلك فيؤخر الطلب إلى وقت إمكانه بطريقه، وإن كان مراده بهذا الاستفتاء أن يتقوى بها في جمع الدولة والأمراء عليه

---

(1) انظر تفصيل الحادثة في البداية والنهاية ١٨/٧٠٦-٧٠٧ .

(2) انظر تفصيل الحادثة في البداية والنهاية ١٨/٧٠٨-٧٠٩ .

فلا بد أن يكتب عليها كبار القضاة والمشايخ أولًا ثم بعد ذلك يكتب بقية المفتين بطريقه، والله الموفق للصواب »[1] .

وأخيرًا من الأمثلة التي تدل على اهتمام ابن كثير ومشاركته لأحداث مجتمعه هو تأليفه لكتاب « الاجتهاد في طلب الجهاد »[2]، وذلك بناء على رغبة نائب السلطة بالشام الأمير منجك[3] بن عبد الله سيف الدين اليوسفي المتوفى سنة ٧٧٦هـ الذي طلب منه أن يكتب ما تيسر من الكتاب والآثار الحسنة في المرابطة بالثغور المحروسة الإسلامية يقول ابن كثير في مقدمة كتابه : « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ... أما بعد فقد أمر من أمره عزم وغنم وطاعته فرض وحتم وهو الشريف العالي المولوي الأميري الكبيري الزعيمي المجاهدي المرابطي المثاغري السيفي منجك نائب السلطة المعظمة بالشام المحروسة أعز الله أنصاره وأدام ملك سلطانه واقتداره، أن أكتب ما يتيسر من الكتاب والسنة والآثار الحسنة في المرابطة بالثغور المحروسة الإسلامية ليرغب أهلها في ثواب ما أهلهم الله من الرباط في الثغور الإسلامية التي هي حفظ حوزة الإسلام و أمان الأنام في جميع المعاقل والأمصار في سائر الليالي والأيام، فأجبته إلى ما أمر لأنه نائب الإمام وفيما أمر طاعة لله ولرسوله عليه أفضل

---

(1) النهاية والبداية ١٨/٦٣١ .

(2) الاجتهاد في طلب الجهاد وقد حققه وعلق عليه الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن عسيلان وطبعته دار اللواء بالرياض ط٢ ١٤٠٢هـ، ويقع الكتاب في ٩٨ صفحة بدون الفهارس .

(3) هو منجك بن عبد الله سيف اليوسفي أمير داهية يعرف بمنجك الكبير كان في خدمة الناصر محمد بن قلاوون واستقر حاجبا بدمشق وولي الوزارة بمصر سنة٧٤٨هـ وصرف عنها ثم أُعيد إليها بعد أربعين يومًا وقد تولى نيابة السلطة بالشام وولي حلب سنة ٧٥٩هـ ومات في داره بمصر سنة٧٧٦هـ .
انظر خطط المقريزي ٢/٣٢٠، والدرر الكامنة ٤/٢٣٠ .

الصلاة والسلام وقد كنت جمعت في ذلك مجلدًا بسيطًا فاختصرت منه منهجًا وسطًا وسيطًا فأقول متوكلًا على العزيز الرحيم ..... »[1].

ولا شك أن الداعية المهتم بشؤون مجتمعه وأحداثه وما يجري فيه ويحرص على المساهمة في توعيته وإرشاده وحل مشاكله، هو الداعية المؤثر في مجتمعه القادر على توجيهه التوجيه السليم فالمجتمعات التي آثر الدعاة العزلة عن الحياة، وعدم مشاركة الناس أمورهم والتقصير في توعيتهم وحل قضاياهم، كان من نتيجة ذلك أن تولى توجيه المجتمع وقيادته أناس بعيدون عن الدين وعن السلوك القويم مما كان له أثر في بعد الناس عن الالتزام بتعاليم الإسلام وتطبيقه في حياتهم، فواجب الدعاة أن يبذلوا قصارى جهدهم وأن تكون جهودهم ملموسة وآثارهم واضحة بين الناس وفي محيط المجتمع الذي يعيشون فيه .

---

[1] الإجتهاد في طلب لجهاد ص٦١-٦٢ .

المطلب الرابع

شمول دعوته للطوائف والفرق

توطئة :

لقد شملت دعوة ابن كثير رحمه الله عموم المسلمين، سواء كانوا من العلماء والولاة، أو من عامة الناس، أو من أهل البدع والمنكرات من الطوائف والفرق ، أو من غير المسلمين من أهل الكتاب والمشركين، وسنعرض بعض أسس ومعالم دعوة ابن كثير للطوائف والفرق، لأن تفصيل منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله للمدعوين من المسلمين وغير المسلمين سيكون في مبحث « منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله باعتبار المدعو » .

أولا : بعض معالم دعوة ابن كثير للطوائف والفرق .

حرص ابن كثير على توجيه الأمة إلى الالتزام بمنهج السلف الصالح، وحذر من البدع والتفرق في الدين، وأن الله أمر بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف، وأن البدع لا تورث إلا الذلة والصغار في الحياة الدنيا، وما يقع فيه أهل البدع من الشكوك والاضطراب في الآراء والأحكام، ونحو ذلك مما أورده ابن كثير في التحذير من البدع، وما أوصى به من الاستقامة على منهج السلف وما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته الكرام . فمن ذلك مثلا :

١- حال أهل البدع والضلال.

قال ابن كثير عند تفسير الآية ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾[1] « يقول الله تعالى ذامًّا لمن كذب بالبعث وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى معرضا عما أنزل الله على أنبيائه مُتَّبعًا في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مريد من الإنس والجن، وهذا حال أهل الضلالة والبدع المعرضين عن الحق المتبعين للباطل يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع والأهواء والآراء »[2] .

وكذلك حال رؤوسهم الدعاة فقال عند تفسير الآية ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾[3]، « لما ذكر الله حال الضلال والجهال المقلدين في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾ ذكر في هذه حال الدعاة إلى الضلال من رؤوس الكفر والبدع فقال : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ أي بلا عقل صريح ولا نقل صحيح صريح بل بمجرد الرأي والهوى» [4] .

---

(١) سورة الحج آية ٣ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٢٥٩.

(٣) سورة الحج آية ٨ .

(4) المرجع نفسه ٢/٢٦٢ .

٢- كل من إبتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي فهو مفترٍ على الله تعالى .

فقال عند تفسير الآية ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾[1]، « ويدخل في هذا كل مبتدع إبتدع بدعة ليس فيها مستند شرعي » [2] .

٣- مخالفة أهل البدع والضلالات لما كان عليه الرسول ﷺ ولذا برأ الله رسوله مماهم فيه .

فقال عند تفسير الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾[3] ، « والظاهر أن الآية في كل من فارق دين الله وكان مخالفا له فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا إختلاف فيه ولا إفتراق فمن إختلف فيه « كَانُواْ شِيَعًا » أي فرقا كأهل الملل والنحل – وهي الأهواء والضلالات – قد برأ رسوله مما هم فيه، فهذا هو الصراط المستقيم وهو ما جاءت به الرسل من عبادة الله وحده لا شريك له والتمسك بشريعة الرسول المتأخِّر وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء والرسل بُراء منها » [4] .

---

(١) سورة النحل آية ١١٦ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٧٢٨ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٥٩ .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٢٤٩ .

٤- عاقبة البدعة هي الذل والصغار في الحياة الدنيا .

فقال رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴾[١]، « وأما الذلة فأعقبهم ذلك ذلًا وصغارًا في الحياة الدنيا وقوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴾ نائلة لكل من افترى بدعة فإن ذل البدعة ومخالفة الرسالة متصلة من قلبه على كتفيه كما قال الحسن البصري« إن ذل البدعة على أكتافهم وإن هملجت[2] بهم البغال وطقطقت[٣] بهم البراذين[٤] »، وقال سفيان بن عيينه[5] : « كل صاحب بدعة ذليل»[6] .

٥- كل الفرق على ضلاله إلا أهل السنة .

قال ابن كثير عند تفسير الآية : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾[٧]، « فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء وملل باطلة كلها، وكل فرقة تزعم أنهم على شيء وهذه الأمة أيضًا اختلفوا فيما

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٢ .

(2) معنى هملجت الدابة أي سارت سيرًا حسنًا في سرعة، انظر المعجم الوسيط ص ٩٩٥ .

(٣) طقطقت : أي صوتت حوافرها على الأرض، انظر المعجم الوسيط ص ٥٦١ .

(٤) البرذون : يطلق على غير العربي من الخيل والبغال من الفصيلة الخيلية غليظ الأعضاء قوي الأرجل عظيم الحوافر، انظر المعجم الوسيط ص ٤٨ .

(5) سفيان بن عيينه بن ميمون الهلالي الكوفي أبو محمد محدث الحرم المكي من الموالي ولد بالكوفة وسكن مكة وتوفي بها كان حافظًا ثقة واسع العلم كبير القدر قال الشافعي لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز وكان أعور وحج سبعين سنة توفي سنة ١٩٨هـ، الأعلام ١٠٥/٣ .

(6) انظر تفسير القرآن العظيم ٣١٣/٢-٣١٤ .

(٧) سورة الروم آية ٣٢ .

بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه، كما رواه الحاكم[1] في مستدركه أنه سئل عليه السلام عن الفرقة الناجية فقال : « ما أنا عليه وأصحابي »[2] .

٦- الوعيد لمن اتبع سبل الضلالة بعد ما صار إلى السنة .

فقال عند تفسير الآية : ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾[3]، « وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبيل أهل الضلالة بعد ما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية و المحجة المحمدية على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام »[4] .

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم أبو عبد الله، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه، مولده ووفاته في نيسابور، رحل إلى العراق سنة ٣٤١هـ وحج وصال في بلاد خراسات وما وراء النهر وأخذ عن نحو ألفي شيخ وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه، صنف كتبًا كثيره منها تاريخ نيسابور والمستدرك على الصحيحين والأكليل وفضائل الشافعي وغيرها، توفي سنة ٤٠٥هـ (الأعلام ٦/٢٧٧) .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٥٣٤-٥٣٥، والحديث أخرجه الحاكم في مستدركه ١/١٢٩، طبعت دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ .

(٣) سورة الرعد آية ٣٧ .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٦٣٩ .

٧- أن كل مبتدع في شك واضطراب في الآراء .

يقول ابن كثير عند تفسير الآية : ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾[1]، «يخبر الله عن المجرمين أنهم في ضلال عن الحق وسعر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كل كافر ومبتدع من سائر الفرق »[2] .

ثانيًا : أورد رحمه الله في تفسيره بعض مقولات أهل البدع من الفرق والنحل المختلفة ويبن خطأها وضلالها، كالقدرية والخوارج والجهمية والمعتزلة والرافضة، وغلاة الصوفية وغيرهم مما سنتحدث عنهم مفصلًا في المبحث القادم « منهج ابن كثير في دعوة أهل البدع والمنكرات » .

---

(١) سورة القمر آية ٤٧ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٢١٦ .

المطلب الخامس

شمول دعوة ابن كثير للمرأة

توطئة :

المرأة هي ذلك المخلوق الذي أوجده الله سبحانه وتعالى وخلقه ليكون شريكًا للرجل في حياته، وقد خلقها الله سبحانه في الأصل من الرجل ليكون ذلك أدعى للتجانس وأعمق في التقارب، وأوثق في الصلة ولتتحقق بينهما المودة والرحمة، في أحسن صورة كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[2]، والإسلام رفع مكانة المرأة وأكرمها بما لم يكرمها دين سواه، فالنساء في الإسلام شقائق الرجال وخير الناس خيرهم لأهله، فالمرأة في طفولتها لها حق الرضاع والرعاية وإحسان التربية وإذا كبرت فهي المعززة المكرمة التي يحوطها وليها برعايته ويغار عليها فلا يرضى أن ينالها أذى بأي شكل من الأشكال، وإذا تزوجت فواجب على زوجها إكرامها والإحسان إليها وكف الأذى عنها والنفقة عليها، وإذا كانت أُمًا فلها من الحقوق ما ليس للأب، وعقوقها والإساءة إليها من أكبر الكبائر، وإذا كانت أختًا فالإسلام أمر بصلتها وإكرامها والبر بها

---

(١) سورة النساء آية ١ .

(٢) سورة الروم آية ٢١ .

والغيرة عليها وحمايتها من كل سوء، وإذا كانت خالةً فهي بمنزة الأم في البر والصلة، وإذا كانت جدة أو كبيرة في السن زادت قيمتها لدى أولادها وأحفادها وجميع أقاربها، فلا يكاد يرد لها طلب ولا يعارض لها رأي، وإذا كانت غير قريبة فلها حق الإسلام العام وكف الأذى وغض البصر ونحو ذلك. والمرأة في الإسلام لها حق التملك والإجارة والبيع والشراء وسائر العقود ولها حق التعلم والتعليم ومن إكرام الإسلام أن أمرها بما يصونها ويحفظ كرامتها ويحميها من الأذى فأمرها بالحجاب والستر وعدم التبرج وعن الاختلاط بالرجال الأجانب وعن كل ما يُؤَدِّي إلى فتنتها، إلى غير ذلك من صور تكريم الإسلام للمرأة مما ليس هذا مجال بسطه وتفصيله.

فالمرأة في ظل تعاليم الإسلام وتوجيهاته الربانية الحكيمة تعيش حياة كريمة من أول يوم تقدم فيه إلى هذه الحياة، بينما هي قبل الإسلام تعيش حياة الذل والمهانة حيث لا قيمة لها ولا وزن فهي تورث وتوأد وتعد من سقط المتاع، ولذا نعى الإسلام تصرفات الجاهلية ومواقفه الجائرة تجاه المرأة، فعاب وأد البنات كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾[1]، يقول محمد رشيد رضا[2] واصفًا حالة المرأة في غير ظل الإسلام: «كانت

---

(١) سورة النحل آية ٥٨-٥٩.

(٢) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين البغدادي الأصل الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار وأحد رجال الأصلاح الإسلامي، من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد ونشأ في القلمون من أعمال طرابلس الشام، رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، ثم اصدر مجلة المنار لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي وأصبح مرجعًا للفتيا في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية

المرأة تشترى وتباع كالبهيمة والمتاع وكانت تكره على الزواج والبغاء وكانت تورث ولا ترث وكانت تُملك ولا تملك وكان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن الرجل وكانوا يرون للزوج الحق في التصرف بمالها من دون إذنها، وقد اختلف الرجال في بعض البلاد في كونها إنسانًا ذات نفس وروح خالدة كالرجل أم لا ؟ وفي كونها تلقن الدين وتصح منها العبادة أم لا؟ وفي كونها تدخل الجنة ام الملكوت في الآخرة أم لا ؟ فقرر أحد المجامع في روميه أنها حيوان نجس لا روح له ولا خلود ولكن يجب عليها العبادة والخدمة وان يُكَمَّ فمها كالبعير والكلب العقور لمنعها من الضحك والكلام لأنها أحبولة الشيطان، وكانت أعظم الشرائع تبيح للوالد بيع إبنته، وكان بعض العرب يرون أن للأب الحق في قتل بنته بل في وأدها – دفنها حية – أيضًا وكان منهم من يرى أنه لا قصاص على الرجل في قتل المرأة ولا دية »[1]، والمرأة في عصرنا هذا تعاني في كثير من المجتمعات غير الإسلامية أنواعًا قاسية من الظلم والإمتهان بسبب إختلاطها بالرجال الأجانب ومزاولتها لأعمال شاقة وقضائها وقتًا طويلًا خارج منزلها، كل ذلك باسم التقدم والتحرر ونيل حقوق المرأة المهضومة وقد صورت الكاتبة الشهيرة « مس أترو » هذا الواقع بقولها : « لأن يشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة .... ثم

الجديدة، أشهر آثاره مجلة المنار وتفسير القرآن الكريم ويسر الإسلام وأصول التشريع العام وغيرها، توفي في مصر سنة ١٣٥٤هـ (الأعلام ١٢٦/٦) .

(1) محمد رشيد رضا، حقوق النساء في الإسلام ص٦، وانظر عبد الرزاق البدر، تكريم الإسلام للمرأة ص٥٣٨، طبعة كنوز اشبيليا بالرياض ط ١ ١٤٢٦ هـ .

تقول نعم إنه العار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلًا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل على ما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها»[1] .

وتقول الكاتبة اللادي كوك : « إن الإختلاط يألفه الرجال ولهذا طمعت المرأة فيما يخالف فطرتها وعلى قدر كثرة الأختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، وهذا البلاء العظيم على المرأة، فالرجل الذي علقت منه يتركها وشأنها تتقلب على مضجع الفاقة والعناء، وتذوق مرارة الذل والمهانة والاضطهاد، بل الموت أيضًا، أما الفاقة فلأن الحمل وثقله والوحم ودواره من موانع الكسب الذي تحصل به قوتها، وأما العناء فهو أن تصبح شريدة حائرة لا تدري ماذا تصنع بنفسها، وأما الذل والعار فأي عار بعد، وأما الموت فكثيرًا ما تبخع نفسها بالانتحار وغيره، هذا والرجل لا يلم به شيء من ذلك وفوق هذا كله تكون المرأة هي المسؤولة وعليها التبعة مع أن عوامل الاختلاط كانت من الرجل، أما آن لنا أن نبحث عما يخفف – إن لم نقل يزيل هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية ؟ أما آن لنا أن نتخذ طرقًا تمنع قتل ألوف الألوف من الأطفال الذين لا ذنب لهم بل الذنب على الرجل الذي أغرى المرأة المجبولة على رقة القلب تصديق ما يوسوس به الرجل من الوعود ويمني من الأماني حتى إذا قضى منها وطرًا تركها وشأنها تقاسي العذاب الأليم »[2]، إلى غير ذلك من الصيحات والتحذيرات التي ينادي بها العقلاء في الغرب والشرق من خطورة تجاهل

---

(1) حقوق النساء في الإسلام ص٧٦ .

(2) المرجع نفسه ص ٧٧-٧٨ .

اختلاف طبيعة الرجل والمرأة والإصرار على المساواة بينهما في جميع الأحوال والأعمال، ولا شك أن الفارق بين الرجل والمرأة « أمرًا اقتضته حكمة الخالق سبحانه لتحتفظ البشرية ببشريتها وليكون كل من الرجل والمرأة مكملًا للأخر، وحتى في الماديات وجد أن الأقطاب المتشابهة تتنافر ولا تتجاذب والعكس تجاذب المختلف وتآلفها، ولعل هذا من حكمة الله في الاختلاف البيِّن بين الرجل والأنثى ولله في خلقه شؤون، ونشير إلى مثال واحد معاصر على الاختلاف بين الذكر والأنثى وهو مثال حي ومن إمرأة ليست عادية بل قادت أمة بأسرها أمدًا من الزمن تعترف بالفوارق بينها وبين الرجال وهذا فيه رد مفحم وضربة لا زب على داعيات المساواة[1] من الرجل والمرأة مما يدل على أن ادعاءهن زور وبهتان ليس وراءه مثقال حبة من الحقيقة، فتقول رئيسة الفلبين (كورازون اكينو) في تصريح أدلت به إلى وكالة أنباء رويتر في السابع من شهر ربيع الأول عام ١٤٠٨هـ الموافق للثلاثين من شهر أكتوبر عام ١٩٨٧م تقول فيه : « أنه بوسع الرجل أن ينهض من الفراش ويمشط شعره ليكون مستعدًا لمباشرة

---

(1) والتي تمثلت في الحركة النسوية التي ظهرت مع نهاية القرن التاسع عشر في فرنسا وبريطانيا وأمريكا والتي تنطلق من مفاهيم التحرر والمساواة في سبيل القفز بالمرأة، إلى واقع لا رصيد له من التاريخ البشري والفطرة الإنسانية والتقاليد والأعراف الإجتماعية الوضعية والديانات السماوية والمنطق العلمي التجريبي، وقد نجحت الحركة النسوية من خلال المؤتمرات العالمية للمرأة إلى حذف مصطلح (sex) والذي يصنف الإنسان بيولوجيا إلى ذكر وأنثى وحل محله في كافة وثائق الأمم المتحدة ومن ثم الاتفاقات الدولية ومن بعدها الدساتير والقوانين المحلية لكل دولة مصطلح «الجندر» (gander) الذي لا يقف عند الفروق البيولوجية لكنه يمتد ليشمل ما تمليه طبائع ورغبات الشخص، فإذا كان الجنس (sex) مسألة بيولوجية فالنوع gonder تصور اجتماعي وهذا التقسيم أتاح الفرصة للسحاقيات واللوطيين أن ينضموا إلى تصنيفات التقسيم البشري السوي وأصبح من حقهم الإعلان بمنتهى السهولة عن حقيقتهم بلا خجل » .

انظر الحركة النسوية وخلخلة المجتمعات الإسلامية ص ١٤ – ص ١٥ . د. خالد قطب وزملاؤه طبعت بمطابع أضواء المنتدى ١٤٢٧هـ .

عمله خلال دقائق غير أن الأمر يختلف بالنسبة للمرأة، وتسوق مثلًا على ذلك من واقعها فتقول : في ليلة محاولة الانقلاب الفاشلة في الثامن والعشرين من أغسطس الماضي عندما تم إيقاظي من سبات عميق لإبلاغي بنبأ محاولة جنود متمردون اغتيالي انصرف ذهني حينئذ إلى الاهتمام بمظهري، وتابعت حديثها الذي أدلت به إلى رابطة الصحفيين الأجانب في مأدبة عشاء في الفلبين تقول لو كنت رئيسًا – أي رجلًا – فكل ما يتعين علي أن أفعله هو ارتداء ملابس وهذا كل الأمر ولكن في حالة كون رئيس البلاد امرأة فإن الأمر يتطلب الاهتمام بالماكياج »[1] .

ولا شك أن تجاهل واقع المرأة أدى إلى نتائج وخيمة لأن غياب المرأة عن بيتها طويلًا ومشاركتها للرجال الأجانب والاختلاط بهم ومشاركتهم في جميع الأعمال أَثَّر على العلاقات الإجتماعية والأسرية بحيث حصلت تحولات قيمية مما دعا بعض المفكرين الغربيين أن يسمي هذا الواقع الاجتماعي في البلاد الغربية ولا سيما الصناعية منها – بالانفراط العظيم[2] .

---

(1) علم النفس الدعوي، د. محمد زين الهادي ص٦٧ طبعت شركة مطابع السودان للعلم المحدودة بدون تاريخ .

(2) الانفراط العظيم عنوان كتاب صدر عام ١٩٩٩م للمفكر الأمريكي فرانسيس فوكاياما صاحب الكتاب الشهير « نهاية التاريخ » وقد ناقش الكتاب قضية تدهور العلاقات الإجتماعية في البلدان الغربية الصناعية في الفترة ما بين الستينات إلى أوائل التسعينات وقد أرجع السبب في التحولات القيمية لهذه المجتمعات إلى أسباب كثرة من أهمها حبوب منع الحمل والإجهاض الآمن، فحبوب منع الحمل وتوفر الإجهاض أذنا للنساء ولأول مرة في التاريخ بأن يتعاطين الجنس بلا خوف من العواقب وأن هذا جعل الذكور يشعرون بأن التحرر من القيم التي كانت تعرض عليهم مسؤولية العناية بالنساء اللاتي يحملن منهم، ويقول : « أن الذي كان يمنع النساء من استبدال زوج يناسبهن كان الزوج الذي يعشن معه ويكتشفن أنه لا يناسبهن هو أنهن لم يكن قادرات على الانفاق على أنفسهن بسبب أنهن لم يكن يعملن، فلما عمل النساء وصارت دخولهن تزداد باطرد وجدن أنه بإمكانهن أن يربين أطفالهن من غير عون من الأزواج لكن إنجاب الأطفال يقلل من فرص المرأة في العمل فلكي تنجب المرأة ففي هذه الحالة إما أن لا تنجب

منهج ابن كثير في دعوة المرأة :

اهتم ابن كثير بالمرأة وأولاها عناية كبيرة فنجد أنه في تفسيره أبرز قواعد الشريعة الإسلامية فيما يخص المرأة وتناولها بالشرح والإيضاح ووضع الضوابط التي من شأنها صيانة المرأة والوصول بها إلى حياة سعيدة، ثم إنه ركز على بيان طبيعة المرأة وتكوينها الفطري والعقلي والنفسي وعلاقتها

إطلاقا وإما أن تتوقف عن العمل لفترات فإذا كانت حريصة على العمل فإنها ستلجأ إلى الحد من الإنجاب ثم أن قلة الأطفال تزيد من احتمالات الطلاق، لأن الأطفال هم الرأس المال المشترك، بين الزوجين ويقول أن هناك دلائل تجريبية كثيرة تؤكد الصلة بين الدخول العالية للنساء بين معدلات الطلاق والإنجاب خارج نطاق الزوجية، ثم أن ازدياد معدلات الطلاق يؤدي إلى عدم ثقة النساء باستمرار الحياة الزوجية ويدفعهن إلى تأهيل أنفسهن للعمل كي يضمنّ مستقبلهن — ثم يذكر بعض الآثار السلبية من هذا الأمر منها :

١- أن نصف السكان في أوروبا واليابان ستكون أعمارهن أكثر من خمسين عامًا في غضون العقدين القادمين وسيؤدي هذا إلى ما يصحبه من نقص في عدد السكان إلى نقص في الدخل القومي .

٢- أن الدول الاسكندينافية التي هي الأعلى في التفكك الأسري هي الأعلى أيضا في نسبة التوحد إذ أن خمسين في المائة من البيوت صارت تتكون من شخص واحد بل أن في مدينة (أوسلو) عاصمة السويد بلغت نسبة خمسة وسبعين في المائة .

٣- أن قائدات الحركة النسوية بالغن في إطراء عمل المرأة وغفلن عن تأثيره على الأطفال وهو تأثير لازم وواقع (انظر كتاب عمل المرأة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر للدكتور زكي علي السيد بوغضه ص ٣٥٣ . تطور فكر دعاة عمل المرأة من الشروع إلى الممنوع » مطبعة دار الوفاء للطباعة والنشر مصر ط الأولى ٢٠٠٧م ١٤٢٨هـ)

٤- أن ضرر الجريمة لا يقتصر على من يقع ضحيتها بل يتعداه إلى المجتمع كله وذلك أن انتشار الجريمة يقلل من ثقة الناس بعضهم ببعض ويعوق أو يحول دون تعاونهم بل إن الجريمة لتؤدي إلى جعل المجتمع مجتمعا ذريا يحصر كل إنسان فيه اهتمامه في نفسه وفي أقرب الناس إليه من ذلك مثلا أن الجيران كانوا يتعاونون جميعا على تربية أولادهم وأما الآن وبعد أن كثر الاعتداء على الأطفال فإذا رأى والد شخصا يؤدب ولده فالاحتمال الأقرب أن يتصل بالشرطة، وعند حديث الكاتب عن الحل أو المخرج فإنه يرى أنه كما للدين تأثير في إعادة بناء المجتمع في الماضي فيتوقع أن يكون له تأثير الآن . انظر جعفر شيخ إدريس، الإسلام لعصرنا ص ٣٠-٤٣ مطابع أضواء المنتدى، ط الأولى ١٤٢٢هـ .

بالرجل وغير ذلك من الجوانب الكثيرة التي تمثل منهج ابن كثير الدعوي في الاهتمام بالمرأة والعناية بها ودعوتها وترتيبها تربية صالحة فمن أبرز ملامح هذا المنهج :

أولًا : تحديد طبيعة المرأة[1] وعلاقتها بالرجل

خُلِقت المرأة من الرجل ولذلك بينهما تجاذب وحنين وشوق كانجذاب الفرع إلى الأصل والأصل إلى الفرع وهذا ما يقرره ابن كثير رحمه الله في كثير من المواضع في تفسيره عن طبيعة المرأة، وأصل خلقها ونقصان عقلها وإرادتها وقوة عاطفتها وتفوقها على الرجل في التأثير عليه وأنه ضعيف أمامها ولا يصبر عنها وتحدث عن ذهاب لب الحازم عندها، وكذلك محبة الرجل ورحمته لها وأن الزوجة سكن لزوجها لما بينهما من المودة والرحمة وأن كلًا منهما لباس للأخر إلى غير ذلك، فيقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ

---

(1) هناك كتاب بعنوان :

BRAINSEX- The Real Difference Between Men and Women, Anne Moir &David Jessel

وقد ترجمه الأستاذ / بدر المنيس (جنس الدماغ) الفارق الحقيقي بين الرجال والنساء .

وهذا الكتاب يبين الاختلاف بين الرجل والمرأة يقول المترجم في المقدمة : « والآن جاء العلم متمثلًا في علم البيولوجيا ليقول كلمته في الموضوع وليقف إلى جانب أولئك الذين يقولون باختلاف الرجل والمرأة من خلال الأبحاث التي أجريت على تركيب أدمغة الذكور والإناث وعلى الأثر الذي تقوم به الهرمونات في السلوك الإنساني و إلى الدراسات الميدانية التي أجريت في هذا الخصوص ..... ثم يقول أن هذا الاختلاف بينهم يكمل بعضه بعضًا في إدارة شئون الحياة في المجتمع فعمل المرأة في المنزل مثلًا يساوي قيمته ويكمل عمل الرجل في المكتب كما أن بإمكان المرأة أن تحقق ذاتها وطموحها في الحياة العملية بنجاح وفق طبيعتها الأنثوية الخاصة دونما حاجة إلى محاكاة الرجل في أسلوبه في التعامل مع مفردات الحياة العملية » ص١٠، وقد طبع بمطابع القبس بالكويت، ط١ مارس ١٩٩٣م ويقع في ٢٦٤صحفة من القطع المتوسط .

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[1]، « وخلق منها زوجها وهي حواء عليها السلام خلقت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم فأستيقظ فرآها فأعجبته وأتى إليها وأتت إليه ..... وفي الحديث الصحيح : (أن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإذا ذهبت تقيمه كسرته وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج) »[2] .

وكما أنها خلقت منه فهي ليست مثله في الجلد والقوة ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾[3] « أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى »[4]، وكذلك المخاصمة تغلبها العاطفة والضعف فتعجز عن إقامة حجتها وإظهار بينتها فيقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾[5]، « أي المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة وإذا خاصمت فلا عبارة لها بل هي عاجزة ..... عن الانتصار لا عبارة لها ولا همه »[6]، وكذلك شهادتها في الأموال والعقود ونحوها تقام امرأتان مقام الرجل فإذا نسيت إحداهما الشهادة حصل لها ذكرى من الأخرى بما وقع به من الإشهاد لأنها مظنة الذهول والنسيان، ولذا بين الرسول ﷺ أن نقصان عقل

---

(١) سورة النساء آية ١ .

(2) التفسير ٥٤٩/١، متفق عليه، وأخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته رقم (٣٣٣١)، ومسلم كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء رقم (٣٦٤٣)، والترمذي، كتاب الطلاق واللعان، باب ما جاء في مداراة النساء رقم (١١٨٨) .

(٣) سورة آل عمران آية ٣٦ .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٤٢/١، عند تفسير الآية : ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ (آل عمران ٣٦) .

(٥) سورة الزخرف آية ١٨ .

(6) انظر تفسير القرآن العظيم ١٤٨/٤ .

المرأة هو أن شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل » لا على أن عقلها نصف عقل الرجل ولذا قال ابن كثير : « ومن قال أن شهادتها معها – أي مع المرأة الأخرى– كشهادة ذكر فقد أبعد » قال تعالى : ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾[1]، « وهذا إنما يكون في الأموال وما يقصد به المال وإنما أقيمت المرأة مقام الرجل لنقصان عقل المرأة كما قال مسلم في صحيحه حدثنا قتيبه ... عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال : « يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن جزلة[2] وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار ؟ قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن قالت يا رسول الله ما نقصان العقل والدين ؟ قال أما نقصان عقلها فشهادة إمرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل وتمكث الليالي لا تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين »[3] ..... و قوله أن تضل إحداهما ، يعني المرأتين إذا نسيت الشهادة ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ ﴾[4] أي يحصل لها ذكرى

---

(١) سورة البقرة ٢٨٢ .

(٢) الجزلة عظيمة العجز، القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفروز آبادي، ص ٩٧٧، طبغت مؤسست الرسالة ط٦، ١٤١٩هـ .

(3) متفق عليه، أخرجه البخاري كتاب الحريض، باب ترك الحائض الصوم رقم (٣٠٤)، وكتاب الزكاة باب الزكاة على الأقارب رقم (١٤٦٢) وكتاب الصوم باب الحائض تترك الصوم والصلاة رقم (١٩٥١) وكتاب الشهادات باب شهادة النساء رقم (٢٦٥٨)، ومسلم كتاب الإيمان باب نقصان الإيمان بنقص الطاعات ... رقم (٧٩) .

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

بما وقع به الإشهاد ..... ومن قال أن شهادتها معها تجعل كشهادة ذكر فقد أبعد والصحيح الأول والله أعلم »[1].

ولذلك نجد أن ابن كثير رحمه الله اعتبر المرأة هي المرجع دون الرجل في الأمور التي لا تعلم إلا من جهتها فقال عند تفسير الآية :﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[٢]، « دل هذا على أن المرجع في هذا إليهن لأنه أمر لا يعلم إلا من جهتهن وتتعذر إقامة البينة غالبًا على ذلك فرد الأمر إليهن »[3].

وابن كثير لما عد المرأة من السفهاء في تفسير الآية : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾[٤]، فقال : « والسفيه هو الجاهل الضعيف الرأي القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار ولهذا سمى الله النساء والصبيان سفهاء »[٥] فهو في نفس الوقت لا ينكر أن هناك من النساء من تتصف بكمال العقل ورجاحته وقوة الذكاء والحزم يقول عند تفسير الآية : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ ﴾[٦]، « وكان فيها – بلقيس – ثبات وعقل ولها لب ودهاء وحزم فلم تُقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها، ولا أنه غيره لما رأت آثاره وصفاته وأنه غُيَّر وبُدِّل ونُكِّر فقالت كأنه هو أي يشبهه ويقاربه، وهذا غاية في الذكاء والحزم »[7].

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٤١٤/١ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٨ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٣٦/١ .

(٤) سورة النساء آية ٥ .

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٨/١ .

(٦) سورة النمل آية ٤٢ .

(7) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٥٢/٣ .

وقال عند تفسير الآية : ﴿ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴾[1]، « أي نحن ليس بنا عاقة ولا بأس إن شئت أن تقصديه وتحاربيه فما لنا عاقة عنه، وبعد هذا فالامر إليك فَرَيْ فينا رأيك نمتثله ونطيعه قال الحسن البصري رحمه الله فوضعوا أمرهم إلى علجة تضطرب ثدياها فلما قالوا إليها ما قالوا كانت هي أحزم منهم وأعلم بأمر سليمان وأنه لا قبل لها بجنوده وجيوشه وما سُخر له من الجن والإنس والطير وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدهد أمرًا بديعًا فقالت لهم إني أخشى أن نحاربه ونتمنع عليه فيقصدنا بجنوده ويهلكنا بمن معه ويخلص إليّ وإليكم الهلاك والدمار دون غيرنا، ولهذا قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ... ثم عدلت إلى المهادنة والمصالحة والمسالمة والمخادعة والمصانعة فقالت : إني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون » أي سأبعث إليهم بهدية تليق بمثله وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك فلعله يقبل ذلك ويكف عنا أو يضرب علينا خراجًا نحمله إليه في كل عام ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا، قال قتادة : رحمها الله ورضي الله عنها ما كان أعقلها في إسلامها وفي شركها علمت الهدية تقع موقعًا من الناس وقال ابن عباس وغير واحد قالت لقومها إن قبل الهدية فهو مَلِك فقاتلوه وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه »[2] .

وابن كثير رحمه الله حينما يذكر هذا عن بلقيس وأمثالها من النساء ذوات الحزم والعقل والرأي والدهاء وغير ذلك من صفات الكمال، فهو يعتبر أن هذا الكمال في عدد محدود من النساء بالنسبة للرجال فقال عند تفسير الآية :

---

(1) سورة النمل آية ٣٣ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٤٩/٣ .

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾[1]، « وقد ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال : (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسيه امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »[2] . فجنس الرجال أفضل من جنس النساء والله تعالى قال : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[3]، أي في الفضيلة في الخَلْق والخُلق والمنزلة وطاعة الأمر والإنفاق والقيام بالمصالح والفضل في الدنيا والآخرة »[4]،كما جعل الرجال قوامون على النساء « فالرجل قَيّم على المرأة وهو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا إعوجت »[5] .

وأخيرًا فابن كثير رحمه الله يقرر علاقة الرجل الطبيعية بالمرأة وميله لها بل وضعفه أمامها فيقول عند تفسير الآية : ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[6]، « عن ابن طاووس عن أبيه[7] (ضعيفا) قال في أمر النساء قال وكيع[1] يذهب عقله عندهن »[2] .

---

(١) سورة التحريم آية ١٢ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٤٦٥، والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى : (وضرب الله مثلًا للذين آمنوا امرأة فرعون) رقم (٣٤١١) وكتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها رقم (٣٧٦٩)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها رقم (٢٤٣١).

(٣) سورة البقرة آية ٢٢٨ .

(4) المرجع نفسه ١/٣٣٦، عند تفسير الآية ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (البقرة ٢٢٨) .

(5) المرجع نفسه ١/٦٠١، عند تفسير الآية : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ (النساء ٣٤) .

(٦) سورة النساء ٢٨ .

(٧) هو طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني بالولاء، أبو عبد الرحمن، من أكابر التابعين تفقهًا في الدين ورواية الحديث، وتقشفًا في العيش، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك أصله من الفرس، ومولده ومنشأه في اليمن، توفي حاجًا بالمزدلفة

فالنتيجة أن الله « جعل بينهم مودة وهي المحبة، ورحمه وهي الرأفة فالرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها أو رحمته بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما »[3]،وقال واصفًا أثر السحرة المذموم وهو « أنهم ليفرقون بن الزوجين مع ما بينهما من الخلطة والائتلاف »[4] .

ثانيًا : تكريم الإسلام للمرأة وإعطائها حقوقها

أوضح الإمام ابن كثير أن الإسلام رفع مكانة المرأة وأعلى منزلتها وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه، وأشار ابن كثير إلى بعض صور وعادات وأحكام الجاهلية التي فيها ظلم وهضم لحقوقها، كالحرمان من الميراث والصداق أو الإضرار بها كعضلها[٥] وتطويل عدتها والبغي عليها، ونحو ذلك من صور الظلم والإهانة للمرأة واحتقارها وأن الإسلام ضمن لها حقوقها المشروعة كحق الصداق والنفقة والسكنى، وحق العُشره وحق التصرف المالي، وحماها من الممارسات الظالمة، والأساليب الجائرة، كعضلها، وتطويل عدتها، وحرمانها من الميراث، والإمساك بها وعدم طلاقها بقصد إضرارها،

أو بمنى، وكان هشام بن عبد الملك حاجًا تلك السنة فصلى عليه، وكان يأبى القرب من الملوك والأمراء قال ابن عيينه : مجتنبوا السلطان ثلاث أبو ذر، وطاووس والثوري، توفي سنة ١٠٦هـ (الأعلام ٢٤٤/٣) .

(١) هو وكيع بن الجراح بن بلح الرؤاسي، أبو سفيان، حافظ للحديث، ثبت كان محدث العراق في عصره، ولد بالكوفة، وأبوه ناظر على بيت المال فيها وتفقه وحفظ الحديث وإشتهر وأراد الرشيد أن يوليه فضاء الكوفة فامتنع ورعًا، وكان يصوم الدهر له كتب منها تفسير القرآن والسنن والمعرفة والتاريخ والزهد، توفي بفيد راجعًا من الحج سنة ١٩٧هـ (الأعلام ١١٧/٨) .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٨٦/١ .

(3) المرجع نفسه ٥٣٠/٣ .

(4) المرجع نفسه ١٨٠/١، عند تفسير الآية : ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ مَا وَزَوْجِهِۦ﴾ (البقرة ١٠٢) .

(٥) العضل هو منع المرأة التزوج ظلمًا، المعجم الوسيط ص ٦٠٧ .

ونحو ذلك من صور البغي والظلم والعدوان فقال رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾[1] ، « قال سعيد بن جبير وقتادة كان المشركون يجعلون المال للرجال الكبار ولا يورثون النساء والأطفال شيئًا فأنزل الله ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾ أي الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى يستوون في أصل الوراثة وان تفاوتوا بحسب ما فرض الله لكل منهم »[2] .

ويقول عند تفسير الآية : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[3] « هذه الآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولد لأنه تعالى ينهى عن قتل الأولاد كما أوصى بالأولاد في الميراث وقد كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر عيلته »[4] .

و قال عند تفسير الآية : ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾[5] ، « عن ابن عباس .. قال كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وان شاءوا زوجوها وإن شاءوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية في ذلك، وقوله ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ

---

(١) سورة النساء آية ٧ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٥٦/١ .

(٣) سورة الإسراء آية ٣١ .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٥١/٣ .

(٥) سورة النساء آية ١٩ .

لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ ﴾ « أي لا تضاروهن في العشرة لتترك لك ما أصدقتها أو بعضه أو حقا من حقوقها عليك أو شيئا من ذلك على وجه القهر لها والاضطهاد »[1]، وعند تفسير الآية ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ ﴾[2] قال « إن الرجل يجب عليه دفع الصداق إلى المرأة حتما وأن يكون طيب النفس بذلك كما يمنح المنيحة ويعطي النحلة طيبة بها كذلك يجب ان يعطي المرأة صداقها طيبا بذلك»[3] .

وقال رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ ﴾[4] هذا أمر من الله عز وجل للرجال إذا طلَّق أحدهم المرأة طلاقا له عليها فيه رجعة أن يحسن في أمرها إذا قضت عدتها ولم يبق منها إلا مقدار ما يمكنه فيه رجعتها، فإما ان يمسكها أي يرتجعها إلى عصمة نكاحه بمعروف وهو ان يشهد على رجعتها وينوي عشرتها بالمعروف أو يسرحها أي يتركها حتى تنقضي عدتها ويخرجها من منزله بالتي هي احسن من غير شقاق ولا مخاصمة، ولا تقابح .... قال ابن عباس .... وغيروا حد كان الرجل يطلق المرأة فإذا قارب انقضاء العدة راجعها ضرارا لئلا تذهب إلى غيره ثم يطلقها لتعتد، فإذا شارفت على انقضاء العدة راجعها مرارا لئلا تذهب إلى غيره، ثم يُطلقها فتعتد فإذا

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٦٩/١ -٥٧٠.

(٢) سورة النساء آية ٤ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٥٣/١.

(٤) سورة البقرة آية ٢٣١ .

شارفت على انقضاء العدة طلق لتطول عليها العدة فنهاهم الله عن ذلك وتوعدهم عليه فقال ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ أي بمخالفته أمر الله »[1] .

وقال رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾[2] « وعن أبي موسى أن رسول الله ﷺ غضب على الأشعريين فأتاه أبو موسى فقال يا رسول الله أغضبت على الاشعريين فقال : يقول أحدكم قد طلقت قد راجعت ليس هذا طلاق المسلمين طلقوا المرأة في قُبُل عدتها ..... وقال مسروق هو الذي يطلق في كنهه[3] ويضار امرأته بطلاقها وارتجاعها لتطول عليها العدة »[4] . وقال عند تفسير الآية : ﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾[5]، « أي احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها لئلا تطول العدة على المرأة فتمتنع من الأزواج واتقوا الله ربكم، أي في ذلك وقوله «لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن » في مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه فليس للرجل ان يخرجها ولا يجوز لها أيضا الخروج لأنها مُعْتَقَلة لحق الزوج أيضا »[6] . وغير ذلك من الحقوق الكثيرة التي كفلها الإسلام للمرأة كما أنصفها من صور الظلم والبغي والعدوان عليها ، يقول رحمه الله عند

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٣٤٨، ٣٤٩.

(2) سورة البقرة آية ٢٣١ .

(3) كنهة : أي وقته، المعجم الوسطي ص ٨٠٢ .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٤٩ والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه ٨٢/١٠ حديث رقم (٤٢٦٥) انظر الاحسان في ترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان علاء الدين علي الفارسي طبعة مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ.

(5) سورة الطلاق آية ١ .

(6) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٤٤٦ .

تفسير الآية: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [1] « تهديد للرجال إذا بغوا على النساء في غير سبب فان الله العلي الكبير وليهن وهو ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن »[2] .

ولذا يؤكد ابن كثير على أهمية احترام المرأة ومعاملتها بالتي هي أحسن والتلطف معها ومؤانستها كما هو هدي الرسول ﷺ مع نسائه فيقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[3]، طَيِّبوا أقوالكم لهن وحَسِّنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل بها أنت مثله كما قال تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[4] وقال رسول الله ﷺ « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي »[5] وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر يداعب أهله يتطلف بهم ويوسعهم نفقته ويضاحك نساءه حتى أنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودد إليها بذلك قالت « سابقني رسول الله ﷺ فسبقته وذلك قبل أن أحمل اللحم ثم سابقته بعدما حملت اللحم فسبقني فقال هذه بتلك »[6] ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ فيأكل معهن العشاء في بعض الاحيان ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها فكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد ويضع عن كتفيه الرداء وينام بالازار

---

(١) سورة النساء آية ٣٤ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٣/١ .

(٣) سورة النساء آية ١٩ .

(٤) سورة البقرة آية ٢٢٨ .

(٥) الحديث أخرجه الترمذي كتاب المناقب، باب فضل أصحاب النبي ﷺ رقم (٣٨٩١)، وأبن ماجة كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء رقم (١٩٧٩) .

(٦) الحديث أخرجه ابن ماجة كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء رقم (١٩٧٩) .

وكان إذا صلى العشاء فدخل منزله يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام ويؤانسهم بذلك ﷺ »[1] .

وأخيرًا نختم هذا الموضوع بكلمة لابن كثير رحمه الله من كتابه البداية والنهاية تدل على إهتمامه بالمرأة ومنع ظلمها حتى ولو كانت غير مسلمه فيقول رحمه الله عند كلامه حول حادثة أخذ نائب السلطان ربع أموال النصارى بدمشق لعمارة ما خربه إخوانهم الفرنج في الإسكندرية ولعمارة مراكب تغزوهم بسبب ذلك « وفي اوائل هذا الشهر – شهر ربيع الآخر سنة ٧٦٧هـ ورد المرسوم الشريف السلطاني بالرد على نساء النصارى ما كان أُخذ منهن من الجباية التي كان تقدم أخذها منهن وإن كان الجميع ظلما، ولكن الأخذ من النساء أفحش وأبلغ في الظلم »[2] .

ثالثا : الواجبات المطلوبة من المرأة المسلمة .

وكما أن للمرأة حقوقا ضمنها الإسلام لها فكذلك عليها واجبات هي مطالبة بأدائها والقيام بها، فالله سبحانه وتعالى جعل المرأة أهلا للتكليف وتحمل المسؤولية، وهذه الأهلية هي مناط تكريم وإعزاز للمرأة المسلمة، مثلها في ذلك مثل الرجل، فالنساء شقائق الرجال، وهي مساوية للرجل في أصول التكاليف الشرعية، من عبادة الله وتوحيده والإيمان به وتعلم ما يلزمها من أمور دينها وطاعة زوجها وتربية أبنائها ونحو ذلك من الواجبات الأخرى، وعندما قالت أم سلمة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها . يا نبي الله مالي اسمع الرجال

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٥٧٠، ٥٧١ .

(٢) البداية والنهارية ١٨/٧١٠.

يُذكرون في القرآن والنساء لا يُذكرن ؟ فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[1] .

يقول الإمام ابن كثير « وقوله : ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾، خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أن الله سبحانه قد أعد لهم أي هيأ لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجرا عظيمًا وهو الجنة »[2] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾[3] قال ابن كثير « شرع سبحانه – في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة من عباده ذكرانهم وإناثهم بشرط الإيمان، وأنه سيدخلهم الجنة ولا يظلمهم من حسناتهم ولا مقدار النقير وهو النقرة في ظهر نواة التمر»[4] وقال عند تفسير الآية: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾[5]، «فالصالحات : أي من النساء قانتات، قال ابن عباس وغير واحد يعني مطيعات لأزواجهن »[6]، (حافظات للغيب) قال السدي وغيره أي تحفظ زوجها في غيبته

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٥ , وانظر انظر تفسير القرآن العظيم ٦٠١/٣

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٠١/٣.

(٣) سورة النساء آية ١٢٤ .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٨٢/١.

(٥) سورة النساء آية ٢٤ .

(6) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٠١/١ .

في نفسها وماله ... وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك »[1] .

رابعا : صيانتها من التبرج والسفور والاختلاط وما يؤدي إلى سبيل الفتنة .

المرأة في الإسلام درة ثمينة وجوهرة كريمة تصان من كل أذى وتحمى من كل رذيلة، لذا جعل الإسلام للمرأة ضوابط دقيقة، تنال بها عفة نفسها وصيانة فرجها، وسلامة عرضها فأمرها بالحجاب ورغبها في القرار في البيت، ومنعها من التبرج والسفور، ومن الخروج وهي متعطرة ونهاها عن الاختلاط بالأجانب والخلوة معهم، إلى غير ذلك من الضوابط الكريمة والأوامر الجليلة التي لم تؤمر بها إلا صيانة لها من الابتذال، وحماية لها من الشرور والفساد ولتكسى بذلك حلل الطهر والعفاف وليكون أثرها في مجتمعها وأمتها أثرًا ايجابيا بناءًا، أما إذا تحول أثرها في حياة الأمة إلى أثر سلبي عندئذ تكون فتنة وأي فتنة وضرر وأي ضرر ففي الصحيحين عن أسامة بن زيد[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله

---

(١) الحديث أخرجه النسائي ٥/٣١٠ طبعت دار الفكر العلمية ط١، ١٤١١هـ، وأحمد بلفظ أي النساء خير قال الذي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله رقم (٧٤٢١) طبعت مؤسسة الرسالة بيروت ط١، ١٤١٧هـ وتط

(٢) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحبيل من كنانة عوف. الصحابي الجليل حب رسول الله ﷺ وابن حبه ولد سنة ١١ قبل الهجرة ومات سنة ٥٤ . انظر الإصابة ١/٤٥ رقم ٨٩ وسير أعلام النبلاء ٢/٤٩٦ والأعلام ١/٢٨١.

ﷺ « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء »[1] لذا حذر عليه الصلاة والسلام من ذلك فقال « إتقوا الدنيا وإتقو النساء فان أول فتنة بي إسرائيل كانت في النساء »[2]، فلا غرو ولا عجب أن يهتم الإمام ابن كثير بموضوع صيانة المرأة والحرص على توجيهها التوجيه السديد، والإرشاد السليم ودعوتها إلى عبادة ربها وطاعة زوجها ودرء المفاسد والشرور عنها لتبقى طاهرة الخلق مصونة عن التهتك والابتذال وبعيدة عن أسباب الزيغ والانحراف والانحلال، فيقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ ﴾[3] (هذه آداب أمر الله بها نساء النبي ﷺ ونساء الأمة تبع في ذلك فقال مخاطبًا لنساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقين الله كما أمرهن فانه لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة ثم قال « فلا يخضعن بالقول » قال السدي وغيره يعني بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبهن الرجال ولهذا قال «فيطمع الذي في قلبه مرض» أي دغل « وقلن قولا معروفا » .... قولا حسنا معروفا في الخير، ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها، وقوله ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّۖ ﴾ أي

---

(١) متفق عليه، وأخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب ما يُتقى من شؤم المرأة وقوله تعالى (أن من أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم) رقم (٥٠٩٦)، ومسلم كتاب الرقائق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء بلفظ (ماتركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء) رقم (٢٧٤١).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الرقائق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء رقم (٤٧٤٠) .

(٣) سورة الأحزاب ٣٢-٣٣ .

الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة، ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه كما قال رسول الله ﷺ « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن وهن تفلات » وفي رواية « وبيوتهن خير لهن »[1] وعن أنس رضي الله عنه قال جئن النساء إلى رسول الله ﷺ فقلن يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى، فما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ « من قعدت أو كلمة نحوها منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله »[2] وقوله تعالى « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » قال مجاهد كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية، وقال قتادة « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » ويقول « إذا خرجتن من بيوتكن وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهى الله عن ذلك ... وقال مقاتل ... والتبرج أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيوارى قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج »[3] وقال عند تفسيره الآية: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾[4]، قال « أي وترك وضعهن لثيابهن يعني القواعد من النساء – وإن كان جائزا خير لهن وأفضل لهن »[5] ، وقال عند تفسيره الآية: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ

---

(١) الحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري، كتاب الجمعة باب حدثنا يوسف بن موسى رقم (١٣) ورقم الحديث (٩٠٠)، وأخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة وأنها لا تخرج مطيبه رقم (٩٩٠) .

(٢) الحديث أخرجه البزار رقم (١٤٧٥) انظر كشف الأستار عن زوائد البزار لأبي بكر الهيثمي ١٨٢/٢طبعة مؤسسة الرسالة بدون تاريخ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٩٤/٣.

(٤) سورة النور آية ٦٠ .

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٧٨/٣.

بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[1] « كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت – لا يسمع صوته – ضربت برجلها الأرض فيعلم الرجال طنينه، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك، وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستورا فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهي لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[2] .

ومن ذلك أيضا أنها تُنْهَى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها ليشم الرجال طيبها ... فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية »[3] ..... وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : لقيته امرأة وجد منها ريح الطيب ولذيلها إعصار فقال يا أمة الجبار جئت من المسجد؟ قالت نعم قال ولَهْ تطيبت ؟ قالت نعم، قال : إني سمعت حبي أبا القاسم ﷺ يقول « لا يقبل الله صلاة امرأة تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة[4] ... ومن ذلك أيضا أنهن ينهين عن المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج ... عن أبي أسيد[5] الأنصاري أنه

---

(1) سورة النور آية ٣١ .

(2) سورة النور آية ٣١ .

(3) الحديث أخرجه الترمذي كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة رقم (٢٧٨٦) وأبو داود بلفظ (إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم يجدوا ريحها فهي كذا وكذا) كتاب اللباس، باب في طيب المرأة للخروج رقم (٤١٧٣) .

(4) الحديث أخرجه أبو داود كتاب اللباس، باب في طيب المرأة للخروج رقم (٣١٧٤) وقال أبو داود الاعصار الغبار، وابن ماجة كتاب الفتن باب فتنة النساء رقم (٤٠٠٢) .

(5) هو أبو أسيد الساعدي من كبار الأنصار وأسمه مالك بن ربيعة بن البدن شهد بدرًا والمشاهد وله أحاديث وقد ذهب بصره في أخر عمره، وكان معه راية بني ساعدة يوم الفتح، توفي سنة ٤٠هـ (سير أعلام النبلاء ٥٣٨/٢) .

سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد – وقد إختلط الرجال بالنساء في الطريق – فقال رسول الله ﷺ للنساء إستأخرن فانه ليس لكن أن تحققن[1] الطريق عليكن بحافات الطريق فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به[2] ، وقوله : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3] ، أي افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة وإتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهيا عنه والله هو المستعان وعليه التكلان »[4] ، و من أكبر أضرار الاختلاط و قوع الفتنة ولا بد[5] ، وهذا ما يؤكده ابن كثير رحمه الله فقال في ترجمة الشيخ خضر الكردي وذلك في وفيات سنة ٦٧٦ هـ « ولكنه افتتن لما خالط الناس ببعض بنات الأمراء و كن لا يتحجبن منه فو قع في الفتنة و هذا في الغالب وا قع في مخالطة الناس فلا يسلم المخالط لهم من الفتنة ولا سيما مخالطة النساء مع ترك الاحتجاب فلا يسلم العبد البتّة منهن »[6] ولهذا يؤكد ابن كثير أن صلاة النساء في بيوتهن أفضل لهن فقال عند تفسير الآية : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن

---

(١) تحققن الطريق : أي تتوسطن الطريق، المعجم الوسيط ص ١٨٨ .

(٢) الحديث رواه أبو داود كتاب الأدب، باب في مشي النساء مع الرجال في الطريق، رقم (٥٢٧٢) .

(٣) سورة النور أية ٣١ .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٣٥٦، ٣٥٧ .

(٥) ويمكن الرجوع إلى كتاب مجالات انتشار العلمانية ص٥١ تأليف الأستاذ الدكتور محمد زين الهادي للوقوف على نماذج من مساوئ الاختلاط وأضراره .

(٦) البداية والنهاية ١٧/٥٣٨، ٥٣٩ .

ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[1] ، « فأما النساء فصلاتهن في بيوتهن أفضل لهن لما رواه أبو داود عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال « صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها »[2] .

ولكن ابن كثير لم يمنعها من الصلاة في المسجد فقال « هذا ويجوز لها شهود جماعة الرجال بشرط ألا تؤذي أحدا من الرجال بظهور زينة ولا ريح طيب ... وقد ثبت في صحيح مسلم عن زينب امرأة ابن مسعود قالت قال لنا رسول الله ﷺ «إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبا »[3] .

إلى غير ذلك من الآداب والتوجيهات والضوابط المتعلقة بالمرأة المسلمة والتي يعتبرها الإمام ابن كثير رحمة الله صمام أمان لها وحارسًا لشرفها وكرامتها، والتي يتعين على الدعاة إلى الله مراعاة هذه الآداب والتوجيهات والضوابط المتعلقة بالمرأة، والحرص على دعوتها وتربيتها والعناية بها لا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه الدعوات الضالة لإفسادها والخروج بها عن طبيعتها وأداء رسالتها نحو تربية الأولاد ورعايتهم داخل المنزل، كل ذلك باسم تحريرها والنهوض بها ومشاركتها للجتمع في عملية التنمية والتطوير .

---

(1) سورة النور آية ٣٧ .

(2) الحديث أخرجه أبو داود كتاب الصلاة، باب التشديد في خروج النساء إلى المسجد رقم (٥٧٠) .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٦٧/٣

الحديث أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة وأنها لا تخرج مطيبه رقم (٤٤٣) .

المبحث الثالث

الموضوعيةالدعوية في منهج ابن كثير

توطئة :

الموضوعية هي إقصاء العوامل الذاتية والنزعات الشخصية والتوجهات الأيدلوجية – الخاطئة – التي تشكل مجموع القيم التي يدين بها الباحث وتسيطر على تفكيره وتكوينه وتتحكم في مجموع العمليات الفكرية والعقلية التي يقوم بها وتوجهه نحو هدف معين[1][2].

---

(1) انظر الموسوعة الفلسفية العربية ص٨٠٣، نشر معهد الإنماء العربي ١٩٨٦م، والموضوعية والذاتية في الكتابة التاريخية ، عبد الملك التميمي مجلة عالم الفكر وزارة الأعلام الكويتي العدد٤ المجلد٢٩.

(2) وليس المراد بالتجرد والموضوعية هي تلك النظرة الساذجة الشائعة بين كثير من المثقفين منّا أو من الغربيين بل وحتى بين كثير من المشتغلين بالعلوم سواء منها الطبيعي والاجتماعي، هذه النظرة تقول إن للعلوم منهجًا واحدًا متفقًا عليه بين كل العلماء الذين يدرسون الظواهر الطبيعية أو الإجتماعية دراسة علمية، وأن هذا المنهج يُمكِّن سالكه من الوصول إلى الحقائق الواقعية وتصويرها كما هي تصويرًا أمينًا، ويفسرها التفسير الصحيح الذي يتناسب معها، وهذا التصوير والتفسير لا علاقة لهما بمعتقدات الباحث المفسر ولا بآرائه الفلسفية أو قيمه الخلقية أو أهدافه الذاتية أو حقبته التاريخية أو بيئته الثقافية، وهذا يعني أن قضية المنهج العلمي قضية قد بُتَّ فيها ولم تعد تحتاج إلى نظر جديد، وأنه ما علينا إذا أردنا أن نكون علماء إلا أن نعرف هذا المنهج ونلتزم به في المجالات التي تريد دراستها لكي نصل إلى حقائقها وندرك تفسيرها، والحقيقة أنه إذا كان المراد بالتجرد من الاعتقادات والميول والأفكار هو أن يخلي العالم ذهنه فعلًا من كل هذا ويقبل على قضية بحثه مجردًا فهذا شرط يستحيل تطبيقه، وعلى فرض إمكانه فإنه لا يكون شرطًا لحصول العلم بل سببًا في عدم حصوله، وذلك أن كل إنسان يعلم من نفسه أنه لا يستطيع أن يكف لحظة واحدة وهو يقظان عن حديث مع نفسه أو حديث مع غيره وكلا الحديثين صادر عن أفكار وإعتقادات فكيف والقضية التي يبحثها العالم قد تستغرق منه أشهرًا بل سنين هو سبب في عدم حصول العلم لأن العلم وإن سمي علمًا تجريبيًا إلا أن التجربة والمشاهدة لا تكون إلا في ضوء سؤال أو افتراض فالعالم لا يبدأ بحثه بالمشاهدة ولا بالتجربة ماذا يشاهد وماذا يجرب؟ إنه يبدأ بفكرة ثم يشاهد من الطبيعة أو المجتمع ما يراه متعلقًا بتلك الفكرة، أو

ومن أبرز آثار الموضوعية الدعوية في منهج ابن كثير الإخلاص في الوصول إلى الحق ومحبة الآخرين والحرص على نفعهم وحسن الظن بهم والتماس الأعذار لهم وإتباع منهج العدل والإنصاف مع الخصوم واجتناب الجدل المذموم في الدين ونبذ الجمود الفكري والتعصب المذهبي وكذلك نظرة ابن كثير الواقعية للإنسان من حيث تكوينه ولوازم ذلك وهذا ما سنتحدث عنه في هذا المبحث .

يجري تجربة معينة ذات علاقة بإثبات تلك الفكرة أو نفيها، ولأن العلم كما يقولون أمر تراكمي أي أن الجديد المكتشف منه يضاف إلى قديم سبقت معرفته بل إن القضية الجديدة التي يراد البحث فيها إنما تنشأ عن معرفة سابقة فلو أن كل باحث بدأ تجربته وهو خال الذهن حتى من تلك المعلومات الخاصة بمجال بحثه لما نمى العلم وما تطور، وأما إذا كان المقصود بالتجرد أن يكون الإنسان مستعدًا أن يّقْبل ما دلَّت عليه المشاهدة وما كان نتيجة للتجربة أو لازمًا عقليًا من لوازمها أو أن يكون أمينًا في نقل ما جرّب وشاهد واستنتج وإن خالف اعتقادًا سابقًا له أو للمجتمع الذي يعيش فيه، وكذلك إذا كان المقصود بالتجرد أن يشاهد الإنسان ويجرب بذهن منفتح غير متأثر بتأثيرات سابقة فيما يمكن أن يكون وما لا يكون، أو فيما يصح وما لا يصح من التفسيرات والنتائج فهذا أمر ممكن مرغوب فيه بل هو المثل الأعلى للمنهج العلمي القائم على التجرد والموضوعية، انظر إسلامية العلوم وموضوعاتها، جعفر شيخ إدريس ص٧-٦، مرجع سابق .

المطلب الأول

الإخلاص في الوصول إلى الحق

إن مما يمتاز به منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله هو إخلاصه ورغبته في الوصول إلى الحق، فكان رحمه الله يقبل الحق من كل أحد مهما كان لأن الحق هو ضالة المؤمن فحيث وجده أخذ به وتمسك به، فكان الإخلاص رائده ودليله، ومعرفة الحق والوصول إليه غايته ومقصوده، ويظهر ذلك في أمانته العلمية بحيث ينقل نصوص مخالفيه بألفاظها، ثم تَثَبُّتُهُ وتَحرِّيْه فيما ينقل من الأقوال والمذاهب والآراء والتحقق من نسبتها إلى أصحابها، وكذلك توثيق المعلومات بذكر أصحابها أو مصادرها .

ومن مظاهر إخلاصه وتجرده أنه ينتقد الذين يعالجون الأخطاء والانحرافات بأخطاء مثلها ويقابلون البدعة ببدعة مثلها ومن الأمثلة على ذلك :

نَقْله كلام الرازي بحروفه عن وجوب تعلم السحر فقال « المسألة الخامسة في أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور : اتفق المحققون على ذلك لأن العلم لذاته شريف وأيضا لعموم قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] ولان السحر لو لم يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة، والعلم بكون المعجز معجزًا واجب، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب، فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجبا وما يكون واجبا فكيف يكون حراما وقبيحًا،

---

(١) سورة الزمر آية ٩.

هذا لفظه بحروفه في هذه المسألة، وهذا الكلام فيه نظر من وجوه ... »[1] .

فنلاحظ أن ابن كثير نقل كلام الرازي بحروفه ثم أخذ في الرد عليه، وكذلك عند تفسير الآية : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[2] قال «وقال أبو جعفر الرازي[3] عن الربيع بن انس[4] عن أبي العالية في قوله تعالى ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال : الإنس عالم والجن عالم وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم أو أربعة عشر ألف عالم – هو شك – ..... وللأرض أربع زوايا وفي كل زاوية ثلاثة ألاف عالم وخمسمائة عالم خلقهم لعبادته رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح »[5]

وقال عند تفسير الآية ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[6] قال «والمسلمون متفقون على جواز النسخ في أحكام الله تعالى لما له في ذلك من

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١/١٨٢،١٨١ .

(٢) سورة الفاتحة آية ٢.

(3) هو أبو جعفر الرازي عيسى ماهان عالم الري، يقال أنه ولد بالبصرة، وكان يتَّجر إلى الري ويقيم به، ولد في حدود التسعين في حياة بقايا الصحابة، حدث عن عطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار وقتادة والربيع بن أنس وجماعة، توفي في حدود سنة ستين ومائة، سير أعلام النبلاء ٧/٣٤٦ .

(4) هو الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي، بصري سمع أنس بن مالك وأبا العالية الرياحي وأكثر منه، والحسن البصري، وكان عالم مرو في زمانه، وقد روى الليث عن عبيد الله بن زَحْر عنه، ولقيه سفيان الثوري، وسجنه أبو مسلم تسعة أعوام وتحيّل ابن المبارك حتى دخل إليه فسمع منه توفي سنة تسع وثلاثين ومائة، سير أعلام النبلاء٦/١٦٩ .

(٥) المرجع نفسه ١/٣٥ .

(٦) سورة البقرة آية ١٠٧

الحكمة البالغة وكلهم قال بوقوعه، وقال أبو مسلم الأصبهاني[1] المفسر لم يقع شيء من ذلك في القرآن، وقوله هذا ضعيف ومردود ومرذول، وقد تعسف في الأجوبة عما وقع .. »[٢] . وغير ذلك من المواطن الكثيرة في تفسيره حيث أنه ينقل كلام من يختلف معهم بألفاظه وحروفه ثم يقوم بالرد عليها .

وكذلك توثيق المعلومات والأقوال والآراء بذكر أصحابها أو مصادرها، فمن ذلك مثلا قوله عند تفسير الآية ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴾[٣] « أي ما ثم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامه وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد ..... ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية والمنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه وزعموا أن هذا قد يتكرر مرات لا تتناهى فكابروا المعقول وكذبوا المنقول »[٤] ، وقال أيضًا عند تفسير الآية السابقة « وقد غلط ابن حزم[5] ومن

---

(1) هو محمد بن بحر الأصفهاني أبو مسلم، وال، من أهل اصفهان معتزلي من كبار الكتاب كان عالما بالتفسير وبغيره من صنوف العلم وله شعر، ولي أصفهان وبلاد فارس للمقتدر العباسي، واستمر إلى أن دخل ابن بويه أصفهان سنة ٣٢١هـ فعزل من كتبه جامع التأويل في التفسير والناسخ والمنسوخ وغيرها توفي سنة ٣٢٢هـ . الأعلام ٥٠/٦.

(٢) المرجع نفسه ١٩٠/١ .

(٣) سورة الجاثية آية ٢٤.

(٤) المرجع نفسه ١٧٩/٤

(5) هو الإمام الأوحد البحر ذو الفنون والمعارف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معْدان بن سفيان الفارسي الأصل، ثم الأندلس القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان، الفقيه الحافظ المتكلم الأديب الوزير الظاهري صاحب التصانيف، ولد أبو محمد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاث مائة نشأ في تنعم ورفاهية ورزق، ذكاءً مفرطًا وذهنًا سيالًا وكتبًا نفيسه كثيرة وكان والده من كبراء أهل قرطبة، قيل أنه تفقه اولًا للشافعي ثم أداه اجتهاده إلى القول بنفي القياس كله جليه وخفيه والأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والحديث والقول بالبراءة الأصلية واستصحاب الحال، وصنف في ذلك كتبًا كثيرة منها المحلى والأحكام لأصول الأحكام وغيرها توفي سنة ست وخمسين وأربع مائة، سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٨ .

نحا نحوه من الظاهرية في عدِّهم الدهر من الأسماء الحسنى أخذًا من هذا الحديث (لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر)[1] »[٢]، وعند تفسير الآية : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾[٣] قال « فإن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها سألت عن ذلك – أي رؤية محمد ﷺ لربه – بعد الإسراء ولم يثبت لها الرؤية ومن قال أنه خاطبها على قدر عقلها أو حاول تخطئتها فيما ذهبت إليه كابن خزيمة[4] في كتاب التوحيد فانه هو المخطئ والله أعلم »[٥] .

وكذلك انتقاده لمن يعالج الخطأ بخطأ مماثل فقال في أحداث سنة ٣٦٣هـ « وفيها عُملت البدعة الشنعاء على عادة الروافض – وهي الاحتفال بيوم عاشوراء – ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والروافض وكلا الفريقين قليل عقل بعيد عن السداد وذلك أن جماعة من السنة أركبوا امرأة وسموها عائشة وتسمى بعضهم بطلحة وبعضهم بالزبير وقالوا نقاتل أصحاب علي بن أبي طالب، فقتل من الفريقين خلق كثير وعاث العيارون في البلد

---

(1) الحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة (حم) الجاثية رقم (٤٨٢٦) ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها رقم (٢٢٤٦) .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١٧٩/٤ .

(٣) سورة النجم آية ١٣.

(4) محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر، الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام إمام الأئمة أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي صاحب التصانيف، ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين وعني في حداثته بالحديث والفقه حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والاتقان، ولأبن خزيمة عظمة في النفوس وجلالة في القلوب لعلمه ودينه وإتباعه السنة وكتابه في التوحيد مجلد كبير، توفي سنة ٣١١، سير أعلام النبلاء ٣٦٥/١٤ .

(٥) المرجع نفسه ٢٩٧/٤ .

بالفساد ونهب الأموال وقَتْل الرجال ثم أُخذ جماعة منهم فقتلوا وصلبوا فسكنت النفوس »[1] .

فما يفعله الروافض في عاشوراء من النياحة وتعليق المسوح وتغليق الأسواق وخروج النساء سافرات عن وجوههن ينحن على الحسين[٢] ويلطمن وجوههن فهذا الخطأ لا يعالج بخطأ مثله من خروج امرأة من السنة وتتسمى بعائشة ومن الرجال من يتسمى بطلحة[٣] والزبير ثم يتقاتل الفريقان من السنة والشيعة ولذا وصف ابن كثير هذا التصرف بقلة العقل والبعد عن السداد، وأن هذا (من باب مقابلة البدعة ببدعة مثلها ولا يرفع البدعة إلا السنة الصحيحة) [٤].

---

(1) البداية والنهاية ١٥/٤٨٣ .

(٢) هو الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي العدناني أبو عبد الله السبط الشهيد ابن فاطمة الزهراء، وفي الحديث الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ولد في المدينة ونشأ في بيت النبوه واليه نسبة كثير من الحسينيين، ولما مات معاوية وخلفه ابنه يزيد تخلف الحسين عن مبايعته ورحل إلى مكه في جماعة من أصحابه وأقام فيها شهرا ودعاه إلى الكوفة أشياعه (وأشياع أبيه وأخيه من قبل) فيها على أن يبايعوه بالخلافة فأجابهم وخرج من مكه في مواليه ونسائه وذراريه ونحو الثمانين من رجاله، وعلم يزيد بسفره فوجه إليه جيشا فاعترضه في كربلاء بالعراق فنشب قتال عنيف وقتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قتله سنان بن أنس النخعي وقيل الشمر اين ذي الجوشن سنة ٦١هـ . الأعلام ٢/٢٤٣.

(٣) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني أبو محمد صحابي، شجاع من الأجواد، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام قال ابن عساكر كان من دهاة قريش ومن علمائهم وكان يقال له ولأبي بكر القرينان، وذلك لان نوفل بن الحارث وكان أشد قريش رأى طلحة وقد أسلم خارجًا مع أبي بكر من عند النبي ﷺ فأمسكهما وشدهما في حبل شهد أحد وثبت مع رسول الله ﷺ وبايعه على الموت فأصيب باربعة وعشرين جرحًا وسلم فشهد الخندق وسائر المشاهد وكانت له تجاره وافره مع العراق ولم يكن يدع أحدا من بني تيم عائلًا إلا كفاه مؤونته ومؤونة عياله ووفى دينه قتل يوم الجمل سنة ٣٦ هـ . الأعلام ٣/٢٢٩.

(٤) البداية والنهاية ٤٨٢-٤٨٣ .

فحري بالداعية إلى الله أن يكون همه ومقصده الإخلاص وهدفه وغايته الوصول إلى الحق، وان لا ينتصر لنفسه فيعالج الخطأ بخطأ مثله .

المطلب الثاني

محبة الآخرين والحرص على نفعهم

مما يمتاز به ابن كثير رحمه الله كذلك الحرص على نفع الناس ومحبة الخير لهم ونصحهم وإرشادهم وبذل الخير لهم والحرص على نفعهم فيقول رحمه الله بعد ذكره قصة صاحب الجنة ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ ﴾[1] وهذه القصة تضمنت : أنه لا ينبغي لأحد أن يركن إلى الحياة الدنيا ولا يغتر بها، ولا يثق بها بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه في كل شيء نصب عينيه وليكن بما في يد الله أوثق منه مما في يديه، وفيها أن من قدَّم شيئا على طاعة الله والإنفاق في سبيله عُذِّب به وربما سلب منه معاملة له بنقيض قصده، وفيها أن الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق وأن مخالفته وبال ودمار على من رد النصيحة الصحيحة وفيها أن الندامة لا تنفع إذا حان القدر ونفذ الأمر الحتم والله المستعان وعليه التكلان[2] .

ويقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[3] « قال قتادة[4] لا تلقى المؤمن إلا ناصحا لا تلقاه غاشا ... ﴿ بِمَا غَفَرَ لِى

---

(١) سورة الكهف آية ٣٩.

(٢) البداية والنهاية ٥٧٧/٢

(٣) سورة يس آية ٢٦.

(4) قتادة بن دعامه بن قتادة بن عُزيز أبو الخطاب السدوسي البصري، مفسر حافظ، ضرير أكمه، قال الإمام أحمد بن حنبل : قتادة أحفظ أهل البصرة وكان مع علمه في الحديث رأسًا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، وكان يرى القدر، وقد يدس في الحديث، مات بواسط في الطاعون سنة١١٨هـ، الأعلام ١٨٩/٥ .

رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1] « بإيماني بربي وتصديقي المرسلين، ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم لقادهم ذلك إلى إتباع الرسل، فرحمه الله ورضي عنه فلقد كان حريصا على هداية قومه»[2]، فالمؤمن الصادق عند ابن كثير هو الذي يحرص على أن يكون داعية إلى الخير ومتعديًا نفعه إلى غيره، فيقول عند تفسير الآية : ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[3] « فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذراريهم،وأن يكون هداهم متعديا إلى غيرهم بالنفع وذلك أكثر ثوابًا وأحسن مآبا»[4] .

ولذلك فمنهج ابن كثير الدعوي ينطلق من محبة الآخرين والحرص على دعوتهم ونفعهم دون التفريق بين شريف ووضيع وغني وفقير فهو يشير رحمه الله إلى أن الله سبحانه « أمر رسوله ﷺ أن لا يخص بالإنذار أحدا بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف والفقير والغني والسادة والعبيد والرجال والنساء والصغار والكبار ثم الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم له الحكمة والحجة » [5].

وهذا ما يجب أن يكون عليه الدعاة في علاقتهم بالآخرين ودعوتهم لهم.

---

(١) سورة يس آية ٢٧.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٩٧/٣.

(٣) سورة الفرقان آية ٧٤.

(٤) المرجع نفسه ٤١٠/٣.

(٥) المرجع نفسه ٥٥٥/٤ وذلك عند تفسير الآية (وأما من جاء ك يسعى وهو يخشى . فأنت عنه تلهى (من سورة عبس الآيات ٨-١٠) .

المطلب الثالث

حسن الظن بالآخرين والبحث عن عذر لهم .

فمنهجه رحمه الله عند مناقشته للآراء والأقوال يحسن الظن بقائليها ويلتمس لهم الأعذار ويبحث لهم عن المخارج ومن ذلك مثلا مناقشته لكعب الأحبار في تفسيره لقول الله سبحانه عن ذي القرنين : ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾[1] لما قال إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا فقال « إن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الأحبار[2] أنت تقول أن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟ فقال له كعب إن كنت قلت ذلك فان الله تعالى قال ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ قال ابن كثير وهذا الذي أنكره معاوية رضي الله عنه على كعب الأحبار هو الصواب، والحق مع معاوية في ذلك الإنكار فان معاوية كان يقول عن كعب « إنا كنا لنبلوا عليه الكذب » يعني فيما ينقله لا أ نه كان يتعمد نقل ما ليس فيه صُحُفِه ولكن الشأن في صحفه أنها من الإسرائيليات التي غالبها مبدّل مصحفَ محرّف مختلف ... »[3]

---

(١) سورة الكهف آية ٨٤.

(2) هو كعب بن مانع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم فسكن حمص وتوفي فيها عن مائة وأربع سنين عام ٣٢هـ، الأعلام ٢٢٨/٥ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ١٢٩/٣ .

فابن كثير رحمه الله يحسن الظن بكعب وأن المراد بالكذب الذي ذكره معاوية هو ما في الصحف المحرفة والمبدلة لا على أن كعب رحمه الله يتعمد الكذب .

وقال عند تفسير الآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾[1] «حدثنا ابن عون عن نافع قال قرأت ذات يوم ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ فقال ابن عمر أتدري فيما أنزلت ؟ قلت لا قال نزلت في إتيان النساء في أدبارهن، قال ابن كثير : وقد روينا عن ابن عمر خلاف ذلك صريحا وأنه لا يباح ولا يحل كما سيأتي .... وعزاه بعضهم إلى الإمام مالك رحمه الله في «كتاب السر» وأكثر الناس ينكر أن يصح ذلك عن الإمام مالك رحمه الله وقد وردت الأحاديث المروية من طرق متعددة بالزجر عن فعله وتعاطيه ... »[2] فدافع رحمه الله عن ابن عمر وأنه روى عنه خلاف ذلك وكذلك الشأن في الإمام مالك وان كتاب السر ليس له ولا يصح عنه هذا القول .

فالدعاة إلى الله أحوج ما يكونون إلى هذا الخلق النبيل لا سيما فيما بينهم فيحرص كل منهم على حسن الظن بأخيه، وأن يلتمس العذر له في بعض ما يجده منه من تصرفات معينه بحيث يبحث له مخارج حسنه، ويحمل هذا التصرف على أحسن المحامل، وان مما يعين على ذلك حرص الدعاة على التواصل فيما بينهم والالتقاء والحوار الصادق للوصول إلى الحق وازالة ما في النفوس من الوحشة والكدر.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٣.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٣٢٤-٣٢٥ .

المطلب الرابع

العدل والإنصاف مع الخصوم

العدل هو شعار ابن كثير في تعامله مع غيره وحتى ولو كانوا خصومه وأعداءه، فيقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[1] « أي لا يحملنكم بغض أقوام على ترك العدل، فإن العدل واجب على كل أحد في كل احد في كل حال ... والعدل به قامت السموات والأرض »[2] .

وهناك مواقف عملية لابن كثير رحمه الله تدل على إلتزامه بمبدأ العدل وانصافه به مع خصومه ومناوئيه فمن ذلك مثلا :

١- إنصافه مع ابن الزملكاني وقد كان له موقف مناوىء مع ابن تيمية شيخ ابن كثير الذي كان يحبه ويدافع عنه ويذب عنه، ومع ذلك لما ترجم له في وفيات سنة ٧٢٧هـ فقال : « شيخ الشافعية بالشام وغيرها انتهت اليه رياسة المذهب تدريسا وإفتاء ومناظرة ... وبرع وحصل وساد أقرانه من أهل مذهبه وحاز قصب السبق عليهم بذهنه الوقاد في تحصيل العلم، وأما دروسه في

---

(١) سورة المائدة آية ٢.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/١٠ .

المحافل فلم أسمع أحدًا من الناس درس أحسن منها ولا أحلى من عبارته وحسن تقريره وجودة إحترازاته وصحة ذهنه وقوة قريحته وحسن نظمه ... ولا يهيله تعداد الدروس وكثرة الفقهاء والفضلاء، بل كلما كان الجمع أكثر والفضلاء أكبر كان الدرس أنضر وأبهر وأحلى وأنصح وأفصح، ثم لما انتقل إلى قضاء حلب وما معه من المدارس العديدة عامله معاملة مثلها وأوسع بالفضيلة جميع أهلها، وسمعوا من العلوم ما لم يسمعوا هم ولا آباؤهم، ثم طُلب إلى الديار المصرية ليولي البلاد الشامية دار السنة النبوية فعاجلته المنية قبل وصوله إليها .... وكان من نيته الخبيثة إذا رجع إلى الشام متوليًا أن يؤذي شيخ الإسلام ابن تيمية فدعا عليه فلم يبلغ أمله ومراده فتوفي في سحر يوم الأربعاء[1]،فسار إليها صحبته البريد ليله الأحد وخرج الكبراء والأعيان لتويدعه وفي خدمته »[٢].

٢- إنصافه لقاضي القضاة تقي الدين السبكي[٣]، وذلك برد الإتهام عنه والإفتراء عليه بالتفريط في أموال اليتامى، وقد كان بين السبكي وابن كثير وشيخه ابن تيمية خصومة فكرية، يقول ابن كثير في أحداث سنة ٧٤٣هـ : « وكتبت فتوى عليه بذلك في تغريمه وداروا بها على المفتين .... وسئلت في الإفتاء عليها فامتنعت لما فيها من التشويش على الحكام، وفي أول مرسوم نائب السلطان أن يتأمل المفتون هذا السؤال ويفتوا بما يقتضيه حكم الشرع الشريف، وكانوا له في نية عجيبة ففرج عنه بطلبه إلى الديار المصرية فسار إليها ...» [٤] .

---

(1) البداية والنهاية ١٨/٢٨٦-٢٨٨ .

(٢) المرجع نفسه ١٨/٤٥٤ .

(٣) سبق ترجمته ص ٢٤٧ .

(٤) المرجع نفسه ١٨/٤٥٤.

وكذلك مع ولده تاج الدين السبكي[1] يقول ابن كثير « ولما كان يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الثاني سنة ٧٤٣هـ عقد مجلس حافل بدار السعادة بسبب ما رمى به قاضي القضاة تاج الدين الشافعي ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي وكنت فمن طلب إليه فحضرته فيمن حضر .. وكان قد كتب محضران متعاكسان أحدهما له والآخر عليه ... وفيه عظائم وأشياء منكرة جدًا ينبو السمع عن إستماعها وفي الآخر خطوط جماعات من المذاهب بالثناء عليه وفيه خطّي بأني ما رأيت عليه إلا خيرا »[٢] .

٣- ولم يكن التزام ابن كثير رحمه الله بالعدل والإنصاف مع المسلمين وأهل ملته فقط بل كان أيضًا مع غير المسلمين، ويوضح ما نقوله موقفه مع نصارى الشام، فحينما اعتدى الإفرنج على مدينة الإسكندرية عام ٧٦٧هـ وصدر المرسوم السلطاني بالانتقام من نصارى الشام ومصادرة أموالهم انتقاما من الإفرنج، إعترض ابن كثير رحمه الله على ذلك وأكد عدم جواز تطبيقه لمخالفته للشرع . يقول رحمه الله « ووردت الأخبار بما وقع من الأمر الفظيع بمدينة الإسكندرية من الفرنج لعنهم الله ... فدخلوها يوم الجمعة بكرة النهار بعدما حرقوا أبوابا كثيرة منها ، وعاثوا في أهلها فسادا يقتلون الرجال ويأخذون الأموال ويأسرون النساء والأطفال فالحكم لله العلي الكبير المتعال ... ثم جاء المرسوم الشريف من الديار المصرية إلى نائب السلطنة بمسك النصارى من الشام

---

(1) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي أبو نصر، قاضي القضاة، المؤرخ الباحث ولد في القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده فسكنها وتوفي بها، نسبه إلى سبك من أعمال المنوفيه بمصر وكان طلق اللسان قوي الحجة انتهى إليه قضاء القضاة في الشام، وعزل وتعصب عليه شيوخ عصره، من تصانيفه طبقات الشافعية الكبرى ومعيد النعم ومبيد النقم والأشباه والنظائر وغيرها، توفي سنة ٧٧١هـ، الأعلام ١٨٤/٤ .

(٢) الداية والنهاية ٧٠٨/١٨

جملة واحدة وأن يُؤخذ منهم ربع أموالهم لعمارة ما خرب من الإسكندرية، ولعمارة مراكب تغزوا الإفرنج فأهانوا النصارى وطلبوا من بيوتهم وخافوا أن يُقْتلوا، ولم يفهموا ما يراد بهم فهربوا كل مهرب، ولم تكن هذه الحركة شرعية ولا يجوز إعتمادها شرعًا، وقد طلبت يوم السبت السادس عشر من صفر إلى الميدان الأخضر للاجتماع بنائب السلطنة ... فذكرت أن هذا لا يجوز اعتماده في النصارى، فقال أن بعض فقهاء مصر أفتى للأمير الكبير بذلك فقلت له إن هذا مما لا يسوغ شرعا ولا يجوز لأحد أن يفتي بهذا، ومتى كانوا باقين على الذمة يؤدون إلينا الجزية ملتزمين بالذمة والصغار، وأحكام الملة قائمة لا يجوز أن يُؤخذ منهم الدرهم الواحد الفرد فوق ما يبذلونه من الجزية، ومثل هذا لا يخفى على الأمير .... فجعل يعجبه هذا جدًا وذكر أن هذا كان في قلبه وأني كاشفته بهذا »[1]، والعدل والانصاف من الصفات المهمة للداعية وذلك حتى يكون قدوة حسنة للمدعوين، ويكون محل ثقة وتقدير واحترام بينهم، ومن كانت هذه صفته من الدعاة فأحرى أن يقبل الناس دعوته ويتأثروا بقوله، وينقادوا له ويسمعوا منه، وأمر آخر وهو أن الدعاة مطلوب منهم أن ينصف بعضهم بعضًا ويتعرف كل واحد بما عند الآخر من الفضل والخير , وأن يتعاونوا على البر والتقوى , وإذا قدر أن هناك خصومة وعداوة بين داعية وآخر فلا يعني ذلك حصول الظلم والعداوة والبغضاء، بل يكون المنهج الذي سار عليه ابن كثير من الانصاف والعدل مع الخصوم هو المنهج الذي يُحتذى به ويسار

---

(١) البداية والنهاية ١٨/٧٠٥ – ٧٠٧

وللمزيد من معرفة بعض المواقف التي تدل على عدل الإمام ابن كثير وإنصافه مع غيره انظر مثلا المرجع نفسه ٧/٤٦٣، ١٥/٣٤٤، ١٥/٥٨٣، ١٥/٢٧٢، ١٦/٤٧٦، ١٧/٥١٤، ١٧/١٥، ١٧/٦٥٢، ١٨/٥٧١، ١٥/٢٢٦، ١٥/٤٨٣، ١٧/٥١٤، ١٨/٧٠٨

عليه، وكم أعرض كثير من الناس عن سماع بعض الدعاة والاستجابة لهم بسبب ما يرونه من التنافس بينهم،وحصول البغضاء والشحناء والظلم وعدم الانصاف .

المطلب الخامس

النظرة الواقعية للإنسان من حوله من حيث تكوينه ولوازم ذلك

اهتم ابن كثير رحمه الله بالإنسان من جميع جوانبه النفسية والعقلية وميوله الذاتية والاجتماعية ورغباته وطبيعته واستجابته لأنواع المؤثرات من حوله، كما تعرض ابن كثير للفروق الفردية والتفاوت والاختلافات بين الناس، وغير ذلك مما يتعلق بالنظرة الواقعية للإنسان من حيث تكوينه ولوازم ذلك، ولعلنا نتعرف على نظرة ابن كثير للإنسان من خلال النقاط التالية :

١- يرى ابن كثير أن النفوس خلقها الله سوّية ومستقيمة على الفطرة، في قول عند تفسير الآية : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾[١] « أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[٢] وقال رسول الله ﷺ « ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء »[٣] وعن رسول الله ﷺ قال :« يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء كلهم

---

(١) سورة الشمس آية ٧.

(٢) سورة الروم آية ٣٠

(٣) الحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام ؟ رقم (١٣٥٨) ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .. رقم (٢٦٥٨) وابو داود في كتاب السنة، باب في ذراري المسلمين بلفظ «كل مولود ... رقم (٤٧١٤) والترمذي في كتاب القدر باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة (٢١٣٨) .

فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم »[1] .

٢- الإنسان طيب الأصل، فابن كثير يرى أن الإنسان طيب أصله ومعدنه حتى لو كان عدوا بخلاف العدو من الجن فيقول رحمه الله عند كلامه على الاستعاذة « قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[2] و قال تعالى : ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾[3] و قال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[4] . قال ابن كثير « فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها وهو أن الله يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه ليردَّه عنه طبعُه الطيب الأصيل إلى الموالاة والمصافاة، و يأمر بالاستعاذة من العدو الشيطاني لا محالة، إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانا ولا ينبغي غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه من قبل »[5] .

٣-وكما أن الإنسان طيب الأصل ومفطور على الخير فإن من طبيعته أيضا القنوط واليأس إذا أصابته شدة، فيقول عند تفسير الآيـــة: ﴿وَلَئِنْ

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٦١٣/٤. والحديث أخرجه مسلم في كتاب الجنة ونعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة واهل النار رقم (٢٨٦٥) .

(٢) سورة الاعراف آية ١٩٩.

(٣) سورة المؤمنون آية ٩٦ – ٩٨ .

(٤) سورة فصلت آية ٣٤ – ٣٦ .

(٥) المرجع نفسه ٢٢/١ .

أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ [1] ، « يخبر الله تعالى عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة إلا من رحم الله من عباده المؤمنين، فإنه إذا أصابته شدة بعد نعمة حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل وكفر وجحود لما ضي الحال كأنه لم ير خيرا ولم يرج بعد ذلك فرجا، وهكذا إن أصابته نعمة بعد نقمة « ليقولن ذهب السيئات عني » أي يقول ما ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء « إنه لفرح فخور » أي فرح بما في يده بطر فخور على غيره »[2] .

٤- وكذلك طبيعة أكثر الناس رديئة ومجبولة على مخالفة الأمر المطلوب منها، فيقول عند تفسير الآية: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾[3] « يخبر تعالى عن أكثر الناس أنهم لو أمروا بما هم مرتكبوه من المناهي لما فعلوه لأن طباعهم الرديئة مجبولة على مخالفة الأمر وهذا من علمه تبارك وتعالى بما لم يكن أو كان كيف يكون »[4] .

٥- وكذلك من طبيعته أنه إذا أنعم الله عليه بحال وعافية أعرض عن طاعة الله ونأى بجانبه، يقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ ﴾ [5] « يخبر تعالى عن نقص الإنسان من حيث هو إلا

---

(١) سورة هود آية ٩.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٥٤٠ .

(٣) سورة النساء آية ٦٦.

(٤) التفسير ١/٦٣٧.

(٥) سورة الاسراء آية ٨٣.

من عصم الله تعالى في حالتي سرائه وضرائه فإنه إذا أنعم الله عليه بمال وعافية وفتح ورزق ونصر ونال ما يريد أعرض عن طاعة الله ونأى بجانبه ... وبأنه إذا مسه الشر وهو المصائب والحوادث والنوائب كان يؤوسا » أي قنط أن يعود يحصل له بعد ذلك خير »[1] .

٦- مراعاة ابن كثير للفروق الفردية بين الناس، وأن الله خلقهم وجعل بينهم تفاوت في الأرزاق والآجال فيقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾[2] « أي فآوت بينكم في الأرزاق والآجال والمحاسن والمساوئ والمناظر والأشكال والألوان وله الحكم في ذلك »[3] . وقال عند تفسير الآية : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[4] أي فيها – الأرض – من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما ذرأ فيها من صنوف النبات ... واختلاف السنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى وما فيهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوه »[5] .

٧-خطر دعاة السوء، فابن كثير رحمه الله يحذر من خطر دعاة السوء فيقول عند تفسير الآية: ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٨٧ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٦٥.

(٣) المرجع نفسه ٢/٢٥٤ .

(٤) سورة الذاريات آية ٢٠-٢١.

(٥) المرجع نفسه ٤/٢٧٦.

ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[1] « هذا مثل ضربه الله للالهة ومن يدعو إليها، والدعاة الذين يدعون إلى الله عز وجل كمثل رجل ضل عن الطريق تائها ضالا إذ ناداه مناد يا فلان هلم إلى الطريق، وله أصحاب يدعونه « يا فلان هلم إلى الطريق، فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة وان أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق »[2] .

٨-أهمية إصلاح نفسه وعدم نظره إلى فساد الناس يقول رحمه الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾[3] «يقول تعالى أمرا عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم ومخبرا لهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس سواء كان قريبا منه أو بعيدا »[4] .

٩-وأخيرا يؤكد ابن كثير على أن لا تقتصر همة الإنسان على الدنيا فقط بل تكون همته سامية إلى نيل المطالب العالية في الدنيا والآخرة، فيقول عند تفسير الآية: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾[5] « أي فلا يقتصر قاصر الهمة على السعي للدنيا فقط بل لتكن همته سامية إلى نيل المطالب العالية في الدنيا والآخرة فإن مرجع ذلك كله إلى الذي بيده الضر والنفع وهو الله الذي لا اله إلا

---

(١) سورة الأنعام آية ٧١.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١٨٦/٢ .

(٣) سورة المائدة آية ١٠٥.

(٤) المرجع نفسه ١٤١/٢، ١٤٢ .

(٥) سورة النساء آية ١٣٤.

هو الذي قسم السعادة والشقاوة في الدنيا و الآخرة بين الناس و عدل بينهم فيما علمه فيهم ممن يستحق هذا وممن يستحق هذا»[1] .

فمعرفة الدعاة لطبيعة المدعوين وحاجاتهم ومراعاة الفروق بينهم من الأمور المهمة لنجاحهم في أداء رسالتهم وتأثيرهم على الاخرين، فهناك من الناس من يؤثر فيهم الأسلوب العاطفي فيحتاج إلى التذكير والموعظة الحسنة بينما هناك آخرون ينا سبهم ا لمنهج العقلي وأ سلوب الاقناع وا لحوار والمجادلة وهكذا، فالناس ليسوا على درجة واحدة من الفهم والذكاء، وكذلك تختلف طبائعهم وعاداتهم مما يحسن بالداعية مراعاة ذلك والتنبيه له وسنتناول الحديث عن ذلك في مبحث العلم بأحوال المدعويين.

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٨٩/١.

المطلب السادس

اجتناب الجدل المذموم في الدين

يحرص ابن كثير رحمه الله على تجنب الجدل المذموم والخصومات والمراء في الدين، وينهى عن ذلك أشد النهي، وذلك لأنه منهج يقود صاحبه إلى الخوض في الباطل والوقوع في الآراء الضالة، مع ما يورثه من العداوة والبغضاء، وابن كثير حينما ينهى عن الجدل المذموم في الدين فهو يُجيز المناظرة ويحبذها بل ويوجبها أحيانًا متى وجدت أسبابها ودواعيها على أن يتجنب المحاور المماراة لأنها تقطع الفائدة والعلم النافع فيقول رحمه الله عند تفسير الآيـــة: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾[1] ، « يقول تعالى ولقد بينا للناس في هذا القرآن ووضحنا لهم الأمور وفصلناها لئلا يضلوا عن الحق ويخرجوا عن طريق الهدى ومع هذا البيان وهذا الفرقان الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل إلا من هدى الله وبصَّره بطريق النجاة »[2] .

ويقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾[3]، « يخبر تعالى أنه قادر على جعله الناس أمة واحدة من إيمان أو

---

(١) سورة الكهف آية ٥٤.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ١١٦/٣ .

(٣) سورة هود آية ١١٨-١١٩.

كفران ... وقوله ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ أي ولا يزالون الخلف من الناس في أديانهم واعتقاداتهم ومللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم ..... إلا من رحم ربك أي إلا الموحدين من أتباع الرسل الذين تمسكوا بما أُمروا به من الدين ... كما قال الحسن البصري في رواية عنه في قوله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال : الناس مختلفون على أديان شتى ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ فمن رحم ربك غير مختلف، وقيل ولذلك خلقهم ؟ فقال خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره وخلق هؤلاء لرحمته وخلق هؤلاء لعذابه »[1] .

فعدم الاختلاف في الدين هو الرحمة، والذي أهلك الناس هو المراء والخصومات في الدين يقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[2]، وعن ابن عباس قوله ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وقوله ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[3] ونحو هذا في القرآن، قال أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما أهلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله، ونحو هذا قاله مجاهد وغير واحد »[4] .، وابن كثير رحمه الله يرسم منهجًا عظيمًا وقاعدة مهمة في حكاية الخلاف واستعراض الأقوال والرد عليها فيقول في مقدمة التفسير عند ذكره للآية : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٥٧٢-٥٧٣ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٣.

(٣) سورة الشورى آية ٤٢.

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٢٤٢ .

مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾[1] « فقد اشملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام وتعلم ما ينبغي في مثل هذا فإنه تعالى حكى عنهم ثلاثة أقوال، ضعّف القولين الأولين وسكت عن الثالث فدل على صحته إذ لو كان باطلًا لرده كما ردهما، ثم أرشد على أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته ..... فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام وأن تنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته فتشتغل عن الأهم فالأهم، فأما من حكى خلافًا في مسألة لم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه أو يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضًا فإن صحَّح غير الصحيح عامدًا فقد تعمّد الكذب أو جاهلًا فقد أخطأ، وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته أو حكى أقولًا متعددة لفظًا، ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى فقد ضيع الزمان وتكثّر بما ليس بصحيح فهو كلابس ثوبي زور والله الموفق للصواب»[2] . كما يؤكد رحمه الله أنه يتعين على الإنسان أن يتكلم فيما يعلم ويسكت عما يجهل وأن لا يحاج فيما لا علم له به، فقال عند حديثه عن تحرج السلف عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه : « فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعًا فلا حرج عليه ولهذا روي عن هؤلاء – السلف – وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد فإنه يجب

---

(١) سورة الكهف آية ٢٢.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ١٢/١ .

السكون عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى : ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1] [2] » ويقول عند تفسير الآية : ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾[3]، « هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم فيما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ لكان أولى بهم وإنما تكلموا فيما لم يعلموا فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة والذي يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها ولهذا قال ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾»[4] .

وكذلك الإعراض عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته فقال عند تفسير الآية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[5] « وظاهر الآية النهي عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته فالأولى الإعراض عنها وتركها »[6]، وأخيرًا يُحذِّر رحمه الله من المماراة في الحوار والجدال فإن ذلك يقطع الفائدة والعلم النافع فقال عند كلامه عن ليلة القدر ومتى تكون « وعن عبادة بن الصامت[7] قال خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٧.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ١/١٤٥ .

(٣) سورة آل عمران آية ٦٦.

(4) المرجع نفسه ١/٤٥٧ .

(٥) سورة المائدة آية ١٠١.

(6) المرجع نفسه ٢/١٣٨ .

(٧) هو عبادة بن قيس الانصاري الخزرجي، أبو الوليد، صحابي، من الموصوفين بالورع، شهد العقبة، وكان أحد النقباء،

بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى[1] فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرًا لكم ... وقوله «فتلاحى فلان وفلان فرفعت فيه استئناس لما يقال إن المماراة تقطع الفائدة و العلم النافع»[2] .

وكذلك شهد بدرا وسائر المشاهد ثم حضر فتح مصر، وهو أول من ولي القضاء بفلسطين، ومات بالرملة أو ببيت المقدس روى ١٨١ حديثا اتفق البخاري ومسلم على ستة منها وكان من سادات الصحابة توفي سنة ٣٤ هـ، الأعلام ٢٥٨/٣ .

[1] تلاحى تنازعا، انظر ترتيب القاموس للطاهر أحمد الزاوي ١٣٢/٤طبعة عيسى الباي الحلبي وشركاه ط٢، بدون تاريخ.

[2] انظر تفسير القرآن العظيم ٦٣٨/٤ .

المطلب السابع

نبذ الجمود والتعصب الفكري

يمتلك ابن كثير شخصية متحررة من الجمود الفكري والتعصب المذهبي ولا شك أن علاقته بابن تيمية وتأثره به كانت من أهم العوامل في تبلور شخصية ابن كثير المستقلة والمنفتحة على غيره وإننا نلحظ ذلك حينما ترى أن عددًا من مشايخ ابن كثير كانوا من غير الشافعية فمثلًا من مشايخه :

إسحاق بن يحيى الآمدي المتوفى سنة (٧٢٥هـ) قال عنه ابن كثير : «شيخنا عفيف الدين الآمدي »[1] والآمدي حنفي، وكذلك عيسى بن أحمد المطعم المتوفى سنة (٧١٩هـ) ، « سمع ابن كثير الحديث بدمشق من عيسى المطعم وذلك في العهد المبكر لابن كثير في دمشق »[2]،وعيسى بن المطعم حنبلي، وكذلك محمد بن شرف الدين المتوفى سنة (٧٣٠هـ) يذكره ابن كثير ويثني عليه فيقول : « شيخنا الصالح العابد الناسك الخاشع شمس الدين ... بن غيلان البعلبكي .. وكان يقرأ القرآن طرفي النهار، وعليه ختمت القرآن في سنة إحدى عشرة وسبعمائة »[3]،والبعلبكي حنبلي، وكذلك عبد الله بن محمد بن يوسف المقدسي المتوفى سنة (٧٣٧هـ) قال عنه ابن كثير : « شيخنا الإمام العالم العابد شمس الدين أبو محمد عبد الله العفيف ... المقدسي

---

(1) البداية والنهاية ١٨/٢٦٠ .

(2) المنهل الصافي ٢/٤١٥ .

(3) البداية والنهاية ١٨/٣٢٦ .

النابلسي ... قرأت عليه عام ثلاث وثلاثين وسبعمائة مرجعنا من القدس الشريف كثيرًا من الأجزاء والفوائد »[1]،وابن العفيف المقدسي حنبلي، إضافة إلى أن ابن تيمه الذي كان من أخص شيوخه ومن أحبهم إليه وأكثرهم تأثرًا به وهو حنبلي، وليس ابن تيميه هو صاحبه الوحيد من غير الشافعية بل قد صرح بصحبة غيره مثل جمال الدين يوسف المقدسي الحنبلي، قال في ترجمة والده الذي هو شيخ ابن كثير والذي مر معنا قال في ترجمته : « وهو والد صاحبنا الشيخ جمال الدين يوسف أحمد مفتي الحنابلة وغيرهم »[2] ، وكذلك قال عن ابن القيم الجوزية وفي أحداث سنة ٧٤٣هـ : « وفي يوم الخميس سادس صفر درس بالصدرية صاحبنا العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن .... الزرعي إمام الجوزية »[3]، وقال في ترجمته « توفي صاحبنا الإمام الشيخ العلامة شمس الدين .... وكنت من أصحب الناس له وأحب الناس إليه »[4]، وكذلك ابن عبد الهادي الحنبلي قال ابن كثير في ترجمته بعد وفاته : « وفي يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى سنة ٧٤٤هـ - توفي صاحبنا الإمام العالم العلامة الناقد البارع في فنون العلوم شمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين أحمد عبد الهادي المقدسي الحنبلي »[5] .

ومن مظاهر انفتاح ابن كثير وعدم تعصبه هو أنه لم يكتف بالسماع على مشايخ الشام فقط، بل حصل على الإجازة بالرواية والحديث من مشايخ مصر

---

(1) البداية والنهاية ١٨/٣٩٦-٣٩٧ .

(2) المرجع نفسه ١٨/٣٩٧ .

(3) المرجع نفسه ١٨/٥٤٠ .

(4) المرجع نفسه ١٨/٥٢٣ .

(5) المرجع نفسه ١٨/٤٦٦/٤٦٧ .

فأجازه أبو الفتح الدبوسي [١] وعلي بن عمر الواني [٢] ويوسف الختني [٣] وأبو موسى القرافي [٤] والحسيني [٥] .... وغيرهم، وأجاز له من علماء بغداد ابن الدواليبي البغدادي [٦] »[7] .

ومما يدل على تحرر ابن كثير من القيود المذهبية موافقته وتبنيه لبعض الآراء والأقوال في بعض المسائل التي تخالف مذهب الشافعية الذي ينتمي إليه ابن كثير من ذلك مثلًا :

- تبنيه رأي ابن تيمية في الطلاق فكان يفتي في مسألة طلاق الثلاث بلفظ واحد » .
- ترجيحه مذهب مالك وأحمد في وجوب مسح جميع الرأس »[8] .
- ترجيحه قول الجمهور أن معنى تعولوا أي تجوروا وليس تكثر عيالكم كما فسر الشافعي[1].

---

(١) هو يونس بن إبراهيم بن عبدالقوي الكناني العسقلاني ويقال أيضا الدبوسي، عالم بالحديث، توفي بالقاهرة سنة ٧٢٩ هـ، الأعلام ٨ /٢٦٠ .

(٢) علي بن عمر بن أبي بكر الواني، نزيل مصر، كان صالحًا سهل القياد، مات في المحرم سنة ٧٢٧ هـ، الدرر الكامنة ١/ ٣٧٣ .

(٣) هو يوسف بن عمر بن أبي بكر الختني الحنفي المصري المعمر، وكان لا يسمع إلا بأجرة لأنه كان مقلا، مات سنة ٧٣١ هـ، الدرر الكامنة ٢/ ١٨١ .

(٤) هو أحمد بن أيوب بن إبراهيم القرافي شهاب الدين، سمع الواني والدبوسي والختني، مات سنة ٧٩٤ هـ، الدرر الكامنة ١/ ٣٣ وإنباء الغمر ١/ ١٦٦.

(٥) هو محمد بن علي الحسيني، حدث بمصر وكان أحد العدول، مات سنة ٧٤٥ هـ، الدرر الكامنة ٢/ ٤٤ .

(٦) هو عبدالدايم بن عبدالمحسن البغدادي الدواليبي، حدث عنه جماعة من أهل بلده وغيرهم، مات سنة ٧٢١هـ، الدرر الكامنة ١/ ٢٩٥.

(7) الدر الكامنة ٣٩٩/١ وذيل طبقات الحفاظ ص٣٦١، وانظر ابن كثير الدمشقي للزحيلي ص٩٦ مرجع سابق .

(8) انظر التفسير ٣٣/٢ .

- تيمية ونقله عن الإمام أحمد ... أنها تجوز للمصلحة الراجحة وصنف في ذلك مسألة مفرده وقفت عليها فرأيتها في غاية الحسن والإفادة بحيث لا يتخالج من اطلع عليها ممن يذوق طعم الفقه أنها مذهب الإمام أحمد رحمه الله »[2] .

وغير ذلك من المسائل التي تدل على أن ابن كثير رحمه الله مستقل الرأي يدور مع الدليل حيث دار ولا يتعصب لمذهبه ولا لغيره لأن التقليد الأعمى من غير تبصر ودليل جهل وعمى، ولذلك وصف المقلدين لأئمة الكفر بأنهم «الطماطم[٣] الأغشام المقلدون لأئمة الكفر »[4] .

---

(1) انظر التفسير ٥٥٢/١ .

(2) البداية والنهاية ٥٧٠/١٨-٥٧١ .

(٣) الطماطم : الطَّمْطَمه العجمه، والطمطم والطمطمي والطماطم والطمطمائي هو الأعجم الذي لا يفصح، ورجل طِمْطم بالكسر أي في لسانه عجمه لا يفصح، لسان العرب لجمال الدين ابن منظور ٣٧٠/١٢ طبعة دار صادر بيروت، بدون تاريخ .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٦٩/٣ .

الباب الثاني :

منهج الدعوة إلى الله عند ابن كثير من خلال أركان الدعوة

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله باعتبار الموضوع

الفصل الثاني : منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله باعتبار المدعو

الفصل الثالث : منهج ابن كثير في توجيه الدعاة

الفصل الرابع : منهج ابن كثير في أساليب الدعوة ووسائلها

الفصل الأول

منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله باعتبار الموضوع

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : منهجه في الدعوة إلى العقيدة

المبحث الثاني: منهجه في الدعوة إلى الشريعة (العبادات والمعاملات والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

المبحث الثالث : منهجه في الدعوة إلى الأخلاق

المبحث الأول

منهج ابن كثير في الدعوة إلى العقيدة

المطلب الأول

أسباب اهتمام ابن كثير بالدعوة إلى العقيدة

يرجع اهتمام ابن كثير رحمه الله بالعقيد إلى عدة أسباب منها :

١- أن توحيد الله وعبادته، وعدم الإشراك به، هو الغاية من خلق العباد، فالله سبحانه وتعالى : « خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذّبه أشد العذاب »[١] .

وهو سبحانه « ما خلق الخلق عبثًا، وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحّدوه، ثم يجمعهم ليوم الجمع، فيثبت المطيع ويعذب الكافر »[٢]، فمهمة الرسل عليهم السلام وأساس دعوتهم هي توحيد الله والتحذير من الإشراك به وعبادة ما سواه، فالله سبحانه وتعالى « أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم تزجرهم عن ذلك وتنهاهم عن عبادة من سوى الله »[٣] .

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٢٨٠ عند تفسير الآية : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات ٥٦) .

(٢) المرجع نفسه ٤/٤٠ عند تفسير الآية: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ﴾ (ص٢٧) .

(٣) المرجع نفسه ٢/٦٢٦ عند تفسير الآية: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ ﴾ (الرعد ١٦) .

٢- أن العقيدة هي أصل الدين وأساسه ن وأن قبول الأعمال مرتبط بالعقيدة والتوحيد، فلا يقبل الله عملًا أشرك صاحبه مع الله غيره في عبادته قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[١]، وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[٢] ويقوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[٣] .

قال ابن كثير : « وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له »[٤]، فالإنسان مهما عمل من عمل فلا يكون مقبولًا عند الله حتى يكون خالصًا من الشرك وصاحبه على عقيدة صحيحة سالمة من الشرك بالله، كما قال سبحانه : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[٥]، قال ابن كثير : « وهذا يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من خير وشر، فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء، وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي إما الإخلاص وإما المتابعة لشرع الله، فكل عمل لا يكون خالصا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل »[٦].

٣-أثر العقيدة على التصور والفهم والادراك والسلوك، فالاعتقاد الصحيح يؤثر على فهم النصوص الشرعية وادراكها ومعرفة حقائقها ودلالاتها لأن الإعتقاد أساس الفهم، فكلما كان الإعتقاد سليما كلما كان منهج فهم

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٨ .

(٢) سورة الزمر آية ٦٥ .

(٣) سورة الكهف آية ١١٠ .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ١٣٨/٣ .

(٥) سورة الفرقان ٢٣ .

(٦) المرجع نفسه ٣٩١/٣ .

النصوص وتلقيها وإدراكها والإستدلال بها صحيحا وموافقا للحق الذي أراده الله وأنزله على رسوله ﷺ، فانحراف العقيدة وفسادها يؤثر على سلامة الفهم وصحة القصد والعمل . يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1] .

« وقال محمد بن إسحاق هم المنافقون، قلت : ولا منافاة بين المشركين والمنافقين لأن كلا منهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح، ثم أخبر تعالى بأنهم لا فهم لهم صحيح ولا قصد لهم صحيح، ولو فرض أن لهم فهمًا، فقال : « ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم » أي لأفهمهم، وتقدير الكلام ولكن لا خير فيهم فلم يفهمهم »[2] ويقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ ﴾[3]، « يخبرنا تعالى عن المجرمين أنهم في ضلال وسعر مما هم فيه من الشكوك والإضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق »[4] .

٤-أثر العقيدة على وحدة الأمة وتماسكها وقوتها، وأن من أكبر أسباب ضعف المسلمين وتفرقهم هو بعدهم عن عقيدتهم الصحيحة، لذا نجد أن ابن كثير رحمه الله يرى أن من أهم أسباب ضعف المسلمين وتفكك وحدتهم وتكالب الأعداء عليهم في بعض العصور هو بعدهم عن التمسك بعقيدتهم الإسلامية الصحيحة وانتشار البدع والأهواء بينهم وظهور الفرق الضالة عن

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٠ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٣٧٢.

(٣) سورة القمر ٤٧ .

(٤) المرجع نفسه ٤/٣١٦.

المنهج الصحيح للإسلام، والذي كان لها أكبر الأثر على ضعف المسلمين وتسلط التتار والنصارى عليهم، وكذلك ما حصل بسبب هذه الطوائف والفرق من النزاع بين المسلمين أنفسهم، كالذي يحصل بين السنة والشيعة، وأثّر ذلك على ضعف المسلمين وتفرقهم وطمع الأعداء فيهم، من ذلك مثلا ما ذكره ابن كثير في كتابه البداية والنهاية عند حوادث سنة ٣٥١هـ فقال بعدما أورد الممارسات الخاطئة من بعض الرافضة من لعن أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وكتابة ذلك على المساجد، « ولا جرم أن الله لا ينصر أمثال هؤلاء ويديل عليهم أعداءهم لمتابعتهم أهواءهم وتقليدهم سادتهم وكبراءهم وآباءهم وترك متابعة أنبياءهم وعلماءهم، ولهذا لما ملكت الفاطمية بلاد الشام استحوذ على سواحلها كلها – حتى بيت المقدس – الفرنج، ولم يبق مع المسلمين سوى حلب وحمص وحماة ودمشق وبعض أعمالها وجميع السواحل مع الفرنج، ..... والناس منهم في حصر عظيم وضيق من الدين، وأهل هذه المدن التي في يد المسلمين في خوف شديد في ليلهم ونهارهم من الفزع، فإنا لله وإنا له راجعون، كل ذلك من بعض عقوبات المعاصي والذنوب وإظهار سب خير الخلق بعد الأنبياء »[1] .

وقال عن الفاطميين[2] « ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات وكثر الفساد وقلّ عندهم الصالحون من العلماء والعباد، وكثر بأرض الشام النصيرية[1]

---

(١) البداية والنهاية ١٥/٢٥٥ -٢٥٦ .

(٢) الفاطميون أو العبيدون وهم شيعة رافضة ادعو كذبًا وزورًا أنهم من نسل فاطمة الزهراء، اختلف المؤرخون في نسبهم، فقيل ينسبون إلى إسماعيل نبن جعفر الصادق لذا سموا بالإسماعيلية أيضًا، وقيل إنهم يرجعون إلى رجل فارسي هو عبد الله بن ميمون القداح الأهوازي الثنوي المذهب الذي يقول بوجود الالهة « إله النور وآله الظلمة» (انظر موجز التاريخ الإسلامي، أحمد معمور العسيري، ص ٢١٠ مطابع الأبتكار، ط٣، ١٤٢٠هـ) .

والدروز[٢] ... وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكامله ... وحين زالت أيامهم وانقضى إبرامهم أعاد الله هذه البلاد كلها على أهلها من السادة المسلمين ورد الله الكفرة خائبين وأركسهم[٣] بما كسبوا في هذه الدنيا ويوم الدين »[٤]، وقال رحمه الله في حوادث سنة ٦٢٤هـ عن الإسماعيليه[٥]

---

(١) النصيرية نسبة إلى محمد بن نصير النمري وكان من أصحاب الحسن العسكري، وادعى النبوة ثم الربوبية، ويزعمون أن الله حل في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويعتقدون إباحة المحرمات، ويسبون فاطمة بنت الرسول ﷺ ويكرمون عبد الرحمن بن ملجم لإعتقادهم أنه خلص روح اللاهوت من الجسد والتراب وذلك بقتله عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (انظر الملل والنحل ١/١٨٨-١٨٩، ومذاهب الإسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوي ٢/٤٢٧ وما بعدها، طبعت دار العلم للملايين بيوت، ط١ ١٩٧٣م .

(٢) الدروز : نسبة إلى درزي بن محمد كما يسمونه وهو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الدرزي وإنما انتسبوا إليه تقية حين طوردوا، والمذهب الدرزي هو مذهب باطني وقد كان حمزة بن علي بن أحمد الفارسي الحاكمي الدرزمن كبار الباطنية ومن مؤسسي المذهب الدرزي، حيث اتصل برجال الدعوة السرية في القاهرة من شيعة الحاكم بأمر الله الفاطمي فأصبح من أركانها واستمر يعمل لها في الخفاء ويواصل رفع كتبه إلى الحاكم حتى كانت سنة ٤٠٨هـ فأظهر الدعوة وجاهر بتأليه الحاكم وقال انه رسوله وأقره الحاكم على ما نعت به نفسه فلقبه برسول الله وجعله داعي الدعاة ولما هلك الحاكم وحل إبنه (الظاهر لإعزاز دين الله)محله سنة ٤١١هـ فترت الدعوة ثم طوردت بعد براءة الظاهر منها سنة ٤١٤هـ فاضطر حمزة إلى الرحيل بعد ذلك بجبل الدروز في سورية، وحمزة عندهم أول الحدود الخمسة المعصومين، ويكتون عنه بالعقل ويقولون انه أمر بإقامة أركان الدين وهي عندهم (صدق اللسان وخفظ الإخوان، وترك جميع الأديان، والابتعاد عن مهاوي الشرك والبهتان، والإقرار بوحدانية كل الأزمان والرضا بفعله كيفما كان والتسليم لأمره في كل آن) (انظر الأعلام ٢/٢٧٨) .

(٣) أركسهم : أي ردهم، المعجم الوسيط ص ٣٦٩ .

(٤) البداية والنهاية ١٦/٤٥٦ - ٤٥٧.

(٥) الإسماعيلية : نسبة إلى محمد بن إسماعيل، وهم ليسوا على دينه، ويدعون أنه الذي كتم السر الباطنة الذي أنزل على محمد ﷺ وأمر بكتمه عن الناس إلا عن وصيته علي بن أبي طالب واستكتمه أن لا يخرج منه ذلك إلا لمن يخلفه من الأئمة المعصومين من ذريته، حتى إنتهى ذلك إلى محمد بن إسماعيل وأنكروا حقائق اليوم الآخر وحملوها على تأويلات اصطلحوا عليها فمثلًا القيامة حدوث الشر والميزان ميزان الحكمة (انظر التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي ص ٣٢، طبعت مكتبة المغني بغداد ومكتبة المعارف ١٣٨٨هـ) .

« وفيها قتلت الاسماعيليه أميرا كبيرا من نواب جلال الدين[1] خوارزم شاه فسار إلى بلادهم فقتل منهم خلقا كثيرا وخرب مدينتهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم وقد كانوا قبحهم الله من أكبر العون على المسلمين لما قدم التتار إلى الناس وكانوا أضر على الناس منهم »[2] .

وقال رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[3] . «وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير الأمة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله، لم يزالوا ظاهرين على عدوهم، ولم تزل الفتوحات كثيرة، ولم تزل الأعداء في سفال[4] وخسار، ثم لما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك طمع الأعداء في أطراف البلاد، وتقدموا إليها فلم يمانعوا[5] لشغل الملوك بعضهم ببعض، ثم تقدموا إلى حوزة الإسلام فأخذوا من الأطراف بلدانا كثيرة، ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على كثير من بلاد الإسلام، ولله سبحانه الأمر من قبل ومن بعد، فكلما قام ملك من ملوك الإسلام، وأطاع أوامر الله، وتوكل على الله، فتح الله عليه من البلاد، واسترجع من الأعداء بحسبه وبقدر ما فيه من ولاية الله، والله المسؤول المأمول

---

(١) جلال الدين خوارزم بن السلطان علاء الدين، كان يضرب به المثل في الشجاعة والإقدام كثير الجولان في البلدان ما بين الهند إلى ما وراء النهر إلى العراق إلى فارس إلى كرمان إلى أرمينية وإذربيجان وغير ذلك، وافتتح المدن وسفك الدماء وظلم وعسف وغدر قال : ومع ذلك كان صحيح الإسلام وكان ربما قرأ في المصحف وبكى وآل أمره إلى أن تفرق عنه جيشه حتى يقال أنه سار في نفر يسير فبيته كردي في منزله وطعنه بحربة وقتله بها سنة ٦٢٩هـ (مرأة الحنان وعبرة اليقظان في حوادث الزمان لليافعي ١٦٣/٢) .

(٢) البداية والنهاية ١٥٨/١٧.

(٣) سورة التوبة آية ١٢٣ .

(٤) سفال : نزول وإنحطاط، المعجم الوسيط ص ٤٣٤ .

(٥) أي يحموا أطراف البلاد انظر المعجيم الوسيط ص ٨٨٨.

أن يمكن المسلمين من نواصي أعدائه الكافرين، وأن يعلي كلمتهم في سائر الأقاليم إنه جواد كريم [1][2].

إلى غير ذلك من الأسباب التي جعلت ابن كثير يعتني بأمر العقيدة ويهتم به، وما ذاك إلا لأنها هي الأساس في الدعوة إلى الله، فأول ما دعت إليه الرسل كما ذكرنا هو عبادة الله وحده لا شريك له ومن ثم كان للعقيدة مساحة واسعة في الدعوة ناهيك عن حيازتها المقام الأول في دعوة الناس إلى الله فمنها ينطلق المسلم في تسيير شئون حياته كلها وبها يضبط مسيرته ويوجه سلوكه ويحقق الغاية من وجوده، والعقيدة هي أساس بناء تصور المسلم عن الوجود كله عن الله وعن الكون والحياة والإنسان ومن ثم إذا استقامت عقيدة الإنسان في ذلك كله واستقام تصوره فسوف يستقيم سلوكه وتنضبط ممارساته وفق مقتضيات الإيمان بالله وتوحيده وتطبيق منهجه في هذه الحياة الدنيا ليفوز بخيري الدنيا والآخرة، وهذا من أسمى وأعلى أهداف الدعاة إلى الله.

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٤٩٦.

(٢) انظر مثلا ١٥/٦٣٦، ١٦/١١٣، ١٧/٢٦١، ١٧/٢٧٣، ١٧/٣٤٨، ١٧/٣٥٨، ١٧/٣٥٩. وغير ذلك من الأمثلة والحوادث الكثيرة التي ذكرها ابن كثير والتي تدل على أثر الانحراف العقدي على ضعف المسلمين وتفرقهم، وكذلك أثر الفرق الضالة والمنحرفة على معاونة الكفار والنصارى على المسلمين وتواطئهم معهم.

المطلب الثاني

منهجه في الدعوة إلى الإيمان بالله

الإيمان بالله تعالى هو الركن الأول من أركان الإيمان، ومعرفته غاية كل مسلم، لان معرفة الله وعبادته هي أشرف المطالب وأعلى المراتب وأنبل المقاصد، والله سبحانه لما خلق الخلق لم يتركهم هملا، بل أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، فالقرآن الكريم من أوله إلى آخره متضمن لعقيدة التوحيد، والرسول ﷺ جاءت دعوته لتقرير هذه العقيدة، وترسيخها، وبيانها، والعمل على تطبيقها والتمسك بها، والإيمان بالله هو الإقرار والاعتراف بان الله هو الرب الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور وهذا مقتضى توحيد الربوبية، وكذلك الإيمان بأن الله هو الإله المستحق للعبادة وحده دون سواه وهذا هو مقتضى توحيد الإلوهية وكذلك الإيمان بأسماء الله وصفاته وإثبات ما أثبته لنفسه أو أثبته لرسوله ﷺ ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف وهذا هو توحيد الأسماء والصفات ولقد قرر الامام ابن كثير هذه الأقسام الثلاثة وبيّنها ودعا إلى الإيمان بها واعتقادها والتسليم بها، في مواضع كثيرة من تفسيره فقال رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1] .

---

[1] سورة البقرة آية ٢١-٢٢ .

« وهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وقد استدل بها كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع، فقال : وهي دالة على ذلك بطريق الأولى، فان من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع بها محكمة، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وانعامه وعظيم سلطانه،كما قال بعض الأعراب وقد سئل ما الدليل على وجود الرب تعالى ؟ قال: يا سبحان الله : إن البعرة تدل على البعير وإن أثر الأقدام ليدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟! وحكى فخر الدين عن الامام مالك رحمه الله أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل باختلاف اللغات والأصوات والنغمات، وعن أبي حنيفة رحمه الله أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى فقال لهم دعوني فإني مفكر في أمر قد احترت فيه، ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة[1] فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها، وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد، فقالوا هذا شيء لا يقوله عاقل، فقال ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسلفي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع ؟! فبهت القوم، ورجعوا إلى الحق، وأسلموا على يديه، وعن الشافعي رحمه الله أنه سئل عن وجود الباري تعالى فقال : هذا ورق التوت طبيعة واحدة يأكله الدود فيخرج منه الإبريسم، ويأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعرا وروثا، وتأكله الظباء فيخرج

---

[1] موقرة : محملة وثقيلة، المعجم ص ١٠٤٩ .

منها المسك وهو شيء واحد، وعن الامام أحمد رحمه الله أنه سئل عن ذلك فقال ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ظاهره كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز، فبينما هو كذلك إذا انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن بصوت مليح يعني البيضه إذا خرج منها الدجاجة »[1] .

وقال أيضًا « شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية وألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة، بأن جعل لهم الأرض فراشا أي مهدا كالفراش مُقَرَّرةً موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات والسماء بناء وهو السقف كما قال في الآية الأخرى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[2]، وأنزل لهم من السماء ماء – والمراد به السحاب ههنا – ماءً في وقته عند احتياجهم إليه، فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد، رزقا لهم ولأنعامهم، كما قرر هذا في غير هذا الموضع من القرآن، ومِنْ أشبه آية بهذه قوله تعالى :﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[3][4].

وهكذا نجد ابن كثير رحمه الله يستخدم المنهج الحسي والعقلي في الدعوة إلى الإيمان بوجود الله سبحانه فهو يستدل على توحيد الربوبية بالآيات

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٧٨.

(٢) سورة الأنبياء آية ٣٢ .

(٣) سورة غافر ٦٤ .

(٤) المرجع نفسه ١/٧٦ .

والبراهين والدلائل الكونية والطبيعية ويورد الأقوال والأمثلة التي ذكرها العلماء في ذلك وكذلك الشأن في توحيد الألوهية فقد دعا رحمه الله إلى عبادة الله وحده دون سواه وأنه لا يتم تحقيق لا إله إلا الله إلا بذلك، فيقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ ﴾[1]، «وقوله الله لا إله إلا هو إخبار بتوحيده وتفرده بالإلوهية لجميع المخلوقات »[2]، وقال عند تفسير الآية : ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ ﴾[3]، «يخبر تعالى عن تفرده بالألوهية، وأنه لا شريك له ولا عديل له بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو وأنه الرحمن الرحيم »[4] .

كما يقرر رحمه الله أن الإله الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور هو سبحانه الرب والإله المستحق للعبادة دون سواه فما دام « أنه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة .... فبهذا إستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره »[5] .

وهو هنا استخدم المنهج العقلي في الدعوة إلى الإيمان بتوحيد الألوهية فما دام أنه سبحانه الخالق الرازق المحيي المميت فلم يعبد غيره ولم يتوكل على سواه . فقال عند تفسيره الآية ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١ ﴾[6] ، « يقول تعالى مقررا أنه لا اله إلا هو لأن

---

(١) سورة النساء آية ٨٧ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٤٩/١ .

(٣) سورة البقرة آية ١٦٣ .

(٤) المرجع نفسه ٢٥٠/١ .

(٥) المرجع نفسه ٧٦/١ .

(٦) سورة العنكبوت آية ٦١ .

المشركين – الذين يعبدون معه غيره – معترفون أنه المستقل بخلق السموات والارض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار وأنه الخالق الرازق لعباده ومقدر آجالهم واختلافها واختلاف أرزاقهم ففاوت بينهم فمنهم الغني ومنهم الفقير وهو العليم بما يصلح كلا منهم، ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر، فذكر أنه المستبد بخلق الاشياء المتفرد بتدبيرها، فإذا كان الامر كذلك فَلِمَ يُعبد غيره ؟ وَلِمَ يُتوكل على غيره ؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته، وكثيرًا ما يقرر تعالى مقام الالهية بالإعتراف بتوحيد الربوبية وكان المشركون يعترفون بذلك، كما كانوا يقولون في تلبيتهم « لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه ومامِلك »[1]، فواجب الدعاة أن يقوموا بواجب الدعوة إلى توحيد اللّٰه في ربوبيته، وأنه سبحانه الخالق الرازق المحيي المميت وأنه رب كل شيء ومليكه، فلا خالق غيره، ولا رب سواه، وأن كل ما في الوجود من حركة وسكون فبقضائه وقدره ومشيئته، وأنه سبحانه الإله المعبود وحده دون سواه، كما أن عليهم أن يسلكوا منهج الرسل في العناية بتويحد الألوهية ودعوة الناس إلى توحيد اللّٰه وعبادته وعدم الإشراك به، وأنه لا ينبغي أن ينصرف الدعاة بسبب ظهور موجة الإلحاد في هذا العصر عن الإهتمام بتوحيد الألوهية والإكتفاء بدعوة الناس إلى الإيمان بوجود اللّٰه وبيان عظمته بل يكون هذا طريقًا للدعوة إلى عبادته وعدم الإشراك به سبحانه .

وأما توحيد الأسماء والصفات فمنهج ابن كثير رحمه اللّٰه هو الإيمان بأسماء اللّٰه وصفاته على منهج السلف وعدم الخوض والجدل الكلامي والفلسفي واتباع أسلوب القرآن في ذلك، كما أنه رحمه اللّٰه عند تقريره

---

[1] انظر تفسير القرآن العظيم ٥١٩/٣ .

للايمان بأسماء الله وصفاته يستخدم المنهج العاطفي في زيادة الإيمان والخوف من الله وخشيته ومحبته والتوكل عليه والالتجاء إليه، من خلال أسماء الله وصفاته فيقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾[1]، « أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم، والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر »[2].

وقال رحمه الله عند تفسيره الآية ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾[3]، « أي لا يثقله ولا يُكْرثه حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما بل ذلك سهل عليه يسير لديه، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الاشياء فلا يعزب عنه شي ولا يغيب عنه شيء، والأشياء كلها حقيرة بين يديه، متواضعة ذليله صغيرة بالنسبة إليه محتاجة فقيرة، وهو الغني الحميد الفعَّال لما يريد الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون وهو القاهر لكل شيء الحسيب على كل شي، الرقيب العلي العظيم لا إله غيره ولا رب سواه »[4].

وابن كثير كما ذكرنا يرى أن منهج السلف هو المنهج الصحيح في اثبات الاسماء والصفات وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه، فيقول « وهو العلي العظيم » كقوله « وهو الكبير المتعال » وهذه الآيات وما في

---

(١) سورة فاطر من الآية ٢٨.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٧٨/٣ .

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٥٥.

(٤) المرجع نفسه ٣٨٤/١ .

معناها من الأحاديث الصحاح الأجود فيها طريقة السلف الصالح إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه »[1] .

وقال رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[2]، « المسلك في ذلك طريقة السلف إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل »[3] .

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٨٤/١ .

(٢) سورة طه آية ٥ .

(٣) المرجع نفسه ١٨٠/٣.

المطلب الثالث

منهجه في الدعوة إلى الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان لقوله تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[1] .

وقد أشار ابن كثير رحمه الله في مواطن كثيرة من تفسيره إلى وجوب الإيمان بالملائكة جملة وتفصيلا، والى صفاتهم وأعمالهم والتفاضل بينهم وبين صالحي البشر، وكلام المشركين عن الملائكة والرد عليهم، وأن الملائكة عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون وأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، كما أشار رحمه الله إلى علاقة الملائكة بالإنسان فهناك ملائكة يقبضون روحه عند الموت، وآخرين يحفظونه من أمر الله، وملائكة يكتبون أعماله وملائكة يبشرون المؤمن بالخير والكافر بالعذاب وملائكة يرسلهم الله لهلاك الأمم المكذبة وغير ذلك من القضايا والمباحث المتعلقة بالملائكة، والتي بَيَّنها ابن كثير ودعا إلى الإيمان بها، وحيث أن المقام لا يتسع للكلام عنها مفصلا لأنه ليس هذا موضعه، فسنتعرض لذلك بشي من الإيجاز وذلك حسب النقاط التالية :

١- تأكيد ابن كثير على الإيمان بالملائكة والتصديق بوجودهم

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٨.

فقال رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾[1] « فإن من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الإسلام كلها وأخذ بمجامع الخير كله، وهو الإيمان بالله وهو أنه لا اله إلا هو، وصدَّق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله »[2] .

٢- والملائكة عباد مكرمون وهم في غاية الطاعة لربهم يقول رحمه الله عند تفسير الآيات ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[3] « أي الملائكة عباد مكرمون عنده في منازل عاليه ومقامات سامية وهم في غاية الطاعة قولا وفعلا ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ أي لا يتقدمون بين يديه بأمر ولا يخالفونه فيما أمر به بل يبادرون إلى فعله وهو تعالى علمه محيط بهم فلا يخفى منهم خافية »[4] .

٣- من صفات الملائكة أن خلقهم حسن واخلاقهم وأفعالهم بارَّه يقول ابن كثير عند تفسيره الآية ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾[5] « قال ابن عباس ومجاهد... هي الملائكة ... وقال قتاده هم القرَّاء ... وقال ابن جرير الصحيح أن

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٧.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٥٨/١ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٦-٢٧.

(٤) المرجع نفسه ٢٢٣/٣ .

(٥) سورة عبس الآية ١٥-١٦.

السفره الملائكة ... ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ « أي خَلْقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة »[1] .

٤- من صفاتهم الخَلْقية أن لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع . يقول ابن كثير عند تفسير الآية ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾[2] « أي يطيرون بها ليبلغوا ما أمروا به سريعا « مثنى وثلاث ورباع» أي منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة ومنهم من له أكثر من ذلك، كما جاء في الحديث .. أن رسول الله ﷺ رأى جبريل ليلة الإسراء وله ستمائة جناح، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب » ولهذا قال يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير . قال السدي : يزيد في الأجنحة وخَلْقهم ما يشاء »[3] .

٥- إن خُزَّان النار من الملائكة غلاظ شداد ولا يعلم عددهم إلا الله . يقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[4] « وما جعلنا أصحاب النار أي خزانها « إلا ملائكة » أي زبانية غلاظا شدادا، وذلك ردا على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة فقال أبو جهل : يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٥٥٦ .

(٢) سورة فاطر الآية ١.

(٣) المرجع نفسه ٣/٦٧٠، والحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه رقم (٣٢٣٢)، ومسلم كتاب الإيمان باب معنى قول الله عز وجل { ولقد رآه نزلة أخرى} رقم (١٧٤)..

(٤) سورة المدثر الآية٣١.

فتغلبونهم؟ فقال اللّه ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ﴾ أي شديدي الخلق لا يُقاومون ولا يُغالبون» وقد رد ابن كثير رحمه اللّه على من توهم أن عدد الملائكة تسعة عشر فقط، فقال عند تفسير الآية ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾[1] « أي ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى، لئلا يتوهم متوهم أنَّما هم تسعة عشر فقط، كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانية ومن شايعم من المِلّتين الذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التي اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها فأُفْهِموا صدر الآية وقد كفروا بآخرها وهي قوله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ وقد ثبت في حديث الإسراء المروي في الصحيحين وغيرهما عن رسول اللّه ﷺ أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة « فاذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم»)[2].

وقال رحمه اللّه عند تفسير الآية ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[3] « أي طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين باللّه شداد أي تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج ... وقوله ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ أي مهما أمرهم به تعالى يبادروا

---

(١) سورة المدثر الآية ٢١.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٥٢٥والحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم رقم (٣٢٠٧) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الاسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات رقم (١٦٤) .

(٣) سورة التحريم الآية ٧.

إليه، لا يتأخرون عنه طرفة عين، وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز منه، وهؤلاء هم الزبانية عياذا بالله[1] .

وقال عند تفسير الآية ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾[2]، « يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أي مرصد (ما يلفظ) أي ابن آدم (من قول) أي ما يتكلم بكلمة (إلا لديه رقيب عتيد) أي إلا ولها من يراقبها مُعَدٌّ لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة كما قال تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[3] وقد اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء من الكلام ؟ وهو قول الحسن وقتادة أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس ؟ على قولين، وظاهر الآية الأول، لعموم قوله ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[4][5] .

٥- أشار ابن كثير رحمه الله إلى علاقة الملائكة بالبشر فمن هذه العلاقة :

أ- أن هناك ملائكة موكلة بقبض الروح من الجسد فقال عند تفسير الآية ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[6] «أي إذا احتضر وحان أجله (توفته رسلنا) أي ملائكة موكلون بذلك، قال

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٤٦٢.

(٢) سورة ق الآية ١٦-١٧.

(٣) سورة الانفطار الآية ١٠-١٢.

(٤) المرجع نفسه ٤/٢٦٣ .

(٥) سورة ق الآية ١٨.

(٦) سورة الأنعام آية ٦١.

ابن عباس وغير واحد، لملك الموت أعوان من الملائكة يُخْرِجون الروح من الجسد، فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم، وهم لا يفرطون، أي في حفظ روح المتوفى بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله – عز وجل – إن كان من الابرار ففي عليين، وان كان من الفجار ففي سجين عياذا بالله من ذلك »[1] .

ب- كما أن هناك الملائكة الحفظة الموكلة بحفظ الإنسان، يقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[2] « أي للعبد ملائكة يتعاقبون عليه حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظونه من الأسواء والحوادث، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الاعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بدلان حافظان وكاتبان، كما جاء في الصحيح « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون »[3] وفي

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١٧٧/٢ .

(٢) سورة الرعد الآية١١.

(٣) اخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى { تعرج الملائكة والروح إليه ... إلى قوله إليه يصعد الكلم الطيب } رقم ٧٤٢٩).

الحديث الآخر « إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم واكرموهم »[1].

وقال رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[2] « يعني وإن عليكم لملائكة حفظه كراما، فلا تقابلوهم بالقبائح فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم »[3].

ج- نزولهم من السماء إلى الأرض في ليلة القدر وعند تلاوة القرآن واحاطتهم بحلق الذكر ووضع أجنحتهم لطالب العلم تعظيمًا له، يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾[4]، « أي يكثر نزول الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما ينزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له »[5].

د - أن الله يرسل الملائكة لهلاك الأمم المكذبة لرسلها، يقول ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[6]، « يقول تعالى مخبرًا عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٢٠/٢ والحديث أخرجه الترمذي، كتاب الادب، باب ما جاء في الاستغفار عند الجماع رقم (٢٨٠٠).

(٢) سورة الانفطار ١٠-١٢.

(٣) المرجع نفسه ٥٦٩/٤ .

(٤) سورة القدر الآية ٤.

(٥) المرجع نفسه ٦٣٤/٤ .

(٦) سورة القمر الآية ٣٣-٣٤ .

وخالفوه .... ولهذا أهلكم الله هلاكًا لم يهلكه أمة من الأمم فإنه تعالى أمر جبريل عليه السلام، فحمل مداءنهم حتى وصل بها إلى عنان السماء ثم قلبها عليهم وأرسلها، وأُتبعتْ بحجارة من سجيل منضود »[1] .

هـ- الملائكة تبشر الكفار بالعذاب والنكال يقول ابن كثير عند تفسير الآية : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[2]، « وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده وتعصي وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ أي اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن إتباع آياته والانقياد لرسله »[3] .

و- تفضيل صالحي البشر من المؤمنين على الملائكة يقول ابن كثير عند تفسير الآية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾[4]، « ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بأيديهم بأنهم

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٣١٤ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٩٣.

(٣) المرجع نفسه ٢/٢٠٠ .

(٤) سورة البينة الآية ٧ .

خير البرية، وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وطائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة »[1] .

وقد رد رحمه الله على الذين فَضَّلوا الملائكة على صالحي البشر عند تفسير الآية : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾[2]، « وقد استدل بعض من ذهب إلى تفضيل الملائكة على البشر بهذه الآية حيث قال ﴿ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ ﴾ وليس له في ذلك دلالة لأنه إنما عطف الملائكة على المسيح لأن الاستنكاف هو الامتناع والملائكة أقدر على ذلك من المسيح فلهذا قال ﴿ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ ﴾ ولا يلزم من كونهم أقوى وأقدر على الامتناع أن يكونوا أفضل»[3] .

وقال أيضًا عند تفسير الآية : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[4]، « أي من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات، وقد استدل بهذه الآية على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة »[5] .

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٤٣/٤ .

(٢) سورة النساء الآية ١٧٢ .

(٣) المرجع نفسه ٧٢٢/١ .

(٤) سورة الاسراء الآية ٧٠.

(٥) المرجع نفسه ٦٨/٣ .

وأخيرًا قال رحمه الله « ومن أطاع الله من البشر كان أشرف من مثله من الملائكة في معاده، ومن كفر من البشر كانت الدواب أتم منه »[1] .

٦- من الملائكة من هم موكلون بالقطر والنبات والأرزاق قال تعالى : ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ ﴾ [2] قال ابن كثير « جاء صبيغ التميمي[3] إلى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن .....المقسمات أمرًا قال هي الملائكة»[4] .

وقال تعالى : ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ ﴾ [5]، قال ابن كثير : « قال علي ومجاهد ... هي الملائكة وزاد الحسن تدبر الأمر من السماء إلى الأرض يعني بأمر ربها عز وجل » [6] .

وقال ابن كثير « وميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منها الأرزاق في هذه الدار وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يُصَرِّفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلاله، وقد روينا أنه ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها في موضعها من الأرض »[7] .

---

(١) المرجع نفسه ٣٣٧/٢، عند تفسير الآية : (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) (الأعراف ١٧٩) .

(٢) سورة الذاريات الآية ٤.

(٣) صبيغ ، بوزن عظيم – بن عسل بكسر العين وسكون السين ويقال أن سهل الحنظلي له ادراك وقصته مع عمر مشهورة، انظر ترجمته في الاصابة للحافظ ابن حجر ١٩٨/٢ -١٩٩. طبعة دار السعادة بمصر ط١ ١٣٢٨هـ.

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٧٣/٤ .

(٥) سورة النازعات آية ٥.

(٦) المرجع نفسه ٥٥١/٤ .

(٧) البداية والنهاية ١٠٥/١ طبعة دار هجر بالرياض ط١ ١٤١٧هـ .

ح-تهنئة الملائكة للمؤمنين بالجنة، كما قال سبحانه : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾ [1] .

يقول ابن كثير : « أي وتدخل عليهم الملائكة من هاهنا وهاهنا للتهنئة بدخول الجنة، فعند دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام والإقامة في دار السلام في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام » [2] .

وغير ذلك من الحقائق التي جاءت بها النصوص عن الملائكة وأوردها ابن كثير رحمه الله من خلال منهج عاطفي دعا فيه إلى تعميق الإيمان بالاله المعبود المهيمن على هذا الوجود الذي وضع جنوده من الملائكة للقيام على مختلف أمور الكون، ولبيان عظمة الله تعالى وقوته وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق، وكذلك للدعوة إلى شكر الله على عنايته ببني آدم حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم مما يتعين على الداعية استخدام ذلك المنهج عند الحديث عن الملائكة في دعوته إلى الله .

---

(١) سورة الرعد الآية ٢٣-٢٤.

(٢) المرجع نفسه ٦٢٩/٢ .

المطلب الرابع

منهجه في الدعوة إلى الإيمان بالكتب

من أركان الإيمان الستة الإيمان بالكتب، وهي الكتب المنزلة من الله تعالى على أنبيائه ورسله، رحمة للعباد وهداية لهم، لتوصلهم إلى سعادة الدارين الدنيا والآخرة، وقد أكد ابن كثير رحمه الله على وجوب الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله سبحانه على أنبيائه ورسله فالتوراة أنزلها الله على موسى، والإنجيل على عيسى والزبور على داود، فقال رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[1] « يعني نزَّل عليكم القرآن يا محمد (بالحق) أي لا شك فيه ولا ريب بل منزل من عند الله عز وجل ... وقوله «مصدقا لما بين يديه» أي من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله الأنبياء فهي تصدقه بما أخبرت به وبشّرت في قديم الزمان، وهو يصدقها لأنه طابق ما أخبرت به، وبشرت من الوعد من الله بإرسال محمد ﷺ وإنزال القران العظيم، وقوله «وأنزل التوراة » أي على موسى بن عمران« والإنجيل » أي على عيسى بن مريم «من قبل » أي من قبل هذا القرآن هدى للناس أي في زمانهما (وأنزل الفرقان) وهو الفارق بين الهدى والضلال والحق والباطل، والغي والرشاد بما يذكره الله تعالى من الحجج والبينات والدلائل الواضحات والبراهين القاطعات، ويبينه ويوضحه ويفسره ويقرره

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣ .

ويرشد إليه وينبه عليه من ذلك »[1] والزبور هو الذي انزله على داود عليه السلام كما قال سبحانه ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾[2]، قال ابن كثير : « والزبور اسم الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود عليه السلام »[3] .

وقد ختمت الكتب المنزلة بالقران الكريم يقول ابن كثير « والكتاب وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزله من السماء على الانبياء حتى ختمت بأشرفها وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب، الذي انتهى إليه كل خير، واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله، وآمن بأنبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين »[4] . وقد أشار رحمه الله إلى أن جميع الكتب المنزله – غير القرآن – قد دخلها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان فقال عند تفسير الآية ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[5] « وقال وهب بن منبه إن التوراة والإنجيل كما أنزلهما الله لم يغير منهما حرف، ولكن يضلون بالتحريف والتأويل، وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم « يقولون هو من عند الله وماهو من عند الله » فأما ما كتب الله فإنها محفوظة لا تحول.... فإن عنى وهب ما بأيديهم من ذلك فلا شك أنه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص، وأما تعريب ذلك المشاهد بالعربية ففيه خطأ كبير وزيادات كثيرة، ونقصان ووهم فاحش، وهو من باب تفسير المعبّر المعرَّب، وفَهْم كثير منهم بل

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٢٤/١ .

(٢) سورةالنساء الآية ١٦٣ .

(٣) المرجع نفسه ٧١٤/١ .

(٤) المرجع نفسه ٢٥٨/١ .

(٥) سورة آل عمران الآية ٧٨ .

أكثرهم وبل جميعهم فاسد، وأما إن عنى كتب الله التي هي كتبه عنده، فتلك كما قال محفوظة لم يدخلها شيء »[1]، فابن كثير رحمه الله من خلال المنهج الحسي يستدل على ما حصل في الكتب السماوية من التحريف والتبديل والتغيير، لان هناك اختلاف وتباين بين نسخها الموجودة بين الناس مما يدل على انه دخلها التحريف والتغيير والزيادة والنقصان بخلاف القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لان الله تكفل بحفظه كما قال سبحانه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2] [3].

وأما ما يخبر به أهل الكتاب مما لا يعلم صدقه ولا كذبه فقد قال ابن كثير عند تفسير الآية ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾[4] «يعني إذا أخبروا بما لا يعلم صدقه ولا كذبه فهذا لا نقدم على تكذيبه لأنه قد يكون حقا، ولا تصديقه فلعله أن يكون باطلا، ولكن نؤمن به إيماما مجملا معلقا على شرط، وهو أن يكون منزلا لا مبدلا ولا مؤولا»[5] .

وأما التفصيل في القرآن الكريم فقد سبق في فصل إعتماد منهج ابن كثير على الكتاب والسنة فيمكن الرجوع إليه .

وينبغي أن يتخصص دعاة من المسلمين في معرفة مواطن التحريف والتبديل الذي حصل في الكتب المقدسة، ليتمكنوا من مناظرة ومجادلة المنصرين

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٦٢/١ .

(٢) سورة الحجر آية ٩.

(٣) انظر سليمان ناصر عبد الله، الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي ص ٢٢ .

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٦ .

(٥) المرجع نفسه ٥١٣/٣ .

والقساوسة وكشف زيفهم وضلالهم كما فعل الداعية أحمد ديدات[1] رحمه الله .

(1) هو أحمد بن حسين ديدات، ولد في الهند عام ١٩١٨هـ لابوين مسلمين، وكان والده يعمل بالزراعة، ثم انتقل إلى جنوب افريقيا وعاش في ديربان، وقد التحق الشيخ أحمد بالدراسة في المركز الإسلامي في ديربان فتعلم القرآن الكريم وعلومه واحكام الشريعة، ثم التحق بالكلية التقنية السلطانية فدرس فيها الرياضيات وإدارة الاعمال، وقد تفرغ الشيخ أحمد ديدات للدعوة إلى الإسلام من خلال اقامة المناظرات وعقد الندوات والمحاضرات، واشتهر بمناظراته التي عقدها مع كبار رجال الدين النصراني أمثال «كلارك» و « جيمي سواجارت»، و « أنيس شروش» وغيرهم وأسس معهد السلام لتخريج الدعاة والمركز الدولي للدعوة الإسلامية بمدينة ديربان بجنوب افريقيا، الف الشيخ ما يزيد على عشرين كتابا وطبع الملايين منها ولهذه المجهودات الضخمة منح الشيخ جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٦م . توفي يوم الاثنين الثامن من اغسطس عام ٢٠٠٥م . المصدر (موقع الشيخ أحمد ديدات على الشبكة العنكبوتية http:// www.ahmeddeedat.net) .

المطلب الخامس

منهجه في الدعوة إلى الإيمان بالرسل

النبي : مشتق من النبأ وهو الخبر كما في قوله تعالى ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾[1]، وقيل أن النبي مأخوذ من النبوه، والنباوه وهي الارتفاع، لارتفاع قدره، ولأنه شُرِّف على سائر الخلق، فأصله غير مهموز وقيل النبي الطريق، والأنبياء طرق الهدى »[2] .

والرسول : اسم من أرسلت، وأصل الرسل : الانبعاث على التودة [3].

ويفرق ابن كثير بين النبي والرسول لأن « مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس »[4] .

والإيمان بالرسل عليهم السلام واجب من واجبات الإيمان وركن من أركانه، ولذا نجد ابن كثير رحمه الله يقرر هذا الأمر ويؤكده ويعتبر أن الكفر بواحد منهم هو كفر بهم وإن دعوتهم واحدة – وان اختلفت شرائعهم – وهي عبادة الله وحده دون سواه، وأنهم عليهم السلام لا يعلمون الغيب، وأن واجبهم ورسالتهم هي البلاغ، وليس هداية الناس، كما أشار رحمه الله إلى

---

(١) سورة النبأ الآية ١-٢ .

(٢) انظر : الصحاح للجوهري مادة نبأ ٧٤/١، وتهذيب اللغة لابي منصور محمد أحمد الزهري تحقيق إبراهيم البياري ٤٨٦/١٥ طبعة دار الكاتب العربي ١٩٦٧م، ٤٨٦/١٥ والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٤٨١-٤٨٢، ولسان العرب لابن منظور ١٦٢/١ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٣٩١/١٢،والمفردات ص ١٩٥، ولسان العرب ٢٨٤/١ .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٠٦/٣ .

صدق الأنبياء واستقامتهم، وعدلهم وتأييد الله لهم بالمعجزات والأدلة الواضحات، وسنتحدث عن ذلك بإيجاز من خلال النقاط التالية :

١- وجوب الإيمان بجميع الرسل وأن الكفر بواحد منهم هو كفر بهم جميعًا، يقول ابن كثير عند تفسير الآية ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾ ﴾[1] «يتوعد تعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض بمجرد التشهي والعادة،وما ألفوا عليه آباءهم، لا عن دليل قادهم إلى ذلك، فانه لا سبيل لهم إلى ذلك بل بمجرد الهوى والعصبية، فاليهود عليهم لعائن الله آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد ﷺ، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ والسامره لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسى بن عمران، والمجوس يقال أنهم كانوا يؤمنون بني لهم يقال له زرادشت[2]، ثم كفروا بشرعه فرفع من بين أظهرهم والله أعلم . والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء فان الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانا شرعيا إنما هو غرض وهوى وعصبية»[3] .

---

(١) سورة النساء الآية ١٥٢.

(٢) زرادشت بن يوسنسف، وهو الذي تزعم المجوس أنه نبيهم وكان زاراد شت فيما زعم قوم من علماء أهل الكتاب، من أهل فلسطين، خادما لبعض تلامذة أرميا النبي، وأثير عنده، فخانه فكذب عليه فدعا الله عليه فبرص فلحق ببلاد اذربيجان فشرع بها دين المجوسية، انظر تاريخ الطبري١/٣٨٤.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٦٩٨ .

أما أمة محمد ﷺ « فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي بعثه الله كما قال تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[1] [2] ولا يفرقون بين أحد من الرسل بل « يصدقون بجميع الأنبياء ... ولا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون بارّون راشدون هادون إلى سبل الخير »[3] . والداعية المسلم يستفيد من منهج ابن كثير في دعوته للإيمان بجميع الرسل ومنهم محمد ﷺ وفق منهج عقلي واضح وجلي. فينطلق منه في دعوة غير المسلمين من اليهود والنصارى، حيث أن كتبهم أوجبت الإيمان بجميع الرسل الذي سبقوهم كما بشرت بنبوة محمد ﷺ ودعت إلى الإيمان به، فعدم إيمانهم بمحمد ﷺ وغيره من الأنبياء يقتضي كفرهم بالأنبياء جميعا كما يقتضي ذلك مخالفتهم لما عندهم من الأمر بوجوب الإيمان بجميع الأنبياء ومنهم محمد ﷺ .

٢- دعوة الأنبياء ودينهم واحد،ولكن شرائعهم مختلفه، فهم جميعا يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإن تنوعت شرائعهم واختلفت قال ابن كثير عند تفسير الآية ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾[4] « أخبر تعالى أنه بعث رسله بالإسلام، ولكنهم يتفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضا إلى أنها نسخت بشريعة محمد ﷺ التي لا تُنسخ أبدا الآبدين ... ولهذا قال عليه السلام

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٥ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٩٨/1 عند تفسير الآية ٥٣ من سورة النساء .

(٣) المرجع نفسه ٤٢٢/١ عند تفسير الآية ٣٨٥ من سورة البقرة .

(٤) سورة الأنعام الآية ١٦٢-١٦٣ .

«نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد، فإن أولاد العلات[1] هم الأخوة من أب واحد وأمهاتهم شتى، فالدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وان تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات »[2] .

وقال عند تفسير الآية ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[3] « هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد »[4]. وهذا يجعل الداعية يركز في دعوته على التوحيد في دعوة غير المسلمين من أهل الكتاب ثم بعد ذلك يدعوهم إلى الفروع الأخرى من الدين .

٣- صدق الأنبياء واستقامتهم وعدلهم وتأييد الله لهم بالمعجزات والادلة الواضحات، فابن كثير رحمه الله يؤكد أن الأنبياء عليهم السلام « في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويأمرون به وينهون عنه مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات، فصلوات الله وسلامه عليهم دائما مستمرا ما دامت الأرض والسموات »[5] .

---

(١) والاخياف الذين أمهم واحدة وآباءهم شتى . المعجم الوسيط ص ٢٦٦ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٢٥٢، ٢٥٣ .والحديث متفق عليه، واخرجه البخاري بلفظ « الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد » كتاب احاديث الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها .. رقم (٣٤٤٣) ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى رقم (٢٣٦٥)

(٣) سورة المائدة الآية ٤٨ .

(٤) المرجع نفسه ٢/٨٦ .

(٥) المرجع نفسه ٣/٦٠٨ عند تفسير الآية (الذين يبلغون رسالات الله [الاحزاب ٣٩] .

ويؤكد رحمه الله صدق الأنبياء من خلال المنهج الحسي[1] فذكر رحمه الله أن الله سبحانه « جعل لهم من السمات الحسنة والصفات الجميلة والأقوال الفاضلة والأعمال الكاملة والخوارق الباهرة والأدلة القاهرة، ما يستدل به كل ذي لب سليم وبصيرة مستقيمة على صدق ما جاؤوا به من الله عز وجل »[2] . كما أيدهم سبحانه بالمعجزات و(بعث كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه بمعجزة بهرت الأبصار وحيَّرت كل سحَّار، لما استيقنوا إنها من عند العظيم الجبار، وانقادوا للإسلام وصاروا من الأبرار، وأما عيسى عليه السلام فبعثه في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة إحياء الجماد أو على مداواة الأكمة[3] والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد ؟ وكذلك محمد ﷺ في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء فأتاهم بكتاب من الله عز وجل لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وما ذلك إلا لأن كلام الرب لا يشبه كلام الخلق أبدأ »[4].

٤- الرسل عليهم السلام لا يعلمون الغيب: فهم عليهم السلام لا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه يقول سبحنه ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِى

---

(١) انظر سليمان ناصر عبد الله، الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي، ص ٢٢ .

(٢) المرجع نفسه ٣٨٩/٣ عند تفسير الآية (وما ارسلنا من قبلك من رسول [الفرقان ٢٠] .

(٣) االأكمة الأعمى . المعجم الوسيط ص ٧٩٩ .

(٤) المرجع نفسه ٤٤٨/١-٤٤٩ عند تفسير الآية ٤٩ من سورة آل عمران .

خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾[1] قال ابن كثير « ولا أعلم الغيب، أي لا أقول لكم اني أعلم الغيب إنما ذلك من علم الله عز وجل ولا أطلع منه إلا ما أطلعني عليه » [2].

ويكرر رحمه الله استخدامه المنهج الحسي[3] بلفت النظر إلى أن هناك وقائع حصلت لعدد من الأنبياء عليهم السلام تدل على أنهم لا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم عليه، فإبراهيم عليه السلام لم يعلم أن ضيوفه من الملائكة، ولذلك ذبح لهم عجلا حتى أخبروا أنهم ملائكه لا يأكلون الطعام، وكذلك لوط عليه السلام لم يعلم أن الذي جاءه ملائكة أرسلهم الله فخاف عليهم من قومه أن يفعلوا بهم فاحشتهم المعروفة، لأنهم في صورة شبان حسان فقال : لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد » حتى أخبروه وقالوا « إنّا رسل ربك لن يصلوا إليكم » وكذلك سليمان عليه السلام مع أهل مأرب وملكتهم بلقيس، وكذا يعقوب لم يكن يدري عن خبر ابنه يوسف وغيرهم من الأنبياء، فالغيب لا يعلمه أحد من الخلق كائنا من كان إلا الله سبحانه وتعالى كما قال ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[4]، يقول رحمه الله « أي لا يعلم أحد ذلك إلا الله فإنه المتفرد بذلك وحده لا شريك له »[5] , فإذا كان الأنبياء لا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه وأخبرهم به عن طريق الوحي فغيرهم من الناس أولى، كمن يدعي ذلك من الكهان والمنجمين ونحوهم، والواجب على الدعاة إلى الله

---

(١) سورة الأنعام الآية ٥٠.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١٧٢/٢ .

(٣) انظر سليمان عبد الله، الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي، ص ٢٢.

(٤) سورة النمل الآية ٦٥.

(٥) المرجع نفسه ٤٦١/٣ .

تبصير الناس بذلك لاسيما وقد انتشر الآن ذهاب بعض المسلمين إلى الكهان والعرافين والسحرة وتصديقهم فيما يقولون من ادعاء علم الغيب ونحوه .

٥- الواجب على الرسول البلاغ وليس عليه الهداية، كما قال سبحانه لرسوله محمد ﷺ ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[١] يقول ابن كثير رحمه الله « يقول تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه إنك يا محمد، لا تهدي من أحببت أي ليس إليك ذلك وإنما عليكم البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة كما قال تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء »[٢] فمهمة الرسل الدلالة والإرشاد والإنذار والبلاغ أما التوفيق والهداية للخير فهي إلى الله سبحانه لأنه ... من كتب عليه الشقاوة فلا مسعد له ومن أضله فلا هادي له، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وبلغّهم الرسالة فمن استجاب لك فله الحظ الأوفر ومن تولى فلا تحزن عليهم فلا يهمنك ذلك »[٣] .

ولما(كان رسول الله ﷺ يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبق له من السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الشقاوة في الذكر الأول »[٤] . ولما كان عليه السلام يحزن على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه، خاطبه ربه مسليا بقـــوله

---

(١) سورة القصص الآية ٥٦.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٨٧/٣ .

(٣) المرجع نفسه ٦١/١ .

(٤) المرجع نفسه ٦٢/١ .

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ ﴾[1] ، يقول ابن كثير « أي لا تأسف عليهم بل أبلغهم رسالة الله فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها فلا تذهب نفسك عليهم حسرات »[2] .

فمهمة الرسل هي كما قال سبحانه ﴿ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧ ﴾[3] يقول ابن كثير « يقولون إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم، فان أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة وإن لم تجيبوا فستعلمون غير ذلك »[4] . ومعرفة هذا الأمر وتذكره دائما في غاية الأهمية للدعاة فاعتقاد الداعية أن هداية الناس وقبولهم للحق هي من واجبه ومسئوليته وينسى أن الواجب المناط به هو الدعوة والبلاغ، يجعله يتنازل عن بعض الحق الذي عنده ظانًا أن مفاتيح قلوب الناس بيده وأن عدم قبول بعضهم لدعوته وصدودهم عنه هي مسئوليته ونتجية تقصير سيؤاخذ عليه ويحاسبه الله عنه.

---

(١) سورة الكهف الآية ٦ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٩٤/٣ .

(٣) سورة يس آية ١٧.

(٤) المرجع نفسه ٦٩٥/٣ .

المطلب السادس

منهجه في الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر

إن منهج ابن كثير رحمه الله في الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر شمل المنهج العاطفي والعقلي والحسي، فيشير رحمه الله إلى أن الإيمان باليوم الآخر يحمل المسلم على فعل الطاعات وترك المعاصي طمعا في ثواب ذلك اليوم وخوفا من عقابه، كما أنه دليل على عدل الله وحكمته حيث يجازي من يستحق العذاب بعدله، ويجازي من يستحق الثواب بفضله وكرمه، وفيه تسلية للمؤمن عما يفوته في هذه الدنيا من المحبوبات والملاذ، ولا يتكدر مما يصيبه من مكروه لأنه يرجو العوض والأجر من الله، فيدعوه ذلك إلى الطمأنينة والراحة وترك التسخط، وقد أشار رحمه الله إلى تفاصيل اليوم الآخر والبعث والنشور، فذكر الموت والبرزخ وعذاب القبر ونعيمه، وكذلك أشراط الساعة وأحوال القيامة والحساب والميزان والحوض والجنة والنار ورؤية المؤمنين ربهم في الجنة وغير ذلك من أحوال اليوم الآخر التي أخبر بها الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وسنذكر ذلك على سبيل الإيجاز .

١. فتنة القبر :

من عقيدة أهل السنة الإيمان بفتنة القبر، وهي سؤال الملكين الميت بعد دفنه، عن ربه ودينه ونبيه ﷺ، وقد أورد ابن كثير عدة أحاديث في عذاب القبر ونعيمه ووجوب تصديق ذلك والإيمان به، منها ما ذكره عند تفسير الآية ﴿

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾[1]، « قال الإمام أحمد .... عن البراء بن عازب[2] قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى قبر ولمَّا يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنّ على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثًا ثم قال .. إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة ... قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول ربي الله فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله، فيقولان له وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة ... قال وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه .... قال فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري، فيقولان له ما دينك ؟ فيقول هاه هاه لا أدري، فيقولان له :

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٢٧ .

(٢) البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو عماره قائد صحابي من أصحاب الفتوح أسلم صغيرا، وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، أولها غزوة الخندق، ولما ولي عثمان الخلافة جعله اميرا على الري (بفارس) سنة ٢٤هـ فغزا أبهر وفتحها ثم فردين فملكها وانتقل إلى زنجان فافتتحها عنوه، وعاش إلى ايام مصعب بن الزبير فسكن الكوفة واعتزل الاعمال وتوفي زمنه سنة ٧١هـ . الأعلام ٤٦/٢ .

ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب فأفرشوه من النار وافتحوا له بابًا من النار .... الحديث »[1] .

٢. أشراط الساعة :

وهي من مقدمات اليوم الآخر وعلامات على قيام الساعة التي هي من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا كما قال سبحانه ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[2]، يقول ابن كثير : « أمر تعالى نبيه ﷺ إذا سئل عن الساعة أن يرد علمها إلى الله تعالى، فإنه هو الذي يجليها لوقتها أي يعلم جلية أمرها ومتى يكون على التحديد لا يعلم ذلك إلا هو تعالى ولهذا قال (ثقلت في السماوات والأرض ..) وقال السدي خفيت في السموات والأرض فلا يعلم قيامها حين تقوم ملك مقرب ولا نبي مرسل »[3] .

وقد قسم العلماء أشراط الساعة وعلاماتها إلى علامات صغرى وعلامات كبرى، وقد ذكر ابن كثير بعض هذه العلامات والتي منها بعثة الرسول ﷺ فقال « فبعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله به الدين وأقام به الحجة على العالمين، وقد أخبر صلوات الله وسلامه عليه

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٦٥٥ - ٦٥٦، والحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري كتاب التفسير، باب الجنائز رقم (٤٦٩٩)، ومسلم، كتاب الجنة ونعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه واثبات عذاب القبر والتعوذ منه رقم (٢٨٧١) وابو داود كتاب السنة، باب المسألة في القبر وعذاب القبر رقم (٤٧٥٠) والترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة إبراهيم رقم (٣١٢٠) وابن ماجة كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى رقم (٤٢٦٩) .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٧ .

(٣) المرجع نفسه ٢/٣٤٠-٣٤١ .

بأمارات الساعة وأشراطها وأبان ذلك وأوضحه بما لم يؤته نبي قبله ... قال الحسن البصري : بعثة محمد ﷺ من أشراط الساعة، وهو كما قال، ولهذا جاء في أسمائه عليه السلام أنه نبي التوبة، ونبي الملحمة، والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه، والعاقب الذي ليس بعده نبي »[1] .

وابن كثير رحمه الله قد تعرض لبعض العلامات الصغرى التي وقعت ويمكن أن تتكرر في كتابه البداية والنهاية « الفتن والملاحم » وجعل عنوانها «ذكر أنواع من الفتن وقعت وستكثر وتتفاقم في آخر الزمان »[2]، وهو بهذا يدعو إلى الإيمان باليوم الاخر عن طريق المنهج الحسي[3] بلفت النظر إلى ما يشاهده الناس لبعض أشراط الساعة الصغرى .

وأما أشراط الساعة وعلاماتها الكبرى، فهناك أشراط دالة على قربها مثل المهدي المنتظر والمسيح الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج، كما أن هناك أشراط دالة على حصولها مثل الدخان وطلوع الشمس من مغربها والنار التي تحشر الناس.

فمن أشراط الساعة الكبرى: المهدي المنتظر، قال ابن كثير عند تفسير الآية ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[4]، « هذا وعد من الله لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أئمة للناس، والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد ... عن

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٠٩/٤ عند تفسير الآية : (محمد ١٨) .

(٢) انظر البداية والنهاية ٦٧/١٩ .

(٣) انظر سليمان عبد الله، الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي، ص ٢٢ .

(٤) سورة النور الآية ٥٥ .

جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلًا »[1] .... وهذا الحديث فيه دلالة على أنه لا بد من وجود اثنى عشر خليفة عادلًا وليسوا هم بأئمة الشيعة الأثنى عشر، فإن كثيرًا من أولئك لم يكن إليهم من الأمر شيء ... ثم لم يشترط أن يكونوا متتابعين، بل يكون وجودهم في الأمة متتابعًا ومتفرقًا وقد وجد منهم أربعة على الولاء، وهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم، ثم كانت بعدهم فترة بينهم، ثم وجد منهم ما شاء الله، ثم قد يوجد منهم من بقي في وقت يعلمه الله ومنهم المهدي الذي يطابق اسمه اسم الرسول ﷺ وكنيته كنيته، يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا »[2]، وقال أيضًا بعد ما أورد حديث جابر بن سمرة « لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلًا » : « والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره أنه يواطئ اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه اسم أبيه، فيملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا»[3].

وقد استخدم رحمه الله المنهج العقلي في الرد على مثل هذه الدعاوى فقال: «وليس هذا بالمنتظر الذي يتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامراء[4]، فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية، بل هو من هوس العقول

---

(1) متفق عليه، وأخرجه البخاري بلفظ يكون اثنا عشر أميرا، كلهم من قريش كتاب الاحكام، باب حدثنا محمد بن المثنى حدثنا غندر رقم (٧٢٢٢) (٧٢٢٣) ومسلم،كتاب الامارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش رقم (١٨٢١) .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٣٧٤-٣٧٥، عند تفسير الآية : (المائدة ١٢) .

(3) المرجع نفسه ٢/٤٤ عند تفسير الآية ١٢ من سورة المائدة .

(4) وهو السرداب الذي تزعم الرافضة أن محمد بن حسن العسكري المنتظر من ولد الحسين بن علي الحاضر في الامصار والغائب عن الابصار دخل سرداب سامراء طفلا صغيرا من أكثر من خمسمائة سنة فلم تره بعد ذلك عين ولم يحس

السخيفة وتوهم الخيالات الضعيفة »، وكذلك رده على من ادعى النبوة ومنهم المسيح الدجال الذي هو من اشراط الساعة الكبرى[1] .

ومن أشراط الساعة الكبرى المسيح الدجال، يقول ابن كثير عند تفسير الآية ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[2]، «وقد أخبر تعالى في كتابه، ورسوله في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام فهو كذّاب أفّاك دجّال ضال مضل، وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال»[3] .

وكذلك نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وقتله للمسيح الدجال، يقول ابن كثير عند تفسير الآية ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾[4] « ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى بن مريم إماما عادلا وحكما مقسطا فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام »[5] .

فيه بخبر ولا أثر وهم ينتظرونه كل يوم !! يقفون بالخيل على باب السرداب ويصيحون به أن يخرج اليهم . انظر المنار المنيف في الصحيح والضعيف. شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم ص ١٤٠-١٤١ طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨هـ .

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٤/٢ عند تفسير الآية : (المائدة ١٢) .

(٢) سورة الاحزاب الآية ٣٩ .

(٣) المرجع نفسه ٦٠٧/٣، ٦٠٨ .

(٤) سورة غافر الآية ٥١.

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم ٩٩/٤ .

وقال عند تفسير الآية ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾[1] «عن أبي بن كعب في قوله إلى الأرض التي باركنا فيها قال : الشام ... وكان يقال هي أرض المحشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك المسيح الدجال»[2] . وقال أيضًا « ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلا للإسلام وأهله وبها ينزل عيسى ابن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها»[3] .

وكذلك من أشراط الساعة يأجوج ومأجوج وهم كما قال ابن كثير «يعيثون في الأرض فسادا ويهلكون الحرث والنسل، ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين « إن الله تعالى يقول يا آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول ابعث بعث النار فيقول ما بعث النار؟ فيقول من كل ألف تسعمائه وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها، فيقال إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج»[4] .

وردّ رحمه الله على من قال بأن ياجوج ومأجوج خلقوا من آدم وليسوا من حواء فقال « وقد حكى النووي رحمه الله في شرح مسلم عن بعض الناس (أن

---

(1) سورة الأنبياء الآية ٧١.

(2) المرجع نفسه ٢٣٣/٣ .

(3) المرجع نفسه ٢٣٠/١ عند تفسير الآية { ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة } [البقرة ١٢٩] .

(4) المرجع نفسه ١٣٢/٣ عند تفسير الآية { حتى إذا بلغ السدين } [الكهف ٩٣] والحديث متفق عليه، واخرجه البخاري كتاب الرقائق، باب أن زلزلة الساعة شيء عظيم رقم (٦٥٣٠) ومسلم، كتاب الإيمان باب قوله يقول الله لآدم اخرج من بعث النار من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين رقم (٢٢٢) .

يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك، فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء) [1]،وقد استخدم ابن كثير المنهج العقلي في الرد على ذلك فقال : (وهذا القول غريب جدا لا دليل عليه من عقل ولا نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الاحاديث المفتعلة والله اعلم »[2]، وأشار ابن كثير إلى أن الله تعالى سيهلكهم ببركة دعاء عيسى بن مريم عليه السلام فقال عند تفسير الآية ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[3] «يعني بعيسى ... وذلك لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال فيقتله الله على يديه كما ثبت في الصحيح أن الله لم يخلق داء إلا أنزل له شفاء »[4] . ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج فيهلكهم الله بركة دعائه »[5] .

وكذلك طلوع الشمس من مغربها كما قال تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾[6] يقول ابن كثير « يقول تعالى متوعدا للكافرين والمخالفين رسله والمكذبين بآياته والصادين عن سبيله « هل ينظرون

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١٣٢/٣ .

(٢) المرجع نفسه ١٣٢/٣ .

(٣) سورة النساء الآية ١٥٩.

(٤) أخرجه البخاري بلفظ « ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، كتاب المرضى، باب ما انزل الله وداء إلا أنزل له شفاء رقم (٥٦٧٨) واخرجه ابن ماجه بلفظ ما انزل الله داء إلا انزل له شفاء كتاب الطب باب ما انزل الله داء إلا انزل له شفاء رقم (٣٤٣٨) (٣٤٣٩) .

(٥) المرجع نفسه ٧١١/١ .

(٦) سورة الأنعام الآية ١٥٨.

إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك ... وذلك كائن يوم القيامة، أو يأتي بعض آيات ربك » وذلك قبل يوم القيامة كائن من آمارات الساعة وأشراطها كما قال البخاري في تفسير هذه الآية : .... حدثنا أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل »[1] .

وغير ذلك مما أورده ابن كثير عن علامات الساعة وأشراطها حيث أننا نلاحظ أنه رحمه الله استخدم المناهج الدعوية المختلفة في الدعوة إلى الإيمان بها وتصديقها .

٣- البعث :

من حكمة الله تعالى أن جعل للناس معادا يجازيهم فيه على أعمالهم، والاقرار بالبعث داخلٌ ضمن الإيمان باليوم الآخر، وإنكاره كفر بالله عز وجل، فيجب الإيمان بالبعث وأن الله سبحانه يبعث الناس من قبورهم «ويعيدهم بعدما صاروا في قبورهم رمما[2]، ويوجدهم من العدم »[3] .

ولقد كذب الذين كفروا بالبعث واستبعدوا الميعاد وقالوا كما حكى الله عنهم ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٢٤٥ . والحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري كتاب التفسير، باب « لا ينفع نفسا ايمانها » رقم (٤٦٣٥) (٤٦٣٦)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم (١٥٧)، وابو داود كتاب الملاحم باب امارات الساعة رقم (٤٣١٢) وابن ماجه، كتاب الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها رقم (٤٠٦٨) .

(٢) الرميم البالي، المعجم الوسيط ص ٣٧٤.

(٣) المرجع نفسه ٣/٢٦٢ , عند تفسير الآيه (٧) من سورة الحج .

﴿وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾[1] قرر الله عليهم وأكذبهم وأمرهم أن ينظروا في عاقبة من قبلهم ممن كذب بالرسل وما جاؤا به من امر المعاد وغيره فقال سبحانه ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾[2] يقول ابن كثير « أي المكذبين بالرسل وما جاؤا به من أمر المعاد وغيره، كيف حلَّت بهم نقم الله وعذابه ونكاله ونجى الله من بينهم رسله الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين، فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته »[3] .

وقد قرر رحمه الله أن من عدل الله وحكمته أن لا يساوي بين الفجار والأبرار كما قال سبحانه ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾[4] .

يقول ابن كثير « أي لا نفعل ذلك، ولا يستوون عند الله، وإن كان الأمر كذلك فلابد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر، وهذا الإرشاد يدل العقول السلمية والفطر المستقيمة على أنه لابد من معاد وجزاء، فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده، فلابد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين

---

(١) سورة النمل الآية ٦٧، ٦٨.

(٢) سورة النمل الآية ٦٩.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٦٢/٣ .

(٤) سورة ص الآية ٢٨ .

دار أخرى لهذا الجزاء والمواساة »[1]، وهكذا نجد ابن كثير رحمه الله استخدم المنهج العقلي في تقرير البعث والدعوة إلى تصديقه والايمان به .

٤- الجنة والنار :

الجنة هي دار النعيم التي أعدها الله في الدار الآخرة للمؤمنين المتقين المخلصين لله المتبعين لرسله، والنار هي دار العذاب التي أعدها الله في الآخرة للكافرين بالله وعصوا رسله [2].

والله سبحانه وتعالى كثيرا ما يقرن بين صفة الجنة وصفة النار ليرغب في الجنة ويحذر من النار كما قال سبحانه ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾[3] .

و قد أورد ا بن كثير ر حمه الله في موا ضع متعددة من تفسيره حال أ هل الجنة وحال أ هل النار و ما منزلة كل منهم و ما أ عد الله للمؤمنين من المآ كل والمشارب والملذات وللكافرين من ا لذل وا لهوان والعذاب الأ ليم[4]، ولا شك أن الفارق بين الحالين كبير فكما يقول ابن كثير « أين هذا من هذا؟ أين من هو في العر صات في ا لذل وا لهوان وا لخوف المح ق بظل مه، ع من هو في رو ضات الجنات فيما يشاء من مآكل ومشارب وملا بس ومناظر ومناكح و ملاذ، فيما

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٤١ .

(٢) انظر لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي ص ٢٦ الناشر وزارة الشئون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ط٢، ١٤٢٠هـ .

(٣) سورة الرعد الآية ٣٥ .

(٤) انظر مثلا ١/٤٩٥، ٢/٢٠٥، ٢/٢٥٧، ٢/٢٧٣، ٢/٦٣٧، ٢/٥٤٤، ٣/١٦٤، ٣/٢٠٢، ٣/٣٨٨، ٣،٥٤٥، ٤/١٢، ٤/١٥٩ .

لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[1]، وغيرها من المواطن الكثيرة التي استخدم فيها ابن كثير المنهج العاطفي للترغيب في الجنة والترهيب من النار.

[1] المرجع نفسه ٤/١٣١ عند تفسير الآية { نرى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم } [الشورى ٢٢] .

المطلب السابع

منهج ابن كثير في الدعوة إلى الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر خيره وشره من أصول الإيمان، فالله سبحانه قدّر قدرا وهدى الخلائق إليه كما قال سبحانه ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾[1] . وقال سبحانه ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾[2] وقدر الله السابق هو كما قال ابن كثير « علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها »[3] . وقد رد ابن كثير على القدرية نفاه العلم السابق فقال عند تفسير الآية ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[4] يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البريه فقال ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ أي من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمه .... وهذه الآية الكريمة من أدل دليل على القدرية نفاه العلم السابق قبحهم الله، قال الامام أحمد : .... عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة »[5] .

فمنهج ابن كثير رحمه الله في الدعوة إلى الإيمان بالقدر هو أنه يقرر

---

(١) سورة الفرقان الآية ٢ .

(٢) سورة القمر الآية ٤٩ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٣١٦/٣

(٤) سورة الحديد الآية ٢٢ .

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٧١/٤ . والحديث : أخرجه مسلم كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى صلى الله عليهما وسلم رقم (٢٦٥٣)،والترمذي، كتاب القدر، باب إعظام امر الإيمان بالقدر رقم (٢١٥٦)

رحمه الله علم الله الأشياء وكتابتها قبل كونها وأنه سبحانه قدَّرها قبل وجودها[1]« وهو تعالى العالم بما كان وما يكون ومالم يكن لو كان كيف يكون فيعلم الشيء قبل كونه ومع كونه على ماهو عليه لا إله إلا هو ولا رب سواه »[2] . فهو رحمه الله استخدم المنهج العقلي في وجوب الإيمان بالقضاء والقدر والرد على نفاته ثم نبه رحمه الله أنه « لا يغني حذر من قدر وان لا ملجأ من الله إلا إليه »[3]، فهو بهذا المنهج العاطفي يبين رحمه الله من خلاله أن للإيمان بالقدر ثمرات تعود على المسلم لا سيما الدعاة إلى الله الذين تعترض لهم في طريق دعوتهم عقبات وصعوبات وما يلاقونه من فتن وابتلاءات « فمن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله وقدره هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقينا صادقا، وقد يخلف الله عليه ما كان أخذ منه أو خيرا منه، وعن ابن عباس « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » يعني يهد قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه »[4].

---

(١) انظر انظر تفسير القرآن العظيم ٣٧٢/٤ عند تفسير الآية { لئلا تأسوا على ما فاتكم } [الحديد ٢٣] .

(٢) المرجع نفسه ٤٢٢/٢ عند تفسير الآية { أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله } [التوبة ١٦]

(٣) المرجع نفسه ٣٧٠/١ عند تفسير الآية { ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت..} [اللبقرة ٢٤٣] .

(٤) المرجع نفسه ٤٤٢/٤ عند تفسير الآية { ومن يؤمن بالله يهد قلبه } [التغابن ١١] .

المبحث الثاني

منهجه في الدعوة إلى الشريعة

(العبادات والمعاملات والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

معنى الشريعة في اللغة : « الشريعة في اللغة مشرعة الماء وهي مورد الشاربه التي يشرعها الناس فيشربون منها ويسقون »[1] وفي الصحاح « والشريعة الطريق الأعظم »[2]

وعند ابن كثير الشريعة هي الشرعه « فإن الشرعة هي الشريعة أيضًا، وهي ما يبدأ منه إلى شيء ومنه يقال شرع في كذا أي ابتدأ فيه، وكذا الشريعة وهي ما يشرع منها إلى الماء »[3] .

وأما في الاصطلاح : « فالشريعة الإسلامية هي الأحكام التي شرعها الله لعباده سواء كان تشريع هذه الأحكام بالقرآن أم بسنة النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ».

وقد عرف ابن تيمية الشريعة فقال : « والشريعة إنما هي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه سلف الأمة في العقائد والأحوال والعبادات والأعمال والسياسات والأحكام والولايات ...»[4] .

---

(١) لسان العرب مادة شرع لابي الفضل جمال الدين محمد بن منظور .

(٢) الصحاح مادة شرع لاسماعيل بن حماد الجوهري .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٨٦/٢.

(٤) الفتاوى ١٣٤/١٩ .

وأما ابن كثير فيرى أن الشريعة هي الأحكام العملية فقط، وهي الفروع التي اختلفت فيها الرسالات السماوية كما قال تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1] فيقول في تفسيرها « هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقه في التوحيد»[2] .

اهتمام ابن كثير بالشريعة والدعوة إليها : وكما اعتنى ابن كثير رحمه الله بالعقيدة فقد اهتم واعتنى بالشريعة ببيانها والدعوة إليها وخطورة مخالفتها وأن كل عمل لا يكون خالصا ولا موافقا للشريعة فهو باطل ونحو ذلك مما يجب على الدعاة مراعاته والالتزام به في دعوة الناس، لأنهم يدعون إلى شريعة الله التي أنزلها على رسوله ﷺ وارتضاها دينا لعباده فكما أن العمل لابُدّ فيه من الإخلاص لله فكذلك يجب أن يكون موافقا لشرع الله، يقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[3] « أي عن أمر رسول الله ﷺ، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وشريعته، فتوزن الأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله كائنا من كان »[4] « فكل عمل لا يكون خالصا وعلى

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٨ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٨٦/٢.

(٣) سورة النور الآية ٦٣ .

(٤) المرجع نفسه ٣٨٢/٣ عند تفسير الآية { فليحذر الذين يخالفون عن امره [النور ٦٣] .

الشريعة المرضية فهو باطل »[1] .

ويؤكد رحمه الله « أن الشريعة تشتمل على شيئين علم وعمل فالعلم الشرعي صحيح والعمل الشرعي مقبول، فإخبارتها حق وإنشاءاتها عدل »[2] .

وقد تعرض رحمه الله في تفسيره إلى فروع الشريعة من العبادات والمعاملات والأخلاق ونحوها ودعا إليها وحث على الالتزام بها وهذا ما سنشير إليه بإيجاز في المطالب التالية:

١- منهجه في الدعوة إلى العبادات.

٢- منهجه في الدعوة إلى المعاملات.

٣- منهجه في الدعوة إلى الجهاد.

٤- منهجه في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٩١/٣ عند تفسير الآية { ومؤمنا إلى ما عملوا من عمل } [الفرقان ٢٣].

(٢) المرجع نفسه ٢٣٩/٤ عند تفسير الآية { هو الذي ارسل رسوله بالهدى [الفتح ٢٨] .

المطلب الأول

منهجه في الدعوة إلى العبادات

عبادة الله هي الغاية من خلق الجن والإنس كما قال سبحانه ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] ومعنى الآية كما قال ابن كثير «أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب، واخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم فهو خالقهم ورازقهم »[2] .

ولقد استخدم ابن كثير رحمه الله في دعوته إلى العبادات المناهج الدعوية المختلفة، فاستخدم العاطفي بالحث على اقامة الصلاة وانها عماد الدين، وهي راحة للمصلي وقرة عين له، وكذلك الزكاة ففي اخراجها حصول بركة المال وسبب لزيادته ونمائه وحفظه بينما الصيام فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان وأن مقصوده وغايته تقوى الله سبحانه وتعالى ومخافته، وكذلك الحج بالمبادرة إليه لأنه احد اركان الإسلام ودعائمه العظام، ولما اشتمل عليه من منافع الدين والدنيا كما قال سبحانه ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾[3].

---

(١) سورة الذارات الآية ٥٦.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٢٨٠.

(٣) سورة الحج من الآية ٢٨ .

وكذلك استخدم ابن كثير المنهج العقلي فحينما اشار إلى أهمية صلاة الجماعة استدل بالاية ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [1] حيث اغتفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة، وكثيرا ما تقرن الزكاة بالصلاة في القرآن مما يدل على منزلتها ومكانتها، وفي صيام رمضان إذا أكل الصائم ناسيا أو شرب فانه يتم صومه لأنه إنما أطعمه الله وسقاه فهو قياس ضمني حيث قاس ضمنا الصائم الذي أكل أو شرب ناسيا على الصائم الذي لم يأكل ولم يشرب، وكذلك الحج فإنه لا يجب على المسلم المستطيع إلا مرة واحدة في العمر وذلك كما قال عليه السلام لمن سأله أفي كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم.

وكذلك استخدم ابن كثير المنهج الحسي ففي الصلاة نبه إلى استحباب التجمل للصلاة وكذلك الطيب والسواك، وأوصى بأن يقوم إليها المصلي وهو نشيط طليق الوجه غير كسلان، وفي وقت الصيام يحب الإمساك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وفي الحج ببيان الطواف والسعي بين الصفا والمروه ورمي الجمرات ونحوها. وسنشير إلى هذا بشيء من الإيجاز.

أولا: الصلاة معناها وفضلها وحكمها ومنزلتها

أصل الصلاة في كلام العرب هي «الدعاء.... ثم استعملت في الشرع في ذات الركوع والسجود والأفعال المخصوصة في الأوقات المخصوصة بشروطها المعروفة وصفاتها وأنواعها المشهورة»[2]

---

(1) سورة النساء الآية ١٠٢ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٩/١ عند تفسير الآية ٣ من سورة البقرة

وهي« عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد »[1] فيجب على المسلم أن يحافظ عليها وأن يقيمها كما أمره الله سبحانه بقوله ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[2]، وإقامتها هو « المحافظة على وقتها وحدودها وركوعها وخشوعها وسجودها »[3]، وقد نقل رحمه الله كلام الأئمة في حكم تارك الصلاة فقال « ذهب من ذهب من السلف والخلف والأئمة كما هو مشهور عن الامام أحمد وقول عن الشافعي إلى تكفير تارك الصلاة لحديث « بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة »[4] والحديث الآخر « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر »[5] [6]، كما أنه أشار إلى أهمية صلاة الجماعة عند تفسير الآية ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[7] فقال « وما أحسن ما استدل به من ذهب إلى وجوب صلاة الجماعة من هذه الآية الكريمة حيث اغتفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة »[8] وقال عند تفسير الآية ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[9] « أي كونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم ومن أخص ذلك

---

(1) المرجع نفسه ١٦٢/٣ عند تفسير الآية { فخلف من بعدهم خلفا اضاعوا الصلاة } [مريم ٥٩] .

(2) سورة إبراهيم الآية ٣١ .

(3) المرجع نفسه ٦٦٥/٢ .

(4) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان اطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة رقم (٨٢)،والترمذي كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة رقم (٦١٨).

(5) المرجع نفسه ١٦٢/٣ والحديث اخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة رقم (٢٦٢١) وابن ماجه كتاب اقامة الصلوات، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة رقم (١٠٧٩).

(6) المرجع نفسه ١٦٢/٣ .

(7) سورة النساء الآية ١٠٢.

(8) المرجع نفسه ٦٦٨/١ .

(9) سورة البقرة الآية ٤٣.

وأكمل له الصلاة، وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة»[1].

وقد نبه رحمه الله على بعض الحكم والأسرار والآثار المتعلقة بالصلاة والتي ظهر من خلالها استخدامه للمنهج العاطفي والعقلي والحسي في الدعوة إلى اقامة الصلاة والمحافظة عليها فمن هذه الحكم والاسرار :

- كثيرا ما يقرن بن الصلاة وإنفاق الأموال لان الصلاة حق الله والإنفاق هو الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي عليهم [2].
- المواظبة على الصلاة تحمل صاحبها على ترك الفواحش والآثام[3].
- المواظبة على الصلاة سبب في حصول الرزق[4] .
- إن أجود ما يستعان به على تحمل المصائب الصبر والصلاة[5] .
- إن الخشوع في الصلاة يجعلها راحة للمصلي وقرة عين له[6] .
- التحذير من صفات المنافقين الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، بل يقوم إليها المصلي وهو طلق الوجه عظيم الرغبة شديد الفرح[7] .

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ١٠٨/١ .

(2) انظر المرجع نفسه ٥٨/١ عند تفسير الآية { ويقيمون الصلاة } [البقرة، ٤١٧/١ عند تفسير الآية { فان تابوا وأقاموا الصلاة } [التوبة ٥]

(3) انظر المرجع نفسه ٥١١/٣ عند تفسير الآية { وأقم الصلاة } [العنكبوت٤٥] .

(4) انظر المرجع نفسه ٢١٦/٣ عند تفسير الآية { وأمر اهلك بالصلاة } [طه ١٣٢] .

(5) المرجع نفسه ٢٤٥/١ عند تفسير الآية : (البقرة ١٣٥)

(6) المرجع نفسه ٣٠٠/٣ عند تفسير الآية : (المؤمنون ٢) .

(7) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٩٣/١ عند تفسير الآية : (النساء ١٤٢) .
المرجع نفسه ٦٦٧/٤ عند تفسير الآية : (الماعون ٤-٥) .

- يستحب التجمل عند الصلاة ولا سيما الجمعة والعيد وكذلك الطيب والسواك [1] .

ولا شك أن الدعاة إلى الله هم أولى الناس بمراعاة ذلك والالتزام به فقدوتهم في ذلك محمد ﷺ الذي جعلت قرة عينه في الصلاة والذي إذا حزبه أمر قال أرحنا يا بلال بالصلاة .

ثانيًا : الزكاة : معناها وفضلها وحكمها ومنزلتها :

الزكاة هي النماء والزيادة، فهي مصدر زكا الشيء إذا نما وزاد، وزكا فلان إذا صلح، فالزكاة هي البركة والنماء والطهر والصلاح[2] .

وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها كما يقول ابن كثير : « تطهره من الحرام وتكون سببًا لزيادته وبركته وكثرة نفعه، وتوفيقًا إلى استعماله في الطاعات »[3] .

وأصل الزكاة والصدقة كان مأمورًا به في ابتداء البعثة وأما الزكاة ذات النصب والمقادير فإنما بيّن أمرها بالمدينة في السنة الثانية من الهجرة[4] .

والزكاة واجبة على أهلها، وهي أحد أركان الإسلام وأشرف الأفعال المتعقلة بالمخلوقين، يقول ابن كثير عند تفسير الآية : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً

---

(١) انظر المرجع نفسه ٤٨٢/٢ عند تفسير الآية : (التوبة ١٠٨) .

(٢) المعجم الوسيط ص ٣٩٦ .

(٣) المرجع نفسه ١٠٩/٤ عند تفسير الآية : (فصلت ٧) .

(٤) انظر المرجع نفسه ١٠٩/٤ عند تفسير الآية (فصلت ٧).

تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1] : « أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكيهم بها، وهذا عام وإن أعاد بعضهم الضمير في أموالهم إلى الذين اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون، وإنما كان هذا خاصًا برسول الله ﷺ، ولهذا احتجوا بقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد الصديق أبو بكر وسائر الصحابة وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ، حتى قال الصديق والله لو منعوني عقالًا وفي رواية عناقًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لأقاتلنهم على منعه »[2] .

فابن كثير رحمه الله دعا الاغنياء من المسلمين لدفع زكاة اموالهم لمستحقيها من الفقراء وغيرهم واستخدم المنهج العاطفي والعقلي في ذلك وقد برز من خلال ذكر بعض الأحكام والأسرار والآثار المتعلقة بالزكاة نذكر منها :

- منزلة الزكاة وأنها كثيرًا ما يقرن بينها وبين الصلاة[3] .
- أن إيتاء الزكاة وإقامة الصلاة وطاعة الرسول ﷺ سبب في رحمة الله [4] .

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٣.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٧٦/٢ .

(٣) المرجع نفسه ٢٩٨/٣، عند تفسير الآية : (الحج ٧٨) .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٧٦/٣، عند تفسير الآية : (النور ٥٦) .

- أن الله سبحانه هو الذي تولى قسم الصدقات وبيان حكمها ولم يكل ذلك إلى أحد [١] .
- فضل الصدقة في وجوه القربات وأثر ذلك على مضاعفة المال وحفظه[٢] .
- ذم ابن كثير البخل وحذر منه وبيّن صفات البخيل[٣] .
- وكما ذم البخل فقد حث على الإنفاق ومدح أهله[٤] .
- إن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها إلا أن يترتب على ذلك مصلحة راجحة [٥] .

ثالثًا : الصوم معناه وحكمه وفضله والحكمة من مشروعيته :

الصوم لغة : الإمساك، وفي الاصطلاح هو « الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله »[٦] .

وقد أوجب الله الصوم على هذه الأمة كما أوجبه على من كان قبلها كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾[٧].

---

(١) المرجع نفسه ٢/٤٥٠-٤٥٣، عند تفسير الآية : (التوبة ٦٠) .

(٢) المرجع نفسه ١/٢٨٦ عند تفسير الآية : (التوبة ١٠٤) .

(٣) المرجع نفسه ١/٦٠٧ عند تفسير الآية : (النساء ٣٧) .

(٤) المرجع نفسه ١/٤٠٢عند تفسير الآية : (البقرة ٣٧٤) .

(٥) المرجع نفسه ١/٣٩٨-٣٩٩ عند تفسير الآية: (البقرة ١٧١) .
المرجع نفسه ١/٢٦٥ عند تفسير الآية : (البقرة ١٨٣) .

(٦) المرجع نفسه ١/٢٦٥ عند تفسير الآية : (البقرة ١٨٣) .

(٧) سورة البقرة الآية ١٨٣.

وقد كان المسلمون في إبتداء الإسلام يصومون في كل شهر ثلاثة أيام ثم نسخ ذلك بصوم شهر رمضان[٢] ، وكان أيضًا صيام شهر رمضان على التخيير ثم نسخ لقوله تعالى : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾[٣] قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾ « هذا إيجاب حتم على من شهد استهلال الشهر إن كان مقيما في البلد حين دخل شهر رمضان وهو صحيح في بدنه أن يصوم لا محاله، ونسخت هذه الآية الإباحة المتقدمة لمن كان صحيحا مقيما أن يفطر ويفدي بإطعام مسكين عن كل يوم »[٤] .

وقد أشار ابن كثير رحمه الله إلى فضل الصوم والحكمة من مشروعيته فقال عند تفسير الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ ﴾[٥] « يقول تعالى مخاطبا للمؤمنين من هذه الأمة وآمرًا لهم بالصيام ... لما فيه من زكاة النفس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاق الرذيلة والأخلاط الرديئة ... ولأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان

---

(٢) انظر انظر تفسير القرآن العظيم ٣٦٦/١

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٥.

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٦٩/١

(٥) سورة البقرة الآية ١٨٣-١٨٤.

ولهذا ثبت في الصحيحين « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء »[1] .

وقد نبه رحمه الله على بعض الأحكام والآثار المتعلقة بالصيام نذكر منها:

- أن شهر رمضان الذي أوجب الله فيه الصيام قد امتدحه الله من بين سائر الشهور، واختاره من بينها لإنزال الكتب، ومنها القرآن كما اختصه بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر[2] .
- ذكر ابن كثير بعض الأحكام المتعلقة بالصيام مثل صيام المريض والمسافر، والشيخ الكبير والحامل والمرضع وأحكام الصيام في السفر، وإباحة الأكل والشرب والجماع من غروب الشمس إلى طلوع الفجر حيث كان في أول الإسلام إنما يحل للصائم بعد الفطر الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو ينام قبل ذلك فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة القابلة[3] وإذا نسي فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه. وغير ذلك من المسائل والأحكام المتعلقة بالصوم[4] . والتي نلاحظ أن ابن كثير رحمه

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٦٩/١ والحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج رقم (٥٠٦٥)،ومسلم كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ... رقم (٣٣٩٨).

(2) المرجع نفسه ٢٦٥/١

(3) انظر المرجع نفسه ٢٦٦/١ – ٢٧٣ عند تفسير الآية { يا أيها الذي امنوا كتب عليكم الصيام)[البقرة ١٨٣].

(4) المرجع نفسه ٢٧٤/١-٢٧٧ .

اللّه استخدم المنهج العاطفي والعقلي والحسي في بيان أحكام الصيام وفضله، وحكمه وأسراره ودعوة المسلمين لها وترغيبهم فيها .

رابعا: الحج، معناه وحكمه وفضله ومنزلته

الحج لغة : القصد، وهذا هو الأصل ثم تعورف استعماله في القصد إلى مكة للنسك[1].

وقد بين ابن كثير رحمه اللّه فضل الحج وحكمه ومنزلته والمبادرة إليه والاشارة إلى حكمه ومنافعه واسراره مستخدما في ذلك الأسلوب العاطفي والعقلي والحسي فذكر رحمه اللّه أن الحج واجب على المكلف في العمر مرة واحدة، وهو أحد أركان الإسلام، يقول عند تفسير الآية ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[2]، « هذه آية وجوب الحج عند الجمهور، وقيل بل هي قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[3] والأول أظهر، وقد وردت الأحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الإسلام ودعائمه وقواعده وأجمع المسلمون على ذلك إجماعا ضروريا، وإنما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والإجماع، قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون[4] ... عن أبي هريرة قال

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٢/٤٢٦.

(٢) سورة آل عمران آية ٩٧ .

(٣) سورة البقرة آية ١٩٦ .

(٤) يزيد بن هارون بن راذان بن ثابت السلمي بالولاء، الواسطي أبو خالد، من حفاظ الحديث الثقات، كان واسع العلم بالدين ذكيا كبير الشأن، اصله من بخارى ومولده ووفاته بواسط، قدر من كان يحضر الجلسة بسبعين الفا وكان يقول أحفظ أربعة وعشرين الف حديث باسنادها ولا فخر، وكف بصره في كبره، قال المأمون لولا مكان يزيد بن هارون لاظهرت أن القرآن مخلوق فقيل ومن يزيد حتى يتقى؟ قال : أخاف أن أظهرته فيرد علي فيختلف الناس وتكون فتنة . توفي سنة ٢٠٦هـ . الأعلام ٨/١٩٠.

خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله ﷺ : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، ثم قال ذروني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه »[1] .

وقد ذكر رحمه الله في تفسيره بعض الأحكام المتعلقة بالحج منها :

- المراد بالاستطاعة في قوله تعالى[2] ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[3] .
- أن من أحرم بالحج والعمرة فليس له أن يحل حتى يتمهما [4].
- أحكام الإحرام ووقته[5]، والوقوف بعرفة[6]، والاحصار[7]، وحكم الطواف والسعي بين الصفا والمروه [8]، وحكم من لم يجد الهدي[9]،

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٤٧، ٤٧٢، والحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ رقم (٧٢٨٨) ومسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر رقم (١٣٣٧) والترمذي، كتاب العلم، باب في الانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ رقم (٢٦٧٩) .

(٢) المرجع نفسه ١/٤٧٣ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٩٧ .

(٤) المرجع نفسه ١/٢٨٧ عند تفسير الآية { وأتموا الحج والعمره لله } [البقرة ١٩٦].

(٥) المرجع نفسه ١/٢٨٧.

(٦) المرجع نفسه ١/٢٩٣.

(٧) المرجع نفسه ١/٣٠٠.

(٨) المرجع نفسه ١/٢٨٨.

(٩) المرجع نفسه ١/٢٤٨ .

ومن كان به أذى من رأسه[1]، وحكم التعجل[2] وغيرها من الأحكام التي ذكرها ابن كثير رحمه الله في تفسيره .

- آداب الحج والأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها الحاج كاجتناب الرفث والفسوق والجدال[3] .
- اشتمال الحج على كثير من المنافع الدينية والدنيوية[4]، كما قال سبحانه ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ ففي الحج يحصل التعارف والتآلف بين المسلمين من مختلف الأجناس والبلدان.

وفي الحج يتم التقاء علماء المسلمين ودعاتهم بعضهم ببعض ويكون ذلك فرصة لتشاورهم وتبادلهم الآراء والتجارب في أمور الدعوة ومصالح المسلمين، كما أن من منافع الحج أنه مدرسة تربوية أخلاقية يتعلم فيها الحاج الصبر والصفح والعفو والتواضع والرحمة والشفقة والعطف وغيرها من الأخلاق الفاضلة التي يستفيدها الحجاج بشكل عام والدعاة إلى الله بشكل خاص، فيتحقق المقصود من الحج وهو التزود بخير زاد وهو التقوى كما قال سبحانه (﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[5].

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٩١/١.

(2) المرجع نفسه ٢٨٩/١

(3) المرجع نفسه ٢٩٤/١.

(4) انظر المرجع نفسه ٢٧٢/٣ عند تفسير الآية { ليشهدوا منافع لهم } [الحج ٢٨] .

(5) سورة البقرة آية ١٩٧ .

المطلب الثاني

منهجه في الدعوة إلى المعاملات

المعاملات جمع معامله على وزن مفالعه وهي مصدر بصيغة (فاعل مفاعله) التي من معانيها المشاركة في الفعل بين اثنين أو أكثر، وعامله بمعنى تصرف معه في بيع أو نحوه[1] .

واصطلاحا : الأحكام الشرعية المتعلقة بأمر الدنيا كالبيع والشراء والإجارة [2].

والمسلم لا سيما الداعية إلى الله – بأمس الحاجة إلى معرفة أحكام المعاملات التي تكون بينه وبين الناس مثل « البيع والهبة والإجارة وغيرها من العادات التي يحتاج الناس إليها في معاشهم كالأكل والشرب واللباس، فإن الشريعة قد جاءت في هذه العادات بالآداب الحسنة فحرمت منها ما فيه فساد، وأوجبت ما لابد منه وكرهت مالا ينبغي، واستحسنت ما فيه مصلحة راجحة في أنواع هذه العادات ومقاديرها وصفاتها[3] .

والأصل في المعاملات الإباحة وعدم الحظر، فلا يحظر منها إلا ما حظره الله سبحانه وتعالى، فالناس يتبايعون ويستأجرون كيف شاؤا مالم تحرمه

---

(١) انظر شذا العرف في فن الصرف لاحمد الحملاوي ص ٢٤ مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٢هـ، والمعجم الوسيط ص ٦٢٨.

(٢) المرجع نفسه ص ٦٢٨.

(٣) الفتاوى لابن تيمية ١٨/٢٩.

الشريعة، بخلاف العبادات التي أوجبها الله أو أحبها، فالأصل فيها الحظر، فلا يثبت الأمر بها إلا بالشرع[1]، وابن كثير رحمه الله بين في تفسيره كثيرا من هذه الأحكام نذكر بعضا منها على سبيل الإيجاز .

١- النهي عن أكل أموال الناس بالباطل، فقال رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾[2] «نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يأكلوا أموال بعضهم بعضا بالباطل،أي بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية كأنواع الربا والقمار، وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل، وإن ظهرت في غالب الحكم الشرعي مما يعلم الله أن متعاطيها إنما يريد الحيلة على الربا »[3] .

٢- النهي عن أكل الربا وأن الله سبحانه وتعالى يمحق المرابي ويَحْرِمه بركة ماله كما قال سبحانه ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾[4] يقول ابن كثير « يخبر تعالى أنه يمحق الربا، أي يذهبه بالكلية من يد صاحبه، أو يَحْرمه بركة ماله فلا ينتفع به، بل يعذبه به في الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ قُل لَّا

---

(١) انظر الفتاوى ٢٩/١٦-١٨.

(٢) سورة النساء آية ٢٩.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٥٨٦ وانظر المرجع نفسه ١/٢٨٠ عند تفسير الآية { ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام } [البقرة ١٨٨] .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٧٩.

يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾[1] وهذا من باب المعاملة بنقيض المقصود ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ « أي لا يحب كفور القلب آثم القول والفعل، ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة، وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال، ولا يكتفي بما شرع له من التكسب بالمباح، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل، بأنواع المكاسب الخبيثة فهو جحود لما عليه من النعمة، ظلوم آثم يآكل أموال الناس بالباطل »[2] .

٣- إنظار المعسر حتى يتيسر حاله فقال رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾[3] « يأمر تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاءً فقال ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حل عليه الدين إما أن تقضي وإما أن تربي »[4] .

٤- الأمر بكتابة البيع إذا كان دينا لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾[5] يقول ابن كثير « هذا إرشاد منه تعالى

---

(١) سورة المائدة الآية ١٠٠ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٤٠٥ -٤٠٧ وانظر المرجع نفسه ١/٤٠٣ عند تفسير الآية { الذين أكلون الربا لا يقومون } [البقرة ٢٧٥] وكذلك ١/٤٠٣ عند تفسير الآية { ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا} [البقرة ٢٧٥] وكذلك ١/٤٠٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٠.

(٤) المرجع نفسه ١/٤٠٨.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٨٢.

لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها، ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها وأضبط للشاهد فيها .. فأمروا أمر إرشاد لا أمر إيجاب كما ذهب بعضهم »[1] .

وغير ذلك من أحكام المعاملات ووسائلها وصورها المتعددة التي ذكرها ابن كثير في تفسيره وبين الجائز منها والممنوع مستخدما المنهج العاطفي في التحذير من أكل أموال الناس بالباطل وأن ذلك سبب في محق بركة المال أو حرمان صاحبه منه بالكليه أو المنهج العقلي في اشارته إلى عدم تساوي المال الخبيث والمال الطيب ولو أعجب الإنسان كثرة الخبيث لأنه سيحاسب عليه يوم القيامة ويعذب لان هذا من باب المقابلة بنقيض المقصود، وكذلك اشارته رحمه الله إلى ختم آية الربا بقوله سبحانه وتعالى ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ فالمرابي جحود لما عليه من النعمة ظلوم آثم يأكل أموال الناس بالباطل، وكذلك المنهج الحسي بكتابة البيع إذا كان دينا .

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٤١٢.

المطلب الثالث

منهجه في الدعوة إلى الجهاد

ذكر ابن كثير رحمه الله الجهاد في مواضع كثيرة في تفسيره عن فضل الجهاد ومنزلته وحكمه ومتى فرض والحكمة من مشروعيته وبعض الأحكام المتعلقة به، ونحو ذلك مما سنذكره بإيجاز من خلال النقاط التالية :

١- **فضل الجهاد ومنزلته** : للجهاد منزلة عظيمة ومكانة رفيعة، فهو ذروة سنام الإسلام، وهو من أفضل الأعمال . يقول ابن كثير عند تفسير الآية ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾[(١)] « لما أمرهم بترك المحارم وفعل الطاعات، أمرهم بقتال الاعداء من الكفار والمشركين الخارجين عن الطريق المستقيم التاركين للدين القويم، ورغّبهم في ذلك بالذي أعده للمجاهدين في سبيله يوم القيامة، من الفلاح والسعادة العظيمة الخالدة المستمرة، التي لا تبيد ولا تحول ولا تزول في الغرف العاليةالرفيعةالآمنة،الحسنةُ مناظرها الطيبة مساكنها التي من سكنها ينعم ولا ييأس ويحيا ولا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » [(٢)].

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٥.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٧٠/٢ وانظر المرجع نفسه ٦٤٧/١ عند تفسير الآية { فقاتل في سبيل الله } [النساء ٨٤]، وكذلك ٥١٢/١ عند تفسير الآية { ولئن قتلتم في سبيل الله } [ال عمران ١٥٨] وكذلك ٩١/٢، ٥٢٣/١، ٣٦٩/٢، ٣٧٠/١، ٢٨٥/٣.وغيرها من المواضع الكثيرة الذي أفاض ابن كثير في الحديث عن فضل الجهاد ومنزلته وفضله مستخدما في ذلك الأسلوب والمنهج العاطفي في بيان ذلك وشرحه.

٢- **حكمه ومتى شرع** : يرى ابن كثير أن الجهاد واجب على من احتيج إليه فيقول عند تفسير الآية ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾[١] « هذا إيجاب من الله تعالى للجهاد على المسلمين أن يكفوا شر الأعداء عن حوزة الإسلام . وقال الزهري الجهاد واجب على كل أحد غزا أو قعد، فالقاعد عليه إذا استعين أن يعين وإذا استغيث أن يغيث وإذا استنفر أن ينفر، وإن لم يحتج إليه قعد، قلت ولهذا ثبت في الصحيح « من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبه من نفاق »[٢] وقال عليه الصلاة والسلام « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيه وإذا استنفرتم فانفروا» [٣].

وقد بين رحمه الله الوقت الذي شرع فيه الجهاد فقال عند تفسير الآية ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ ﴾[٤] « كان المؤمنون في ابتداء الإسلام – وهم بمكة – مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين، وكانوا يتحرقون ويودون لو أُمروا بالقتال ليشتفوا من أعدائهم ولم يكن الحال إذ ذاك مناسبا لأسباب كثيرة منها قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم، ومنها كونهم في بلدهم وهو بلد حرام وأشرف بقاع الأرض، فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداء لائقا، فلهذا لم يؤمروا بالجهاد إلا بالمدينة لما صارت لهم دار منعة

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٦.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الأمارة، باب ذم من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو رقم (١٩١٠) وأبو داود، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو رقم (٥٢٠٢) .

(٣) المرجع نفسه ٣١٣/١ والحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد والسير رقم (٢٧٨٣) ومسلم بلفظ لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيه، كتاب الأمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير وبيان معنى لا هجرة بعد الفتح رقم (٤٨٣١) .

(٤) سورة النساء آية ٧٧ .

وأمصار ... وعن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا يا نبي الله كنا في عزة ومنعة ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة قال : إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم »[1].

وهكذا نجد أن ابن كثير استخدم المنهج العقلي في بيانه للحكمة من أن المسلمين لم يؤمروا بالجهاد إلا في المدينة، وان رسول الله ﷺ منع عبد الرحمن بن عوف وأصحابه من مقاتلة المشركين في مكة لعدم مناسبة ذلك .

واليوم يوجد شباب متحمسون لنصرة دينهم وإعزاز كلمته، وقد غاظهم وآلمهم وقطع قلوبهم ما يحصل للمسلمين في كثير من البلاد الإسلامية من محاربة وقتل وتشريد واحتلال ونهب للثروات، ومعاداة لله ورسوله، فهب هؤلاء الشباب المتحمس الغيور لجهاد أعداء الدين وقتالهم، ولكن الحق أن كثيرا من الممارسات التي يقومون بها لم تستوف شروط الجهاد ومشروعيته، فأحدثت نتائج عكسية على الإسلام والمسلمين، ولم يتحقق في غالب الأحوال المقصود الشرعي من القتال وهو إعلاء كلمة الله ودحر الأعداء وكف شرهم والدفاع عن الإسلام والمسلمين فواجب العلماء والدعاة والمصلحين هو أن يأخذوا بأيدي هؤلاء الشباب ويوجهوهم الوجهة الإسلامية الصحيحة بأسلوب علمي رشيد بعيدا عن أساليب الإثارة وإلهاب العواطف وتأجيج الحماس، لأن عاقبة ذلك ستكون وخيمة على الشباب أنفسهم وعلى الإسلام والمسلمين .

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٤٢/١ وانظر المرجع نفسه ٢٨٣/٣، ٢٨٤ عند تفسير الآية { أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا } [الحج ٣٩]، المرجع نفسه ٢١٨/٤ عند تفسير الآية { ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما } [الفتح ٧] وكذلك ٣١٣/١ عند تفسير الآية { أم حسبتم أن تتركوا } [البقرة ٢١٤] .

٣- ابن كثير وكتابه الاجتهاد في طلب الجهاد

برزت عناية ابن كثير رحمه الله بالجهاد بتأليفه كتاب « الاجتهاد في طلب الجهاد » والذي أشرنا إليه سابقا عند الحديث عن مشاركة ابن كثير في أحداث عصره، وفي هذا الكتاب تحدث ابن كثير عن أهمية الجهاد وشرف منزلته وساق النصوص الدالة على ذلك، وتعرض رحمه الله لهجوم الإفرنج على بعض الثغور الإسلامية وتصدي المسلمين لهم ولا سيما «الأمير منجك» وكذلك استيلاء الصليبيين على بيت المقدس وجهود صلاح الدين الأيوبي[١] رحمه الله في جهادهم وطردهم وتخليص بيت المقدس منهم إضافة إلى استعادته للبلاد الإسلامية الأخرى التي استولى عليها النصارى مثل غزّة، والكرك، وكذلك تعرض ابن كثير للصراع بين المسلمين والنصارى حول مدينة « عكا» ثم ختم كتابه بأن عزة الأمة الإسلامية هو بتمسكها بدينها وبتأييد الله لها[٢] .

---

(١) هو يوسف بن أيوب بن شاذي أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك الإسلام، ولد في تكريت، ونشأ في دمشق، دخل مع أبيه نجم الدين وعمه شيركوه في خدمة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، واشترك صلاح الدين مع عمه شيركوه في حملة وجهها نور الدين للاستيلاء على مصر سنة ٥٥٩هـ، وتم لشيركوه الظفر أخيرًا، فاستولى على زمام الأمور بمصر واستوزره خليفتها العاضد الفاطمي، ولكن شيركوه ما لبث أن مات فاختار العاضد للوزارة وقيادة الجيش صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر، ثم استقل بملك مصر مع اعترافه بسيادة نور الدين، ومرض العاضد مرض موته فقطع صلاح الدين خطبته وخطب للعباسيين وانتهى بذلك أمر الفاطميين ومات نور الدين سنة ٥٦٩هـ فاضطربت البلاد الشامية ودعي صلاح الدين لضبطها فاقبل على دمشق سنة ٥٥٧هـ واتجه للاصلاح الداخلي في مصر والشام وكذلك دفع غارات الصليبيين ومهاجمة حصونهم وقلاعهم في بلاد الشام، وكان أعظم انتصار له على الأفرنج يوم حطين واسترداد عكا ويافا ثم فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ . وكان رقيق النفس والقلب على شدة بطولته، رجل سياسة وحرب بعيد النظر متواضعا مع جنده وأمراء جيشه وكانت مدة حكمه بمصر ٢٤ سنة وبسورية ١٩ سنة، توفي سنة ٥٨٩هـ . الأعلام ٨/٢٢٠.

(٢) انظر كتاب « الاجتهاد في طلب الجهاد » لابن كثير حققه وعلق عليه د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان ، ط دار اللواء الثانية ١٤٠٢هـ .

المطلب الرابع

منهجه في الدعوة إلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

تعريف المعروف لغة واصطلاحا :

يدور معنى المعروف في اللغة غالبا على ما تعارف عليه الناس وعلموه ولم ينكروه[١] .

وجاء في المعجم الوسيط : العرف : المعروف وهو خلاف المنكر وما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم[٢] .

وفي الاصطلاح : المعروف هو كل ما يعرفه الشرع ويأمر به ويمدحه ويثني على أهله، ويدخل في ذلك جميع الطاعات وفي مقدمتها توحيد الله عز وجل والايمان به [٣].

تعريف المنكر لغة واصطلاحا :

يدور معنى المنكر في اللغة غالبا على ما جهله الناس واستنكروه وجحدوه[٤]، والمنكر ضد المعروف يقال نكر الشيء وأنكره لم يقبله ولم

---

(١) انظر القول المبين الاظهر في الدعوة إلى الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر للدكتور / عبد العزيز الراجحي، طبعت مطابع المدينة الرياض الطبعة الاولى بدون تاريخ.

(٢) المعجم الوسيط لابراهيم انيس وزملائه ص ٥٩٥.

(٣) القول المبين الأظهر ص ١٠.

(٤) المرجع نفسه ص ٨.

يعترف به لسانه[1] .

وفي الاصطلاح :

المنكر هو كل ما ينكره الشرع وينهى عنه ويذمه ويذم أهله، ويدخل في ذلك جميع المعاصي والبدع وفي مقدمتها الشرك بالله عز وجل وإنكار وحدانية أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته [2].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوام أمر الناس وصمام أمن الحياة، لا تستقيم الدنيا ولا تصلح بدونه، وقد اعتنى ابن كثير ببيان هذا الأمر عناية كبيرة، فذكر أهميته وضرورته للأمة، وأنه واجب على كل أحد بحسبه، وأنه سبب للنجاة في الدنيا والآخرة وسبب للتمكين والعزة إلى غير ذلك مما سنذكره بشكل موجز من خلال النقاط التالية :

١- **وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** : يرى ابن كثير أنه يتعين على الأمة أن تكون فرقة منها متصدية للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما على الأفراد فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل فرد بحسب قدرته وطاقته يقول رحمه الله عن تفسير الآية ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[3] « أي منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمقصود من هذه الآية أن تكون من الأمة منتصبة لهذا الشأن وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من

---

(١) انظر القاموس المحيط،الفيروزأبادي ٢٠٨/٢، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٨١/٤.

(٢) القول البين الاظهر ص ١٠.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٤.

الأمة بحسبه»[1] .

٢- إن الآمر بالمعروف يتعين عليه فعل ما أمر به، وكذا الناهي عن المنكر يتعين عليه ترك ما ينهى عنه، ولكن لا نسقط احدهما بترك الاخر، فيقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴾[2] «والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنع ونبههم على خطاياهم في حق أنفسهم، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له بل على تركهم له، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلف عنه كما قال شعيب عليه السلام ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾[3] فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب لا يسقط أحدهما بترك الاخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف، وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها وهذا ضعيف، وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية، فإنه لا حجة لهم فيها، والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله وينهى عن المنكر وإن ارتكبه ... ولكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعل المعصية لعلمه بها ومخالفته على بصيرة، فانه ليس من يعلم كمن لا يعلم »[4].

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٤٧٧.

(٢) سورة البقرة الآية ٤٤.

(٣) سورة هود الآية ٨٨.

(٤) المرجع نفسه ١/١٠٩.

وهذا التصور لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي قرره ابن كثير من خلال المنهج العقلي يكون عونا على تصحيح المفهوم الخاطئ لدى بعض الدعاة وذلك بترك الداعية بعض الأحيان القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله بحجة تقصيره في عدم فعل ما يأمر به ويدعو إليه وعدم تركه لما ينهى عنه ويحذر عنه، والصحيح كما قال ابن كثير « أن العالم يأمر بالمعروف وان لم يفعله وينهى عن المنكر وإن ارتكبه قال مالك عن ربيعة[1] سمعت سعيد بن جبير يقول : لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر، وقال مالك وصدق، من ذا الذي ليس فيه شيء »[2]، ولكن ابن كثير رحمه الله ينبه ويقول « ولكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية، لعلمه بها ومخالفته على بصيرة، فانه ليس من يعلم كمن لا يعلم »[3] .

٣- أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعاقبة تركه .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سفينة نجاة المجتمع، وتركه سبب في عقوبة الله وسخطه، وقد أشار ابن كثير إلى ذلك عند تفسير الآية ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾[4]

---

(١) هو ربيعة بن فروح التيمي بالولاء المدني أبو عثمان امام حافظ فقيه مجتهد كان بصيرا بالراي وأهل الرأي عن أهل الحديث هم أصحاب القياس لأنهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثًا أو أثرًا، فلقب ربيعة الرأي، وكان من الأجواد انفق على إخوانه اربعين الف دينار، ولما قدم السفاح المدينة أمر له السفاح بمال فلم يقبله وكان صاحب الفتوى بالمدينة وبه تفقه الامام مالك، توفي بالهاشمية من أرض الأنبار سنة ١٣٦هـ . الأعلام ١٧/٣.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١٠٩/١.

(٣) المرجع نفسه ١٠٩/١.

(٤) سورة هود الآية ١١٦.

« يقول تعالى، فهلاَّ وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض، وقوله □ إلا قليلا□ أي قد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيرا، وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غيره وفجأة نقمه، ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما قال تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1] وقوله ﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾[2] أي استمروا على ما هم فيه من المعاصي والمنكرات ولم يلتفتوا إلى إنكار أولئك حتى فاجأهم العذاب »[3].

٤- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين** الذين يحبهم الله ويحبونه : فهم خلاف المنافقين الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف كما قال سبحانه ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾[4]، يقول ابن كثير « يقول تعالى منكرا على المنافقين

---

(١) يورة آل عمران الآية ١٠٤.

(٢) سورة هود الآية ١١٦.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٧٢/٢ وانظر ٩٧/٢ عند تفسير الآية { لولا ينهاهم الربانيون } [المادة ٦٣]، و ١٠٧/٢ عند تفسير الآية {كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه } [المادة ٧٩]، و١٠٨/١ والمرجع نفسه ٣٧٤/١ عند تفسير الآية { واتقوا فتنة لا تصيبن الذين } [الانفال ٢٥] والمرجع نفسه ٤٣٨/١ عند تفسير الآية { فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه [ال عمران ٥] والمرجع نفسه ٤٨٥/١ عند تفسير الآية { أن الذين يكتمون ما انزلنا من الكتاب } [البقرة ١٧٥] والمرجع نفسه ٣٧٢/١ عن تفسير الآية{ ألم ترى إلى الملأ من بني اسرائيل } [البقرة ٢٤٦] وكذلك المرجع نفسه ٧٤٩/١ عند تفسير الآية {كنتم خير امة اخرجت للناس } [ال عمران ١١٠] و ٢/ ٣١٤ عند تفسير الآية { ولما سكت عن موسى الغضب } [الاعراف ١٥٤] ..

(٤) سورة التوبة الآية ٦٧.

الذين هم خلاف صفات المؤمنين، ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف [1].

وقال عند تفسير الآية ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾[2] « أي لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله وقتال أعدائه واقامة الحدود والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك راد ولا يصدهم عنه صاد ولا يحيك فيهم لوم لائم ولا عذل عاذل »[3] .

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٥٥/٢ .

(2) سورة المائدة الآية ٥٤.

(3) المرجع نفسه ٩١/٢ وانظر ١٥٢/٣ عند تفسير الآية { واجعلني مباركا اينما كنت } [مريم ٣١]، ١٥٢/١ عند تفسير الآية { وقولوا للناس حسنا } [البقرة ٨٣]، ١٦٠/٣ عند تفسير الآية { واذكر في الكتاب اسماعيل} [مريم ٥٤، ٥٥]، ٥٥٠/٣ عند تفسير الآية { وامر بالمعروف وأنه عن النكر } [لقمان ١٨] .
وغيرها من المواضع الكثيرة التي قرر فيها ابن كثير أهمية الأمر بالمعروف وفضله ومنزلته من خلال المنهج العاطفي.

المبحث الثالث

منهجه في الدعوة إلى التمسك بالأخلاق

توطئة :

الخلق هو جماع الدين، وبه وصف الله رسوله الكريم فقال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[1]، قال ابن كثير : « ... عن ابن عباس أي وإنك لعلى دين عظيم وهو الإسلام ... وسُئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ، قالت : كان خلقه القرآن تقول كما هو في القرآن ... ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا، سجية له وخلقًا تَطَبَّعَهُ، وترك طبعه الجبلي فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصدق والحلم وكل خلق جميل »[2] .

وقد اعتنى الإمام ابن كثير بجانب الأخلاق في تفسيره القرآن فكانت له نظرات وخصائص حول التربية الأخلاقية والتي يمكن إجمالها في الخصائص التالية :

١. موافقة الأخلاق الإسلامية للفطرة .

٢. الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر .

---

(١) سورة القلم الآية ٤ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٤٧٥ .

٣. تميز الأخلاق الإسلامية باليسر والسهولة .

٤. الأخلاق الإسلامية هي فطرية من وجه ومكتسبة من وجه آخر .

وقبل التحدث عن هذه الخصائص وعن أهمية الأخلاق عند ابن كثير نود أن نعرف الأخلاق في اللغة والاصطلاح .

تعريف الأخلاق لغة :

الأخلاق جمع خلق وأصلها خَلَق، قال ابن فارس : « الخاء واللام والقاف أصلان أحدهما تقدير الشيء والآخر ملامسة الشيء ... قال : ومن الأول الخُلُق وهو السجية لأن صاحبه قد قُدِّر عليه، ومن الثاني صخرة خَلْفاء أي ملساء »[1] .

في الاصطلاح :

قال بعض العلماء: « الخلق عبارة عن هيئة راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلًا وشرعًا سميت تلك الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقًا سيئًا ».

---

[1] ابن فارس (معجم مقاييس اللغة) ٢١٣/٢، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ .

المطلب الأول

أهمية الأخلاق في منظور ابن كثير

اعتنى ابن كثير في تفسيره بالأخلاق كثيرًا، ويظهر ذلك في حرصه على توجيه الأمة وعلى تربيتها على الأخلاق الفاضلة، وغرس القيم النبيلة، فهو يدعوا دائمًا إلى تزكية النفس بطاعة الله وتطهيرها من الأخلاق الدنيئة، وأن يحسن الإنسان العمل في هذه الدنيا لأن جزاءه الإحسان في الدار الآخرة، والناس عند ابن كثير رجلان « فرجل محسن فخذ ما عفا لك من إحسانه ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه، وإما مسئ فمره بالمعروف فإن تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله فأعرض عنه فلعل ذلك أن يرد كيده»[1] .

ويُذكِّر رحمه الله بسمات عباد الرحمن وصفاتهم فهم « إذا سفه عليهم الجهال بالسيء لم يقابلوهم عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيرًا كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجهل إلا حلمًا »[2] .

وابن كثير رحمه الله حينما يُرغب ويحث على الإعراض عن الجاهلين باحتمال الظلم والاعتداء، وعدم المقابلة بالمثل، بل بالعفو والصفح فهو رحمه الله يستثن من هذه القاعدة عدم الإعراض عمن جهل الحق الواجب من حق الله

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٣٤٨، عند تفسير الآية { خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين} [الاعراف ١٩٩].

(2) المرجع نفسه ٣/٤٠٣-٤٠٤، عند تفسير الآيات ٦٣-٦٧ من سورة الفرقان.

وعدم الصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته وهو على المسلمين حرب[1] وكذلك حينما ذكر أن من صفات عباد الرحمن أنهم يمشون على الأرض هونًا أي بسكينة ووقار من غير استكبار ولا بطر، بيّن رحمه الله أنه « ليس المراد أنهم يمشون كالمرضى من التصانع تصنعًا ورياءً، فقد كان سيد ولد آدم إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وكأنما الأرض تطوى له وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع، حتى روى عن عمر أنه رأى شابًا يمشي رويدًا فقال ما بالك ؟ أمريض أنت؟ قال : لا يا أمير المؤمنين، فعلاه بالدرة وأمره يمشي بقوة، وإنما المراد بالهَوْن هاهنا السكينة والوقار »[2]، ويضع رحمه الله قاعدة في مخالطة الناس ويسميها الترياق النافع في مخالطة الناس وهي «الإحسان إلى من يسيء، ليستجلب خاطره، فتعود عداوته صداقة وبغضه محبه»[3].

ومن مظاهر عناية ابن كثير بالأخلاق الفاضلة أنه حذر من الشيطان وعداوته، إذا أنه ليس كالعدو الإنسي يقبل المصانعة والإحسان حتى يعود إلى الموالاة والمصافاة لأنه « لا يقبل مصانعة ولا إحسانًا، ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه من قبل »[4] . وكما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ

---

(١) انظر انظر تفسير القرآن العظيم ٣٤٨/٢ عند تفسير الآية ١٩٩ من سورة الأعراف .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٠٣/٣ عند تفسير الآية ٦٣ من سورة الفرقان .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٣١٩/٣ عند تفسير الاية ٩٦ من سورة المؤمنون .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٢/١ عند تفسير سورة الفاتحة .

لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[1]، « أي هو مبارز بالعداوة فعادوه أنتم أشد العداوة وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به»[2].

كما يظهر اهتمام ابن كثير بالأخلاق من خلال دعوته وتأكيده على الالتزام بجملة من الأخلاق الحسنة والصفات النبيلة وتحذيره من الأخلاق الرديئة والصفات الذميمة فمثلًا نجده رحمه الله يحث على العدل[3]، والصدق[4]، والصبر[5] والإخلاص[6]، وصدق الوعد[7]، ونحوها من الأخلاق الحميدة، ويحذر من الأخلاق الذميمة كالغضب[8]، والحسد[9]، والظن السيء[10]، والنميمة[11]، والسخرية[12]، واللمز ونحوها من الأخلاق الذميمة، فإهتمام ابن كثير في تفسيره بموضوع الأخلاق واستخدامه المنهج العاطفي في ذلك واضح وجلي وما ذاك إلا لأهمية الأخلاق للمسلم بشكل عام وللداعية إلى الله بشكل خاص فالداعية المتصف بالصبر والصدق والعدل والإخلاص في القول والعمل ونحوها من الأخلاق الفاضلة مع تجنبه في نفس الوقت الأخلاق

---

(1) سورة فاطر ٦ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٦٧١ .

(3) انظر المرجع نفسه ٢/١٠، ٢/٢٤١ .

(4) انظر المرجع نفسه ٣/٦٠٠ .

(5) انظر المرجع نفسه ٢/٧٣٢، ٣/٥٥٠ .

(6) انظر المرجع نفسه ٣/١٣٨، ٢/٧١٥-٧١٦ .

(7) انظر المرجع نفسه ٣/١٥٩، ١/١٩٤ .

(8) انظر المرجع نفسه ٢/٣٥٠ .

(9) انظر المرجع نفسه ١/١٩٢، ١/١٥٨، ١/١٥٩، ٤/٢٤٩ .

(10) انظر المرجع نفسه ٤/٢٥٠ .

(11) انظر المرجع نفسه ٤/٢٥٠، ٤/٢٥١ .

(12) انظر المرجع نفسه ٤/٢٤٩ .

الذميمة كالحسد والبغي والكيد والخيلاء والغيبة والنميمة والكذب ونحوها، لا شك أنه داعية صادقًا ومؤثرًا وهو قدوة صالحة، فأحرى أن يستجاب له ويسمع منه ويُرى أثر دعوته على غيره .

المطلب الثاني

سمات التربية الأخلاقية عند ابن كثير

الخصائص جمع خصيصه من خص يخص خصا وخصصه واختصه : أفرده به دون غيره وتخصص له : إذا إنفرد[1] .

وقد جاء حديث ابن كثير عن خصائص التربية الأخلاقية بناء على نظرته وتصوره للإسلام وأوامره ونواهيه، فهو بهذا يختلف عن نظرة غيره للأخلاق ممن يعتبرها فضائل إنسانية مدركة بالعقل.

فمن خصائص التربية الاخلاقية عند ابن كثير :

١- موافقة الأخلاق للفطرة : فالنفوس تميل إلى محبة الخير والفضيلة، كما أنها تنفر من الأخلاق الذميمة، وهذا يعني موافقتها للفطرة التي فطر الله الناس عليها فهو سبحانه خلق النفوس « سوية مستقيمة على الفطرة كما قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[2] ، وقال ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء »[3] .

---

(١) ابن منظور لسان العرب، والفيروزأبادي : القاموس المحيط كلاهما باب الصاد فصل الخاء.

(٢) سورة الروم آية ٣٠ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٦١٣/٤ والحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري بلفظ : ما من مولود إلا يولد على الفطرة ... كتاب الجنائز، باب إذا أسلم فمات هل يصلى عليه؟ رقم (١٣٥٨)، ومسلم كتاب القدر باب معنى

كما أن الله سبحانه وتعالى مكَّن للنفس الإنسانية من معرفة أصول الأخلاق من الخير والشر وهيأ ها لقبول الحق، وسلوك طريق الخير والفضيلة كما قال سبحانه ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾[1]، ومعنى ذلك كما قال ابن كثير « يعني أرشدها إلى فجورها وتقواها، أي بيَّن لها ذلك وهداها إلى ما قدر لها، قال ابن عباس فألهما فجورها وتقواها، بيَّن لها الخير والشر .... وقال سعيد بن جبير ألهمها الخير والشر »[2] .

فابن كثير رحمه الله يؤكد أن النفوس مجبولة على محبة الأخلاق الفاضلة واستحسانها، وهذه الأخلاق هي التي أمر الله بها وهي المتوافقة مع فطرة الإنسان السوية ولهذا فانه « ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به، وليس من خلق سيء كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدَّم فيه، وانما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها، قلت: ولهذا جاء في الحديث ... إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سَفْسَافها »[3]، وقد نقل ابن كثير أن أكثم[4] بن صيفي لما سمع الآيات ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ

كل مولود يولد على الفطرة رقم (٢٦٥٨)، وأبو داود كتاب السنة، باب في ذراري المشركين رقم (٤٧١٤)، والترمذي كتاب القدر باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة رقم (٢١٦٨) .

(١) سورة الشمس آية ٨ .

(٢) المرجع نفسه ٦١٣/٤ عند تفسير الآية { ونفس وما سواها} [الشمس ٧] .

(٣) المرجع نفسه ٧٢٠/٢ عند تفسير الآية { إن الله يأمر بالعدل والاحسان } [النحل ٩٠]، والحديث أخرجه الطبراني في الكبير بلفظ أن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفاسها ١٣١/٣ رقم (٢٨٩٣) طبعت مكتبة بالرياض بدون تاريخ، ومعنى سفاسفها أي رديئها وحقيرها، انظر المعجم الوسيط ص ٤٣٣.

(٤) هو أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث بن معاوية التميمي، حكيم العرب في الجاهلية وأحد المعمرين، عاش زمنًا طويلًا وأدرك الإسلام، وقصد المدينة في مائة من قومه يريدون الإسلام فمات في الطريق ولم ير النبي ﷺ وأسلم من

بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[1] ، قال : إني أراه -يعني محمدا ﷺ -يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤسا ولا تكونوا فيه أذنابًا»[2]، ومما لا شك فيه أن انطلاق الداعية إلى الله من هذا التصور للأخلاق يشجعه إلى أن يتحمس في دعوته وأن يحرص دائما على توجيه الناس وارشادهم ودعوتهم للخير والفضيلة لأنه موقن بأن الخير أصيل في نفوسهم وأن ما يدعوهم إليه من الأخلاق الحميدة والصفات النبيلة هي متوافقة مع فطرهم السليمة ونفوسهم السوية المستقيمة وأن « الشر ليس عميقًا في النفس الإنسانية إلى الحد الذي نتصوره أحيانًا، إنه في تلك القشرة الصلبة التي يواجهون بها كفاح الحياة للبقاء، فإذا أمنوا تكشفت تلك القشرة الصلبة عن ثمرة حلوة شهية هذه الثمرة الحلوة إنما تتكشف لمن يستطيع أن يشعر الناس بالأمن في جانبه والثقة في مودته، والعطف الحقيقي على كفاحهم وآلامهم وأخطائهم وحماقاتهم وشيء من سعة الصدر في أول الأمر كفيل بتحقيق ذلك كله»[3] .

٢- الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر : من خصائص التربية الاخلاقية عند ابن كثير أن الأخلاق مصدرها من عند الله تعالى سواء كانت هذه الأخلاق مما أثبتها الشارع ابتداء أو كانت من الأخلاق التي أقرها ورضيها مما تعارف عليها الناس قبل الإسلام، فالله سبحانه يأمر عباده أن

بلغ المدينة من أصحابه، من كلامه من فسدت بطانته كان كانعاص بالماء، من مأمنه يؤتى الحذر، ويل للشجي من الخلي، مات سنة ٩هـ (الأعلام ٦/٢) .

(١) سورة النحل آية ٩٠ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٧٢٠/٢.

(٣) سيد قطب أفراح الروح ص ١٢ طبعت الدار العلمية الطبعة الاولى ١٣٩١هـ .

يتصفوا ويلتزموا ويتحلوا بالأخلاق الفضيلة وينهاهم عن الأخلاق الرذيلة، كما قال سبحانه في سورة الإسراء بعدما أمر بجملة من الأخلاق النبيله ونهى سبحانه عن بعض الأخلاق الرذيلة ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِ ﴾[1] .

يقول ابن كثير« يقول تعالى : هذا الذي أمرناك به من الأخلاق الجميلة ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة، مما أوحينا إليك يا محمد لتأمر به الناس »[2].

وكما قال سبحانه في سورة النور بعد أمره ببعض الأخلاق الحميدة ونهيه عن بعض الأخلاق الرديئة ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[3]، يقول ابن كثير « أي افعلوا ما أمركم الله به من هذه الصفات الجميلة والاخلاق الجليلة واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة »[4].

وهكذا فالأخلاق الإسلامية ربانية المصدر لأن الله هو الذي شرعها وأقرها وأمر عباده بالالتزام بها فهو سبحانه « يأمر عباده بالعدل وهو القسط والموازنة ويندب إلى الاحسان ... ويأمر بصلة الارحام »[5] كما « يأمر عباده

---

(1) سورة الإسراء آية ٣٩ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٤/٣.

(3) سورة النور آية ٣١ .

(4) المرجع نفسه ٣٥٧/٣.

(5) انظر تفسير القرآن العظيم ٧١٩/٢ عند تفسير الآية { أن الله يامر بالعدل والاحسان } [النحل ٩١]

المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات ... وترك المنكرات ... وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على الاثم والمحارم »[1] .

وهو سبحانه الذي يُوَفِّق عباده للخير ويزكي نفوسهم للبر كما قال سبحانه ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾[2]، قال ابن كثير « أي لولا هو يرزق من يشاء التوبة والرجوع إليه ويزكي النفوس شِرْكها وفجورها ودنسها وما فيها من أخلاق رديئة كل بحسبه لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيرا »[3] .

فالأخلاق التي يجب أن يتحلى بها الداعية المسلم هي الأخلاق الإسلامية التي منبعها الإسلام ومصدرها القرآن، فهي أخلاق ثابتة أصيلة لا تتغير ولا تتبدل فالأخلاق الحسنة هي الأخلاق الحسنة وهي أخلاق فضيلة في كل حال وفي كل زمان ومكان، والأخلاق المذمومة هي أخلاق مذمومة وهي أخلاق رذيلة في كل حال وفي كل زمان ومكان فهي لا تتغير لانها تعبدية تعتمد على الحق وابتغاء الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى[4] .

---

(١) المرجع نفسه ٢/١٠ عند تفسير الآية { وتعاونوا على البر والتقوى } [المائدة ٢]

(٢) سورة النور آية ٢١ .

(٣) المرجع نفسه ٣/٣٤٤.

(٤) ومن هنا يتضح الفرق في السلوك التربوي بين التربية الإسلامية وغيرها، سواء كانت شرقية اشتراكية أو غربية علمانية، حيث لا تعتبر الأخلاق شيئا يذكر – في جملتها – فالمنكرات والرذائل والفواحش التي تأباها الفطرة الإنسانية السليمة أصبحت لا تعد شائنة ولا مرتكبها منبوذا وأسمو الشذوذ الجنسي بالمثلية، فلا يقال هذا شاذ جنسيا بل يقال « مثلي »، حتى تتوارى الكلمات المرفوضة ويحل محلها هذا المفهوم الغامض فتتسر ب من خلاله الفاحشة وانحدار الأخلاق. الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب لمحمد زين هادي العرمابي ص ١٢٦-١٢٧.

فالأخلاق الإسلامية ليست أخلاقا مادية ودنيوية تدور مع المنافع والمصالح والأهواء والأغراض الشخصية حيث دارت كما هو الحال في غير الأخلاق الإسلامية مما يجعلها مضطربة متذبذبة، فالإحسان إلى الوالدين وبرهما مثلا من أفضل الأخلاق وأسماها عند كل مسلم بخلاف غيره الذي يربط أصالة ذلك الخلق ونبله بالمصلحة العائدة عليه من التحلي بذلك الخلق، وليس لكونه أمرا تعبديًا أوجبه الله سبحانه وتعالى وحثّ عليه ورغَّب فيه .

٣- تميز الأخلاق الإسلامية باليسر والسهولة: وهذه الخصيصة لها أثر كبير في تقبل الأخلاق والأخذ بها، ومن الأمثلة عليها مراعاة ابن كثير للتوازن والإختلافات بين الناس ومعاملتهم بما يتناسب مع منازلهم وأقدارهم واختلاف مراتبهم ومستوياتهم فيذكر رحمه الله أن الله سبحانه « قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة »[١] ونبه أيضًا رحمه الله على « اختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جُبِلوا عليه من الإرادات والقوى وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة »[٢] وبناء على ذلك فان ابن كثير يوجه الداعية المصلح أن يأخذ ما عفا من أخلاق الناس وأعمالهم كما قال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾[٣] ، فيقول رحمه الله « عن مجاهد في قوله « خذ العفو » قال من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس، وقال هشام بن عمرو عن أبيه أمر

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١٥٠/٤ عند تفسير الآية { نحن قسمنا بينهم معيشتهم } [الزخرف ٣٢]

(٢) المرجع نفسه ٢٧٦/٤ عند تفسير الآية { وفي الأرض آيات للموقنين وفي انفسكم أفلا تبصرون } [الذاريات٢٠-٢١] .

(٣) سورة الأعراف آية ١٩٩ .

رسول الله ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس، وفي رواية خذ ما عفا لك من أخلاقهم »[1] . ومن الأمثلة أيضًا ما ذكره ابن كثير من أنه ينبغي أن يراعي الداعية والمعلم التفريق في أسلوب معاملة الجاهل ودعوته وتعلمه عن المنسوب للعلم فعندما أورد رحمه الله قصة الصديق مع الأعرابي الذي جاءه في الحج وقد قتل صيدا وهو محرم، فسأل الصديقَ عن جزاء ذلك، فشاور الصديقُ أبي بن كعب، فقال الأعرابي أتيتك وأنت خليفة رسول الله أسألك فإذا أنت تسأل غيرك، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وما تنكر ؟ يقول الله تعالى ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾[2] فشاورت صاحبي حتى إذا اتفقنا على أمر أمرناك به، فقال ابن كثير رحمه الله معلقًا على هذا الحادثة « فبيّن له الصديق الحُكمَ برفق وتؤده لما رآه أعرابيا جاهلا وإنما دواء الجهل التعليم »[3] وهذا الأسلوب الذي ذكره ابن كثير وهو مراعاة حال الجاهل والرفق في دعوته وتعليمه هو الأسلوب المناسب الذي ينبغي أن يسلكه الدعاة مع الجهال وعوام الناس، ومن الأمثلة أيضًا ما ذكره ابن كثير في كيفية أسلوب التعامل مع الزعماء والسلاطين وهو أن يكون الخطاب بالقول الليِّن كما قال سبحانه لموسى وهارون حينما أرسلهما لفرعون ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾[4] ، قال ابن كثير « هذه آية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٣٤٨.

(٢) سورة المائدة آية ٩٥ .

(٣) المرجع نفسه ٢/١٢٨ عند تفسير الآية٩٥ من سورة المائدة .

(٤) سورة طه آية ٤٣-٤٤ .

والإستكبار،وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين .. ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع »[1] .

فابن كثير رحمه الله يوجه الدعاة والمصلحين إلى فائدة هذا الاسلوب حيث أنه أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع بخلاف الاساليب التي يغلب عليها طابع العنف والمواجهة والتهييج والإثارة مما يكون له أثر سيء عكسي على الدعوة والدعاة.

٤-الأخلاق الإسلامية فطرية وجبلية من وجه ومكتسبة من وجه آخر[2]

من خصائص التربية الأخلاقية عند ابن كثير أن الأخلاق الإسلامية فطرية في الإنسان بمعنى أنه مجبول عليها، فهي فطرية وجبلية من وجه ومكتسبة من وجه آخر، فالحلم بالتحلم والعلم بالتعلم كما قال عليه الصلاة والسلام[3]،وكان من دعائه ﷺ « اللهم اهدني لأحسن الأخلاق وأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت،وجنبني أسؤأ الأعمال وأسوأ الأخلاق لا يجنبني عنها إلا أنت»[4] وقال عليه الصلاة والسلام لأشج عبد القيس « إن فيك لخلتين يحبهما الله الحلم والأناة، فقال أخلقين تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما، قال بل جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١٩٥/٣

(٢) هذا العنوان اقتبسته من الدكتور مسفر البواردي، في رسالته الدكتوراه منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله ص ٢١٦ بحث غير مطبوع .

(٣) اخرجه البخاري في كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل رقم (٦٧)

(٤) اخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل رقم (١٨١٢) .

ورسوله »[1] وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم »[2].

يقول ابن كثير عند تفسير الآية ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[3] ، « المراد بذلك ما الإنسان ... مجبول عليه من الأخلاق المتباينة من حسن وقبح »[4] ويقول عند تفسير الآية﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ ﴾[5] ، « يقول تعالى مخبرا عن الإنسان وماهو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة »[6] .. ويُمثِّل ابن كثير على بعض الأخلاق الجبلية بالشجاعة والجبن فيذكر « أن الشجاعة والجبن غرائز تكون في الرجال يقاتل الشجاع عمن لا يعرف ويفر الجبان عن أمه »[7] فالحاصل أن الأخلاق فطرية ومجبول عليها الإنسان من وجه وهي من وجه آخر مكتسبه يكتسبها الإنسان بمجاهدة نفسه وتزكيتها كما قال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[8] . يقول ابن كثير « قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله – كما قال قتادة – وطهرها من الأخلاق الدنيئة

---

(١) أخرجه مسلم بلفظ « إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة »، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين رثم (١١٧) (١١٨) .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب الإيمان ٣٣/١، طبعت دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ .

(٣) سورة فصلت ٥٣ .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٢٣/٤.

(٥) سورة المعارج آية ١٩ .

(٦) المرجع نفسه ٤٩٧/٤

(٧) المرجع نفسه ٣٨٦/١ عند تفسير الآية { فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله } [البقرة ٢٥٦] .

(٨) سورة الشمس آية ٩-١٠ .

والرذائل»[1]، وكما قال تعالى : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾[2] يقول ابن كثير « أي طهّر نفسه من الأخلاق الرذيلة وتابع ما أنزله الله على الرسول ﷺ »[3]

وابن كثير رحمه الله يرى أن الأخلاق التي يكتسبها الإنسان ويتحلى بها ما هي إلا ثمرة من ثمرات التقوى، وأثر من آثار طاعة الله وعبادته واتباع رسوله ﷺ، فالصوم مثلا يورث « زكاة النفس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاق الرذيلة والاخلاط الرديئة »[4] وكذلك اتباع الرسول ﷺ يورث زكاة النفس وطهارتها، كما قال سبحانه ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ ﴾[5].

قال ابن كثير « يُذكِّر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم عليهم من بعثة الرسول ﷺ إليهم، يتلو عليهم آيات الله مبينات ويزكيهم، أي يطهرهم من رذئل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية »[6].

فالواجب على المسلم بشكل عام والداعية إلى الله بشكل خاص أن يروض نفسه على الأخلاق الحسنة حتى تعتادها وتكون ممارستها عفوية بدون تكلف ولا تصنع، وهذا بلا شك يحتاج إلى مجاهدة ومثابرة ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٦١٣/٤,

(٢) سورة الأعلى آية ١٤ .

(٣) المرجع نفسه ٥٩٣/٤.

(٤) المرجع نفسه ٢٦٥/١ عند تفسير الآية { يا ايها الذين آمنوا كتب عليه الصيام } [البقرة ١٨٢] .

(٥) سورة البقرة آية ١٥١ .

(٦) المرجع نفسه ٢٤٤/١.

لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1] ، وكما قال عليه السلام « ومن يتعفف يعفه اللّه ومن يستغن يغنه اللّه »[2] .

(١) سورة العنكبوت آية ٦٩ .

(٢) اخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى رقم (١٤٢٧) .

الفصل الثاني

منهج ابن كثير في دعوة الناس إلى الله

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : منهجه في دعوة المسلمين

المبحث الثاني : منهجه في دعوة غير المسلمين

الفصل الثاني

منهج ابن كثير في دعوة الناس إلى الله

توطئة :

رسالة محمد ﷺ هي الرسالة الخاتمة، فلا غرو أن تكون عامة للعالمين، وكافة للناس أجمعين لأن الله سبحانه وتعالى لن يبعث نبيًا بعد محمد ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1] ، قال ابن كثير « فهذه الآية نص على أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الاولى والأحرى »[2] فإذن رسالته ﷺ عامة للناس جميعا كما قال سبحانه﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[3] ، يقول ابن كثير « وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي ... وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة »[4] .

وعلى هذا فالدعاة إلى الله مأمورون بدعوة الناس جميعا لأن قدوتهم في ذلك نبيهم ﷺ كما قال ابن كثير : « أمر الله عز وجل رسوله ﷺ أن لا يخص بالإنذار أحدًا »[5].

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤٠ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٦٠٦.

(٣) سورة الأعراف آية ١٥٨ .

(٤) المرجع نفسه ٢/٣٢١.

(٥) المرجع نفسه ٤/٥٥٥ عند تفسير الآية { أما من استغنى فانت عنه تلهى } [عبس ٥] .

وكذلك صحبه الكرام ومن سار على منهجهم واقتفى أثرهم من العلماء والدعاة والمصلحين،وابن كثير رحمه اللّه من أولئك الائمة الأعلام والمصلحين العظام الذي تربى في مدرسة الامام ابن تيمية رحمه اللّه، ثم إن العصر الذي عاش فيه كلٌ من ابن تيمية وابن كثير مشابه إلى حد كبير لحال عصرنا اليوم في تفرق المسلمين واختلافهم وتكالب الاعداء عليهم، وانتشار البدع والمنكرات بين كثير منهم، لذلك فالدعاة إلى اللّه اليوم هم بأمس الحاجة لمعرفة منهج ابن كثير في دعوته للناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وسواء كانوا من عامة الناس أو من العلماء والولاة أو من أهل البدع والمنكرات وهذا ما سنتحدث عنه في هذا الفصل ان شاء اللّه .

المبحث الأول

منهجه في دعوة المسلمين

مر معنا في خصائص منهج الدعوة إلى الله عند ابن كثير شمول منهج ابن كثير في الدعوة إلى الإسلام، فقد اعتنى في دعوته بالعقيدة والشريعة والعبادة وكذا قضايا المجتمع وأحداثه ودعوة الطوائف والفرق ودعوة المرأة ونحوهم .

وفي هذا المبحث سنتعرض لدعوته المسلمين سواء كانوا من عامة الناس أو من العلماء والولاة ومن أهل البدع والمنكرات والنفاق .

المطلب الأول

منهجه في دعوة عامة الناس

عامة الناس هم أكثر أصناف المدعوين من المسلمين فهم الأغلبية من الناس حيث أن منهم الفقراء والضعفاء ونحوهم ممن يعمل في أنواع الحرف وسائر المهن[١] .

ومنهم كما يعبر عنهم ابن كثير بالهمج والرعاع الذين هم اتباع كل ناعق[٢] ومنهم الشباب والاطفال والنساء[٣] .

ويغلب على هذا الصنف من الناس أنهم أسرع استجابة من غيرهم للخير وقبول الحق[٤] .

وهذا راجع إلى سلامة فطرهم وأصالة الخير في نفوسهم ويمكن تصنيفهم من حيث قوة التزامهم للإسلام وضعفه ومن حيث معرفتهم للإسلام وجهله إلى ثلاثة اقسام : ١- ظالم لنفسه ٢- مقتصد ٣- سابق بالخيرات.

كما قال سبحانه ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾[٥]

---

(١) انظر منهج ابن كثير وجهوده في الدعوة إلى الله، إبراهيم بن مرشد المرشد ص ٦٤٨ رسالة دكتوراه ، بحث لم يطبع .

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٤٠/١٨ في احداث سنة ٧١٤هـ

(٣) انظر الدعوة الإسلامية للدكتور محمد زين الهادي العرمابي ص ١٢٤ .

(٤) انظر منهج ابن كثير للمرشد ص ٦٤٨.

(٥) سورة فاطر آية ٣٢ .

فالظالم لنفسه هو « المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات »[1] والمقتصد هو « المؤدي للواجبات التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل المكروهات » [2] . والسابق بالخيرات هو « الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات »[3] .

وعلى ضوء تعريف ابن كثير لهذه الأصناف فان منهجه في دعوة عامة الناس تتلخص في النقاط التالية :

١- القيام بدعوة كل صنف حسب حاله وموقفه من الاستجابة إلى الحق والالتزام به، فالسابق إلى الخيرات والمستقيم على الطاعة تكون دعوته بأن يكثر من الطاعات ويزداد من الخيرات كما قال سبحانه﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[4] ، يقول ابن كثير « أي حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه، فعياذا بالله من خلاف ذلك » [5].

يقول سبحانه﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٦٨٠.

(٢) المرجع نفسه ٣/٦٨٠.

(٣) المرجع نفسه ٣/٦٨٠.

(٤) سورة آل عمران آية ١٠٢ .

(٥) المرجع نفسه ١/٤٧٥.

ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[1]، يقول ابن كثير « يأمر عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والإستمرار عليه »[2] .

والظالم لنفسه بالحرص والمبادرة بالتوبة والرجوع إلى الله والإنابة إليه والإقلاع عن المعاصي والآثام كما قال سبحانه ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾[3] ، يقول ابن كثير « أي كل من تاب إليّ تبت عليه من أي ذنب كان ... وقوله ثم اهتدى أي لزم الإسلام حتى يموت »[4] .

وأما المقتصد فيكون بدعوته إلى الثبات على الطاعة وتجنب المعصية، وأن يترقى بحالة إلى حال المتقين السابقين بالخيرات كما قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[5]، يقول ابن كثير « يخبر تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر وتركوا ما عنه زجر، أنهم « إذا مسهم » أي أصابهم « طائف » منهم من فسره بالهم بالذنب ومنهم من فسره بإصابة الذنب وقوله « تذكروا » أي عقاب الله وجزيل ثوابه ووعده ووعيده فتابوا وأنابوا واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب « فإذا هم مبصرون » أي قد استقاموا ومحو مما كانوا فيه[6] .

---

(١) سورة النساء آية ١٣٦ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٩٠/١.

(٣) سورة طه آية ٢٢ .

(٤) المرجع نفسه ٢٠٤/٣.

(٥) سورة الأعراف آية ٢٠١ .

(٦) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٥٠/٢.

فالدعاة إلى الله عليهم أن يستفيدوا من هذا التصنيف ومن هذا المنهج العاطفي في الحرص على دعوة الناس والمنهج العقلي في مراعاة أحوالهم ودعوة كل صنف حسب حاله .

٢- من الأمور التي يحرص عليها ابن كثير مع المدعوين تذكيرهم بفائدة صحبة الأخيار وتحذيرهم من دعاة السوء والأشرار فيقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[1] « والمراد بهذا كل فرد من آحاد الأمة أن لا يجلسوا مع المكذبين الذين يُحَرِّفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها فإذا جلس أحد منهم ناسيا ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ أي بعد التذكر[2] .

ويقول عند تفسير الآية ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾[3] (هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها ، والدعاة الذين يدعون إلى الله عز وجل، كمثل رجل ضل عن الطريق إذ ناداه مناد « يا فلان بن فلان هلم إلى الطريق)، وله أصحاب يدعونه « يافلان هلم إلى الطريق)، فإذا اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة، وان أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق»[4] . وقد لفت رحمه الله النظر إلى فائدة صحبة الأخيار في قصة أهل الكهف الذين صحبهم كلبهم لما خرجوا إلى الغار فقال « وشملت كلبهم

---

(١) سورة الأعراف آية ٦٨ .

(٢) المرجع نفسه ١٨٤/٢.

(٣) سورة الأنعام ٣١ .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ١٨٥/٢.

بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال وهذه فائدة صحبة الاخيار فإنه صار لهذا الكلب ذِكْرٌ وخبر وشأن »[1] .

٣- دعوة ابن كثير للمرأة والشباب والأطفال .

فمن أصناف المدعوين من عامة الناس النساء والشباب والأطفال وقد اعتنى ابن كثير بدعوتهم وتوجيههم، فحرص على بيان طبيعة المرأة وعلاقتها بالرجل وتكريم الإسلام لها وإعطائها حقوقها وصيانتها من التبرج والسفور والاختلاط ومنع السبل المؤدية إلى فتنتها وإيذائها ونحو ذلك مما ذكرناه مفصلا عند الحديث عن شمول دعوة ابن كثير للمرأة.

وأما الشباب فهم عند ابن كثير يختلفون عن غيرهم من أصناف المدعوين في سرعة الاستجابة للدعوة وتقبل الخير لأن الشباب في نظر ابن كثير « اقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين عتوا وعسوا في دين الباطل ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله شبابا ،وأما المشائخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يُسْلم منهم إلا القليل » [2]، ولذلك اعتنى ابن كثير في تفسيره بدعوة الشباب وتوجيههم وذكر مواقفهم الإيمانية، وسيرهم البطولية، وتفانيهم في البذل والتضحية، كما حرص على نصحهم وتوجيههم،وبيَّن لهم طبيعة المرحلة التي يعيشونها وهي مرحلة الشباب وما فيها من العثرات والزلات وحذَّرهم من ذلك، حيث أورد كلام عمر رضي الله عنه للشاب قبيصة بن جابر حينما قال له : « يا

---

(١) المرجع نفسه ٣/٩٨.

(٢) المرجع نفسه ٣/٩٦ عند تفسير الآية { إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى } (الكهف ١٣) .

قبيصة بن جابر إني أراك شاب السن فصيح الصدر بيّن اللسان وإن الشاب فيه تسعة أخلاق حسنة وخلق سيء فإياك وعثرات الشباب »[1] .

ومن المواقف الجميلة التي ذكرها ابن كثير في تفسيره عن الشباب قصة إسماعيل عليه السلام مع أبيه إبراهيم لَّما أمره اللّه بذبحه فلم يتردد ولم يتلكأ بل قال ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﴾[2] [3] وكذلك قصة شباب أهل الكهف حينما « توافقوا كلهم على كلمة واحدة فصاروا يدا واحدة وإخوان صدق فاتخذوا لهم معبدا يعبدون اللّه فيه » [4].

وكذلك قصة عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبي بن سلول لما وقف عند مدخل المدينة ومنع أباه من الدخول إليها إلا بإذن من الرسول ﷺ . فقال له أبوه، مالك؟ ويلك! فقال واللّه لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول اللّه ﷺ فإنه العزيز وأنت الذليل »[5] .

وكذلك موقف الغلام الذي قتله ملك نجران ليرده عن دينه فأبى، في قصة أصحاب الاخدود[6]، وغيرها من المواقف المتعددة الذي ذكرها ابن كثير في تفسيره، وهناك مواقف عملية لابن كثير نفسه في دعوة الشباب وتعليمهم العلم وامتحانهم وإجازتهم وقد ذكرها في كتابه البداية والنهاية [7].

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١٢٨/٢.

(٢) سورة الصافات ١٠٢ .

(٣) المرجع نفسه ٢٠/٤.

(٤) المرجع نفسه ٩٥/٣-٩٦ .

(٥) انظر المرجع نفسه ٤٣٩/٤.

(٦) انظر المرجع نفسه ٥٨٣/٤.

(٧) انظر البداية والنهاية ٤٨٨/١٨، في احداث سنة ٧٤٧هـ، ٦٥٨/١٨ في احداث ٧٦٣هـ .

وأما الاطفال : فقد ذكر رحمه الله جملة من الاداب والاساليب المناسبة لتوجيههم وتربيتهم التربية المناسبة لهم، فمن ذلك مثلا :

-تعويدهم على الاستئذان عند الدخول كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ (إلى قوله) وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ﴾[1] ، قال ابن كثير «يعني إذا بلغ الأطفال الذين إنما كانوا يستأذنون في العورات الثلاث إذا بلغوا الحلم وجب عليهم أن يستأذنوا على كل حال، يعني بالنسبة إلى أجانبهم والى الأحوال التي يكون الرجل فيها مع أهله وإن لم يكن في الأحوال الثلاث »[2].

-تعويدهم على العبادة وتمرينهم عليها، يقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾[3] « وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه الامام أحمد .. قال رسول الله ﷺ « مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها » .. قال الفقهاء وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمرينا له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر والله الموفق »[4] .

---

(1) سورة النور آية ٥٨-٥٩ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٧٨/٣، والحديث أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة رقم (٤٩٤) والترمذي كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الصبي بالصلاة رقم (٤٠٧) .

(3) سورة التحريم آية ٦ .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٦١/٤.

-منعهم من اللعب والعبث في المساجد، يقول ابن كثير عند تفسير الآية ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾[1] «وفي الحديث « جنبوا مساجدكم صبيانكم » وذلك لانهم يلعبون فيه ولا يناسبهم وقد كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا رأى صبيانا يلعبون في المسجد ضربهم بالمخفقة وهي الدرة »[2].

وغيرها من الآداب والتوجيهات التربوية المناسبة للأطفال[3] والتي ينبغي على الدعاة والمربون أن يراعوها في تربية الأطفال وتنشئتهم تنشئة إسلامية صحيحة[4].

---

(١) سورة النور آية ٣٦ .

(٢) المرجع نفسه ٣٦٥/٣، والحديث أخرجه ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب ما يره في المساجد رقم (٧٥٠)

(٣) انظر المرجع نفسه ٥٩٥/٣ عند تفسير الآية { إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس } [الاحزاب ٣٣]، ٤٢٢/٤ عند تفسير الآية { يا ايها الذين امنوا لم تقولون مالا تفعلون } [الصف ٢]، ٤٦٦/٤ عند تفسير سورة الملك .

(٤) للاستزادة انظر الدعوة الإسلامية الاستيعاب والشمول للدكتور محمد زين الهادي العرمابي ص ١٢٤ – ١٣٥، مرجع سابق، ومنهج تقديم الدعوة للمؤلف نفسه ص ٣١-٤٣ طبعت مركز الكتاب للنشر – القاهرة ١٩٩١م.

المطلب الثاني

منهجه في دعوة العلماء

العلماء هم ورثة الأنبياء كما قال عليه الصلاة والسلام « إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر »[1] .

فالعلماء ورثوا عن الأنبياء العلم فهم يحملونه في صدورهم ويعملون به ويدعون الناس إليه، والعلماء هم أئمة الدين الذين « يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»[2] كما قال سبحانه ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[3]، قال ابن كثير : « كما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوسا، قال بعض العلماء : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين »[4] .

فالعالم له منزلة كبيرة ومكانة عظيمة وفي نفس الأمر عليه مسئولية جسمية، ولذلك اعتنى الإمام ابن كثير بحق العلماء وبيان منزلتهم وفضلهم والتذكير بواجبهم ومسئوليتهم المناطة بهم كتعليم الناس وتوجيههم ودعوتهم إلى الخير وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وكواجب النصح للأمراء

---

(١) وهو جزء من الحديث الذي اخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم باب ما جاء في الحث على طلب العلم رقم (٣٦٤١).

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٧٢/٣

(٣) سورة السجدة آية ٢٤ .

(٤) المرجع نفسه ٥٧٢/٣.

والحكام وارشادهم لما فيه خير البلاد والعباد، وغير ذلك مما أورده ابن كثير في تفسيره مما سنذكره حسب النقاط التالية :

١. ابراز مكانة العلماء ومنزلتهم وفضلهم، فهم من أولي الأمر الذين امر الله بطاعتهم، لأن طاعتهم طاعة لله ورسوله ﷺ، كما قال سبحانه : ﴿ وأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[١]، قال ابن كثير « وأولي الأمر منكم، يعني العلماء، والظاهر والله أعلم أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء »[٢] وبفقد العلماء وموتهم يحصل خراب الأرض وفسادها، قال ابن كثير عند تفسير الآية ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾[٣] « قال ابن عباس في رواية خرابها بموت فقهائها وعلمائها وأهل الخير فيها وكذا قال مجاهد أيضًا هو موت العلماء »[٤] كما أن فساد العلماء هو فساد للناس « فإن الناس عالة على العلماء وعلى العبَّاد وعلى أرباب الأموال، فإذا فسد هؤلاء فسدت أحوال الناس »[٥] ولذلك يُحَذِّر ابن كثير من علماء السوء وعبَّاد الضلالة، فقال عند تفسير الآية ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ

---

(١) سورة النساء آية ٥٩ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٣٣/١

(٣) سورة الرعد آية ٤١ .

(٤) المرجع نفسه ٦٤٢/٢.

(٥) المرجع نفسه ٤٣٤/٢، عند تفسير الآية ٣٥ من سورة التوبة : { يوم يحمى عليها في نار جهنم ... } .

وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1] « والمقصود التحذير من علماء السوء وعبَّاد الضلال، كما قال سفيان بن عيينه « من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى » [2].

٢. توجيه العلماء ونصحهم بعدم مخالفة الحق الذي يعلمونه وأهمية نشر العلم وبذله وعدم كتمانه لأن اللّه سبحانه حذَّر من مخالفة الحق الذي علمه العالم إلى الهوى (فان العالم الحجة عليه أقوم من غيره ولهذا قال مخاطبا للرسول ﷺ والمراد به الأمة ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[3] . وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[4] قال ابن كثير « وفي هذا تحذير للعماء أن يسلكوا مسلكهم يعني أهل الكتاب – فيصيبهم ما أصابهم ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا مافي أيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئا، فقد ورد في الحديث المروي من طرق

---

(١) سورة التوبة آية ٣٤ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٣٤/٢ .

(٣) سورة البقرة آية ١٤٥, التفسير ٢٤٢/١

(٤) سورة آل عمران آية ١٨٧ .

متعددة عن النبي ﷺ أنه قال من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار »[1] .

٣. من الأمور التي أوصى بها ابن كثير العلماء خشية الله، فمن صفات العلماء أنهم يخشونه سبحانه كما قال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾[2] قال ابن كثير « إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية ... وعن مالك رحمه الله قال : إن العلم ليس بكثرة الرواية وانما العلم نور يجعله الله في القلب، قال أحمد بن صالح المصري[3] معناه أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية، وأما العلم الذي فرض الله عز وجل أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من أئمة المسلمين، فهذا لا يدرك إلا بالرواية،ويكون تأويل قوله (نور) يريد فهم العلم ومعرفة

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٣٣/١ والحديث أخرجه أبو داود، كتاب العلم باب كراهية منع العلم رقم (٣٦٥٨)، والترمزي، كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم رقم (٢٦٤٩)، وابن ماجه باب من سئل عن علم فكتمه رقم (٢٦٦) .

(٢) سورة فاطر آية ٢٨ .

(٣) هو أحمد بن صالح أبو جعفر المصري المعروف بابن الطبري، حافظ زمانه بالديار المصرية، وكان رأسًا في هذا الشأن، قل أن ترى العيون مثله مع الثقة والبراعه، ولد بمصر سنة سبعين ومئة، وسار إلى اليمن وأكثر من الحديث عن عبد الرزاق، توفي سنة ٢٤٨هـ (سير أعلام النبلاء ١٦٠/١٢) .

معانية »[1] ومما أوصى به ابن كثير العلماء الصبر على أوامر الله وترك نواهيه وزواجره، لان هذا يجعل العالم إماما يهتدى به، كما قال سبحانه ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] أي لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك نواهيه وزواجره، وتصديق رسله واتباعهم فيما جاءوا به، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »[3] .

٤. تحذير العلماء من اتباع سبيل الضلالة كما قال سبحانه : ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[4]، يقول ابن كثير « وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبيل أهل الضلالة بعدما صاروا من سلوك السنة النبوية، والمحجة المحمدية على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام» [5].

٥. إن ابن كثير وهو الامام الحافظ العالم قام بتطبيق هذه الوصايا والتوجيهات وحوَّلها إلى منهج عملي ملموس من خلال احترامه للعلماء وثنائه عليهم وإنصافه لهم ودفاعه عنهم ومشاركته لهم في التدريس والإفتاء، وما يقومون به من أنشطة علمية واجتماعية وسياسية ونحو

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٧٩/٣

(٢) سورة السجدة آية ٢٤ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٧١/٣-٥٧٢ .

(٤) سورة الرعد آية ٣٧ .

(٥) المرجع نفسه ٦٣٩/٢.

ذلك مما هو مبسوط في تاريخه البداية والنهاية ومن ذلك على سبيل المثال :

- دفاعه عن علماء عصره وثناؤه عليهم، كابن تيمية[١] والمزي[٢] وابن القيم[٣] وغيرهم .
- إنصافه لهم والتماس العذر لهم كما فعل مع السبكي[٤] .
- مشاركته لهم في عقد المناظرات[٥] والمناقشات العلمية وإجراء الإمتحان للطلبة وإجازتهم[٦] .
- التعاون معهم في مناصحة الولاة والأمراء[٧]، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٨]، والرد على الزنادقة وأهل البدع[٩] والمنكرات، وغير ذلك من المواقف التي توضح منهج ابن كثير في التعامل مع العلماء ودعوتهم واحترامهم وانصافهم وابراز مكانتهم والاخذ عنهم، والاستفادة من علمهم، والدعاة إلى الله اليوم هم بأمس

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٨/٥٣، ١٨/٢٤٧، ١٨/ ٢٥٦، ١٨/ ٢٥٨، ١٨ /٢٧٠، ١٨/٢٧١، ١٨/٢٩٣، ١٨/٢٩٨.

(٢) المرجع نفسه ١٨/١٨١.

(٣) المرجع نفسه ١٨/٥٢٣.

(٤) المرجع نفسه ١٨/٤٥٤، ١٨/٧٠٨.

(٥) المرجع نفسه ١٨/٦٨٨.

(٦) المرجع نفسه ١٨/٦٦١

(٧) المرجع نفسه ١٨/٦٣١، ١٨/٥٨٧.

(٨) المرجع نفسه ١٨/٧٠٦.

(٩) المرجع نفسه ١٨/٤٢٣، ١٨/٥٦١.

الحاجة إلى مثل هذا المنهج الدعوي في التعامل مع العلماء الذي يشمل المناهج الدعوية المختلفة، فقد استخدم رحمه الله المنهج العاطفي في تذكير العلماء بالله وخشيته والإنابة إليه وعدم مخالفة أوامره والصبر على ذلك، والمنهج العقلي بتقرير وجوب طاعة العلماء بالمعروف لانهم من أولي الأمر، وان فساد العلماء وضلالتهم هو بالضرورة فساد الناس وضلالهم، وكذلك المنهج الحسي بمشاركتهم في عقد المناظرات والمناقشات والتعاون معهم في مناصحة ولاة الأمر والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما ذكرناه .

المطلب الثالث

منهجه في دعوة الولاة

الولاة جمع وال، وهو كل من ولي أمرًا أو قام به، وولي العهد وراث الملك، وولي المرأة من يلي عقد النكاح عليها ولا يدعها تستبد بعقد النكاح من دونه، وولي اليتيم الذي يلي أمره ويقوم بكفالته[1] .

والولاة « هم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام »[2]

ويراد بالولاة عند ابن كثير الأمراء والعلماء، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[3] « وأولى الأمر منكم يعني العلماء والظاهر و الله أعلم أنها عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء »[4] .

وكما أنه رحمه الله اعتنى بأمر العلماء لأنهم من أولي الأمر الذين تجب طاعتهم بالمعروف لأنها من طاعة الله ورسوله فكذلك الولاة أيضًا هم من أولي الأمر الذين تجب طاعتهم بالمعروف لأنها من طاعة الله ورسوله، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[5]، وقد كان منهجه

---

(١) انظر المعجم الوسيط لإبراهيم أنيس وزملائه ص١٠٥٨ .

(٢) الفتاوى لابن تيمية ١٧٠/٢٨ .

(٣) سورة النساء آية ٥٩ .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٣٣/١ .

(٥) سورة النساء آية ٥٩ .

رحمه الله مع الولاة قريبًا من منهجه مع العلماء في الدعاء لهم وبذل النصيحة واحترامهم ونحو ذلك مما هو متوجه إلى المنهج العاطفي، وأهمية وجود الامام وضرورة تعيينه وإن طاعتهم في غير معصية من طاعة الله وهو ما يتوجه إلى المنهج العقلي، والحديث عن شروط الامامة وأهمية مناصحة الامراء وزيارتهم وتوجيههم وارشادهم إذا تيسر ذلك مما يتوجه إلى المنهج الحسي .

وسنتناول في هذا المطلب بعض ما ذكره ابن كثير في تفسيره عن حقوق ولاة الأمر ووجوب طاعتهم بالمعروف، وضرورة نصب الإمام وتعينه ومبايعته على السمع والطاعة، وعدم جواز نكث هذه البيعة ، وكذلك حقوق الراعي على رعيته، وحقوق الرعية على الراعي، وأهمية مناصحة السلطان، والأسلوب الأمثل في ذلك، وغيرها من المسائل المهمة التي تعرَّض لها ابن كثير فمن ذلك :

١. أكد ابن كثير على أهميتة وجود الإمام وضرورة تعينه، حيث أن تطبيق شرع الله وإقامة حدوده ونصرة دينه مرتبط بوجود سلطان وإمام حاكم، فقال عند تفسير الآية : ﴿وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾﴾[1] « وقال قتادة .... أن نبي الله ﷺ عَلِمَ أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان،فسأل سلطانًا نصيرًا لكتاب الله ولحدود الله، ولفرائض الله، ولإقامة دين الله، فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدُهم ضعيفَهم، وقال مجاهد : ﴿ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾ حجة مبينه واختار ابن جرير ... قول قتادة وهو الأرجح لأنه لا بد مع الحق من قهر لمن عاداه

---

(١) سورة الإسراء آية ٨٠ .

وناواه، ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ﴾[1] ، وفي الحديث : « إن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن »[2] أي يمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام مالا يمتنع كثير من الناس بالقرآن، وما فيه من الوعيد الأكيد، والتهديد الشديد وهذا هو الواقع »[3] . وقال رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[4] ، «وقد استدل القرطبي وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ليفصل بين الناس فيما يختلفون فيه، ويقطع تنازعهم وينتصر من ظالمهم، ويقيم الحدود، ويزجر عن تعاطي الفواحش إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا يمكن إقامتها إلا بالإمام وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب »[5] .

٢. وجوب طاعة ولاة الأمر إذا أمروا بطاعة الله، لأن طاعتهم من طاعة الله ورسوله، وطاعة الله ورسوله واجبة، فمن أطاع الأمير فقد أطاع الرسول ﷺ، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله لقوله تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ

---

(١) سورة الحديد آية ٢٥ .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد باسناده إلى عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال : « ما يزع الإمام أكثر ما يزع القرآن » ١١٨/١، طبعت مكتبة السوادي جدة، بدون تاريخ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٧٧/٣ .

(٤) سورة البقرة آية ٣٠ .

(٥) المرجع نفسه ٩٣/١ .

ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾[1] ، يقول ابن كثير : « يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأنه من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله .... وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني»[2] ، ويقول أيضًا عند تفسير الآية : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ ﴾[3]، « وقال قتادة في هذه الآية ﴿ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ ﴾ ذُكر لنا أن عباده بن الصامت رضي الله عنه وكان عقبيًا – شهد بيعة العقبة – بدريًا أحد نقباء الأنصار، أنه لما حضره الموت قال لابن أخته جنادة[4] بن أبي أمية : ألا أنبئك بماذا عليك ولك ؟، قال : بلى، قال: فإن عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك، وعليك أن تقيم لسانك بالعدل، وألا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمروك بمعصية الله بواحًا، فما أمرت به من شيء يخالف كتاب الله فاتبع كتاب الله، وقال قتادة : وذكر لنا أن أبا الدرداء رضي الله عنه قال : لا إسلام إلا بطاعة الله، ولا خير إلا في جماعة، والنصيحة لله

---

(1) سورة النساء آية ٨٠ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٤٥/١، والحديث متفق عليه، واخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به رقم (٢٩٥٦)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية رقم (١٨٣٥).

(3) سورة النور آية ٥١ .

(4) جنادة بن أبي أمية الأزدي الدوسي، من كبراء التابعين، ولي جنادة غزو البحر لمعاوية وشهد فتح مصر وأدرك الجاهلية والاسلام، توفي سنة ثمانين (سير أعلام النبلاء ٦٢/٤) .

ولرسوله، وللخليفة وللمؤمنين عامة، قال وقد ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقول عروة الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين والأحاديث والآثار في وجوب الطاعة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وللخلفاء الراشدين والأئمة إذا أمروا بطاعة الله كثيرة جدًا أكثر من أن تحصر في هذا المكان »[1] .

٣. من حقوق ولاة الأمر على رعيتهم طاعتهم بالمعروف وعدم الخروج عليهم ومعاونتهم وبذل النصيحة لهم والدعاء لهم بالصلاح والتوفيق لما يحبه الله ويرضاه، ومن حقوق الرعية على ولاة الأمر، الرفق بهم والنظر في مصالحهم وعدم غشهم والعدل والإحسان بينهم وحماية عقائدهم وأخلاقهم والدفاع عن بلادهم وحوزة دينهم،ولما قرأ عمر بن عبد العزيز – وهو يخطب على المنبر – قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[2] قال : ألا إنها ليست على الوالي وحده، ولكنها على الوالي والمولى عليه، ألا أنبئكم بما يتم على الوالي من ذلكم وبما للوالي عليكم منه ؟ إن لكم على الوالي من ذلكم أن يؤاخذكم بحقوق الله عليكم وأن يأخذ لبعضكم من بعض، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة[3]، ولا المستكره بها، ولا

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٣٧٢ .

(٢) سورة الحج آية ٤١ .

(٣) معنى المبزوزة : المغلوبه، أنظر المعجم الوسيط ص٥٤ .

المخالف سرها علانيتها »[1] . ومن حقوق الرعية على الولاة أن يحكموا بينهم بالعدل لقوله تعالى : ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾[2] ، يقول ابن كثير : «أمر منه بالحكم بالعدل بين الناس، ولهذا قال محمد[3] بن كعب وزيد بن أسلم وشهر[4] بن حوشب : إنما نزلت في الأمراء، يعني الحكام بين الناس ، وفي الحديث : (إنّ اللّه مع الحاكم ما لم يجر، فإذا جار وكله اللّه إلى نفسه) »[5]، ومن حقوق الولاة على الرعية عدم نكث وخلع بيعتهم لقوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾[6] ، يقول ابن كثير : « هذه البيعة التي بايعهم على الإسلام ... وقال الإمام أحمد ..... عن نافع قال لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم تشهد ثم قال : أما بعد فإنا قد بايعنا هذا الرجل على بَيْع اللّه ورسوله ﷺ، وإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، فيقال هذا غدرة فلان، وإن من أعظم

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٨٥/٣ .

(٢) سورة النساء آية ٥٨ .

(٣) محمد بن كعب بن سليم القرظي المدني، كان ثقة عالما كثير الحديث ورعاص من أئمة التفسير ومن أوعية العلم وكان ذا عبادة وصلاح، توفي سنة ١٠٨هـ (سير أعلام النبلاء ٦٥/٥-٦٨) .

(٤) شهر بن حوشب الأشعري فقيه مقرئ شامي الأصل سكن العراق ولي بيت المال مدة، مات سنة ١٠٠هـ (شذرات الذهب لابن العماد ١١٩/١) .

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٣١/١، والحديث أخرجه البيهقي، كتاب آداب القاضي، باب فضل من ابتلي بشيء من الأعمال فقام فيه بالقسط وقضى بالحق ٨٨/١٠، طبعت دار المعرفة بيروت ١٤١٣هـ، واخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الأحكام ٩٢/٤، طبعت دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ .

(٦) سورة النحل آية ٩٢ .

الغدر – إلا أن يكون الإشراك بالله – أن يبايع رجل رجلًا على بَيْع الله ورسوله ثم ينكث بيعته فلا يخلعن أحدكم منكم يزيد ولا يُسرفن أحد منكم في هذا الأمر فيكون صيلم[1] بيني وبينه»[2] .

ومن حقوق الولاة إحترامهم وعدم إهانتهم، واستخدام الأسلوب الأمثل والأرفق في مخاطبتهم ونصحهم والإنكار عليهم، قال ابن كثير : « وفي الحديث ... أن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وذي السلطان»[3]، وقال عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾[4] (هذه الآية فيها عبرة وعظة وهو أن فرعون في غاية العتو والإستكبار،وموسى صفوة الله من خاقه آن ذاك،ومع هذا أُمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين ... ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع»[5]، ومن حقوق الرعية على الولاة عدم تتبع عوراتهم حتى لا يفسدوهم يقول ابن كثير عند تفسير الآية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾[6]، « و قال سفيان الثوري ..... عن معاوية قال سمعت النبي ﷺ يقول : (إنك إن اتبعت عورات

---

(1) الصليم : أي القطيعة، انظر المعجم الوسيط ٥٢١ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٧٢١/٢ .

(3) المرجع نفسه ٣٣٢/٤، عند تفسير الآية : { تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام } (الرحمن ٨٧)، والحديث أخرجه أبو داود، كتاب الآدب، باب في تنزيل الناس منازلهم رقم (٤٨٤٣) .

(4) سورة طه آية ٤٤ .

(5) المرجع نفسه ١٩٥/٣ .

(6) سورة الحجرات آية ١٢ .

النـــاس أفســـدتهـــم أو كـــدت أن تـــفســـدهـــم) [1]، فقال أبو الدرداء[2] كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ نفعه الله بها، وعن أبي أمامه[3] عن النبي ﷺ قال : " إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم " »[4].

٤. ذكر الإمام ابن كثير بعض الأحكام والتوجيهات المتعلقة بالولاة منها :

- كيفية اختيار الامام وتعينه فقد ذكر « أن الإمامة تنال بالنص كما بقوله طائفة من أهل السنة في أبي بكر أو بالايحاء إليه كما يقوله آخرون منهم، أو باستخلاف خليفة آخر بعده، كما فعل الصديق في عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما. أو تركه شورى في جماعة صالحين لذلك، كما فعل عمر، أو باجتماع أهل الحل والعقد على مبايعته أو مبايعة واحد منهم له، فيجب التزامها عند الجمهور، وحكى على ذلك إمام الحرمين الاجماع، أو بقهر

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الآدب، باب في التجسس رقم (٤٨٨٨).

(٢) هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو الدرداء الإمام القدوة قاضي دمشق وصاحب رسول الله ﷺ وحكيم هذه الأمة، توفي سنة ٣٢هـ (سير أعلام النبلاء ٢/٣٣٥، طبعت مؤسسة الرسالة ط١١، ١٤٢٢هـ) .

(٣) أبو أمامة صدي بن عجلان بن وهب الباهلي، صحابي كان مع علي في صفين وسكن الشام فتوفي في أرض حمص، وهو أخر من مات من الصحابة بالشام سنة ٨١هـ (الأعلام ٣/٢٠٣) .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٢٥٠-٢٥١، والحديث أخرجه أبو داود كتاب الأدب، باب في التجسس رقم (٤٨٨٩) .

واحدٌ الناس على طاعته فتجب لئلا يؤدي ذلك إلى الشقاق والاختلاف »[1] .

- من شروط الإمامة أن الإمام يجب أن يكون ذكرا حرا بالغا عاقلا مسلما عدلا مجتهدا بصيرا سليم الأعضاء خبيرا بالحروب والآراء قرشيا على الصحيح، ولا يشترط الهاشمي، ولا المعصوم من الخطأ خلافا لغلاة الروافض، ولو فسق الامام هل ينعزل أم لا؟ فيه خلاف والصحيح لا ينعزل لقوله عليه الصلاة والسلام « إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان »[2] ..... وحكى إمام الحرمين عن الاستاذ أبي اسحاق، أنه جوّز نصب إمامين وأكثر إذا تباعدت الأقطار واتسعت الأقاليم ... قلت وهذا شبه حال خلفاء بني العباس بالعراق والفاطميين بمصر وغيرهم بالمغرب»[3] .

- ومن الأحكام التي ذكرها ابن كثير أن إقامة الحدود ترجع إلى الإمام أو نائبه وليس إلى آحاد الرعية، فيقول عند تفسير الآية ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا ﴾[4] « يقول تعالى : ليس لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن بوجه من الوجوه كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : لا يحل دم امريء مسلم يشهد

---

(1) المرجع نفسه ٩٣/١، عند تفسير الآية { وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفه } [البقرة ٣٠].

(2) اخرجه البخاري كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ : « سترون بعد أمورًا تنكرونها » رقم (٧٠٥٦) .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٩٤/١ عند تفسير الآية { وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة} (البقرة ٣٠)

(4) سورة النساء آية ٩٢ .

أن لا اله إلا اللّه وأني رسول اللّه إلا بإحدى ثلاث، النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة »[1] . ثم إذا وقع شيء من هذه الثلاث فليس لأحد من آحاد الرعية أن يقتله، وإنما ذلك إلى الامام أو نائبه [2].

- ومن الاحكام التي ذكرها ابن كثير أن الحدود إذا رفعت للسلطان فيجب أن تقام ولا تعطل فقال عند تفسير الآية : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[3] «قال مجاهد إقامة الحدود إذا رفعت إلى السلطان فتقام ولا تعطل، وكذا روي عن سعيد بن جبير وعطاء ابن أبي رباح وقد جاء في الحديث « تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب »[4] .

- ومن التوجهات التي ذكرها ابن كثير للولاة عدم اتخاذ أهل الذمة بطانة من دون المؤمنين، فقال عند تفسير الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ ﴾[5]، « أي من غيركم من أهل الاديان، وبطانة الرجل خاصة أهله الذي يطلعون على داخلة أمره، وقد روى

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى { أن النفس بالنفس والعين بالعين ... } رقم (٦٨٧٨)، ومسلم كتاب الفساق والمحاربين، باب ما يباح به دم المسلم رقم (٤٣٧٥) .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٥١/١

(٣) سورة النور آية ٢ .

(٤) المرجع نفسه ٣٢٨/٣، والحديث أخرجه أبو داود كتاب الحدود، باب يُعفى عن الحدود ما لم تبلغ السلطان (٤٣٧٦) .

(٥) سورة آل عمران آية ١١٨ .

البخاري والنسائي وغيرهما ... عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال « ما بعث الله من بني ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله »[1] ... قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إن هاهنا غلاما من أهل الحيرة حافظ كاتب، فلوا اتخذته كاتبا؟ قال إتخذت إذًا بطانة من دون المؤمنين، ففي هذا الأثر مع هذه الآية دلالة على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين واطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب »[2] .

- ويرى ابن كثير أن الاستقامة على الدين هي سبب أمن الولاة واستقرارهم وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن المسلمين كانوا « آمنين في امارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا، فأدخل عليهم الخوف فاتخذوا الحجزة[3] والشرطة وغيروا فغير بهم »[4] .

وأخيرًا فالذي يقرأ كتاب البداية والنهاية يجد الممارسة العملية للإمام ابن كثير من خلال اتصاله بالولاة والقيام بنصحهم وارشاهدهم وتقديم العون لهم

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته رقم (٧١٩٨)، والنسائي كتاب البيعة، باب بطانة الإمام رقم (٤٢٠٨) .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٨٧/١، ٤٨٨

(٣) الحجزة جمع حاجز وهم الذين يمنعون بعض الناس من بعض ويفصلون بينهم بالحق، القاموس المحيط (فصل الحاء باب الزاي) ص٥٠٧، طبعت مؤسسة الرسالة بيروت ط٦، ١٤١٩هـ .

(٤) المرجع نفسه ٣٧٥/٣ .

ومشاركتهم في الاحداث والمناسبات الإجتماعية والسياسية[1] إلى غير ذلك من الآداب والأحكام والضوابط الشرعية في معاملة الحكام مما ذكره ابن كثير أو قام هو بممارسته عمليا مع الولاة، والتي يتعين على الدعاة إلى الله – لا سيما في هذا العصر – أن يدركوا هذا المنهج الصحيح في معاملة الحكام حتى تكون دعوتهم إلى الله على بصيرة وعلى المنهج الذي سار عليه السلف الصالح، وحتى لا تضيع جهودهم سدى، فمما لا شك فيه أن معرفة هذه الاحكام الشرعية في هذا الباب – مما لا مجال للحديث عنه هنا – يؤدي بإذن الله إلى أن يسير قطار الدعوة في طريق آمن من العوائق والمخاطر والانحرافات وإن كان طبيعة طريق الدعوة ليس مفروشا بالورود والرياحين،ولكن فرق بين أن يبحث الداعية عن طريق مليء بالاشواك والعقبات والمخاطر وبين أن تأتي هذه العقبات عرضا في طريقه الصحيح ومنهجه السليم .

---

(١) انظر مثلًا :

- اجتماعه بالخليفة المعتضد بالله والسلام عليه وقراءة جزءا مما رواه أحمد بن حنبل عن محمد بن ادريس الشافعي في مسنده . (البداية والنهاية ٥٤٨/١٨، في احداث سنة ٧٥٣هـ) .
- اجتماعه بنائب السلطنة الامير علاء الدين علي المارداني وتباحث معه في ما حصل بينه وبين بعض الامراء من الخلاف (المرجع نفسه ٥٨٣/١٨ في احداث سنة ٨٥٩هـ) .
- جوابه على فتيا الامير يلبغار الذي ظهرت فيه فطنة ابن كثير وذكاؤه حيث ادرك مراد الامير ومقصود من سؤاله (المرجع نفسه ٦٣١/١٨ في احداث سنة ٧٦٢هـ.
- مناصحة لنائب السلطة بالشام وانكاره عليه اخذه من النصارى ربع اموالهم (البداية والنهاية ٧٠٦/١٨.
- استجابته لطلب الامير منجك في عن الجهاد (الإجتهاد في طلب الجهاد لابن كثير ص٦١ .

المطلب الرابع

منهجه في دعوة أهل البدع والمنكرات

أولا : معنى البدعة وأنواعها :

قال صاحب مقاييس اللغة : الباء والدال والعين أصلان لشيئين أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال سابق، والثاني الانقطاع والكلال كقولهم أبدعت الراحلة إذا كلَّت وعطلت [1] وعلى نحو هذا عرَّف ابن كثير البدعة فقال عند تفسير الآية : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2] « أي خالقهما على غير مثال سبق، قال مجاهد والسدي وهو مقتضى اللغة ومنه للشيء المحدث بدعه، وقال ابن جرير ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾، مبدعهما ،وانما هو فعل فصرف إلى فعيل، كما صرف المؤلم إلى الأليم والسمع إلى سميع، ومعنى المبدع والمنشيء والمحدث مالم يسبقه إلى إنشائه مثله وإحداثه أحد، قال ولذلك سمي المبتدع في الدين مبتدعا لإحداثه فيه مالم يسبقه إليه غيره، وكذلك كل محدث فعلا أو قولا لم يتقدمه فيه متقدم فان العرب تسميه مبتدعا ، ومن ذلك قول أعشى ثعلبه في مدح هوذة[3] بن علي الحنفي :

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لاحمد زكريا ٢٠٩/١، ٢١٠.

(٢) سورة البقرة آية ١١٧ .

(٣) هوذه بن علي بن عمرو الحنفي من بني حنيفة من بكر بن وائل صاحب اليمامة بنجد وشاعر بني حنيفة وخطيبها قبيل الإسلام وفي العهد النبوي، ولما ظهر الإسلام كتب إليه النبي ﷺ أسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك

يُرْعِي إلى قول سادات الرجال إذا أبدوا له الحزم، أو ماشاءه ابتدعا

أي يحدث ما شاء »[1] .

وفي الاصطلاح : عرفها الشاطبي بقوله « طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يُقْصَد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد للّه تعالى » [2].

فالبدعة إحداث في الدين، وليس لها أصل ومستند شرعي، ولهذا يقول ابن كثير « سميت البدعة بدعة لأنه لا نظير لها فيما سلف »[3] .

« والبدعة على قسمين تارة تكون بدعة شرعية كقوله « فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » [4] وتارة تكون لغوية كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن جمعه إياهم على صلاة التراويح واستمرارهم، نعمت البدعة هذه »[5] .

وأشار ابن كثير إلى « أن أول بدعة وقعت في الإسلام فتنة الخوارج، وكان مبدؤهم بسبب الدنيا، حين قسم رسول اللّه ﷺ غنائم حنين، فكأنهم رأوا في عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل في القسمة، ففاجؤوه بهذه المقالة فقال قائلهم وهو

فأجاب مشترطًا أن يكون له مع النبي ﷺ بعض الأمر فلم يجبه وقال باد وباد ما في يديه ولم يعش بعد ذلك غير قليل، توفي سنة ٨ هـ (الأعلام ١٠٢/٨) .

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٠١/١، ٢٠٢

(٢) الاعتصام ٣٧/١

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٠٤/٢ عند تفسير الآية { بديع السموات والارض أنى يكون له ولد } [الانعام ١٠١].

(٤) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ « وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلاله »، كتاب الجمعة، ابا تخفيف الصلاة والخطبة رقم (٨٦٧) .

(٥) المرجع نفسه ٢٠١/١ عند تفسير الآية { بديع السموات والأرض وإذا قضى امرا } [البقرة ١١٧]

ذو الخويصره[1] – بقر الله خاصرته – إعدل فانك لم تعدل، فقال له رسول الله ﷺ « لقدخبت وخسرت إن لم أكن أعدل، أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنونني ؟ فلما قَفَّى الرجل استأذن عمر بن الخطاب وفي رواية خالد بن الوليد رسول الله في قتله فقال دعه فانه يخرج من ضضئ هذا – أي جنسه – قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتمهم فاقتلوهم، فان في قتلهم أجرا لمن قتلهم »[2] ثم كان ظهورهم أيام علي بن أبي طالب فقتلهم بالنهروان[3]، ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ونحل كثيرة منتشرة، ثم نبعت القدرية ثم المعتزلة ثم الجهمية، وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها الصادق المصدوق في قوله « وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا من هم يارسول الله قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي »[4] .

---

(١) حرقوص بن زهير السعدي الملقب بذو الخويصرة، صحابي من بني تميم، أمره عمر بن الخطاب بقتال الهرموزان، فاستولى على سوق الأهواز ونزل بها، ثم شهد صفين مع علي، وبعد الحكمين صار من أشد الخوارج على علي، فقتل فيمن قتل بالنهروان سنة ٣٧هـ (الأعلام ١٧٣/٢) .

(٢) متفق عليه، وأخرجه البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام رقم (٣٦١٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب اعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه رقم (١٠٦٤) .

(٣) هي كورة واسعة بين بغداد وواسط الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع الخوارج مشهورة، وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والدين (معجم البلدان، ياقوت الحموي ٢٦٠/٤) .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٢٧/١ والحديث أخرجه أبو داود بلفظ « وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كتاب السنة، باب شرح السنة رقم (٤٥٩٦).

ثانيا : منهجه

إن العصر الذي عاش فيه ابن كثير، عصر مليء بالبدع والمنكرات والملل المنحرفة، فقد تعددت الفرق والمذاهب في كثير من المجتمعات الإسلامية، وقد قيض الله في تلك الفترة من يتصدى للدفاع عن الإسلام وبيان حقيقته ومنهجه الصافي الذي سار عليه الرسول ﷺ والسلف الصالح من بعده، فقاموا بالرد على هؤلاء المبتدعة، وبيان انحرافهم وضلالهم، وتحذير الأمة من خطرهم، وفي نفس الوقت قاموا بدعوتهم إلى الحق ومناظرتهم والرد عليهم، وقد كان رائد هذه المدرسة الاصلاحية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ومن أبرز تلاميذ هذه المدرسة المزي والذهبي وابن القيم وابن كثير وغيرهم فكان داعيتنا الامام ابن كثير من أنصار هذه المدرسة وقد تبنى منهج شيخه ابن تيمية في الدعوة إلى منهج السلف والدفاع عنه والرد على أهل البدع والأهواء والضلال، ولذلك نجد أن تفسيره طافح بذلك، فقد انبرى رحمه الله لبيان منهج الإسلام الصحيح والرد على المناهج التي تخالفه وبيان انحرافها وضلالها،وقيامه بمناقشة مقولات أهل الفرق والملل وبيان شبههم مع دحضها والرد عليها إضافة إلى مواقفه العملية مع أهل البدع والضلال والتي أورد بعضا منها في كتابه البداية والنهاية وسنتحدث عن منهج ابن كثير في دعوته لاهل البدع من خلال النقاط التالية :

١- حرص ابن كثير على تبين حال أهل البدع وضلالهم وأن بدعهم التي ابتدعوها واخترعوها ليس لهم فيها مستند شرعي وانما هي في كثير من الاحيان إفتراء وكذب على الله ومخالفة لما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته الكرام، ولذلك عاقبهم الله بالذل والصغار في الحياة الدنيا، وجعلهم في ضلال عن الحق بسبب ماهم فيه من الشكوك

والإضطراب في الآراء والأحكام، وخلص رحمه الله إلى أن كل الفرق على ضلاله إلا أهل النسة والجماعة وهم الفرقة الناجية المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وأخيرا دعاهم رحمه الله إلى التوبة والرجوع إلى الحق فكل من تاب إلى الله وأناب إليه تاب الله عليه لقوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[1] قال ابن كثير : « وفي هذا دلالة على أن الداعية إلى كفر أو بدعة إذا تاب إلى الله تاب الله عليه»[2] . وقد ذكرنا ذلك مفصلا في المبحث السابق شمول دعوة ابن كثير للطوائف والفرق فليرجع إليه.

٢- قام ابن كثير رحمه الله في تفسيره بذكر بعض الطوائف والفرق من أهل البدع وأورد مقولاتها وشبهها وتصدى للرد عليها وبيان خطئها وضلالها فمن ذلك مثلا :

١- الخوارج[3] :

وهم يرون التكفير بالكبائر من الذنوب وقد رد عليهم ابن كثير في ذلك، فقال عند تفسير الآية : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٠ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٢٤٩.

(3) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويجمعهم التبري من عثمان و علي رضي الله عنهما كما أجمعوا – عدا النجدات منهم – على تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار إذا مات مصرًا عليها (مقالات الاسلاميين ١/١٦٧-١٦٨، الملل والنحل ١/١١٤-١١٥) .

إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[1]، « فسماهم مؤمنين مع الإقتتال وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلةً ونحوهم »[2].

٢- المعتزلة[3] :

وقد تعقبهم ابن كثير وأوضح خطأهم في مسائل عديدة خالفوا منهج السلف كنفي رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة وأن الله سبحانه لم يكلم موسى عليه السلام وعدم تفريقهم بين الإسلام والإيمان وإنكارهم السحر ونحو ذلك من المسائل الأخرى فعند تفسير الآية : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ ﴾[4] قال ابن كثير : « هذا في الدنيا .... وقال آخرون لا تدركه الأبصار جميعها وهذا مخصص لما ثبت من رؤية المؤمنين له في الدار الآخرة، وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الآية أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[5] »[1].

---

(١) سورة الحجرات آية ٩ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٤٨/٤ .

(3) سموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد من رؤسائهم مجلس الحسن البصري لقولهم بأن الفاسق – مرتكب الكبيرة – لا مؤمن ولا كافر، ويجمع المعتزلة القول بنفي الصفات عن الله تعالى والقول بأن القرآن محدث وان الله لا يُرى في الآخرة، وان الله ليس خالقًا لأفعال العباد ويسمون أيضًا القدرية والعدلية وتصل فرقهم إلى عشرين فرقه (مقالات الاسلاميين ٢٣٥/١، الملل والنحل ٤٣/١-٤٦) .

(٤) سورة الأنعام آية ١٠٣ .

(٥) سورة القيامة آية ٢٢-٢٣ .

وقال تعالى عن الكافرين : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[٢] ، قال الإمام الشافعي فدل على أن المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى، وأما السنة فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد و أبي هريرة وأنس وجرير وصهيب[3] وبلال[4] وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ، أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في روضات الجنات جعلنا الله تعالى منهم بمنّه وكرمه آمين»[5].

وعند تفسير الآية : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾[٦] ، « وهذا تشريف لموسى عليه السلام بهذه الصفة ولهذا يقال له الكليم وقد قال الحافظ أبو بكر بن

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٢٠٥ .

ومن المواطن التي رد عليهم ابن كثير فيها عند تفسير الآية : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ (الأعراف ١٤٣)، ٢/٣٠٨ .

(٢) سورة المطففين آية ١٥ .

(3) هو صهيب بن سنان بن مالك من بني النمر بن قاسط صحابي من أرمى العرب سهمًا وله بأس وهو أحد السابقين إلى الإسلام، كان أبوه من أشراف الجاهليين ولاه كسرى على الابله (البصرة) وكانت منازل قومه في الموصل فأغارت الروم على ناحيتهم فسبوا صهيبًا وهو صغير فنشأ بينهم فكان ألكن واشتراه منهم أحد بني كلب وقدم به مكة فابتعاه عبد الله بن جدعان التميمي ثم أعتقه فلما ظهر الإسلام أسلم فلما أزمع المسلمون الهجرة وكان صهيب قد ربح مالًا وفيرًا من تجارته فمنعه مشركوا قريش قال أرأيتم إن تركت مالي تخلّون سبيلي ؟ قالوا نعم فجعل لهم ماله أجمع فبلغ النبي ﷺ ذلك فقال ربح صهيب ربح صهيب توفي سنة٣٨هـ، الأعلام ٣/٢١٠ .

(4) هو بلال بن رباح الحبشي أبو عبد الله مؤذن رسول الله ﷺ وخازنه على بيت المال من مولدي السراه وأحد السابقين إلى الإسلام وكان شديد السمرة نحيفًا طوالًا خفيف العارضين له شعر كثيف شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ولما توفي رسول الله أذن بلال ولم يؤذن بعد ذلك وأقام حتى خرجت البعوث إلى الشام فسار معهم وتوفي في دمشق سنة ٢٠هـ، الأعلام ٢/٧٣ .

(5) عند تفسير الآية ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة ٢٢-٢٣)، ٤/٥٣١ .

(٦) سورة النساء آية ١٦٤ .

مردويه[1] ... جاء رجل إلى أبي بكر بن عياش[2] فقال سمعت رجلًا يقرأ وكلم اللّهَ موسى تكليما، فقال أبو بكر ما قرأ هذا إلا كافر قرأت على الأعمش وقرأ الأعمش[٣] على أبي وثاب وقرأ يحيى[4] بن وثاب على أبي عبد الرحمن السلمي[5] وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب وقرأ علي بن أبي طالب على رسول اللّه ﷺ وكلَّم اللّهُ موسى تكليما، وإنما اشتد غضب أبي بكر بن عياش رحمه اللّه على من قرأ كذلك لأنه حرّف لفظ القرآن ومعناه، وكان هذا من المعتزلة الذين ينكرون أن اللّه كلم موسى عليه السلام أو يكلم أحدًا من خلقه، كما روينا عن بعض المعتزلة أنه قرأ على بعض المشايخ (وكلم اللّه

---

(1) هو أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أبو بكر ويقال له ابن مردويه الكبير، حافظ مؤرخ مفسر، من أهل اصبهان له كتاب التاريخ وتفسير القرآن، توفي سنة ٤١٠هـ (الأعلام ٢٦١/١) .

(2) هو أبو بكر بن سالم الأسدي مولاهم الكوفي الفقيه المحدث اسمه شعبة قرأ القرآن وجود على عاصم بن أبي النجود، قال يزيد بن هارون كان أبو بكر بن عياش خيرًا فاضلًا لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة، توفي سنه ١٩٣هـ (سير أعلام النبلاء ٤٣٥/٨) .

(٣) هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء أبو محمد الملقب بالأعمش، تابعي مشهور أصله من بلاد الري، ومنشأه ووفاته في الكوفة، كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض، قال الذهبي كان رأسًا في العلم النافع والعمل الصالح، توفي سنة ١٤٨هـ (الأعلام ١٣٥/٣) .

(4) هو يحيى بن وثاب الإمام القدورة الفقيه شيخ القراء الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي أحد الأئمة الأعلام قال أبو نعيم الحافظ أم أبيه وثاب برذويه من (ماهوبه) سباه مجاشع بن مسعود السلمي من قاشان إذ إفتتحها وكان وثواب من أبناء أشرافها ثم وقع في سهم ابن عباس فسماه وثاب وتزوج فولد له يحيى ثم استأذن ابن عباس في الرجوع إلى فاشان فأذن له فدخل هو وإبنه يحيى الكوفة فقال يحيى يا أبتي إني آثرت العلم على المال فأذن له في المقام فأقبل على القرآن وتلا على أصحاب علي وابن مسعود حتى صار أقرأ أهل زمانه توفي سنة ثلاث ومئة، سير أعلام النبلاء ٣٨١/٤ .

(5) أبو عبد الرحمن السلمي الإمام العالم عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي من أولاد الصحابة مولده في حياة النبي ﷺ، قرأ القرآن وجود ومهر فيه وعرض على عثمان وعلي وابن مسعود وأخذ عنه القرآن عاصم بن أبي النجود، توفي سنة ٧٤هـ (سير أعلام النبلاء ٣٦٧/٤) .

موسى تكليما) فقال يا ابن اللخناء[1] فكيف تصنع بقوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾[٢] يعني أن هذا لا يحتمل التحريف ولا التأويل»[3] .

وعند تفسير الآية : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٤]، قال: «وحكى أبو عبد الله الرازي في تفسيره عن المعتزلة أنهم أنكروا وجود السحر قال : ربما كَفَّرُوا من اعتقد وجوده، قال وأما أهل السنة فقد جَوَّزُوا أن يقدر الساحر أن يطير في الهواء .... ثم استدل على وقوع السحر وأنه بخلق الله تعالى بقوله سبحانه : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ ﴾ ومن الأخبار بأن رسول الله ﷺ سُحِر وأن السحر عَمِل فيه »[5] .

وعند تفسير الآية : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٦]، قال : « احتج بهذه الآية من ذهب إلى رأي المعتزلة ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين وهذا الاستدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قومًا مؤمنين وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فاتفق الإسمان هنا لخصوصية الحال ولا يلزم ذلك في كل حال »[7]، وعند تفسير الآية : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ

---

(1) لخن السقا وغيره أنتن، والرجل قبح كلامه فهو ألخن والمرأة لخناء جمع لُخن، ويقال في السب يا ابن اللخناء (المعجم الوسيط ص ٨٢١) .

(٢) سورة الأعراف آية ١٤٣ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٧١٧-٧١٨ .

(٤) سورة البقرة آية ١٠٢ .

(5) المرجع نفسه ١/١٨١ .

(٦) سورة الذاريات آية ٣٥ .

(7) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٢٧٨ .

ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[1]، قال : « أي إنما يأتمر بهواه فمهما رآه حسنًا فعله ومهما رآه قبيحا تركه وهذا قد يستدل به على المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقلين »[2] .

٣- القدرية[3] :

وهم القائلون بأن الله لا ينفرد بالهداية والإضلال بل إن العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلونه فقال عند تفسير الآية : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[4]، « وحذف الفاعل في الغضب في قوله تعالى ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ وان كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة كما قال تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾[5]، وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به وإن كان هو الذي أضلهم بقدره كما قال تعالى ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾[6] وقال : ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٨٦ ﴾[7] إلى غير ذلك من الآيات الدالة أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال، لا كما تقوله الفرقة القدرية ومن حذا حذوهم من أنّ العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلونه،

---

(١) سورة الجاثية آية ٢٣ .

(2) المرجع نفسه ٤/١٧٨ .

(3) هم القائلون بأن العبد يحدث فعل نفسه، وان أفعال العباد مقدورة لهم على جهة الاستقلال وكان متقدموهم ينكرون علم الله بالأشياء قبل وجودها، وهم الذي كفرهم السلف ومن أوائلهم معبد الجهني، ومتأخروهم يثبتون العلم (مقالات الاسلاميين ١/٢٩٨، والملل والنحل ١/٤٣، الفتاوى ٨/٤٣٠-٤٥٠) .

(٤) سورة الفاتحة آية ٢ .

(٥) سورة المجادلة آية ١٤ .

(٦) سورة الكهف آية ١٧ .

(٧) سورة الأعراف آية ١٨٦ .

ويحتجون على بدعتهم بمتشابه من القرآن ويتركون ما فيه صريحاً في الرد عليهم وهذا حال أهل الضلال والغي »[1] .

٤- الجهمية[2] :

القائلون بأن الله في كل مكان تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا ، يقول ابن كثير عند تفسير الآية : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣ ﴾[3]، « اختلف مفسرو هذه الآية على أقوال بعد الإتفاق على تخطئة قول الجهمية الأول القائلين بأنه – تعالى عن قولهم علوا كبيرا – في كل مكان حيث حملوا الآية على ذلك، فأصح الأقوال: أنه: المدعو الله في السموات وفي الأرض أي يعبده ويوحده، ويُقِرُّ له بالالهية من في السموات ومن في الأرض ويسمونه الله ويدعونه رغبًا ورهبًا إلا من كفر من الجن والإنس وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٤ ﴾[4] أي هو إلهُ من السماء وإلهُ من في الأرض »[5] .

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٤٤ .

(2) الجهمية هم أتباع جهم بن صفوان الذي قال أن العبد مجبور على فعله، ولا قدر له ولا اختيار، ومن ضلالاته انكار الصفات والقول بأن الجنة والنار تبيدان، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط والكفر هو الجهل به فقط (مقالات الاسلاميين ١/٣٣٨، الملل والنحل ١/٨٦-٨٨) .

(3) سورة الأنعام آية ٣ .

(4) سورة الزخرف آية ٨٤ .

(5) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/١٦٠ .

٥- الشيعة[1] :

وقد رد عليهم ابن كثير رحمه الله في عقيدة المهدي الغائب وفي جواز المتعة وإنكار المسح على الخفين، وأن ليلة القدر قد رفعت بعد الرسول ﷺ، وفي سَبِّهم لعموم الصحابة وخاصة الشيخين ونحو ذلك من الأمور التي خالفوا بها إجماع الأمة، فقال رحمه الله تعالى عند تفسير الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾[٢]، « وقد ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ مشروعية المسح على الخفين قولًا منه وفعلًا ... وقد خالفت الروافض ذلك كله بلا مستند بل بجهل وضلال مع أنه ثابت في صحيح مسلم . ..... كما ثبت في الصحيحين عنه عن النبي ﷺ النهي عن نكاح المتعة وهم يستبيحونها وكذلك الآية دالة على وجوب غسل الرجلين مع ما ثبت بالتواتر من فعل نفس الأمر ولله الحمد »[3] .

وقال عند تفسير الآية : ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾[٤]، « يعني عرفاء على قبائلهم بالمبايعة ..... وعن جابر بن

---

(1) الشيعة هم الذين شايعوا عليًا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بأمامته وخلافته نصًا ووصيتة، أما جليًا أو خفيًا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، وان خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده، وقالوا إن الإمامة ركن الدين وان الأئمة معصومون من الكبائر والصغائر (مقالات الاسلاميين ٦٥/١ وما بعدها، الملل والنحل ١٤٦/١) .

(٢) سورة المائدة آية ٦ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٨/٢ وحديث كلٍ من المسح على الخفين و المتعة سبق تخريجهما ص١٥٥ .

(٤) سورة المائدة آية ١٢ .

سمرة[1] قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم إثنا عشر رجلًا[٢] ... والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره أنه يواطئ اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه اسم أبيه فيملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا، وليس هذا هو بالمنتظر الذي يتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامراء فإن ذاك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية بل هو من هوس العقول السخيفة وتوهم الخيالات الضعيفة، وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الإثنى عشر الأئمة الذين يعتقد فيهم الشيعة الإثنا عشرية من الروافض لجهلهم وقلة عقلهم »[3] .

وقال عند تفسير الآية : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[٤]، « وهذا هو البهت البيّن أن يُحْكى أو ينقل على المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم، ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفر بالله ورسوله ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم، فإن الله عز وجل قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم

---

(1) هو جابر بن سمرة بن حفادة السوائي صحابي كان حليف بني زهرة له ولأبيه صحبة نزل الكوفة وابتنى بها دارًا وتوفي في ولاية بشر على العراق سنة٧٤هـ، الأعلام ١٠٤/٢ .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص٤٢٤ .

(3) المرجع نفسه ٤٤/٢، وانظر المرجع نفسه ٣٧٤/٣، عند تفسير الآية { وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ... } (النور ٥٥) .

(٤) سورة الأحزاب آية ٧٥ .

يكن ولا فعلوه أبدًا فهم في الحقيقة منكسو القلوب يذمون المدوحين ويمدحون المذمومين »[1] .

وقال رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾[٢]، بعد ذكره الأحاديث الواردة في ليلة القدر « وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامة في كل سنة بعد النبي ﷺ، لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية على ما فهموه من الحديث .... (رفعت وعسى أن يكون خيرًا لكم)[٣] لان المراد رفع علم وقتها عينًا »[4] .

وأخيرًا رده على من زعم سقوط التكاليف عن الإنسان في حالة وصوله إلى درجة المعرفة كما زعموا فقال رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩ ﴾[٥]، « ويستدل من هذه الآية الكريمة وهي قوله ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩ ﴾ على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتًا فيصلي بحسب حاله كما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين[٦] رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « صلِ قائمًا فإن لم تستطع

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٣٦/٣ .

(٢) سورة القدر آية ١ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس رقم (٢٠٢٣) .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٣٦/٤ .

(٥) سورة الحجر آية ٩٩ .

(٦) هو عمران بن حصين بن عبيد أبو نجيد الخزاعي، من علماء الصحابة، أسلم عام خيبر سنة ٧هـ وكانت معه راية خزاعه يوم فتح مكة وبعثه عمر بن الخطاب إلى أهل البصرو ليفقههم، وولاه زياد قضاءها، وتوفي بها وهو ممن اعتزل حرب صفين، توفي سنة ٥٢هـ (الأعلام ٧٠/٥) .

فقاعدًا، فإن لم يستطع فعلى جنب »[1] ويستدل على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم وهذا كفر وضلال وجهل فإن الأنبياء عليهم السلام هم وأصحابهم أعلم الناس باللّٰه وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة وإنما المراد باليقين هاهنا الموت كما قدمناه وللّٰه الحمد والمنة والحمد للّٰه على الهداية وعلى الاستقامة والتوكل،وهو المسؤول أن يوفقنا على أكمل الأحوال وأحسنها »[2] .

٣- ممارسة ابن كثير العملية لدعوة أهل البدع بالاتصال بهم ومناظرتهم والانكار عيهم وتوجيههم ونحو ذلك مما ذكره في كتابه (البداية والنهاية) من ذلك مثلا، مناظرته للرافضي الذي كان يسب الصحابة ويلعن ابا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد قال ابن كثير « وقد ناظرت هذا الجاهل بدار القاضي المالكي وإذا عنده شيء مما يقوله الرافضة الغلاة وقد تلقى عن أصحاب ابن مطهر[٣] أشياء من الكفر والزندقة ...»[٤].

---

(1) الحديث أخرجه البخاري كتاب التقصير، باب إذا لم يطق قاعدًا صلى على جنب رقم (١١٧) .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٩٢/٢ .

(٣) ابن المطهر الحلي، الحسن بن يوسف بن علي بن محمد بن المطهر الحلي العراقي الرافضي، رأس الشيعة وشيخهم في العراق، له تصانيف كثيرة في الفقه والحوار والأصول والفلسفة والرفض منها منهاج الكرامه الذي نقضه شيخ الإسلام ابن تيميه في منهاج السنه، توفي سنة ٧٢٦هـ (الدرر الكامنة لابن حجر ١٥٨/٢، والبداية والنهاية ١٨/)

(٤) البداية والنهاية ٥٦١/١٨ في احداث سنة ٧٥٥هـ .

وغير ذلك من الجهود العلمية والعملية التي قام بها الامام ابن كثير رحمه الله في محاربة البدع والضلالات وتصحيح الخلل العقدي الذي يعيشه المسلمون في تلك الفترة التي عاشها رحمه الله مستخدما في ذلك شتى الطرق والمناهج العقلية والحسية وغيرها، وأن ما يقوم به كثير من الدعاة إلى الله – في هذا العصر – من اهتمام بتشخيص وعلاج مظاهر الإنحراف والفساد الأخلاقي لدى المسلمين هو جهد يشكرون عليه وخصلة تحمد لهم بل هو من الواجبات المتعينة على كل داعية ومصلح أن يقوم بها كل بحسبه، ولكنهم لا يعذرون حين يذهلون ذهولا أعمى عن الخلل الأعظم والخطر الاكبر، ذلكم الخلل الذي لا شك أنه هو السبب الأول للانحراف الخلقي والفساد الاجتماعي والفوضى والجهل والتخلف وسائر المفاسد، ذلك الخلل الحاصل في اعتقاد كثير من المسلمين في شتى بلاد الإسلام علما وعملا، والمتمثل في الوقوع في المعتقدات الضالة والاعمال الشركية والبدعية مما لا يتسع المجال لبسطه فصلاح حال المسلمين وإخراجهم مما هم عليه من جهل وفساد وانحراف وتخلف مرتبط قبل كل شيء بصلاح عقيدتهم واستقامتهم على دين الله وعبادته وحده دون سواه وتقواه سبحانه وطاعته واتباع رسوله ﷺ وهذا هو فهم الرسل ومنهج القرآن والسنة ومنهج المصلحين المهتدين [1] .

---

[1] انظر مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها للدكتور ناصر عبد الكريم العقل ص ٨٠-٨٢، طبعة دار الوطن للنشر الرياض ط١ بدون تاريخ .

المطلب الخامس

منهجه في دعوة أهل النفاق

تعريف النفاق وأنواعه :

المنافق في اللغة مأخوذ من النافقاء والنافقاء إحدى حِجَرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها، وهو موضع يُرَقِّقه فإذا أتي من قبل القاصعاء – وهو جحره – ضرب اليربوع النافقاء برأسه فانتفق أي خرج، وقيل مأخوذ من النفق وهو السرب تحت الأرض، ويراد أن يستتر بالإسلام كما يستتر صاحب النفق فيه»[(١)].

أما في الاصطلاح : فهو إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر والمنافق هو الذي يضمر الكفر اعتقادا ويظهر الإيمان قولا [(٢)]. ويعرفه ابن كثير بأنه « إظهار الخير وإسرار الشر »[(٣)] . وينقسم إلى قسمين : إعتقادي، وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي : وهو من أكبر الذنوب، لأن المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه »[(٤)] .

---

(١) انظر لسان العرب مادة نفق ٣٥٨/١٠، ٣٥٩، والنهاية في غريب الحديث للإمام مجد الدين بن محمد الجزري ابن الاثير ٩٨/٥، طبعت دار الفكر بيروت، بدون تاريخ .

(٢) انظر التعريفات للجرجاني ص ٢٩٨، ٣١١، حققه إبراهيم الابياري طبعة دار الكتاب العربي الطبعة الثانية ١٤١٣هـ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٤/١ عند تفسير الآية { ومن الناس من يقول آمنا } [البقرة ٨]

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٤/١ .

وقد توسع ابن كثير رحمه الله من خلال تفسيره عن الكلام عن المنافقين فاستخدم المنهج العاطفي في سياق خطورتهم وتحذير المؤمنين منهم أو المنهج العقلي في مشابتهتهم للمشركين في أن كلا منهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح أو المنهج الحسي بذكر صفاتهم وأحوالهم ومواقفهم المشينة من المؤمنين، فتارة يعيبونهم ويرمونهم بالسفه، وتارة بالسخرية والغدر وعدم الوفاء، وأخرى بالتربص بهم وموالاة الكفار عليهم فهم مفسدون في الأرض، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ثم إن ابن كثير رحمه الله ذكر أن الله سبحانه وتعالى فضحهم وبيَّن صفاتهم ليَحْذَرهم المؤمنون، ولئلا يغتروا بظاهر حالهم وغير ذلك مما ذكره ابن كثير عن المنافقين، وهذا ما سنتحدث عنه في هذا المطلب حسب النقاط التالية :

١-من صفات المنافقين التي ذكرها ابن كثير، افسادهم في الأرض كما قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾[1] ، قال ابن كثير « قال ابن جرير فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم وركوبهم بها ما نهاهم عن ركوبه، وتضييعهم فرائضه وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد عمل إلا بالتصديق به،والإيقان بحقيقته وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ماهم عليه مقيمون من الشك والريب ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا، فذلك إفساد المنافقين في الأرض وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها »[2] .

---

(١) سورة البقرة آية ١١ .

(٢) المرجع نفسه ٦٧/١ .

«فالمنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل ... وقال مجاهد إذا سعى في الأرض فسادا منع الله القطر فهلك الحرث والنسل »[1]، ومن صفات المنافق أنه « في حال خصومته يكذب ويَزْوَر[2] عن الحق ولا يستقيم معه بل يفتري ويفجر كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر »[3]، ومن صفاتهم أنهم « لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء الفريضة، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون ولا يصلون إذا غابو، ولا يؤدون زكاة أموالهم »[4]، فالمنافق كما قال الحسن إن صلى راءى وان فاتته لم ييأس عليها ويمنع زكاة ماله، وفي لفظ صدقة ماله، وقال زيد بن أسلم هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها وخفيت الزكاة فمنعوها »[5] فهم كما وصفهم الله بقوله ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾[6]، يقول ابن كثير « هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها وهي الصلاة، إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها لانهم لا نية لهم فيها ولا إيمان لهم بها ولا خشية ولا يعقلون معناها كما روى ابن مردويه، عن ابن عباس قال يكره أن يقوم الرجل إلى الصلاة وهو كسلان ولكن يقوم إليها طلق الوجه عظيم الرغبة شديد الفرح

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٠٧/١ عند تفسير الآية { وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها } [البقرة ٢٠٥]

(٢) معنى يَزْوَرُّ أي يميل وينحرف، المعجم الوسيط ص ٤٠٦.

(٣) المرجع نفسه ٣٠٦/١، والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب علامات المنافق رقم (٣٣)، ومسلم كتاب الإيمان، باب خصال المنافق رقم (٢١١)، والترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في علامة المنافق رقم (٢٦٣١) .

(٤) المرجع نفسه ٣٥٨/٢ عند تفسير الآية { إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله } [الانفال ٢]

(٥) المرجع نفسه ٦٦٩/٤ عند تفسير الآية { ويمنعون الماعون} [سورة الماعون]

(٦) سورة النساء آية ٤٢ .

فإنه يناجي الله، وأن الله أمامه يغفر له ويجيبه إذا دعاه ثم يتلو ابن عباس هذه الآية : ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾[1] ومن خداعهم ومكرهم أنهم يتخذون الأيمان الفاجره ليُصَدِّقهم الناس فيما يقولون كما قال سبحانه : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2] ، يقول ابن كثير « أي اتقوا الناس بالأيمان الكاذبه والحلفات الآثمة ليُصَدَّقوا فيما يقولون، فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم فاعتقدوهم مسلمين فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالا فحصل بهذا الغدر ضرر كبير على كثير من الناس »[3]

٢-أن المنافقين يتربصون بالمؤمنين ويكيدونهم ويسعون للتفريق بينهم ويتمنون الهزيمة وزوال دولتهم كما قال تعالى ﴿ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ ﴾[4] يقول ابن كثير [5] « والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمن خبالا أي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن،وبما يستطيعونه من المكر والخديعة ويودون ما يُعْنِت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم »[6] . وكما قال تعالى ﴿ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَا ﴾[7] ، يقول ابن كثير : «وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين،وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٩٣/١، سورة النساء آية ٤٢ .

(٢) سورة المنافقون آية ٢ .

(٣) المرجع نفسه/٤٣٤.

(٤) سورة آل عمران آية ١١٨ .

(٥) المرجع نفسه ٤٨٧/١

(٦) المرجع نفسه ٤٨٩/١

(٧) سورة آل عمران آية ١٢٠ .

ونصر وتأييد، وكثروا وعز أنصارهم، ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين سنة – أي جدب – أو أُديل عليهم الاعداء لما لله في ذلك من الحكمة كما جرى يوم أحد فرح المنافقون بذلك »[1]، أما مع أعداء المسلمين مع اليهود والنصارى فهم كما قال ابن كثير « يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر ﴿ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞ ﴾[2] أي يتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكفار بالمسلمين فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك »[3].

فلذلك نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتخذوهم بطانة كما قال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا ﴾[4]، يقول ابن كثير « يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن عن اتخاذ المنافقين بطانة أي يطلعون على سرائرهم وما يضمرونه لاعدائهم »[5]، ومن رحمته سبحانه بالمؤمنين أنه نبه « على صفات المنافقين لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم ومن اعتقاد إيمانهم وهم كفار في نفس الأمر، وهذا من المحذورات الكبار أن يظن بأهل الفجور خير »[6]، ولذلك قال سبحانه ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ﴿٢٩﴾ ﴾[7] قال

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٨٩/١

(٢) سورة المائدة آية ٥٢ .

(٣) المرجع نفسه ٨٩/١.

(٤) سورة آل عمران آية ١١٨ .

(٥) المرجع نفسه ٤٨٧/١.

(٦) المرجع نفسه ٦٥/١ عند تفسير الآية { ومن الناس من يقول انا بالله وباليوم الاخر } [البقرة ٨٠].

(٧) سورة محمد آية ٢٩ .

ابن كثير « أي أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين، بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر، وقد أنزل في ذلك سورة براءة، فبين فيها فضائحهم وما يعتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم، ولذلك كانت تسمى الفاضحة »[1] فالمؤمنون الصادقون يعرفون المنافقين ويميزونهم « فالمرائي لا يروج أمره ويستمر إلا على غبي، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم بل ينكشف لهم عن قريب، وعالم الغيب لا تخفى عليه خافيه »[2] .

٣-أن الله سبحانه وتعالى جازى المنافقين بأن طبع على قلوبهم كما قال سبحانه ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾[3] أي فلا يصل إلى قلوبهم هدى ولا يخلص إليها خير فلا تعي ولا تهتدي »[4]، وكما قال سبحانه ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[5]، قال ابن كثير « وقال محمد بن إسحاق هم المنافقون، قلت ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا، لأن كلًا منهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح »[6] .

وأخيرا أرشد ابن كثير رحمه الله إلى أسلوب التعامل مع المنافقين ودعوتهم ومجاهدتهم عند تفسير الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[7] فقال « وقال ابن عباس، أمر الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٢١٣.

(٢) المرجع نفسه ٣/٦٧٤، عند تفسير آية ١٠ من سورة فاطر .

(٣) سورة المنافقين آية ٣ .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٤٣٥.

(٥) سورة الأنفال آية ٢٢ .

(٦) المرجع نفسه ٢/٣٧٢.

(٧) سورة التوبة آية ٧٣ .

وأذهب الرفق عنهم، وقال الضحاك : جاهد الكفار بالسيف وأغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم ... وقال الحسن وقتادة مجاهدتهم إقامة الحدود عليهم، وقد يقال أنه لا منافاة بين هذه الأقوال لأنه تارة يؤاخذهم بهذا وتارة بهذا بحسب الأحوال »[1] .

ولذلك أرشد الله رسوله ﷺ أن يعرض عنهم ويعظهم ويقول لهم قولا بليغا فقال سبحانه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣ ﴾[2] ، يقول ابن كثير:(هذا الضرب من الناس هم المنافقون والله يعلم ما في قلوبهم وسيجزيهم على ذلك فإنه لا تخفى عليه خافية، فاكتف يا محمد فيهم، فإن الله عالم بظواهرهم وبواطنهم ولهذا قال له ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ أي لا تعنفهم على ما في قلوبهم ﴿وَعِظۡهُمۡ ﴾ أي وانههم عما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر ﴿وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣ ﴾ أي وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم »[3] . إلى غير ذلك مما ذكره ابن كثير رحمه الله عن المنافقين من الوقفات المتعددة[4]، التي تبين خطرهم وعداوتهم وأنهم الخطر الحقيقي على الأمة الإسلامية والمرض الفتاك في المجتمع الإسلامي في كل زمان ومكان، وهذا يحتم على الدعاة التنبه لذلك وعدم الاغترار بظاهر أعمال المنافقين فهم العدو الذي يجب الحذر منه .

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٤٥٩.

(٢) سورة النساء آية ٦٣ .

(٣) المرجع نفسه ١/٦٣٤.

(٤) للاستزادة انظر مثلا : ١/٤٨٨، ١/٦٩٣، ٢/٢٥٣، ٢/٢٥٤، ٢/٤٤٧، ٢/٤٤٨، ٢/٤٤٩، ٢/٤٥٠، ٢/٤٥٥، ٢/٤٥٩، ٢/٤٦١، ٢/٤٦٣، ٢/٤٦٥، ٢/٤٦٧، ٢/٤٦٨، ٢/٤٧٩، ٢/٥٢٠، ٣/٣٧١، ٣/٤٧٢، ٤/٣٨٧.

المبحث الثاني

منهجه في دعوة غير المسلمين

المطلب الأول

منهجه في دعوة أهل الكتاب

أهل الكتاب هم اليهود[1] والنصارى[2] لقوله تعالى ﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا ﴾[3] ، قال ابن كثير[4] « عن ابن عباس هم اليهود

---

(1) اليهود هم أمة موسى عليه السلام وسموا يهودا نسبة إلى «يهوذا» ابن يعقوب الذي ينتمي إليه بنوا اسرائيل الذين بعث فيهم موسى عليه السلام فقلبت العرب الذال دالًا، وقيل نسبة إلى الهود وهو التوبة والرجوع، وذلك نسبة إلى قول موسى لربه { إنا هدنا اليك} أي تبنا ورجعنا اليك يا ربنا، فسموا هودا ثم حولت إلى يهود والله أعلم، انظر الموجز في الاديان والمذاهب المعاصرة للدكتور ناصر القفاري وناصر العقل ص ١٨ طبعة دار العصيمي للنشر بالرياض ط الأولى ١٤١٣هـ .

(2) النصارى نسبة إلى بلدة الناصره في فلسطين وهي التي ولد فيها المسيح، أو إشارة إلى صفة، وهي نصرهم لعيسى عليه السلام وتناصرهم فيما بينهم، وهذا يخص المؤمنين منهم في أول الأمر ثم اطلق عليهم كلهم على وجه التغليب ويشهد لذلك قوله تعالى { قال الحواريون نحن أنصار الله } [الصف ١٤] انظر المرجع نفسه ص ٦٤.

(3) سورة الأنعام آية ١٥٦ .

(4) وقد تكرر اطلاق أهل الكتاب على اليهود والنصارى عند ابن كثير في أكثر من موضع في تفسيره انظر مثلا ٤٥٦/١ عند تفسير الآية ٦٤ من سورة الأنعام . ٤٢/٢ عند تفسير الآية ١٤ من سورة المائدة، ٤٧/٢ عند تفسير الآية ١٩ من سورة المائدة، ٢٧/٢ عند تفسير الآية ٥ من سورة المائدة .

والنصارى » [1] و « سموا أهل الكتاب لانتسابهم إلى كتبهم السابقة، وخصوا بهذا الوصف وإن وقع كثير منهم في الشرك والوثنية باعتبار الأصل» [2].

قال ابن حجر رحمه الله « فأما اليهود والنصارى فهم المراد بأهل الكتاب بالاتفاق »[3]، ولقد اعتنى ابن كثير رحمه الله بالحديث عن اليهود والنصارى، وكان رحمه الله على علم وثقافة واسعة بمعرفة ديانة أهل الكتاب – خاصة النصارى – فضلا عن التحريف والتبديل التي طرأت على كتبهم المقدسة، إضافة إلى ذلك فقد كان العصر الذي عاش فيه ابن كثير هو امتداد للصراع بين المسلمين والنصارى ومن أبرز ملامح منهج ابن كثير في دعوة أهل الكتاب :

١-دعوة أهل الكتاب إلى الدخول في الإسلام كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾[4] ، يقول ابن كثير « عن ابن عباس . يعني مؤمني أهل الكتاب فإنهم كانوا مع الإيمان بالله مستمسكين ببعض أمر التوراة والشرائع التي أنزلت فيهم فقال « ادخلوا في السلم كافة » يقول ادخلوا في شرائع دين محمد ﷺ ولا تدعوا منها شيئا وحسبكم بالايمان بالتوراة وما فيها »[5] .

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٢٤٥ .

(٢) المدخل إلى علم الدعوة للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني ص ١٧٩ طبعة مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الاولى ١٤١٢هـ .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٦/٢٥٩، الناشر دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ .

(٤) سورة البقرة ٢٠٨ .

(٥) المرجع نفسه ١/٣٠٨.

وكذلك دعوتهم إلى كلمة سواء كما قال تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[1]، يقول ابن كثير « هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى وما جرى مجراهم ... والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال هاهنا ثم وصفها بقوله ﴿سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ « أي عدل ونَصَف نستوي نحن وأنتم فيها، ثم فسرها بقوله « أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا » ولا وثنا ولا صنما، ولا صليبا ولا طاغوتا ولا نارا ولا شيئا بل تفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل ... فان تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة فأشهدوا أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم »[2] .

وكذلك دعوتهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ، فقد أخذ الله الميثاق إن جاءهم محمد ليؤمننَّ به ولينصرنَّه كما قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[3] ، يقول ابن كثير « يخبر تعالى » أنه أخذ ميثاق كل نبي من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمه، وبلغ أي مبلغ ثم

---

(١) سورة آل عمران آية ٦٤ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٥٦/١.

(٣) سورة آل عمران آية ٨١ .

جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته »[1] .

وحينما يدعى أهل الكتاب بالإيمان بمحمد ﷺ فلأن صفته موجودة في التوراة والإنجيل كما قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾[2] ، يقول ابن كثير « وهذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء، بَشَّروا أممهم ببعثته، وأمروهم بمتابعته، ولم تزل صفته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم »[3]، وكذلك حينما يُدعى أهل الكتاب إلى الإيمان بمحمد ﷺ فلأن دينه موافق في الأصول إلى ما جاءت به الأنبياء السابقون كما قال سبحانه : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾[4]، يقول ابن كثير : « والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو : عبادة اللّه وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم »[5]، من أجل هذا أنكر اللّه عليهم عدم التحاكم إلى ما في التوراة والإنجيل من الدعوة إلى إتباع محمد ﷺ فقال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٦٣/١.

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٧ .

(٣) المرجع نفسه ٣١٧/٢ .

وقد ذكر ابن كثير بعضاً من الأدلة على الإيمان بمحمد ﷺ، أنظر مثلًا : ٤٢٤/٤ الصف آية ٦، ١٦٠/١ البقرة آية ٩٥، ٤٥٢/١ آل عمران آية ٦١، ١٥٧/١ البقرة ٨٩ .

(٤) سورة الشورى آية ١٣ .

(٥) المرجع نفسه ١٢٨/٤ .

فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1] ، يقول ابن كثير : « يقول تعالى منكرًا على اليهود والنصارى المتمسكين فيما يزعمون بكتابيهم اللذين بأيديهم، وهما التوراة والإنجيل، وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من إتباع محمد ﷺ تولوا وهم معرضون عنهما، وهذا في غاية ما يكون من ذمهم والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد »[2] .

٢- أسلوب دعوة أهل الكتاب : من الأساليب التي ذكرها ابن كثير في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام، مجادلتهم بالتي هي أحسن، وكذلك استخدام الترغيب والترهيب، وتذكيرهم بنعم الله عليهم ونحو ذلك، يقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾[3] ، « وقال آخرون بل هي باقية محكمة لمن أراد الإستبصار منهم في الدين، فيجادل بالتي هي أحسن ليكون أنجح فيه .... وقوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ أي حادوا عن طريق الحق، وعموا عن واضح المحجة، وعاندوا وكابروا فحينئذ ينتقل من الجدال إلى الجلاد، ويقاتلون بما يردعهم ويمنعهم »[4] .

وأما أسلوب الترغيب فكما قال تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡۚ ﴾ [5] ، فيقول ابن كثير : « أي لو

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٣ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٣٨/١ .

(٣) سورة العنكبوت آية ٤٦ .

(٤) المرجع نفسه ٥١٣/٣ .

(٥) سورة المائدة آية ٦٥-٦٦ .

آمنوا بالله ورسوله واتقوا ما كانوا يتعاطونه من المحارم والمآثم ﴿ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ أي لأزلنا عنهم المحذور، وأنلناهم المقصود وقوله ﴿ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ يعني بكثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض »[1] .

وأما أسلوب الترهيب فكما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾[2] يقول ابن كثير : « يقول الله تعالى آمرًا أهل الكتاب بالإيمان بما نزل على عبده ورسوله محمد ﷺ من الكتاب العظيم الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات، ومتهددًا لهم إن لم يفعلوا بقوله : ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ﴾ قال بعضهم معناه من قبل أن نطمس وجوهًا، فطمسها هو ردها إلى الأدبار وجعل أبصارهم من ورائهم، ويحتمل أن يكون المراد من قبل أن نطمس وجوهًا فلا يبقى لها سمع ولا بصر ولا أثر، ويردها مع ذلك إلى ناحية الأدبار ..... ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴾ يعني الذين اعتدوا في سبتهم بالحيلة على الإصطياد وقد مسخوا قردة وحنازير»[3]، وأما التذكير بنعم الله فكلما قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾[4] ، يقول ابن كثير : « قال مجاهد : نعمة الله التي أنعم بها عليهم ... فجّر لهم الحجر، وأنزل عليهم

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٩٩ .

(٢) سورة النساء آية ٤٧ .

(٣) المرجع نفسه ١/٦٢٠-٦٢١ .

(٤) سورة البقرة آية ٤٠ .

المن والسلوى وأنجاهم من عبودية آل فرعون »[1]، وقال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[2]، يقول ابن كثير : «يذكرهم تعالى سالف نعمه على آبائهم وأسلافهم وما كان فضلهم به من إرسال الرسل منهم وإنزال الكتب عليهم وعلى سائر الأمم من أهل زمانهم »[3] .

٣- النهي عن التشبه بهم، فقد أكد رحمه الله : « أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولًا وفعلًا فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [4] .... وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص – عليهم لعائن الله – فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولون راعنا ويورُّون بالرعونه»[5] .

وكذلك النهي عن إتباع طرائقهم كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١٢٠﴾ ﴾[6]، يقول ابن كثير : « فيه تهديد ووعيد للأمة عن إتباع طرائق اليهود والنصارى بعدما علموا من القرآن والسنة، عياذًا بالله من ذلك، فإن الخطاب مع الرسول، والأمة مراده »[7]، وابن كثير رحمه الله حينما يُحذَّر المؤمنين بأن الله نهاهم عن اتباع طرائق اليهود

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١٠٦/١ .

(٢) سورة البقرة آية ٤٧ .

(٣) المرجع نفسه ١١٤/١ .

(٤) سورة البقرة آية ١٠٤ .

(٥) المرجع نفسه ١٨٦/١ .

(٦) سورة البقرة آية ١٢٠ .

(٧) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٠٤/١ .

والنصارى، وما ذاك إلا لأنهم يحسدون المؤمنين، فهم أعداء لهم في الظاهر والباطن كما قال سبحانه : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [1]، يقول ابن كثير « يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طرائق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعدواتهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم »[2] .

ويقول أيضًا عند تفسير الآية : ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[3] ، « يخبر تعالى عن حسد اليهود للمؤمنين، وبغيهم إياهم الإضلال، وأخبر أن وبال ذلك إنما يعود على أنفسهم وهم لا يشعرون »[4] .

---

(١) سورة البقرة آية ١٠٩ .

(٢) المرجع نفسه ١٩٢/١ .

(٣) سورة آل عمران آية ٦٩ .

(٤) المرجع نفسه ٤٥٨/١ .

المطلب الثاني

منهجه في دعوة المشركين

معنى الشرك : الشرك كالشريك والجمع أشراك وشركاء وطريق مشترك يستوي فيه الناس، واسم مشترك يشترك فيه معان كثيرة، وأشرك بالله جعل له شريكًا في ملكه والاسم الشرك، والشِّرك الكفر، وقد أشرك فلان بالله فهو مُشرك ومُشَّركيٌّ[1] .

وفي الاصطلاح : هو أن يصرف العبد شيئًا من أنواع العبادة لغير لله تعالى من أصنام أو أوثان أو أشجار أو أحجار أو إنس أو جن أو قبور أو أجرام سماوية أو قوى طبيعية أو غير ذلك[2] .

والشرك كما قال ابن كثير : « فزعت منه السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق، إلا الثقلين فكادت أن تزول منه لعظمة الله »[3] .

ولذلك نجده رحمه الله استخدم المنهج العاطفي فاهتم بموضوع الشرك والتحذير منه وبيان آثاره وأضراره في الدنيا والآخرة،وكذلك المنهج العقلي بالرد على المشركين وخرافاتهم وأوهامهم، ودعوتهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وإقامة الحجج والبراهين العقلية على توحيد الله وعلى صدق نبوة

---

(١) انظر لسان اللسان (تهذيب لسان العرب) تم تهذيبه بعناية المكتب الثقافي لتحقيق الكتب إشراف الأستاذ عبد علي مهنا، ٦٦٨/١، طبعة دار الكتب العربية، ط١ ١٤١٣هـ .

(٢) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د حمود الرحيلي، ص١٠٠، طبعة دار العلوم والحكم بدمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ١٧٦/٣، عند تفسير الآية ٩٠ من سورة مريم .

محمد ﷺ وكذلك الاحتجاج على المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية وإلزامهم بالإقرار بتوحيد الألوهية، وبالمنهج الحسي بتمثيله لمن يريد أن يصد عن الحق ومحاربة من المشركين كمثل الذي يريد أن يطفيء شعاع الشمس أو نور القمر بنفخة وهذا لا سبيل له، ونحو ذلك مما ذكره ابن كثير رحمه الله وهذا ما سنذكره في هذا المطلب من خلال النقاط التالية :

١- يؤكد ابن كثير رحمة الله على أن الشرك أعظم الذنوب على الإطلاق فالله تعالى يغفر الذنوب جميعًا إلا الشرك كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [١]، يقول ابن كثير : « أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به أي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ أي من الذنوب لمن يشاء من عباده »[٢] .

كما أن الشرك محبط لجميع الأعمال يقول تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨ ﴾ [٣]، يقول ابن كثير في تفسير الآية : « تشديد لأمر الشرك، وتغليظ لشأنه وتعظيم لملابسته »[٤] .

والشرك أعظم الذنوب لأن الله حرم دخول الجنة على المشرك فهو خالد مخلد في النار كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ ﴾ [٥]، قال ابن كثير : «أي فقد أوجب له النار وحرَّم عليه الجنة »[١] .

---

(١) سورة النساء آية ٤٨ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٢١/١ .

(٣) سورة الأنعام آية ٨٨ .

(٤) المرجع نفسه ١٩٨/٢ .

(٥) سورة المائدة ٧٢ .

٢- بين ابن كثير رحمه الله جهل المشركين وضلالهم وقلة عقولهم وإتباعهم لأهوائهم وآرائهم الفاسدة، يقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[٢]، « في هذا تبكيت عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره مما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئًا ولم يأمرهم بذلك ولا رَضي به ولا أراده، بل تبرأ منهم في وقت أحوج ما يكونون إليه وقد تركوا عبادة الحي القيوم السميع البصير القادر على كل شيء العليم بكل شيء، وقد أرسل رسله وأنزل كتبه آمرًا بعبادته وحده لا شريك له ناهيًا عن عبادة ما سواه »[٣] .

ويقول عند تفسير الآية : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۚ ﴾[٤]، « يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين وقلة ثباتهم وإيقانهم وأنه لا يتصور منهم الإيمان، وقد كتب عليهم الشقاوة وذلك أنهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا للرسول إنما أنت مفتر أي كذَّاب، وإنما هو الرب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد »[٥] ، ويشير رحمه الله إلى أمر مهم وهو أن الذي يقود الكفار والمشركين في أقوالهم وأفعالهم هو تقليد الآباء والأسلاف، واتباع ما يمليه عليه شياطينهم من الجن والإنس، فيقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[٦]،

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١٠٥/٢ .

(٢) سورة يونس آية ٢٩ .

(٣) المرجع نفسه ٥١٢/٢ .

(٤) سورة النحل آية ١٠١ .

(٥) المرجع نفسه ٧٢٤/٢ .

(٦) سورة المؤمنون آية ٩٠ .

«فالمشركون لا يفعلون ذلك عن دليل قادهم إلى ما هم فيه من الإفك والضلال وإنما يفعلون ذلك إتباعًا لآبائهم وأسلافهم الحيارى والجهال »[1]، وقال عند تفسير الآية : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ [2]، « أي هم لا يتبعون ما شرع الله من الدين القويم بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل الميتة والدم والقمار إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعادات الباطلة والأقوال الفاسدة »[3]، فالكفار والمشركون « يعملون أعمالًا سيئة وهم في ذلك يعتقدون أنهم يحسنون صنعًا »[4] كما أنهم « لا يبالون بما يأتون من منكر القول والعمل لأنهم لا يخافون حسابًا ولا عقابًا فهم شر الناس أعمالًا وأقوالًا »[5] .

٣- أشار ابن كثير إلى موقف المشركين والكفار من الخير وأهله وأنهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن إتباع طريق الحق، فسيفعلون ذلك ثم تذهب أموالهم ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾[6] أي ندامة حيث لم تجد شيئًا لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق والله متم نوره ولو كره الكافرون،

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٣١٨/٣ .

(٢) سورة الشورى آية ٢١ .

(٣) المرجع نفسه ١٣١/٤ .

(٤) المرجع نفسه ٦٧٢/٣، عند تفسير الآية ٨ من سورة فاطر .

(٥) المرجع نفسه ٢٧٤/٢، عند تفسير الآية ٤٥ من سورة الأعراف .

(٦) سورة الأنفال آية ٣٦ .

وناصر دينه ومعلي كلمته ومظهر دينه على كل دين »[1] ، فالمشركون والكفار « كفروا في أنفسهم فلم يتبعوا الحق وسعوا في صد الناس عن إتباعه والإقتداء به »[2]، وما ذلك إلا لأنهم يودون « ويحبون أن تكون سبيل اللّه عوجًا مائلة، وهي مستقيمة في نفسها لا يضرها من خالفها ولا من خذلها، فهم في ابتغائهم ذلك في جهل وضلال بعيد عن الحق لا يرجى لهم – والحالة هذه – صلاح »[3]، فهم كما قال سبحانه : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾[4] ، « أي يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب (أن يطفؤا نور اللّه) أي ما بعث اللّه به رسوله من الهدى ودين الحق بمجرد جدالهم وافترائهم، فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفأ شعاع الشمس أو نور القمر بنفخة – و هذا لا سبيل إليه – فكذلك ما أرسل اللّه به رسوله لا بد أن يتم ويظهر »[5]، وقد عاقب اللّه سبحانه وتعالى دعاة الكفار والضلال « أنهم يوم القيامة يحملون أوزار أنفسهم وأوزار أخر بسبب ما أضلوا من الناس من غير أن يُنقص من أوزار أولئك شيئًا »[6]، ولذلك فابن كثير رحمه اللّه يُحذِّر المؤمنين من موالاة المشركين والكفار فقال عند تفسير الآية : ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٨٤/٢، عند تفسير الآية ٣٦ من سورة الأنفال .

(٢) المرجع نفسه ٧١٩/١، عند تفسير الآية ١٦٧ من سورة النساء .

(٣) المرجع نفسه ٦٤٤/٢، عند تفسير الآية ٣ من سورة إبراهيم .

(٤) سورة التوبة آية ٣٢ .

(٥) المرجع نفسه ٤٣٢/٢ .

(٦) المرجع نفسه ٥٠١/٣، عند تفسير الآية ١٣ من سورة العنكبوت .

ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾[1]، « نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين أو يتخذوهم أولياء يُسِرُّون إليهم بالمودة من دون المؤمنين، ثم توعدهم على ذلك فقال : ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ أي ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله، ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾ أي إلا من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته »[2] .

كما بيّن رحمه الله الأثر المترتب على عدم موالاة المؤمنين ومجانبة المشركين فقال : « إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر واختلاط المؤمن بالكافر فيقع بين الناس فساد وشر طويل عريض »[3] .

٤- من الأساليب التي بيَّنها ابن كثير لدعوة المشركين إلى الله وتوحيده وعبادته دون سواه، دعوتهم لتفهم القرآن كما قال تعالى﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾[4] ، يقول ابن كثير « يقول تعالى منكرا على المشركين عدم تفهمهم للقرآن العظيم وتدبرهم له وإعراضهم عنه مع أنهم قد خصوا بهذا الكتاب الذي لم يُنزل الله على رسوله ﷺ أكمل منه ولا أشرف، لا سيما آباؤهم الذين ماتوا في الجاهلية حيث لم يبلغهم كتاب ولا أتاهم نذير فكان اللائق بهؤلاء أن يقابلوا النعمة التي أسداها الله اليهم بقبولها والقيام

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٨ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٣٩/١.

(٣) المرجع نفسه ٤١٠/٢

(٤) سورة المؤمنون آية ٦٨ .

بشكرها وتفهمها والعمل بمقتضاها آناء الليل وأطراف النهار، كما فعله النجباء منهم ممن أسلم واتبع الرسول صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنهم»[1].

وكذلك دعوتهم إلى الرجوع إلى سيرة حياة محمد ﷺ ومعرفة حياته وأخلاقه وصدقه وأمانته كما قال تعالى ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[2] ، يقول ابن كثير « أي أفهم لا يعرفون محمدا وصدقه وأمانته وصيانته التى نشأ بها فيهم ؟ أفيقدرون على إنكار ذلك، والمباهتة فيه ؟ »[3] . وهو ﷺ « قد نشأ بين أظهرهم يعرفون مدخله ومخرجه وصدقه وبره وأمانته ونزاهته من الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة حتى إنهم لم يكونوا يسمونه في صغره إلى أن بُعث إلاَّ الأمين، لما يعلمون من صدقه وبره، فلما أكرمه الله بما أكرمه، نصبوا له العداوة ورموه بهذه الأقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها »[4] .

ومن الأساليب في دعوة المشركين إلى توحيد الله وعدم الإشراك به الإحتجاج عليهم باعترافهم بتوحيد الربوبية وأن الله سبحانه الخالق الرازق المحي المميت، وإلزامهم بالإقرار بتوحيد الألوهية كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[5] ، وقال عز وجل : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[6]، قال ابن كثير « أي هم

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٣١٤.

(٢) سورة المؤمنون آية ٩٦ .

(٣) المرجع نفسه ٣/٣١٤.

(٤) المرجع نفسه ٣/٣٨٥

(٥) سورة الزخرف آية ٧٨ .

(٦) سورة العنكبوت آية ٦٣ .

يعترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق، وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة من هو المتفرد بالخلق والرزق » [1].

ومن الأساليب في دعوة المشركين، دعوتهم إلى الإعتبار بالسابقين وما حل بهم من النكال والعذاب بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسلهم كما قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾[2] ، يقول ابن كثير « قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم من الرسالة سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل، كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها، فخليت منهم منازلهم وسُلِبُوا ما كانوا فيه من النعم بعد كمال القوة وكثرة العَدَد والعُدَد، وكثرة الأموال والأولاد، فما أغنى ذلك شيئا ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك لأنه تعالى لا يعجزه شيء » [3] .

فمنهج ابن كثير رحمه الله في دعوة الناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين وسواء كانوا علماء أو ولاة أو عامة الناس اشتمل على مختلف المناهج الدعوية سواء كانت عاطفية أو عقلية أو حسية أو غيرها مما يتيعن على الدعاة

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٤٥٧، ٤٥٨ .

(٢) سورة فاطر آية ٤٤ .

(٣) المرجع نفسه ٣/٦٨٩

أن يستفيدوا من منهجه في دعوة المشركين وذلك حسب طبيعة المدعوين منه وحسب الظروف والاحوال المصاحبة[1] لذلك .

[1] سيكون الحديث عن استفادة الداعية في العصر الحاضر من منهج ابن كثير في الباب الثالث.

الفصل الثالث

منهج ابن كثير في توجيه الدعاة

إن الإسلام هو الدين الحق الذي ارتضاه الله للناس جميعا، فسعادتهم متوقفة على الإلتزام به، والمسلمون جميعا مدعوون إلى الأخذ به والدعوة إليه، ولا شك أن الدعاة إلى الله هم خير وسيلة في نشره وتبليغه، ولئن كانت الحاجة إلى دعاة أكفاء ملحّة ودائمة، فإنها في هذا الزمن أشد وأكثر، فعن طريق الدعاة والعلماء يتعلم الناس ما جهلوا من أمر دينهم، ويتمكنون من مواجهة خطر التيارات المادية الجارفة، والتي اتسع نشاطها بواسطة دعاتها ومروجيها، فإعداد الدعاة وتوجيههم واجب على الأمة الإسلامية أداء لواجب التبليغ ووفاء بالأمانة التي حملوا إياها [1] .

وفي هذا الفصل سنتحدث عن منهج ابن كثير رحمه الله في توجيه الدعاة العلمي والعملي، والذي يشمل توجيههم بمضون الدعوة وأساليبها ووسائلها والعلم بأحوال المدعوين والتدريب على مهمات الدعوة والإجتهاد في طلب العلم والتوجيه بالتخلق بخلق التواضع والقصد والإعتدال والترفع عن اللغو واجتناب الموبقات والمبادرة إلى التوبة وأن يكون الداعية قدوة حسنة ونحو ذلك .

---

[1] انظر شخصية الداعية بين التكوين والتطبيق، مبارك الشريف ص ٩-١٠ بحث غير منشور .

المطلب الأول

العلم بمضون الدعوة

الداعية إلى اللّه هو من يقوم بتبليغ هذا الدين ونشره والدعوة إليه، وحتى يكون الداعية على منهج صحيح ومسار سليم في دعوته، وحتى يكون من ورثة الأنبياء الذين يدعون الناس إلى عبادة اللّه وتوحيده واتباع شريعته، لابد أن يكون الداعية على بصيرة وعلم ونور من الكتاب والسنة، لأنه بذلك سيسلك الجادة الصحيحة والطريق المستقيم، وبدون علم بشريعة اللّه ودينه ستعظم جنايته على الدين والأمة، لأنه لا يمكن أن يكون دليلا وهاديًا وداعيًا إلى الإسلام وشريعته وأحكامه من لا يعرف ذلك، فالجاهل لا يصلح لدعوة الناس وإرشادهم، فالعلم والبصيرة والبينة لابد من وجودها لدى الداعية حتى تثمر دعوته ويتحقق مقصوده كما قال سبحانه ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[1] فبيّن سبحانه أن الذي يدعو إلى اللّه على بصيرة يكون من أتباع الرسول ﷺ أما من يدعو بدون بصيرة ولا علم فلا يدخل في مفهوم هذه الآية الكريمة التي بينت صفة أتباع النبي ﷺ، لأن الداعية إلى اللّه سوف يواجه علماء ضلاله يُلقون عليه الشبهات ويجادلونه بالباطل ليدحضوا به الحق، فإذا لم يكن متسلحا بسلاح العلم والمعرفة فلن يستطيع دحض شبهات المبطلين، وإخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام، وسيلتبس عليه الأمر

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٨

ويقف في أول الطريق ويهزم أمام أعداء الدين[1]، فالدعوة إلى الله « عطاء وإنفاق ومن لم يكن عنده علم ولا ثقافة فكيف يعطي غيره، وفاقد الشيء لا يعطيه ومن لم يملك النصاب كيف يزكي » .

وابن كثير يؤكد على هذا المعنى ويوجب على الداعية « أن يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة وبرهان عقلي وشرعي »[2]، ومن الخطأ عند ابن كثير أن يدعو الإنسان فيما ليس له به علم فيقول عند تفسير الآية﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ ﴾[3] « هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به فإن اليهود والنصارى تحاجَّوا في إبراهيم بلا علم ... وأنكر الله عليهم ذلك »[4].

وهذا لا يعني أنه لا يمكن أن يكون هناك داعية إلا إذا استكمل جميع جوانب العلم والمعرفة لأن هذا من الصعوبة بمكان، ولكن لابد أن يمتلك الداعية المسلم الحد الأدنى من أصول الثقافة الإسلامية وفروعها،ولابد أن يكون عارفا بصيرا بالمسألة التي يدعو إليها والقضية التي يتحدث عنها[5] .

---

(١) انظر منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله للشيخ عبد الله المعتاز ص ٤١-٤٢ بتصرف واختصار، طبعة دار السلام بالرياض الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٦١٠.

(٣) سورة ال عمران آية ٦٦

(٤) المرجع نفسه ١/٤٥٦

(٥) انظر شخصية الداعية بين التكوين والتطبيق، مبارك الشريف ص ١٧٢ بحث غير منشور .

المطلب الثاني

العلم بأساليب الدعوة ووسائلها

الداعية الحصيف هو الذي يعرف كيف يُوصِّل دعوته للناس بأيسر الطرق وأفضل الأساليب، وحيئنذ تبرز أهمية معرفة الداعية لأساليب الدعوة ووسائلها،وكيفية استخدامه وتطبيقه لها، وابن كثير رحمه الله اعتنى بموضوع أساليب الدعوة ووسائلها وبيان أهميتها وأثره على تبليغ الدعوة ونجاح الداعية، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في الفصل القادم « **استخدام ابن كثير لاساليب الدعوة ووسائلها** » .

وفي هذا المطلب سنتحدث عن توجيه ابن كثير للدعاة بالعلم بأساليب الدعوة ووسائلها من خلال النقاط التالية :

١- العناية بالمقاصد والغايات وتقديمها على الوسائل لأن بعض الدعاة في خضم العمل الدعوي يُعنَى بالوسائل على حساب الغايات والأهداف والمقاصد،فيقدم المهم على ما هو أهم، فأحيانا نجد بعض الدعاة يحرصون على تنظيم المؤتمرات والملتقيات الدعوية مثلا ويجتهدون في العناية بوسائل إخراجها وتنظيمها وهذا مطلوب ولكن دون الاهتمام والعناية الكافية بدراسة واختيار أهداف هذا الملتقى وطبيعة الموضوعات المطروحة فيه ومناسبتها للمدعوين ومدى حاجتهم إليها، يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[1] وإنما قدم □ إياك نعبد □ على إياك نستعين ـ لان العبادة هي المقصودة والاستعانة وسيلة إليها، والاهتمام والحزم تقديم ماهو الأهم فالاهم»[2].

٢- يرى ابن كثير رحمه الله أن أسلوب مدح المخاطب والثناء عليه ثم سؤاله المطلوب ودعوته إلى المقصود أنجح للحاجة وأنجع للاجابة فيقول رحمه الله عند تفسير الآية﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾[3] لما تقدم الثناء على المسؤول تبارك وتعالى﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ ناسب أن يعقب بالسؤال .. وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسؤوله ثم يسأله حاجته، لأنه أنجح للحاجة وأنجع للاجابة، ولهذا أرشد الله تعالى إليه لأنه الأكمل، وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه كما قال موسى عليه السلام ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤ ﴾[4] وقد يتقدمه مع ذلك وصف المسؤول كقول ذي النون ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ ﴾[5]»[6].

---

(١) فاتحة الكتاب آية ٥

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٣٨.

(٣) فاتحة الكتاب آية ٦

(٤) سورة القصص آية ٢٤ .

(٥) سورة الأنبياء الآية ٨٧.

(٦) المرجع نفسه ١/٣٩.

٣- توجيه ابن كثير رحمه الله الداعية في استخدام الأمثل في أسلوب الدعوة إلى الله وذلك بمعرفة طبيعة المدعوين فإن كانوا حكاما فالأسلوب المناسب في حقهم دعوتهم بالرفق واللين، وان كانوا من العلماء النابهين فتكون دعوتهم بالحوار المبني على الحجج العقلية والدلائل القطعية، وإن كانوا من أهل الكتاب فتكون ببيان محاسن الإسلام وبيان حاجة الناس إليه، يقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾[1] «هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العزة والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين ... ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع »[2]، وأما الاسلوب الامثل في حوار العلماء ودعوتهم فابن كثير يوجهك ايها الداعية بأن « تستوعب الاقوال في ذلك المقام وأن تنبه على الصحيح فيها وتبطل الباطل وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته فتشتغل به عن الأهم فالأهم » [3]، وأما دعوة أهل الكتاب فتكون ببيان محاسن الإسلام وحاجة الناس إليه، يقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ

---

(١) سورة طه الآية ٤٣ -٤٤.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١٩٥/٣.

(٣) المرجع نفسه ١٢/١ .

مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[1] « يقول تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة أنه قد ارسل رسوله محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق إلى جميع أهل الأرض عربهم وعجمهم أميهم وكتابيّهم، وأنه بعثه بالبينات، والفرق بين الحق والباطل ... ثم أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم فقال ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾[2] أي طريق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[3] أي ينجيهم من المهالك ويوضح لهم أبين المسالك فيصرف عنهم المحذور ويحصل لهم أحب الأمور وينفي عنهم الضلالة ويرشدهم إلى أقوم حالة »[4] .

٤- من الأساليب التي أشار ابن كثير إلى أهميتها وأثرها في الدعوة إلى الله أسلوب القصة واستشهد بقصة موسى عليه السلام وذكر أنه «كثيرا ما يذكر الله تعالى قصة موسى عليه السلام مع فرعون في كتابة العزيز لأنها من أعجب القصص، فان فرعون حَذِرَ من موسى كل الحذر، فَسَخَّره القدر أن رَبَّى هذا الذي يحذر منه على فراشه ومائدته بمنزلة الولد ثم ترعرع وعقد الله له سببا أخرجه من بين أظهرهم ورزقه النبوة والرسالة والتكليم وبعثه إليه ليدعوه إلى الله

---

(١) سورة المائدة الآية ١٥ .

(٢) سورة المائدة الآية ١٥-١٦ .

(٣) سورة المائدة الآية ١٦.

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٤٥.

تعالى ليعبده ويرجع إليه ... ولم تزل المحاجة والمجادلة والآيات تقوم على يدي موسى شيئا بعد شيء ومرة بعد مرة بما يبهر العقول ويدهش الألباب مما لا يقوم له شيء ولا يأتي به إلا مؤمن ومؤيد من الله »[1] .

٥- الجمع بين الترغيب والترهيب من الأساليب التي نبه عليها ابن كثير فقال « كثيرا ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن كما قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾[2] وقال تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾[3] وقال ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[4] وغير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها وتارة بهذا وبهذا لينجع في كل بحسبه»[5] وقال تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾[6] يقول ابن كثير « إن ربك لسريع

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٥٢٦.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٦٥.

(٣) سورة الرعد الآية ٦.

(٤) سورة الحجر الآية ٤٩-٥٠.

(٥) المرجع نفسه ٢/٢٥٤.

(٦) سورة الأعراف الآية ١٦٧.

العقاب » أي لمن عصاه وخالف شرعه، وأنه لغفور رحيم أي لمن تاب إليه وأناب وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة لئلا يحصل اليأس فيقرن تعالى بين الترغيب والترهيب كثيرا لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف »[1] .

وغيرها من الأساليب والوسائل التي ذكرها ابن كثير رحمه اللّٰه من خلال تفسيره ووجَّه الدعاة إليها، ومارسها ودعا إليها، مما سنتحدث عنه في الفصل القادم « استخدام ابن كثير لأساليب الدعوة ووسائلها».

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٢٦/٢.

المطلب الثالث

العلم بأحوال المدعوين

إن معرفة أحوال المدعوين من أهم جوانب العلم التي يَتَعيَّن على الداعية معرفته، ومتى ما كان الداعية على معرفة ودراية بأحوال المدعوين استطاع بإذن الله أن يحدد الوسائل والأساليب المناسبة لدعوتهم،وبالتالي يتمكن من التأثير عليهم، وتحقيق الهدف المنشود من دعوتهم، ولأهمية هذا الجانب من العلم للدعاة أرشد الرسول ﷺ معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبيَّن له حال المدعوين عندما أرسله إلى اليمن بقوله «إنك ستأتي قومًا أهل كتاب » [1].

وابن كثير رحمه الله اعتنى بمعرفة حال المدعوين وتصنيفهم وتحديد طبيعتهم وصفاتهم وخصائصهم وذلك من خلال تفسيره فقد تحدث عن أحوال الناس والاختلافات بينهم فذكر اليهود والنصارى وصفاتهم وخصائصهم وكذلك الدعاة إلى الضلالة والاتباع والملأ والعامة، وغير ذلك مما ذكره مما سنتحدث عنه على سبيل الايجاز حسب النقاط التالية :

١- قَسَّم ابن كثير الناس من حيث الإيمان والكفر إلى « مؤمنين خُلَّص وهم الموصوفون بالآيات الأربع من أول سورة البقرة، وكفار خلص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها، ومنافقون وهم قسمان خُلَّص ...

---

(١) الحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا رقم (١٤٩٦) ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام رقم (٢٩) .

ومنافقون مترددون تارة يظهر لهم لُمع من الإيمان وتارة يخبو »[1]، ثم توسع في التقسيم فذكر « أن المؤمنين صنفان مقربون وأبرار، وأن الكافرين صنفان دعاة ومقلدون، وأن المنافقين أيضًا صنفان منافق خالص، ومنافق فيه شعبة من نفاق، كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ « ثلاث من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدث كذب وإذا واعد أخلف وإذا أؤتمن خان »[2] .

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ « القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مُصَفَّح، فأما الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر وأما القلب المُصَفَّح فقلب فيه إيمان ونفاق، ومَثَل الإيمان فيه كمثل البقلة، يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم، فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه » [3].

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٧٤/١.عند تفسير الآية ١٩، ٢٠ من سورة البقرة.

(٢) الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب علامات النفاق رقم (٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان باب خصال المنافق رقم (٥٨) والترمذي كتاب الإيمان، باب ما جاء في علامة المنافق بلفظ : أربع من كن فيه كان منافقًا رقم (٢٦٣٢) .

(٣) المرجع نفسه ٧٥/١. عند تفسير الايتين ١٩،٢٠ من سورة البقرة والحديث أخرجه أحمد بسند أبي سعيد الخدري رقم (١١١٢٩) ٢٠٨/١٧ طبعة مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٤١٨هـ .

٢- وبناء على أقسام الناس من حيث الإيمان والكفر، فابن كثير رحمه الله يحدد الأسلوب والمنهج المناسب لدعوة كل قسم ومراعاة حاله، فدعوة أهل الكتاب تختلف عن دعوة المشركين ودعوة غير المسلمين تختلف عن دعوة المسلمين بل إن حال اليهود من أهل الكتاب يختلف عن النصارى، والمشركون أنفسهم تختلف أحوالهم، فمنهم الجاهل ومنهم المكابر والمعاند ومنهم الداعية إلى كفره وضلاله، ومنهم الأتباع والمقلدون وهكذا .

وكذلك المسلمون منهم العصاة ومنهم المبتدعة والمنافقون ونحو ذلك مما سبق أن أشرنا إليه في المباحث السابقة[١]، فمثلا يذكر رحمه الله عن طبيعة اليهود « أنهم يكثرون العصيان لأوامر الله، والغشيان لمعاصي الله، والاعتداء في شرع الله »[٢] « فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام، وافتضحوا فضيحة لا يغطيها الليل ولا يسترها الذيل، هذا وهم في جهلهم يعمهون وفي غيهم يترددون، وهم البغضاء إلى الله وأعداؤه ويقولون مع ذلك نحن أبناء الله وأحباؤه »[٣] .

أما النصارى فإن « جهلهم ليس له ضابط، ولا لكفرهم حد، بل أقوالهم وضلالهم منتشر، فمنهم من يعتقده – عيسى عليه السلام – إلها ومنهم من يعتقده شريكا، ومنهم من يعتقده ولدا، وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة وأحوال غير مؤتلفة، ولقد أحسن بعض

---

(١) انظر ص ٥١٢ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٨٦/١ عند تفسير الآية ١١٢ من سورة ال عمران.

(٣) المرجع نفسه ٥٤/٢ عند تفسير الآية ٢٦ من سورة المائدة .

المتكلمين حيث قال لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولا »[1] .

وأما الكفار فمنهم « الدعاة إلى كفرهم الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والإعتقادات،وليسوا على شيء فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في القيعان من الأرض عن بعد كأنه بحر طام، فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملا وأنه قد حصل شيئا، فإذا وافى الله يوم القامة وحاسبه عليها، ونوقش على أفعاله لم يجد له شيئا بالكلية قد قُبل ... وهذا مثال لذوي الجهل المركب، أما أصحاب الجهل البسيط .... المقلدون لائمة الكفر الصم البكم الذين لا يعقلون فمثلهم كما قال تعالى ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾[2] فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يدري أين يذهب ولا هو يعرف حال من يقوده بل كما يقال في المثال للجاهل أين تذهب ؟ قال معهم، وقيل فإلى أين يذهبون ؟ قال لا أدري »[3]،

كما يشير رحمه الله إلى أن الرعية دائما هم على دين ملوكهم، فقال عندما ساق قصة موسى مع سحرة فرعون ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[4] ولم يقولوا نتبع الحق سواء كان من السحرة أو

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٧٢١.

(٢) سورة النور الآية ٤٠ .

(٣) المرجع نفسه ٣/٣٦٩.

(٤) سورة الشعراء الآية ٤٠ .

من موسى، بل الرعية على دين ملوكهم »[1] .

٣- ومن الأمور الأمر التي لفت ابن كثير رحمه الله النظر إليها، فيما يتعلق بحال المدعو، هو أن لا يتحدث الداعية بكلام يستغله السامع ويوظفه توظيفا يتناسب مع مقاصد وأعراض يريدها بحيث تكون عاقبتها مضرة وسيئة على الإسلام والمسلمين، فقد أورد رحمه الله قصة الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه مع الحجاج[2] حيث ندم على روايته حديث العرينين للحجاج لأنه استغل ذلك في تبرير بطشه وطغيانه وإراقته للدماء فقال رحمه الله « عن انس بن مالك قال ما ندمت على حديث، ما ندمت على حديث سألني عنه الحجاج قال أخبرني عن أشد عقوبة عاقب بها رسول الله ﷺ قال قلت : قدم على رسول الله ﷺ قوم من عرينه من البحرين فشكوا إلى رسول الله ﷺ ما لقوا من بطونهم،وقد اصفرت ألوانهم، وضخمت بطونهم فأمرهم رسول الله ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها، حتى إذا رجعت اليهم ألوانهم وانخمصت بطونهم غدوا على الراعي فقتلوه واستاقوا الابل فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم فقطع أيديهم

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٤١٥.

(٢) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي أبو محمد قائد داهية سفاك خطيب ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله بن الزبير وفرق جموعه فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق وبنى مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وكان سفاكا سفاحا باتفاق معظم المؤرخين توفي سنة ٩٥هـ . الأعلام ٢/١٦٨.

وأرجلهم وسمر[1] أعينهم، ثم ألقاهم في الرمضاء حتى ماتوا، فكان الحجاج إذا صعد المنبر يقول إن رسول الله ﷺ قد قطع ايدي قوم وأرجلهم ثم ألقاهم في الرمضاء حتى ماتوا لحال ذود، كان يحتج بهذا الحديث على الناس »[2] .

وكذلك من الأمور التي أشار إليها ابن كثير فيما يتعلق بحال المدعو هو أهمية مخاطبة المدعوين على قدر عقولهم، فيقول عند تفسير الآية﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾[3] « أي ذكّر حيث تنفع التذكرة، ومن هنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم، وقال حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله »[4] .

---

(١) سمر العين : سملها أي فقأها، القاموس المحيط مادة (سمر) ص ٤٠٩، طبعة مؤسسة الرسالة ط٦، ١٤١٩هـ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٤/٢ .والحديث اخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب كتاب المحاربين من أهل الكفر والرده رقم (٦٨٠٢) .

(٣) سورة الأعلى الآية ٩ .

(٤) المرجع نفسه ٥٩٢/٤. وخبر علي اخرجه البخاري كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا رقم الباب (٤٩) ص ٢٧، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع بالرياض ط٢، ١٤١٩هـ .

وهناك بعض اللفتات التي ذكرها ابن كثير فيما يتعلق بمعرفة حال المدعو منها أن طباع بعض الناس مجبولة على مخالفة ما يؤمرون به انظر التفسير ٦٣٧/١ عند تفسير الآية ٦٦ من سورة النساء . وأن الإنسان إذا حصلت له شدة بعد نعمة حصل له يأس وقنوط من الخير في المستقبل وجحود للماضي كأنه لم ير خيرا، انظر التفسير ٥٤٠/٢ عند تفسير الآية ٩ من سورة هود وكذلك كثرة مجادلة الإنسان ومعارضته للحق بالباطل إلا من رحم الله. انظر التفسير ١١٦/٣ عند تفسير الآية ٥٤ من سورة الكهف .

ولقد أجاد فضيلة شيخنا الاستاذ الدكتر محمد زين الهادي في الحديث عن هذا الجانب وتوضيحه توضيحا مفصلا من خلال كتابيه : ١- منهج العاملين في الدعوة . طبعت مركز الكتاب للنشر بالقاهرة طبعة ١٩٩١م .

٢- منهج تقديم الدعوة طبعة مركز الكتاب للنشر بالقاهرة طبعة ١٩٩٣م.

المطلب الرابع

التوجيه للصفات الذاتية للداعية

الدعاة إلى الله هم ورثة الأنبياء، فهم الهداة إلى الله وهم القوّامون على دينه، والذائدون عن حرماته والواقفون على مفترق الطريق، يرشدون الحيارى ويبصرونهم، وهم المبلغون عن الله ورسوله دين الحق وهداية الخلق، لذا لا بد لمن يتصدى لهذا الأمر أن يتصف بالصفات التي تؤهله للقيام بعمل الأنبياء والرسل من قبل، وهذه الصفات إما أن تكون ذاتية وفطرية أو مكتسبة، كما أن هناك صفات سلوكية وعملية.

وفي هذا المطلب سنتحدث بايجاز عن بعض الصفات الذاتية كالاخلاص والصدق والصبر وقوة الصلة بالله عز وجل والالتجاء إليه والتوكل عليه، وفي مباحث أخرى سنتعرض لبعض الصفات العملية كالتواضع والقصد والاعتدال والترفع عن اللغو واجتناب الموبقات والمبادرة بالتوبة والتدريب على مهمات الدعوة وطلب العلم وغيرها من الصفات الأخرى .

أولا : الإخلاص :

معنى الإخلاص في اللغة : هو الصفاء من الكدر والشوائب [1].

وفي الاصطلاح : التبري عن كل ما دون الله تعالى[2] .

---

(1) مختار الصحاح للرازي ص ١٨٤.

(2) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ١٥٤.

وعرفه الجرجاني : بأنه تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفائه[1]. والإخلاص هو روح الدين ولب العبادة كما قال سبحانه ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[2] « أي لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل للّه وحده لا شريك له »[3] .

والإخلاص أحد ركني العمل المتقبل، وهو شرط في صحة العمل وقبوله عند اللّه، قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[4] قال ابن كثير «فليعمل عملا صالحا وهو ما كان موافقا لشرع اللّه، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا، وهو الذي يراد به وجه اللّه وحده لا شريك له . وهذان ركنا العمل المتقبل، لابد أن يكون خالصا للّه صوابا على شريعة رسول اللّه »[5] . وكما قال تعالى ﴿ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[6] أي أمركم بالاستقامة في عبادته في مجالها وهي متابعة المرسلين – فيما أخبروا به عن اللّه وما جاءوا به من الشرائع، وبالإخلاص في عبادته، فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين، أن يكون صوابا موافقا للشريعة، وأن يكون خالصا من الشرك[7])، وكما يجب إخلاص العبادة للّه وحده لا شريك

---

(١) التعريفات للجرجاني تحقيق إبراهيم الابياري ص ٢٨.

(٢) سورة الزمر الآية ٣ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٤/٤.

(٤) سورة الكهف الآية ١١٠.

(٥) المرجع نفسه ١٣٨/٣.

(٦) سورة الأعراف الآية ٢٩.

(٧) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٦٥/٢.

له فلا بد أيضا إخلاص التوكل عليه ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[1] قال ابن كثير « فهذه الآية فيها الأمر بإخلاص التوكل »[2] .

فالحاصل أن الإخلاص له أثر كبير على الأعمال والطاعات فالعبد « إذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها لله عز وجل »[3] .

ويتجلى الإخلاص عند الداعية في أنه لا يريد من دعوته إلا وجه الله فلا يبالي بالناس، ولا يسعى إلى مدحهم وثنائهم، لأنه لا يريد أن يحظى بمكانة اجتماعية مرموقة، ولا يهمه كثيرا أن يكون مرفوعا أو يكون مغمورا بين الناس، وليس معنى هذا أن يكون حريصا أن يذمه الناس أو يسيئون الظن به، كلا، وانما ينبغي له أن يسير في الدعوة على الطريق السوي لا يريد إلا وجه الله [4].

ثانيا : الصدق :

معنى الصدق لغة : هو مطابقة الحكم للواقع [5].

وفي الاصطلاح : هو ضد الكذب وهو الإبانة عما يخبر على ما كان[6] .

---

(1) سورة الأنعام الآية ١٦٤.

(2) المرجع نفسه ٢/٢٥٣.

(3) المرجع نفسه ٢/٧١٥.

(4) انظر صفات الداعية لمحمد الصباغ ص ٤٤-٤٥، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ .

(5) التعريفات للجرجاني تحقيق إبراهيم الأبياري ص ١٧٤.

(6) المرجع نفسه ص ١٧٤.

والصدق كما قال ابن كثير « خصلة محمودة ولهذا كان بعض الصحابة لم تجرب عليه كذبة لا في جاهلية ولا في الإسلام وهو علامة على الإيمان، كما أن الكذب أمارة على النفاق، ومن صدق نجا »[1] .

وقد أمر الله تعالى بالصدق وحث عليه فقال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[2] « أي اصدقوا والزموا تكونوا مع أهله وتنجو من المهالك ويجعل لكم فرجًا من أموركم، ومخرجًا، ..... عن عبد الله – هو ابن مسعود – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ « عليكم بالصدق فان الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»[3]، وكذلك صدق الوعد من الصفات الحميدة كما أن خلفه من الصفات الذميمه ... ولهذا أثنى الله على عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ﴾[4] وكذلك كان رسول الله ﷺ صادق الوعد أيضًا لا يعد أحدا شيئا إلا وفّى له به »[5]، ولما كان عليه الصلاة والسلام صادقا كان أمره سديدا ومنهجه مستقيما، بخلاف لو كان كاذبا لظهر أمره واضطربت أقواله وأفعاله، كما قال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٦٠٠ .

(٢) سورة التوبة الآية ١١٩.

(٣) المرجع نفسه ٢/٤٩٢، والحديث متفق عليه، واخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا اتقو الله وكونوا مع الصادقين } رقم (٦٠٩٤) ومسلم في كتاب البر والصلة باب قبح الكذب وحسن الصدق وتقبله رقم (٢٦٠٧) وأبو داود في كتاب الأدب، باب التشديد في الكذب رقم (٤٩٨٩) والترمذي كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الصدق والكذب رقم (١٩٧١).

(٤) سورة مريم الآية ٥٤.

(٥) المرجع نفسه ٣/١٥٩.

لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾[1] يقول ابن كثير « أي لو كان هذا الذي يزعم أن الله أرسله إليكم كاذبا كما تزعمون لكان أمره بينا يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله، فتكون في غاية الإختلاف والإضطراب وهذا نرى أمره سديدا ومنهجه مستقيما »[2] .

فالصدق من الأخلاق المهمة للدعاة إلى الله، وذلك حتى تكون أمورهم سديدة ومناهجهم مستقيمة، وعلامة صدق الداعية أن يظهر أثر هذا الصدق على وجهه وصوته فيؤثر في المخاطب، وينفذ إلى أعماق قلبه ويحمله – بإذن الله – على قبول قوله والاستجابة له .

ثالثا : الصبر:

معنى الصبر لغة : حبس النفس وكفها عن الجزع[3] .

وفي الاصطلاح : هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع،عما يقتضيان حبسهما عنه[4] .

والصبر صفة أساسية للداعية، لان طريق الدعوة ليس ممهدا معبدا، ولا مفروشا بالورود والرياحين، بل هو في الغالب طريق صعب ووعر، تملؤه الأشواك والعقبات قال تعالى ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾[5]

---

(1) سورة فاطر الآية ٢٨.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٩٣.

(3) مختار الصحاح للرازي ص ٣٤٥.

(4) المفردات في غريب القرآن للاصفهاني تحقيق محمد سيد الكيلاني ص ٢٧٣.

(5) سورة لقمان الآية ١٧.

فلقد أعقب الأمر بالدعوة الأمر بالصبر، مما يدل على أن طريق الدعوة لا يمكن للمرء أن يقطعه إن لم يتذرع بالصبر[١] .

يقول ابن كثير عند تفسير الآية ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ «إعلم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر »[٢] .

ولذلك أمر الله سبحانه نبيه بالصبر على ما يناله في طريق دعوته فقال سبحانه ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[٣] قال ابن كثير « تأكيد للأمر بالصبر، وإخبار بأن ذلك إنما ينال بمشيئة الله وإعانته وحوله وقوته »[٤] وقال سبحانه ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾[٥] « أي وانا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك انقباض وضيق صدر، فلا يهيدنك[٦] ذلك ولا يثنيك عن إبلاغ رسالتك »[٧].

فالداعية مأمور بالصبر على ما يلاقيه في طريق دعوته لان « كل من قام بحق أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر فلابد أن يؤذى فماله دواء إلا الصبر في الله والاستعانة بالله والرجوع إلى الله عز وجل »[٨] . والدعاة كذلك مأمورون

---

(١) انظر: صفات الداعية لمحمد الصباغ ص ٤٩ مرجع سابق .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٥٥٠.

(٣) سورة النحل الآية ١٢٧.

(٤) المرجع نفسه ٢/٧٣٢.

(٥) سورة الحجر الآية ٩٧- ٩٨.

(٦) أي لا يعدلك عن طريق الهدى والرشاد، المعجم الوسيط ص ٩٧٩.

(٧) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٦٩١

(٨) المرجع نفسه ١/٥٣٣.

بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر كما قال سبحانه ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[1] قال ابن كثير « وتواصوا بالصبر » على المصائب والأقدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر »[2] . فالخلاصة أن صبر الداعية على اوامر الله وطاعته وعبادته يجعله من الأئمة الذين يهدون إلى الحق بأمر الله ويدعون إلى الخير كما قال سبحانه ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾[3] قال ابن كثير « أي لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك نواهيه وزواجره وتصديق رسله، وإتباعه فيما جاءوا به، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .... قال بعض العلماء بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين »[4].

رابعا : قوة الصلة بالله

إن تقرب الداعية إلى ربه وحرصه على توثيق الصلة به والتوكل عليه من أهم أسباب نجاحه في دعوته، وابن كثير رحمه الله يوجه الدعاة ويحثهم على تقوى الله وطاعته ومحبته والتوكل عليه وهذا باذن الله – كفيل أن يوفق الداعية لمعرفة الحق ووضوحه وبيانه ودعوة الناس إليه. يقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ

---

(١) سورة العصر .

(٢) المرجع نفسه ٤/٦٥٧.

(٣) سورة السجدة الآية ٢٤.

(٤) المرجع نفسه ٣/٥٧١ – ٥٧٣.

سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾[1] « قال ابن عباس والسدي ومجاهد ... فرقانا مخرجا وزاد مجاهد في الدنيا والآخرة، وفي رواية عن ابن عباس فرقانا نجاة ... وقال محمد بن إسحاق « فرقانا» أي فَصْلا بين الحق والباطل، وهذا التفسير من ابن اسحاق أعم مما تقدم، وقد يستلزم ذلك كله، فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره، وفق لمعرفة الحق من الباطل فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا وسعادته يوم القيامة »[2] ويقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾[3] أي لا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجانبه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ولذا قال سعيد بن المسيب التوكل على الله جماع الإيمان »[4] فالتوكل على الله « هو العمدة في الهداية والعدة في مباعدة الغواية والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد وحصول المراد»[5] ومما يرشد إليه ابن كثير في تقوية صلة المؤمن والداعية بالله سبحانه دعاؤه والتضرع إليه كما قال سبحانه ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[6] يقول ابن كثير « والمراد من هذا أنه تعالى لا يخيب دعاء داع ولا يشغله عنه شيء بل هو

---

(١) سورة الأنفال الآية ٢٩.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٣٧٧.

(٣) سورة الأنفال الآية ٢.

(٤) المرجع نفسه ٢/٣٥٩.

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٤٧٤.

(٦) سورة البقرة الآية ١٨٦.

سميع الدعاء، ففيه ترغيب في الدعاء وأنه لا يضيع لديه تعالى »[1]، ومما يقوي صلة المؤمن والداعية بربه الاستمرار على الطاعة كما قال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[2] « أي حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه »[3] .

---

(١) المرجع نفسه ١/٢٧١.

(٢) سورة ال عمران الآية ١٠٢ .

(٣) المرجع نفسه ١/٤٧٥.

المبحث الثاني

التوجيه العملي للداعية

توطئة:

إن الدروس العلمية والتوجيهات النظرية ليست وحدها كافية لإعداد جيل من الدعاة قادر على القيام بمهمة الدعوة وتبليغها لذلك لابد من الاعداد السلوكي والتدريب العملي للدعاة وهو ما كان يفعله ﷺ مع صحابته الكرام . فقد كان ﷺ يعلمهم القرآن وشرائع الإسلام وكان مع ذلك يطلب منهم الممارسة العملية لتطبيق هذا الدين والدعوة إليه وتبليغه والجهاد في سبيله، وهكذا سار الدعاة والمصلحون من بعد الرسول ﷺ، وابن كثير رحمه الله من الدعاة الذين تربوا في مدرسة ابن تيمية الاصلاحية والدعوية، لذلك نرى حرصه واضحا على الدعوة وتدريب الدعاة من خلال التوجيهات لبعض الاعمال والمهمات التي تفيدهم في حياتهم العملية، وكذلك من خلال الممارسات العملية التي كان يقوم بها رحمه الله في مجال الدعوة إلى الله، وسنتحدث في هذا المبحث عن بعض هذه التوجيهات العملية لإعداد الدعاة من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

التدريب على مهمات الدعوة

من أساسيات الإعداد العملي للدعاة إلى الله التدريب والتوجيه لمزاولة مهمات الدعوة بشتى أنواعها، تحت إشراف أساتذة الدعوة المخلصين العاملين فيها، وابن كثير رحمه الله من هؤلاء الدعاة المخلصين والأساتذة المجربين، فقد مارس الدعوة والاصلاح مع المسلمين وغير المسلمين، ومع العلماء والأمراء وغيرهم من أصناف المدعوين ممن سبق أن تحدثنا عنهم في المباحث السابقة .

وفي هذا المطلب سنشير إلى توجيه ابن كثير لبعض الاعمال والمهمات التي من شأنها إفادة الدعاة في حياتهم العملية سواء فيما يتعلق بالدعوة أو المدعوين أو أساليب الدعوة وسائلها، إضافة إلى ذكره بعض الأمثلة التي تدل على بعض المواقف العملية التي مارس من خلالها التدريب على مهمات الدعوة، فمن هذه التوجيهات :

١- حرص ابن كثير على الإهتمام بالتدريب والتمرين - منذ الصغر – على ممارسة العبادة وفعل الخير والدعوة إليه، حتى يألف الصبي الخير ويحبه ويتعود عليه يقول رحمه الله تعليقا على حديث الرسول ﷺ «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها »[1] . « وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمرينا له على

---

[1] الحديث اخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة رقم (٤٩٤)، والترمذي كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الصبي بالصلاة رقم (٤٠٧)

العبادة، لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة، ومجانبة المعصية وترك المنكر والله الموفق »[1]، فالتدريب والتمرين على الممارسة العملية للطاعة وفعل الخير والدعوة إليه في سن مبكرة يجعل الإنسان داعية وقدوة لغيره، وكذلك يسهل عليه تطبيق ما يدعو إليه ويجعله محببًا إليه .

٢- من التوجيهات العملية للتدريب على مهمات الدعوة أنه لا بأس أن يعرف الداعية نفسه لغيره، ويمدحها ويذكر ما عنده من المواهب والقدرات والامكانات إذا دعت الحاجة إلى ذلك، يقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾[2] «مدح نفسه – أي يوسف- ويجوز ذلك إذا جُهِل أمره للحاجة »[3] .

٣- ومن التوجيهات العملية أن الداعية لو عمل عملا لله، فاطلع عليه غيره فأعجبه ذلك فإن هذا لا يكون من الرياء يقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧ ﴾[4] « أن من عمل عملا لله فاطلع عليه الناس فأعجبه ذلك، أن هذا لا يعد ريا ء والدليل على ذلك ما رواه – أبو هريرة رضي الله عنه قال : كنت أصلي، فدخل عليّ رجل فأعجبني ذلك فذكرته للرسول ﷺ فقال : كتب لك أجران أجر السر وأجر العلانية »[5] .

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٤٦١.

(٢) سورة يوسف الآية ٥٥.

(٣) المرجع نفسه ٢/٥٩٤.

(٤) سورة الماعون الآية ٦-٧.

(٥) المرجع نفسه ٤/٦٦٨.

٤- ومن التوجيهات العملية : إنتهاز الفرص واستغلال المناسبات يقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾[1] « جعل سؤالهما له على وجه التعظيم والإحترام وصلة وسببًا إلى دعائهما إلى التوحيد والإسلام، لما رأى في سجيتهما قبول الخير والإقبال عليه والإنصات إليه، ولهذا لما فرغ من دعوتهما شرع في تعبير رؤياهما »[2]، فالداعية الناجح هو الذي يحسن استغلال الفرص والمناسبات الكثيرة ويوظفها في سبيل دعوته، خاصة إذا توسم في المدعو الخير وقبول الدعوة .

٥- ومن التوجيهات العملية : ترتيب الاولويات في الدعوة والعناية بما هو أهم وما يحتاجه المدعو، وهذا ما يفعله الرسول ﷺ كما يقول ابن كثير « أنه عليه السلام كان إذا سئل عن هذا الذي لا يحتاجون إلى علمه أرشدهم إلى ما هو الأهم في حقهم » [3] ، وكذلك لما وجه ﷺ الداعية معاذ بن جبل إلى اليمن رسم له منهجا دعويا يقوم على ترتيب الاولويات في الدعوة فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال « إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا إله إلاالله وأن محمد رسول الله فإنهم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإنهم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة

---

(١) سورة يوسف الآية ٣٩.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٥٩٠.

(٣) المرجع نفسه ٢/٣٤٢ عند تفسير الآية ١٨٧ من سورة الاعراف .

تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم.....الحديث »

٦- ومن التوجيهات العملية تنويع أوقات الدعوة وأساليبها كما فعل نوح عليه السلام مع قومه، فدعاهم ليلا ونهارا وسرا وجهارا ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾[1] قال ابن كثير «ثم إني دعوتهم جهارا ، أي جهرة بين الناس رغم أني أعلنت لهم ، أي كلاما ظاهرا بصوت عال ... وأسررت لهم إسرارا، أي فيما بيني وبينهم، فنوع الدعوة عليهم لتكون أنجع فيهم »[2] . وهكذا الداعية ينبغي أن ينوع أساليب دعوته وطرقها العملية حسب حال المدعوين وحسب الظروف الإجتماعية والبيئية التي يعيشها الداعية، فينوع دعوته من الجهرية والسرية والفردية والجماعية حسب ما تقتضيه المصلحة وحسب البيئة المحيطة والملائمة .

٧- ومن التوجيهات العملية للداعية أن تعم دعوته جميع الناس، فالأصل في الداعية أن تشمل دعوته جميع فئات المجتمع، وهذا لا يتنافى أن يتخصص بعض الدعاة في دعوة فئة معينة من الناس، ولكن الأصل أن الداعية مطالب بإيصال دعوة الخير لجميع الناس دون استثناء ما استطاع إلى ذلك سبيلا، خاصة من كانت رغبته في الخير شديدة وتقبله للدعوة واضحا، ولذلك عاتب الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم لما أعرض عن ابن أم مكتوم فقال سبحانه ﴿ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ

---

(١) سورة نوح الآية ٨-٩.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٥٠١

﴿ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠ ﴾[1] قال ابن كثير « وأما من جاءك يسعى وهو يخشى» أي يقصدك ويؤمك ليهتدي بما تقول له « فأنت عنه تلهى » أي تتشاغل ومن هاهنا أمر الله عز وجل رسوله ﷺ أن لا يخص بالإنذار أحدا بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف والفقير والغني، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار، ثم الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، له الحكمة والحجة »[2] .

وأخيرا نختم هذا المطلب بذكر بعض المواقف والأمثلة التي مارس فيها ابن كثير التدريب على مهمات الدعوة فمن الأمثلة :

- مقابلته للشاب الصغير الذي كان يحفظ القرآن وعمره ست سنوات وامتحان ابن كثير لحفظه، فوجده يجيد الحفظ والأداء وقد صلى بالناس في شهر رمضان في سنة ٧٤٧هـ[3] .
- والمثال الثاني حضور الشاب الأعجمي من بلاده ومقابلة ابن كثير وقراءته عليه وإجازة ابن كثير له كتابته له بالسماع على الاجازة وفرح الشاب الأعجمى بذلك وقوله لابن كثير أنا ما خرجت من بلادي إلا إلى القصد إليك وأن تجيزني وذكرك عندنا في بلادنا مشهور[4].

---

(١) سورة عبس الآية ٨-١٠.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٥٥٥.

(٣) البداية والنهاية ١٨/٤٨٩.

(٤) المرجع نفسه ١٨/٦٥٩ في حوداث سنة ٧٦٣هـ .

وللاستزاده يمكن الرجوع إلى كتاب علم النفس الدعوي للاستاذ الدكتور محمد زين الهادي ففيه مباحث مهمة حول موضوع التدريب على مهمات الدعوة من ص ١٤٥ – ١٥٩ طبعة مطابع السوادان للعمله بدون تاريخ .

المطلب الثاني

الحث على الاجتهاد في طلب العلم والعمل به

لكي يقوم الداعية إلى الله بمهام الدعوة خير قيام، فإن عليه أن يحصل من العلوم ما تتطلبه أعمال الدعوة إلى الله حتى يتمكن من تعليم الناس ودعوتهم على الوجه الصحيح فلا يزيغ في عقيدة ولا يخطىء في حكم ولا يعجز عن إقناع النفوس المتطلعة إلى معرفة أحكام الأسرار الشرعية، فيكون الإذعان له أتم، والقبول منه أكمل، فأما الجاهل فضال مضل وضرره أقرب من نفعه، وما يفسده أكثر مما يصلحه بل لا يُصْلح أصلا إذ لا تمييز لجاهل بين الحق والباطل ولا معرفة عنده ترشده إلى إصلاح القلوب وتهذيب النفوس[1] .

لذا يجب على كل داع إلى الله العلم بشرع الله تعالى وبالحلال والحرام وما يجوز ومالا يجوز، وما يسوغ فيه الإجتهاد ومالا يسوغ فيه وعليه أن يستزيد من هذا العلم الشرعي ليعرف موضوع دعوته حق المعرفة ويكون على بينة فلا يأمر إلا بالحق ولا ينهى إلا عن الباطل، ولأهمية طلب العلم للداعية وضرورته وأن الداعية الموفق هو الذي يدعو إلى الله على علم وهدى وبصيره نجد أن ابن كثير رحمه الله اعتنى بالعلم وبيان قيمته ومنزلته والحث على تعلمه

---

(١) انظر مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر للشيخ علي بن صالح المرشد ص ٢١٢ طبعة مكتبة لينه للنشر والتوزيع بدمنهور . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

والعمل به[1] يقول ابن كثير عن تفسير الآية ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾[2] « من كرمه تعالى أن علم الإنسان مالم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم عليه السلام على الملائكة، والعلم تارة يكون في الاذهان وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يسلتزمها من غير عكس »[3] .

كما نبه رحمه الله إلى منزلة العلماء وفضلهم فقال عند تفسير الآية ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[4] « وإذا تقرر ... أن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة من هذه الأمة، فالعلماء أغبط الناس بهذه النعمة وأولى الناس بهذه الرحمة فإنهم كما قال الامام أحمد ... . قدم رجل من المدينة إلى أبي الدرداء وهو بدمشق فقال ما أقدمك الي أُخَيَّ ؟ قال حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ، قال أما قدمت لتجارة ؟ قال لا، قال أما قدمت لحاجة ؟ قال لا قال أما قدمت إلا في طلب هذا الحديث ؟ قال نعم قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإنه ليستغفر للعالم من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر

---

(1) للاستزاده انظر كتاب منهج الحياة الإسلام للاستاذ الدكتور محمد زين الهادي ص ٨١ -١٢٥ بعنوان الإسلام والعلم طبعة دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

(2) سورة العلق الآية ٥ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٦٣٠.

(4) سورة فاطر الآية ٣٢.

الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر »[1] .

وقد حث ابن كثير على طلب العلم وتعلمه والعمل به كما ذكر رحمه اللّٰه آداب طالب العلم وتعليمه، فيقول رحمه اللّٰه « قال بعض السلف لا ينال العلم حيي ولا مستكبر، وقال آخر من لم يصبر على ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا »[2] .

ويحث ابن كثير على تعلم العلم منذ الصغر وفي فترة مبكرة من حياة الإنسان فيقول « عن ابن عباس قال ما بعث اللّٰه نبيا إلا شابا ولا أوتي عالم إلا وهو شاب وتلا هذه الآية ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[3] كما أشار رحمه اللّٰه إلى ضرورة العمل بالعلم فقال عند تفسير الآية ﴿كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[4] « عن عكرمه عن ابن عباس قال : العالم بالرحمن من لم يشرك به شيئا وأحل حلاله وحرم حرامه وحفظ وصيته وأيقن أنه ملاقيه، ومحاسب بعمله ..... وعن ابن مسعود أنه قال : ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية ... فالعالم باللّٰه وبأمر اللّٰه الذي يخشى اللّٰه ويعلم الحدود والفرائض »[5] وكذلك أشار رحمه اللّٰه إلى الآداب التي ينبغي أن

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٨٢/٣ والحديث اخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب فضل العلم رقم (٣٦٤١) والترمذي كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة رقم (٢٦٨٢) وابن ماجة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم رقم (٢٢٣)

(٢) المرجع نفسه ٦٧٩/٣ عند تفسير الآية ٢٨ من سورة فاطر.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٦٠ .

(٤) سورة فاطر الآية ٢٨ .

(٥) المرجع نفسه ٦٧٩/٣ .

يتحلى بها طالب العلم كسؤال العالم بأدب ولطف وليس على وجه الإلزام والإجبار، يقول عند تفسير الآية ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ ﴾[1] « سؤال بتلطف لا على وجه الالزام والإجبار، وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم »[2].

ومن الآداب التي ذكرها « النهي عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته فالأولى الإعراض عنها وتركها »[3] وكذلك الشيء الذي ليس في ذكره فائدة ولا مقصد شرعي فلا يتعين معرفته، يقول ابن كثير عند تفسير الآية﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾[4] « وقد أخبر الله تعالى بذلك وأراد منا فهمه وتدبره ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض، إذ لا فائدة لنا فيه ولا مقصد شرعي ... ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله ورسوله إليه »[5] .

وغيرها من الآداب والأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية العالم وطالب العلم [6].

---

(١) سورة الكهف الآية ٦٦.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١٢٣/٣ .

(٣) المرجع نفسه ١٣٨/٢

(٤) سورة الكهف الآية ١٧.

(٥) المرجع نفسه ٩٨/٣.

(٦) انظر مثلا المرجع نفسه ٥٣/٤ عند تفسير الآية ٨٦ من سورة ص وكذلك ٦٢٣/٤ عند تفسير الآية ١٠ من سورة الضحى .

المطلب الثالث

توجيه الداعية للتواضع

التواضع هو التذلل والتخاشع [1]. فهو اذن الخشوع لله وخفض الجناح تذللًا للمؤمنين ولين الجانب لعامة الناس، وقبول الحق ممن قاله أيًا كان، ونقيض التواضع الكبر الذي هو بطر الحق وغمط الناس، والتواضع من الأخلاق الفاضلة والصفات العالية، به يتحقق التآلف والود ولا يَعْرف التواضع إلا من عرف ربه ونفسه[2].

فالتعالي من الداعية يبعد ما بينه وبين المدعويين، فقد جُبلت النفوس على بغض المتكبر والنفور منه، وما أصدق من شبّه المتكبر برجل فوق قمة جبل عال يرى الناس من تحته صغارًا كالنمل، وهم يرونه كذلك، وأن مثل المتواضع كمثل السنبلة المملوءة بالحب تتواضع وتحني رأسها لما فيها من الخير والنفع، أما الفارغة الجوفاء فإنها تظل رافعة رأسها تتعالى على غيرها من السنابل المملوءة وهي لا تصلح إلا للعلف، والتواضع يحبب الشخص للآخرين ويجعله قديرًا وأليفًا وأنيسًا عندهم، والداعية أحوج ما يكون إلى هذا، إنه بحاجة إلى معاشرة الناس ومخالطتهم ليدعوهم ومن ثم ليثمر كلامه معهم، وقد كان عليه الصلاة والسلام حليمًا متواضعًا بين أصحابه، لا يعلو عليهم

---

(١) المعجم الوسيط ١٠٣٩ .

(٢) انظر الدعوة والداعية في ضوء سور الفرقان، محمد سعيد البارودي، طبعت دار الوفاء بجده، ط١، ١٤٠٧هـ.

فيستكبر، ولا يتعالى عليهم فيرتفع، بل كان ﷺ يعمل في بيته ويشارك أصحابه في أعمال كثيرة، ويجاهد معهم ويسلم على صغيرهم، ويحنو على ضعيفهم، ويذكر أنه ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد [١]، وكان عليه السلام يقول : « ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه »[٢]، وقد ذكر ابن كثير رحمه الله من خلال تفسيره فضل التواضع وذم الكبر والمتكبرين، كما ذكر أمثلة للمتواضعين، وعقد فصلًا عن التواضع وذكر فيه بعض الآثار والمرويات عن السلف في التواضع وفضله[٣]، يقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ ﴾ [٤]، « الخشوع السكون والطمأنينة، والتؤده الوقار والتواضع، والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته »[٥]، ويؤكد رحمه الله أن من صفات المؤمنين الكمّل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه ومعتزًا على خصمه وعدوه »[٦]، وقال رحمه الله في ذم المتكبرين عن طاعة الله وعلى الناس بغير حق قوله عند تفسير الآية : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[٧] « أي سأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي، قلوب المتكبرين عن طاعتي، ويتكبرون على الناس بغير حق، أي كما استكبروا بغير حق أذلهم

---

(١) القديد من اللحم ما قُطع طولا ومُلح وجُفف في الهواء والشمس . المعجم الوسيط ص ٧١٨.

(٢) الحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، رقم (٢٥٨٨) .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٥٢/٣ .

(٤) سورة الأحزاب الآية ٣٥.

(٥) المرجع السابق ٦٠٠/٣ .

(٦) المرجع نفسه ٩١/٢ عند تفسير الآية ٥٤ من سورة المائدة .

(٧) سورة الأعراف الآية ١٤٦.

الله بالجهل »[1]، ومن القصص والشواهد التي ذكرها ابن كثير عن التواضع من السلف تواضع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها « عن عقبة بن صُبْهَان الهنائي[2] قال : سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾[3]، فقالت يا بني هؤلاء في الجنة، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ، شهد له رسول الله ﷺ بالحياة والرزق، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق ربه، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم، قال فجعلت نفسها معنا، وهذا رضي الله عنها من باب الهضم والتواضع، وإلا فهي من أكبر السابقين بالخيرات لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »[4] .

وكذلك الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « عن عرفجه الثقفي[5] قال : استقرأت ابن مسعود ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾[6] فلما بلغ (بل تؤثرون الحياة الدنيا) ترك القراءة وأقبل على أصحابه فقال آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم، فقال آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٣١١-٣١٢ .

(٢) هو عقبة من مسلم بن نافع بن هلال بن صهبان الهنائي الدوسي يكنى أبي الملد، انظر الأسامي الكنى لاحمد بن حنبل تحقيق عبد الله يوسف الجديع ص ٧٦ . الناشر مكتبة دار الأقصى، الكويت ط١، ١٤٠٦هـ.

(٣) سورة فاطر الآية ٣٢ .

(٤) المرجع نفسه ٣/٦٨٢ .

(٥) هو عرفجة بن عبد الله الثقفي ويقال السلمي روى عن علي وابن مسعود وعائشة وعتبة بن فرقد ورجل من الصحابة، انظر تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ص ٣٨٩ تحقيق محمد عوامه طبعة دار القلم بسوريا ط٣، ١٤١١هـ .

(٦) سورة الأعلى الآية ١ .

وشرابها وزويت عنّا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل، وهذا منه على وجه التواضع والهضم »[1] .

فالداعية إلى الله مطالب بأن يلتزم بالتواضع حتى يتمكن من تأدية دوره وحتى يتقرب من الناس لأن دعوته في حاجة إلى صلة مستمرة بهم وعليه أن يكون قريبًا إلى قلوبهم وأرواحهم والتواضع هو صانع ذلك كله، كما بينته الحياة التي عاشها النبي ﷺ تطبيقاً على نفسه وتوجيهًا لمن بعده من المؤمنين[2] .

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٤ .

(2) انظر الدعوة الإسلامية، أحمد غلوش ص ٤٥٦، طبعت دار الكتاب المصري، ط٢، ١٤٠٧هـ .

المطلب الرابع

توجيه الداعية للترفع عن اللغو

معنى اللغو لغة : قال ابن منظور : « اللغو واللغاء السقط ومالا يُعتد به من الكلام وغيره، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع »[1] .

وفي الاصطلاح : هو ضم الكلام ما هو ساقط العبرة منه، وهو الذي لا معنى له في حق ثبوت الحكم[2] .

وعرفه ابن كثير بأنه : « ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال »[3]، والترفع عن اللغو والإعراض عنه من صفات المؤمنين كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ ﴾[4]، يقول ابن كثير : (أي عن الباطل وهو يشمل الشرك كما قال بعضهم والمعاصي كما قاله آخرون »[5]، ومن صفات عباد الرحمن أنهم إذا مروا باللغو مروا كراما، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ۝٧٢ ﴾[6]، « أي لا يحضرون الزور ,وإذا اتفق مرورهم به

---

(١) لسان العرب ٤٥٠١/١٥ .

(٢) التعريفات، للجرجاني، ص٢٤٧، تحقيق إبراهيم الابياري .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٠٠/٣ .

(٤) سورة المؤمنون الآية ٣ .

(٥) المرجع نفسه ٣٠٠/٣ .

(٦) سورة الفرقان الآية ٧٢.

مروا ولم يتدنسوا منه بشيء ولهذا قال ﴿مَرُّواْ كِرَامًا﴾ »[1] وقد أثنى سبحانه على أهل الكتاب الذين آمنوا بالقرآن حيث أنهم أعرضو عن اللغو، وترفعوا عنه وعن أهله فقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[2] ـ قال ابن كثير : « أي لا يخالطون أهله ولا يعاشرونهم كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾[3] وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) أي إذا سفه عليهم سفيه وكلمهم بما لا يليق بهم الجواب عنه، أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب ولهذا قال عنهم أنهم قالوا : (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) أي لا نريد طريق الجاهلين ولا نحبها »[4] .

ومن نعمة الله وفضله على أهل الجنة أنهم منزهون عن سماع اللغو والكلام الساقط الذي لا فائدة منه كما قال سبحانه : ﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمًا ﴾[5]، وقال سبحانه : ﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴿٢٦﴾ ﴾[6]،

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٤٠٩ .

(2) سورة القصص الآية ٥٥.

(3) سورة الفرقان الآية ٧٢.

(4) المرجع نفسه ٣/٤٨٧ .

(5) سورة مريم الآية ٦٢.

(6) سورة الواقعة الآية ٢٥-٢٦.

وقال سبحانه : ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ ﴾[1]، يقول ابن كثير : « هذه الجنات ليس فيها كلام ساقط .... لا معنى له كما يوجد في الدنيا »[2] .

وكذلك « ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا إثمٌ كذب بل هي دار سلام ، وكل كلام فيها سالم من النقص »[3] .

فأهل الجنة « لا يسمعون في الجنة كلامًا لاغيًا أي غثا خاليًا عن المعنى أو مشتملًا على معنى حقير أو ضعيف »[4]

وهكذا يقرر ابن كثير من خلال تفسيره أن اللغو هو الكلام الساقط وما لا فائدة منه في الأقوال والأفعال وأن من صفات المؤمنين والمتقين وعباد الرحمن الإعراض عن اللغو والإثم والكذب، فواجب الدعاة إلى الله أن يعرضوا عن اللغو ويترفعوا عنه وأن يتجنبوا مجالسة أهله، وإذا سفه عليهم السفهاء بما يكرهون لم يقابلوهم بمثله بل يعفون ويصفحون، ويكرمون أنفسهم من الوقوف على مجالس اللغو والخوض فيها، فالحلم من الصفات التي لا يستغني عنها الإنسان فضلًا عن الدعاة إلى الله، وهو دليل على قوة الشخصية ومظهر من مظاهر الرشد والكمال والفضل، وثمرة من ثمار التدين الصحيح.

« أما إذا كان الحلم أو العفو عن ضعف في النفس وخور في العزيمة فليس ذلك من الحلم في شيء، وليس هو الفضيلة التي نحن بصددها، بل هو تهيب وجبن، وكثير من النفوس الضعيفة لا يزيدها الحلم إلا سفهًا وحمقًا، فمثل

---

(١) سورة النبأ الآية ٣٥.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١٦٤/٣ .

(٣) المرجع نفسه ٥٤٩/٤ .

(٤) المرجع نفسه ٣٤١/٤ .

هذه النفوس لا تعالج إلا بالحزم والشدة، وضْعًا للأمور في نصابها، وسموًا بالحلم والعفو حتى لا يكون وسيلة من وسائل الغي وإلا غراء بالعدوان »[1] .

وأخيرًا فابن كثير رحمه الله يوصي الداعية وكل مسلم أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في الصلاة وعند قراءة القرآن وغير ذلك لأن « من لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطييب له وتهيؤ لتلاوة كلام الله »[2] .

---

(١) انظر : البارودي، الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان ص ٢٤٨ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٢٤ .

المطلب الخامس

توجيه الداعية للقصد والاعتدال

معنى القصد هو استقامة الطريق، وهو ضد الإفراط[1] .

يقال هو على القصد، وعلى قصد السبيل إذا كان راشدًا، ويقال طريق قصد سهل مستقيم، والرجل ليس بالجسيم ولا بالنحيف [2]

ومعنى الاعتدال : «التوسط بين حالين في كم أو كيف أو تناسب، يقال ماء معتدل بين الحرارة والبرودة، وجسم معتدل بين الطول والقصر أو بين البدانة والنحافة»[3] .

والقصد والاعتدال من الصفات السلوكية الواجب توفرها في الدعاة إلى الله في كل أمر من الأمور وخاصة في مجال الإنفاق وقد نوه الله عز وجل بهذه الخصلة وأعلى شأنها حيث قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ ﴾[4]، يقول ابن كثير : « أي ليسوا مبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء على أهلهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدلًا خيارًا وخير الأمور أوسطها »[5]، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ

---

(١) انظر القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ص٣١٠، طبعت مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤١٩هـ .

(٢) انظر المعجم الوسيط، ص ٧٣٨، مرجع سابق .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم، ص ٥٨٨ .

(٤) سورة الفرقان آية ٦٧ .

(٥) المرجع نفسه ٤٠٤/٣ .

يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[1]، قال ابن كثير : « يقول تعالى آمرًا بالاقتصاد في العيش ذامًا للبخل ناهيًا عن السرف، ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ أي لا تكن بخيلًا منوعًا لا تعطي أحدًا شيئًا ... ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ أي لا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك، وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملومًا محسورا .....أي فتقعد إن بخلت ملومًا، يلومك الناس ويذمونك وسيتغنون عنك، ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء فتكون كالحسير »[2] .

والقصد والاعتدال والسداد هي سمة هذا الدين العظيم والشرع القويم والرسول الكريم « فهو صلوات الله وسلامه عليه وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد »[3]، والله سبحانه وتعالى نهى أهل الكتاب عن الغلو في الدين والإقتداء بشيوخ الضلال في ذلك فقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾[4]، « أي لا تجاوزوا الحد في إتباع الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الألوهية كما صنعتم في المسيح، هو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهًا من دون الله وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخ الضلال الذي هم سلفكم ممن

---

(١) سورة الإسراء آية ٣٠ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٥٠ .

(٣) المرجع نفسه ٤/٢٩١ .

(٤) سورة المائدة آية ٧٧ .

ضل قديمًا ﴿ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ أي خرجوا عن طريق الاستقامة والإعتدال إلى طريق الغواية والضلال »[1] .

ولذلك يشير ابن كثير إلى أن (أصل الإلحاد في كلام العرب العدل عن القصد والميل والجور والإنحراف »[2] .

وقد وصف الله سبحانه من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بأنه قد ضل ضلالًا بعيدًا، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [3]، « أي قد خرج عن طريق الهدى وبعد عن القصد كل البعد »[4]، وابن كثير رحمه الله من خلال تفسيره يؤكد على أهمية القصد والإعتدال والسداد ونهى عن الغلو والإسراف والتبذير،ودعا إلى التوسط والقصد والعفاف ، يقول رحمه عن تفسير الآية : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[5]، « إن الله لا يحب المتعدين حده في حلال أو حرام، الغالين فيما أحل أو حرّم، بإحلال الحرام أو بتحريم الحلال، ولكنه يحب أن يحلل ما أحل ويحرم ما حرم، وذلك العدل الذي أمر به »[6]، وكذلك النهي عن الإسراف في الأكل « لما فيه من مضرة العقول والبدن »[7] .

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١٦/٢ .

(٢) المرجع نفسه ٣٣٨/٢ .

(٣) سورة النساء آية ٣٦.

(٤) المرجع نفسه ٦٩٠/١ .

(٥) سورة الأعراف آية ٣١ .

(٦) المرجع نفسه ٢٦٨/٢ .

(٧) المرجع نفسه ٢٣٢/٢ .

و الداعية إلى اللّه بحق هو الذي يأخذ نفسه بفضيلة القصد والإعتدال ويروضها على تجنب الإسراف والإقتار المذمومين شرعًا والرضا بالكفاف .

والخلاصة : أن النبي ﷺ والدعاة من بعده جعلوا سمة القصد والإعتدال نهجًا سلكوه في تصرفاتهم، والقناعة في الدنيا والرضا منها باليسير سمة من سماتهم[1] .

[1] انظر الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، ص٢٥٥، مرجع سابق .

المطلب السادس

توجيه الداعية لاجتناب الموبقات

المراد بالموبقات : الكبائر من المعاصي، لأنهن مهلكات واحدها موبقة[1].

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله أقولًا كثيرة لأهل العلم في حد الكبيرة فقال : « وقد اختلف علماء الأصول والفروع في حد الكبيرة فمن قائل هي ما عليه حد في الشرع، ومنهم من قال هي ما عليه وعيد من الكتاب والسنة . وقال إمام الحرمين: كل جريمة تنبىء بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة فهي مبطلة للعدالة ... وذكرها بعضهم بأنها « كل فعل نص الكتاب على تحريمه، وكل معصية توجب في جنسها حدا من قتل أو غيره، وترك كل فريضة مأمور بها على الفور »[2] . وقد ورد عن النبي ﷺ الأمر باجتناب السبع الموبقات فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وماهن؟ قال الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق والسحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات »[3] .

---

(١) انظر المعجم الوسيط ص ١٠٠٨.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٩٦/١ عند تفسير الاية ٣١ من سورة النساء .

(٣) متفق عليه، وأخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا .} رقم (٢٧٦٦)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها رقم (٨٩) .

وابن كثير رحمه الله يرى أن الموبقات ليست محصورة بعدد فيقول « فالنص على هذه السبع بأنها كبائر لا ينفي ما عداهن »[1] واستشهد بقول ابن عباس « عن سعيد بن جبير أن رجلا قال لابن عباس كم الكبائر ؟ سبع ؟ قال هي إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع الإستغفار ولا صغيرة مع إصرار »[2]، ثم أورد رحمه الله أمثلة على الموبقات الكبائر مثل « أكل الربا والإفطار في رمضان بلا عذر واليمين الفاجرة وقطع الرحم، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، والخيانة في الكيل والوزن وتقديم الصلاة على وقتها، وتأخيرها عن وقتها بلا عذر وضرب المسلم بلا حق، والكذب على النبي ﷺ عمدا وسب الصحابة وكتمان الشهادة بلا عذر، وأخذ الرشوة ومنع الزكاة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة، ونسيان القرآن بعد تعلمه، وإحراق الحيوان بالنار، وامتناع المرأة من زوجها بلا سبب واليأس من رحمة الله، والأمن من مكر الله، وقد صَنَّف الناس في الكبائر مصنفات منها ما جمعه شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي بلغ نحوا من سبعين كبيرة، وإذا قيل إن الكبيرة ما توعد الشارع عليها بالنار بخصوصها كما قال ابن عباس وغيره، وتتبع ذلك، اجتمع فيه شيء كثير، وإذا قيل كل ما نهى الله عنه فكثير جدا والله أعلم »[3] .

واجتناب الموبقات والإبتعاد عن الكبائر هي من الصفات السلوكية الواجب توفرها في الداعية المسلم حتى يكون من المحسنين الذين وصفهم الله

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٥٨٨ .

(٢) المرجع نفسه ١/٥٩٥ .

(٣) المرجع نفسه ١/٥٩٦-٥٩٧.

سبحانه بأنهم يجتنبون كبائر الاثم والفواحش فقال سبحانه : ﴿ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾[1]، يقول ابن كثير « ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش، أي لا يتعاطون المحرمات والكبائر»[2] . فاجتناب الموبقات له أثر كبير على تربية الداعية تربية إسلامية صحيحة، فالذي يرتقي بفكره وسلوكه إلى السمو والكمال والطهر والعفاف، والاتصال بالملأ الأعلى ينفر بحسه وكيانه وذوقه عن الإنحراف والوقوع في الكبائر والآثام وكل ما يشين سلوكه من نقائص سواء في ذلك صغيرها أو كبيرها [3].

---

(١) سورة النجم آية ٣١-٣٢ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٠٢/٤

(٣) انظر : الدعوة والداعية محمد سعيد البارودي ص ٢٦١ مرجع سابق .

المطلب السابع

توجيه الداعية للمبادرة بالتوبة

معنى التوبة لغة : التوبة بفتح التاء وسكون الواو مأخوذة من « توب» التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع، يقال تاب وأناب إذا رجع عن ذنبه[1] .

وفي الاصطلاح : الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ثم القيام بكل حقوق الرب[2] .

والتوبة شعور وجداني بالندم على ما وقع، وتوجه إلى الله فيما بقي، وكف عن الذنب، وعمل صالح يحقق التوبة بالفعل، كما يحققها الكف بالترك، فهي فعل يتضمن إقبال التائب على ربه وإنابته إليه، والتزام طاعته والإقبال عليه وحل عقد الإصرار وإثبات معنى التوبة في الجنان قبل التلفظ باللسان [3].

والدعاة إلى الله بشر تعتورهم الأهواء، ويتعرضون للوقوع في الأخطاء، واجتراح بعض الآثام، وقد فتح الله سبحانه – تفضلا منه وتكرما – باب التوبة لهم ولغيرهم فقال سبحانه ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣٥٧/١ طبعة مكتبة الخاني بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ٩٥ تحقيق إبراهيم الابياري، مرجع سابق .

(٣) انظر التوبة معناها وحقيقتها، د. صالح السدلان ص ٩ طبعة دار الوطن بالرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[1] .

وتوبة الدعاة هي الاستقامة على التوبة إلى آخر لحظة في حياتهم بحيث لا تحدثهم أنفسهم بالعودة إلى الذنب أو مقارفة الإثم، فتوبتهم ينبغي أن تكون أعلى مراتب التوبة لأنهم أصحاب نفوس مطمئنة، وسلكوا الطريق المستقيم، فلزموا طاعة الله بالإتيان بما أمر به سبحانه واجتناب ما نهى عنه وزجر، وجاهدوا أنفسهم على ترك كل معصية وخلق لا يرضيه سبحانه وتعالى، ولقد أكد ابن كثير رحمه الله على أهمية التوبة وضرورتها لكل أحد، لا سيما الدعاة إلى الله، فأشار إلى فضلها والمبادرة إليها، والوسائل المعينة على ذلك، وأن التوبة متاحة للعبد مالم يغرغر، وغير ذلك مما ذكره ابن كثير عن التوبة من خلال تفسيره فمثلا تحدث عن فضل التوبة والمبادرة إليها عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[2] ، فقال « هذا تهييج إلى التوبة والصدقة اللتين كل منهما يحط الذنوب ويمحصها ويمحقها، وأخبر تعالى أن كل من تاب إليه تاب عليه »[3].

وقال عند تفسير الآية ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[4] ، « هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب

---

(١) سورة الزمر آية ٥٣ .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٤ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٤٧٧.

(٤) سورة الزمر آية ٥٣ .

منها ورجع عنها مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر »[1] .

وذكر رحمه الله أن عاقبة الإستغفار والتوبة هي المتاع الحسن وتيسير الرزق وتسهيل الأمور كما قال سبحانه ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾[2] ، فقال رحمه الله : « أي وأمركم بالاستغفار من الذنوب السابقة والتوبة منها إلى الله عز وجل – فيما تستقبلونه – وأن تستمروا على ذلك « يمتعكم متاعا حسنا ، أي في الدنيا ، إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله ، أي في الدار الآخرة »[3] .

وقال أيضًا رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾[4] ، « ثم أمرهم بالإستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السابقة ، وبالتوبة عما يستقبلونه ،ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه وسهل عليه أمره وحفظ شأنه ... وفي الحديث « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب »[5] وإذا كان الداعية مطالب بالمبادرة إلى التوبة وتجديدها في كل حين فان من بلغ الأربعين تتأكد المبادرة بالتوبة في حقه أكثر من غيره كما قال سبحانه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٧٠.

(2) سورة هود آية ٣ .

(3) المرجع نفسه ٢/٥٣٧.

(4) سورة هود آية ٥٢ .

(5) المرجع نفسه ٢/٥٥٣، ٥٥٤ والحديث اخرجه أبو داود كتاب الوتر باب في الاستغفار رقم (١٥١٨)، وابن ماجه كتاب الأدب باب فضل التسبيح رقم (٣٨١٩) .

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾[1] ، يقول ابن كثير : « وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الاربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله عز وجل ويعزم عليها »[2] فعلى الدعاة إلى الله أن يبادروا بالتوبة ويلوذوا بجناب الله متذللين متضرعين أن يقبلهم الله في عباده الصالحين وينجيهم من عذابه الاليم وأن تكون توبتهم توبة صادقة نصوحا، كما قال سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾[3]، « والتوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر ويندم على ما سلف في الماضي ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل ثم إن كان الحق لآدمي رده عليه »[4] .

كما على الدعاة أن يبادروا بالتوبة قبل بلوغ الروح الحلقوم « فإذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة وعاين المَلَك فلا توبة حينئذ »[5] . فالعاقل من قمع نفسه عن غيها وردها إلى طاعة ربها ورجع إلى الصراط السوي واهتدى بنور الكتاب المبين وهدي سيد المرسلين ﷺ .

---

(١) سورة الأحقاف آية ١٥ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١٨٧/٤.

(٣) سورة التحريم آية ٨ .

(٤) المرجع نفسه ٤٦٢/٤ .

(٥) المرجع نفسه ١٠٦/٤.

المطلب الثامن

توجيه أن يكون قدوة حسنة

القدوة هي الأسوة، يقال فلان قدوة يقتدى به [1]، والقدوة إما أن تكون حسنة كما هو الحال في نبينا محمد ﷺ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[2]، وإما أن تكون قدوة سيئة، وهو كل من يقتدي به غيره في السوء والشر، كقول المشركين حين دعتهم رسلهم للتأسي بهم ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[3]، والدعاة إلى الله يجب أن يكونوا قدوة للخير ودعاة إليه وهداة مهتدين، فإنه إذا خالف فعل الداعية قوله ربما لم يقتصر الضرر على نفسه، بل تعدى ذلك الضرر إلى غيره، وكان قدوة سوء في المجتمع كما قال ابن القيم رحمه الله «جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعو إليه حقا كانوا أول المستجيبين له فهم في الصورة أولياء وفي الحقيقة قطاع طرق »[4] .

---

(١) مختار الصحاح للرازي ص ٥٢٥.

(٢) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(٣) سورة الزخرف آية ٢٣ .

(٤) الفوائد لابن القيم ص ٦١، طبعت دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ، وانظر المرجع نفسه ١١٧-١١٨.

فتأثير الداعية بأفعاله وتصرفاته وسلوكه يكون في غالب الاحيان أبلغ من تأثيره بكلامه وخطبه، وقصة الرسول ﷺ مع أصحابه بعد صلح الحديبيه أكبر دليل على ذلك . يقول ابن كثير بعد أن ساق قصة الصلح مع قريش «فقام رسول الله ﷺ فقال أيها الناس انحروا واحلقوا ... فما قام أحد ... ثم عاد بمثلها فما قام رجل ثم عاد بمثلها فما قام رجل فرجع رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة فقال يا أم سلمة ما شأن الناس ؟ قالت يا رسول الله قد دخلهم ما رأيت، فلا تكلمن منهم إنسانًا، واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق، فلو فعلت ذلك فعل الناس ذلك، فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحدا حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق ... فقام الناس ينحرون ويحلقون »[1] . فعلى الدعاة إلى الله أن يكونوا قدوة حسنة بتصرفاتهم وأفعالهم ودعاة بأخلاقهم وسلوكهم، قبل أن يكونوا دعاة بأقوالهم وخطبهم، فان لهم في رسول الله أسوة حسنة كما قال سبحانه ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[2]، يقول ابن كثير « هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ ... في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين »[3]، فالدعاة إلى الله من العلماء والمصلحين هم الذين يقتدي بهم الناس ويهتدون بهديهم، وفي مقدمة أولئك أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم كما قال تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٢٣٢

(٢) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(٣) المرجع نفسه ٣/٥٨٥.

هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾[1]، يقول ابن كثير « أولئك يعني الأنبياء..... ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ ﴾ أي هم أهل الهداية لا غيرهم، ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ « أي اقتد واتبع وإذا كان هذا أمر للرسول ﷺ فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمر به »[2] . وقال تعالى ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٤﴾[3]، « أي خبرهم، كيف نُصروا وأيُدوا على من كذَّبهم من قومهم، فلك فيهم أسوة وبهم قدوة »[4] ومنهم إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا ﴾[5]، يقول ابن كثير : « يقول تعالى منبها على شرف إبراهيم خليله عليه الصلاة والسلام وأن اللّه تعالى جعله إماما للناس يقتدى به في التوحيد حين قام بما كلفه اللّه تعالى به من الأوامر والنواهي »[6] .

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٠ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١٩٨/٢.

(٣) سورة الأنعام آية ٣٤ .

(٤) المرجع نفسه ١٦٨/٢.

(٥) سورة البقرة آية ١٢٤ .

(٦) المرجع نفسه ٢٠٦/١.

الفصل الرابع

استخدام ابن كثير لوسائل الدعوة وأساليبها

وفيه توطئه و ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الوسيلة والأسلوب والفرق بينهما

المبحث الثاني : الأساليب في منهج ابن كثير

المبحث الثالث : الوسائل في منهج ابن كثير

الفصل الرابع

استخدام ابن كثير لوسائل الدعوة وأساليبها

توطئة :

تأتي أهمية دراسة الوسائل والأساليب لأنها أحد أركان الدعوة إلى الله، فنجاح أي دعوة متوقف على كمال المنهج وصحة الأساليب وقوة الوسائل كما أن الداعية لابد له في تحقيق أهدافه والوصول إلى غاياته من استخدام الوسائل والأساليب التي تعينه على ذلك، وابن كثير رحمه الله استخدم في دعوته للناس إلى الله وتعليمهم الخير، ونصحهم وإرشادهم وتوجيههم، أقول استخدم عدة طرق وأساليب مثل الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن والحوار والمناظرة والتدريس والإفتاء والقدوة الحسنة والترغيب والترهيب وغيرها من الأساليب، كما أنه استخدم عدة وسائل منها الكتب والرسائل والاتصالات الشخصية والصلات والخطب وإيراد القصص وغيرها من الوسائل الأخرى وسنتاول في هذا الفصل نماذج لبعض الوسائل والأساليب التي استخدمها ابن كثير في سبيل دعوته سواء من خلال تفسير القرآن العظيم أو من خلال جهوده العلمية والعملية في الدعوة إلى الله فمن الأساليب التي سنتحدث عنها :

١- الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

٢- المجادلة بالتي هي أحسن، والحوار والمناظرة .

٣- التدريس والافتاء .

٤- الاستدراكات والتعقيبات على غيره من العلماء.

ومن الوسائل :

١- الاتصال الشخصي .

٢- الرسائل الشخصية.

٣- الكتب والمؤلفات

٤- الرحلات .

المبحث الأول

تعريف الوسيلة والأسلوب والفرق بينهما

أولا : تعريف الوسائل

معنى الوسيلة لغة : الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير [١].

وقال الرازي : الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير، وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل[٢] .

معنى الوسيلة في الاصطلاح : « هي كل ما يستخدمه الداعية لإيصال ما يريد إيصاله إلى المدعوين سواء ما كان منها قديمًا أو حديثًا »[٣] .

وقيل : « هي ما يتوصل به الداعية إلى دعوة الناس بطريق شرعي صحيح»[٤].

وقيل : « هي القناة الموصلة للغاية أو الاداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس » [٥].

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة وسل ٧٢٤/١١ وما بعدها.

(٢) مختار الصحاح، الرازي ٧٢١.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، الدكتور حمدان الهجاري ص ٤٧٨، مطابع ابن تيمية القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ .

(٤) وسائل الدعوة د. عبد الرحيم المغزوي ص ١٦، طبعة دار اشبيليا بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .

(٥) ركائز الدعوة في دعوة إبراهيم عليه السلام، د. سيد ساداتي ص ٤٣ .

وقيل هي « كل شيء مادي – في الغالب – يستخدمه الداعي لتحقيق أهدافه وغاياته الدعوية للوصول إلى أفضل النتائج المرجوه [1]. ولو أضيف : بطريق شرعي صحيح، لأصبح هذا التعريف شاملا لما ورد في التعاريف السابقة والتي ركز بعضها على وصف الوسيلة، والآخر على نوع الوسائل وثالث على تطبيق مناهج الدعوة ..

أمَّا ابن كثير فقد عرف الوسيلة بأنها « هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، والوسيلة أيضًا عَلَمٌ على أعلى منزلة في الجنة، وهي منزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة »[2]، ومن المعاني التي ذكرها ابن كثير للوسيلة القربة فقال « الوسيلة هي القربة » [3] .

ثانيا : تعريف الأساليب:

معنى الأسلوب لغة : الطريق والوجه والمذهب ويجمع أساليب وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب الفن يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه »[4] .

أما في الاصطلاح : « فهي الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته، أو كيفية تطبيق مناهج الدعوة ».

---

(1) الدعوة الإسلامية، الاستيعاب والشمول للاستاذ الدكتور محمد زين الهادي ص ٢٥٠ مرجع سابق .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٩/٢.

(3) المرجع السابق ٦٢/٣.

(4) لسان العرب لابن منظور ٤٧٣/١ مادة سلب.

وقيل إن الأساليب « هي الكيفية أو الطريقة المرنة غير المادية التي يؤدي بها الداعي عملا ما عبر الوسيلة سواء كان فكريا أو ماديا للوصول إلى أفضل النتائج [1].

وهذا التعريف هو المختار لشموله الطريقة والأداة والمحتوى والنتائج .

ثالثا : الفرق بين الوسائل والأساليب .

هناك علاقة وثيقة، وصلة قوية بين الوسيلة والأسلوب في الدعوة إلى الله، فالوسيلة هي الشيء الحسي الذي يتمكن الداعية بواسطته استخدام الأسلوب المعين لتبليغ الدعوة، فالاسلوب داخل في الوسيلة، أو هو طريقة تفعيلها والإستفادة منها في الدعوة والبيان والبلاغ . كما أن هناك تلازم في العمل الدعوي بين الوسائل والأساليب والمناهج من حيث قيام العملية التربوية والدعوية التي يشترك فيها الجميع، ولكن من حيث الصفات والخصائص فلابد أن يفرق بين الوسائل والأساليب فالوسائل غالبا ما تكون من أشياء مادية محسوسة فهي أوعية للأساليب التي تمثل الأفكار والخطط والتصورات، فالأشياء التي تباشر وتنفذ في الواقع المشاهد هي الوسائل وما يراد عرضه وإيصاله من معان وأفكار ورؤى وتصورات وخطط ونحو ذلك هي الأساليب، فهناك فرق بين الوسائل والأساليب من ناحية الصفات والسمات، أما من حيث العملية الدعوية فهناك كما قلت تلازم في العمل الدعوي بين الأساليب والوسائل والمناهج، فالعمل الدعوي لا يتم إلا بالوسيلة والأسلوب وهما مندمجان ومنسكبان، لذلك

---

[1] الدعوة الإسلامية، للدكتور محمد زين الهادي ص ٢٥١، مرجع سابق .

قد يكون الشيء الواحد وسيلة من وجه، ومن وجه آخر أسلوبا، وهذا عائد إلى أن الوسائل أوعية للأساليب وحاملة لها، فمثلا المسجد أو المدرسة، فإن المكان والأبنية إذا استخدمتا في الدعوة فهي وسيلة من وسائلها، وأما ما يلقى فيها من الدروس والمحاضرات والندوات ونحو ذلك فهو أسلوب من أساليب الدعوة والتربية[1].

رابعا: ضوابط استخدام الوسائل والأساليب الدعوية

لما كانت الدعوة الإسلامية دعوة إلى توحيد الله سبحانه وعبادته، واقتداء بسنة نبيه ﷺ في دعوته إلى الله، كان لزاما على الدعاة أن تكون أساليبهم ووسائلهم منطلقة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما سار عليه سلف الأمة الصالح، ومنضبطة بأحكام الإسلام وتعاليمه، فالإسلام لا يفصل بين الغايات والمناهج وبين الوسائل والأساليب المحققة لها فالغاية لا تبرر الوسيلة، كما في المبادئ والنظم البشرية الأخرى، فالوسائل لها أحكام المقاصد، وحيث أن بعض الدعاة قد غفل عن هذا الجانب، وحصل تساهل من بعضهم الآخر، كما أن آخرين ظنوا استثناء الوسائل والأساليب من هذه الأحكام، وتصوروا أن لهم الحق في التصرف في هذه الوسائل والأساليب واستخدامها دون قيود، بينما اعتقد آخرون بأن هذه الوسائل والأساليب توقيفية لا اجتهاد فيها[2]. لذلك لابد

---

(١) انظر الدعوة والأسلوب، الاستيعاب والشمول، للدكتور محمد زين الهادي ص ٢٥٢ -٢٥٣، مرجع سابق.

(٢) جميع وسائل الدعوة وأساليبها لا تخرج عن ثلاث حالات :

الأولى : النص على مشروعية الوسيلة والأسلوب في الكتاب والسنة، فحكم الوسيلة والأسلوب فيها توقيفي لا يجوز لأحد منعها أو النهي عن استخدامها.

من معرفة الضوابط والقواعد التي تحكم هذه الوسائل والأساليب حتى تكون – بإذن الله – موافقة للحق وبعيدة عن الافراط والتفريط[1]، فمن هذه الضوابط :

١- أن تكون الوسائل والأساليب مستمدة من نصوص الكتاب والسنة، فلا يجوز للداعية استخدام الوسائل والأساليب الممنوعة والمحرمة كالكذب والخداع واستعمال الأغاني والمعازف وآلات الطرب المحرمة [2].

٢- أن لا يؤدي استخدام الوسائل والأساليب من أجل تحقيق مصلحة إلى الوقوع في مفسدة أعظم من المصلحة، كما قال تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾[3]، يقول ابن سعدي في تفسير هذه الآية « ففي هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية وهي أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها »[4].

٣- أن يراعي الداعية في استخدام الوسائل والأساليب الأولويات فيقدم الأهم فالمهم من أمور الدعوة ومسائل الدين، ومراتب الوسائل

الثانية : النص على منع الوسيلة والأسلوب في الكتاب والسنة فالحكم فيها توقيفي بمنع استخدامها .

والثالثة : عدم النص على الوسيلة أو الأسلوب بمشروعية أو منع في الكتاب والسنة فهذا النوع من الوسائل والأساليب يدخل في دائرة المباح بناء على أن الأصل في الأشياء الاباحة .

(١) المرجع نفسه ص ١٨٥.

(٢) انظر وسائل الدعوة . د. عبد الرحيم المقذوي ص ٢٠ طبعة دار اشبيليا بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(٣) سورة الأنعام آية ١٠٨ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي تحقيق عبد الرحمن اللويحق ص ٢٦٩، وانظر وسائل الدعوة وأساليبها للدكتور حسين محمد عبد المطلب ص ٦١-٦٢، طبعة دار الوطن للنشر بالرياض الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ .

والأساليب تابعة لمراتب مصالحها « فالوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، والوسيلة إلى أرذل المقاصد هي أرذل الوسائل، ثم تترتب الوسائل بترتب المصالح والمفاسد فمن وفقه الله للوقوف على ترتيب المصالح عرف فاضلها من مفضولها ومقدمها ومؤخرها»[1] .

٤- مناسبة الوسائل والأساليب للمدعوين، فأهل البادية والقرى لهم أساليب ووسائل تناسب حالهم ووضعهم وظروفهم، وفهمهم وعاداتهم وأسلوب حياتهم، كما أن لأهل المدن الكبيرة وحواضرها أساليب ووسائل تناسب حياتهم الإجتماعية وظروفهم المعيشية وتقدمهم العلمي والمعرفي، فإذا استخدمت معهم غيرها لا تأتي بثمرات يرجى نفعها، أو تكون بطيئة التأثير، وكذلك هناك وسائل وأساليب تناسب ذوي الاختصاص من المهن المختلفة حيث إنها تنبثق من مهنهم وتخصصاتهم فتكون جاذبة لهم، وهم ميالون لها، فتأتي بنتائج سريعة وطيبة، وهكذا فكل عمل دعوي له نوع يناسبه من الوسائل والأساليب قد لا يتلائم مع النوع الاخر[2] .

٥- أن يلتزم الداعية في وسائل دعوته وأساليبها وطرقها بالصدق والحق، وأن لا يخالف قولهُ فعلَه ولا ظاهرُه باطنَه حتى يوثق في شخصه،

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام ص ٤٣، طبعت مؤسسة الريان بيروت ١٤١٠هـ . وانظر المرجع السابق ص ٦٢.

(٢) انظر الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، للدكتور محمد زين الهادي ص ٢٥٤، مرجع سابق .

وحتى تثمر دعوته، وأن يكون قدوته في ذلك كله نبيه ورسوله **محمد** ﷺ[1] .

[1] انظر وسائل الدعوة للدكتور عبد الرحيم المغذوي ص ٢١ مرجع سابق .

المبحث الثاني

الأساليب في منهج ابن كثير

المطلب الأول

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة

أولا : الدعوة بالحكمة

معنى الحكمة في اللغة، قال ابن فارس : الحاء والكاف والميم أصل واحد وهو المنع، وأول ذلك الحكم وهو المنع من الظلم ... ويقال حكمتُ السفيه إذا أخذت على يديه، والحكمة هذا قياسها لأنها تمنع من الجهل[1] .

وقال الجوهري : الحكمة من العلم وصاحب الحكمة المتقن للأمور، وأحكمت الشيء فاستحكم أي صار محكمًا[2] .

وفي الاصطلاح :

قال الأصفهاني : الحكمة إصابة الحق بالعلم والنقل فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات[3] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق عبد السلام هارون ٢/٩١ مادة حكم .

(٢) الصحاح للجوهري ٥/١٩٠١ – ١٩٠٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني ص ١٢٦، مرجع سابق .

وقد نقل الإمام ابن كثير رحمه الله بعض أقوال العلماء في معنى الحكمة فقال عند تفسير الآية ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾[1]، فقال : « ..... عن ابن عباس يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله ... عن مجاهد يعني بالحكمة الاصابة في القول ... وقال أبو العالية « الحكمة خشية الله فان خشية الله رأس كل حكمة ... وقال إبراهيم النخعي[2] : الحكمة الفهم ... قال زيد بن أسلم : الحكمة العقل قال مالك: وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله، ومما يُبيَّن ذلك إنك تجد الرجل عاقلا في أمر الدنيا إذا نظر فيها، وتجد آخر ضعيفا في أمر دنياه عالما بأمر دينه بصيرا به، يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا، فالحكمة الفقه في دين الله وقال السدي الحكمة : النبوة ... والصحيح أن الحكمة كما قال الجمهور لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها وأعلاها النبوة، والرسالة أخص، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع »[3] .

فيستخلص من التعريفات السابقة للحكمة بأنه يمكن إرجاع معناها إلى معنيين العلم وفعل الصواب .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٩ .

(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس الأسود، أبو عمران النخعي، من مذحج، من أكابر التابعين صلاحًا وصدق رواية وحفظًا للحديث، من أهل الكوفة، مات مختفيًا من الحجاج قال فيه الصلاح الصفدي : فقيه العراق كان إمامًا مجتهدًا له مذهب، ولما بلغ الشعبي موته قال : والله ما ترك بعده مثله، توفي سنة ٩٦هـ (الأعلام ٨٠/١) .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٩٨/١.

أهمية أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله

الأسلوب الناجح في الدعوة هو الأسلوب الحكيم الذي يكون الداعية من خلاله بصيرا بما يدعو إليه، ولا يعجل ولا يعنف، بل يدعو بالمقال الواضح المصيب للحق من الآيات والأحاديث، أما الدعوة بالجهل فهذا يضر ولا ينفع لأن الدعوة مع الجهل بالأدلة قول على الله بغير علم، وهكذا الدعوة بالعنف والشدة ضررها أكثر من نفعها وانما الواجب والمشروع هو الأخذ بما يبين الله عز وجل في قوله تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1]، إلا إذا أظهر للدعوة العناد والظلم فلا مانع من الإغلاظ عليه كما قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾[2]، وكما قال تعالى ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾[3][4].

كما يتعين على الداعية أن يلتزم بالحكمة مع المدعوين في المواقف الدعوية المختلفة، فقد يصلح في بعض الاحيان الأسلوب العاطفي، وفي موقف آخر لا يصلح فيه إلا المنهج والأسلوب العقلي وهكذا، ومن الحكمة أيضًا مراعاة مراتب الاحتساب فالتعريف أولا ثم الوعظ ثم التعنيف ثم استعمال اليد مع القدرة، ومن الحكمة معرفة الدوافع والأسباب التي دفعت المدعو إلى التقصير والمخالفة والوقوع في الخطأ حتى يختار الأسلوب المناسب للعلاج

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٢) سورة التوبة آية ٧٣ .

(٣) سورة العنكبوت آية ٤٦ .

(٤) انظر الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة للشيخ عبد العزيز بن باز ص ٢٨٠٢٩، من إصدارات الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ .

والتوجيه والدعوة والارشاد، فأسلوب دعوة الجاهل يختلف عن أسلوب دعوة العالم، والمقصر المعترف بتقصيره وضعفه يختلف عن المعاند والمكابر وهكذا....

ومن مظاهر الحكمة أيضًا مراعاة اختلاف الظروف والاحوال الدعوية، فما يقال في الأفراح مثلا لا يقال في أيام الشدة وغير ذلك من مظاهر الحكمة في أسلوب الدعوة التي يتأكد على الداعية مراعاتها، كما قال سبحانه ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾[1] ، يقول ابن كثير « يقول الله تعالى آمرًا رسوله محمدًا ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة »[2] ، وقد ذكر رحمه الله أن الله سبحانه امتن على لقمان حيث آتاه الله الحكمة فقال سبحانه ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦ ﴾[3]، يقول ابن كثير « ولقد آتينا لقمان الحكمة أي الفهم والعلم والتعبير »[4] « وعن قتادة في قوله آتينا لقمان الحكمة أي الفقه في الإسلام ولم يكن نبيًا ولم يوح إليه »[5] .

فأسلوب الحكمة من الأساليب الدعوية التي اعتنى بها ابن كثير من خلال توجيهاته الدعوية كما مر معنا وكذلك من خلال ممارسته العملية كموقفه من الامتناع عن الكتابة على الفتوى الصادرة بتغريم السبكي بما وقفه من مال الأيتام إلى بعض الأمراء فقال ابن كثير « وسئلت في الإفتاء عليها

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٧٣١.

(٣) سورة لقمان آية ١٢ .

(٤) المرجع السابق ٣/٥٤٨.

(٥) المرجع نفسه ٣/٥٤٨.

فامتنعت لما فيها من التشويش على الحكام»[1] . وكذلك توجيهه لنائب السلطة في حق أهل قبرص بأنه « مما ينبغي اعتماده في حق أهل قبرص، من الإرهاب ووعيد العقاب وأنه يجوز ذلك وإن لم يفعل ما يتوعدهم به »[2] .

وغيرها من المواقف الكثيرة التي راعى ابن كثير أسلوب الحكمة في بيان الحق والدعوة إليه .

ثانيا : الموعظة الحسنة.

معنى الموعظة الحسنة لغة : قال ابن فارس : الواو والعين والظاء كلمة واحدة، فالوعظ التخويف، والعظة الإسم منه، قال الخليل : هو التذكير بالخير مما يرق له القلب[3] .

وجاء في لسان العرب : الوعظ والعظة والموعظة الفصح والتذكير بالعواقب[4] .

وأما في الاصطلاح : فقال الأصفهاني : الوعظ زجر مقترن بتخويف[5] . وقال الجرجاني : الموعظة هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون الجامدة وتصلح الأعمال الفاسدة [6] .

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير ١٨/٤٥٤.

(2) المرجع نفسه ١٨/٧٠٦.

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦/٢٦ مادة وعظ.

(4) لسان العرب لابن منظور ٧/٤٦٦.

(5) المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني ص ٥٢٧.

(6) التعريفات للجرجاني تحقيق ابراهيم الأبياري ص ٣٠٥.

ويعرف ابن كثير الموعظة الحسنة بأنها بما في القرآن من الزواجر والوقائع بالناس، يذكرهم بها ليحذروا بأس الله [1] .

وقال عند تفسير الآية : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[2]، « أراد بالموعظة ههنا الزاجر أي جعلنا ما أحللنا بهؤلاء من الناس والنكال في مقابلة ما ارتكبوه من محارم الله، وما تحيلو به من الحيل، فليحذر المتقون صنيعهم لئلا يصيبهم ما أصابهم » [3]. إذن فالموعظة تعني التذكير والنصح والتخويف والزجر، فهي ترادف التذكير والنصح والإرشاد، ولها أشكالا عديدة منها القول اللطيف الحسن كما قال سبحانه ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[4] ، « أي كلموهم طيبا وألينو لهم جانبًا » [5]، ومنها النصح المباشر ومنها النصح بالتعريض والتورية، والكتابة، ومنها القصة المؤثرة، والخطبة البليغة، والفكاهة المضحكة، ومنها التذكير بنعم الله المستوجبة لشكره ومنها المدح والذم والترغيب والترهيب، والبشارة والوعد، ونحو ذلك».

ويجب على الداعية أن تكون موعظته على علم وبصيرة، ومبنية على الكتاب والسنة، ويجتهد أن تكون موعظته بليغة ومؤثرة، وأن يراعي الوقت وحال السامع ومدى استعداده وتهيئته، حتى لا تكون مملة ومنفرة، وأن يعتني كذلك بمضمون الموعظة فتارة لبيان حكم شرعي، وأخرى لاشباع احتياج

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٧٣١.

(٢) سورة البقرة آية ٦٦ .

(٣) المرجع نفسه ١/١٣٧.

(٤) سورة البقرة آية ٨٣ .

(٥) المرجع نفسه ١/١٥٢.

المدعويين في باب الترغيب والترهيب، وثالثة في إيراد قصص وعرض أمثلة تشويقية لتقريب الصورة المثلى في الأذهان، فإن ذلك أدعى للاستجابة والقبول».

وهذا ما نجده واضحا عند ابن كثير رحمه الله، فتفسيره طافح بأساليب النصح والتذكير والتوجيه والارشاد والموعظة وإيراد أخبار وقصص الماضين، وأخذ العبرة منها والترغيب في الجنة والترهيب من النار، وفي كتابه البداية والنهاية لم يقتصر على سرد الاحداث والوقائع بل كان يدرسها ويحللها ويعلق عليها، مع استخدامه لأسلوب الموعظة والتذكير والإعتبار بالأحداث والوقائع، والتزهيد في الدنيا والتزود للآخرة، فمثلا لما أورد ترجمة قاضي القضاة نجم الدين بن صصري[1]، وذكر المناصب التي تولاها قال « وكلها مناصب دنوية انسلخ منها . وانسلخت منه ومضى عنها وتركها لغيره وأكبر أمنيته بعد وفاته أنه لم يكن تولاها »[2] .

---

(١) هو قاضي القضاة نجم الدين بن صصري أبو العباس أحمد بن العدل عماد الدين محمد بن العدل سالم بن صصري التغلبي، تفقه بالشيخ تاج الدين الغزالي وعلى أخيه شرف الدين في النحو، وكان له يد في الإنشاء وحسن العبارة ودرس بالعادلية الصغيرة وبالأمينية وبالغزالية، تولى قضاء العساكر في دولة العادل كتبغا، ثم تولى قضاء الشام سنة ٧٠٢هـ ثم أضيفت له مشيخة الشيوخ، توفي فجأة ببستانه بالسهم سنة ٧٢٣هـ (البداية والنهاية ٢٢٨/١٨) .

(٢) المرجع نفسه ٢٢٨/١٨، وانظر مثلا ٦٥٥/١٥ عند ترجمته للشاعر أحمد بن كليب في احداث سنة ٤٢٥هـ وكذلك عند تعليقه على الآية { ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله } (الكهف) البداية والنهاية ٥٧٧/٢.

المطلب الثاني

المجادلة والحوار والمناظرة

معنى المجادلة في اللغة : الجدل شدة الفتل، وجدلت الحبل أجدله جدلًا إذا شددت فتله، وفتلته فتلا محكمًا، والجدل : اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالًا، ورجل جدل ومجدل ومجدال شديد الجدل، والجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة والمناظرة والمخاصمة[1] .

وفي الاصطلاح : قال الراغب الأصفهاني : الجدال هي المعارضة على سبيل المنازعة والمغالبة[2] .

وقال أبو البقاء الكفوي[3] : « الجدل هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره »[4] .

ومعنى الحوار في اللغة : جاء في لسان العرب : المحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وهم يتحاورون يتراجعون في الكلام »[5] .

---

(1) انظر لسان العرب لابن منظور ١٠٣/١١ وما بعدها مادة جدل .

(2) المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني ص ٨٩.

(3) هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء، صاحب الكليات ، كان من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء في كفه بتركيا وبالقدس وببغداد وعاد إلى استانبول فتوفي بها سنة ١٠٩٤هـ (الأعلام ٣٨/٢) .

(4) الكليات للكفوي ١٧٢/٢.

(5) لسان العرب ٢١٧/٤.

وفي المعجم الوسيط : تحاوروا تراجعوا في الكلام بينهم[١] .

وأما في الاصطلاح : فهو مراجعة الكلام والحديث بين طرفين ينتقل من الأول إلى الثاني ثم يعود إلى الأول وهكذا .. دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل بالضرورة على وجود الخصومة[٢] .

معنى المناظرة في اللغة : هي من النظر وهو تأمل الشيء بالعين، وقد نظرت إلى الشيء، والنظر الإنتظار[٣] .

والتناظر التراود في الأمور والنظير والمناظر المثل [٤] .

أما في الاصطلاح : فهي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب[٥] .

والمناظرة بهذا المعنى قريبة من الحوار، إلاَّ أن المناظرة أدل في النظر والتفكر، كما أن الحوار أدل في مراجعة الكلام وتداوله [٦]. وكذلك هناك علاقة بين المناظرة والجدال، والمحاجة بالحوار، إذ كلها تشترك مع الحوار في أنها مراجعة في الكلام ومداولة بين طرفين، فهي تدخل في معنى الحوار من هذه الجهة، ثم تفترق المناظرة في دلالتها على النظر والتفكر، والجدال

---

(١) المعجم الوسيط ٢٠٥/١.

(٢) انظر أصول الحوار، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي وحدة الدراسات والبحوث ص ٩ الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

(٣) الصحاح للجوهري ٨٣٠/٢.

(٤) القاموس المحيط باب الراء فصل النون ص ٦٢٣ مادة نظر ,

(٥) التعريفات للجرجاني ص ٢٩٨.

(٦) انظر الحوار آدابه وضوابطه، يحيى زمزمي ص ٢٨ طبعة دار التربية والتراث بمكة الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

والمحاجة في دلالتهما على المخاصمة والمنازعة[1] .

وقد فسر ابن كثير رحمه الله المحاورة بمعنى المجادلة والمخاصمة كما في قوله تعالى ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾[2] ، « أي يجادله ويخاصمه »[3]، وفسر المحاجة بالمناظرة كما في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾[4]، « أي أتناظروننا في توحيد الله والإخلاص له والانقياد»[5] .

وفسر المحاجة بالمجادلة كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ ﴾[6]، « أي جادلوك في التوحيد » [7] وكذلك فسر المجادلة بالمحاجة كما قال تعالى : ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾[8]، « أي أتحاجوني في هذه الأصنام » [9] .

والجدل منه ما هو ممدوح ومنه ما هو مذموم، فالممدوح هو كل جدال أيد الحق، أو أفضى إليه بنية خالصة وطريق صحيح كجدال الأنبياء وأتباعهم لنصرة الحق وإزهاق الباطل بالحجة والبرهان، وأما المذموم فهو كل جدال

---

(١) انظر المرجع نفسه ص ٣١.

(٢) سورة الكهف آية ٣٤ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ١٠٧/٣.

(٤) سورة البقرة آية ١٣٩ .

(٥) المرجع نفسه ٢٣٥/١.

(٦) سورة آل عمران آية ٢٠ .

(٧) المرجع نفسه ٤٣٦/١.

(٨) سورة الأعراف آية ٧١ .

(٩) المرجع نفسه ٢٨٥/٢.

ظاهر الباطل أو أفضى إليه كجدال الكفار وأهل الأهواء والبدع والمراء [1].

وقد أشار ابن كثير رحمه الله إلى أنه يجب على من يقوم بالمجادلة والمحاجة أن يكون على علم ومعرفة، فلا يصح الجدال بغير علم ولذلك أنكر الله على الذين يجادلون بغير علم فقال سبحانه ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ ﴾[2]، يقول ابن كثير « هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم، إلى حين بعثه النبي محمد ﷺ، لكان أولى بهم وإنما تكلموا فيما لم يعلموا فأنكر الله عليهم ذلك، وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها »[3] . كما ذكر رحمه الله أن تكون مجادلة الداعية ومناظرته وحواره بالتي هي أحسن، بلا تحامل على المخالف ولا احتقار ولا تعال ولا غلظة ولا فظاظة بل يكون الجدال بالتي هي أحسن كما قال تعالى ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[4]، « أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن، برفق ولين وحسن خطاب » [5]، وكذلك لو كانت المحاورة والمناظرة والمجادلة مع غير المسلمين، فيتعين على الداعية أن تكون مجادلتهم بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَلَا

---

(١) انظر دراسات في علوم القرآن للدكتور زاهر الالمعي ص ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران آية ٦٦ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٤٥٧.

(٤) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٥) المرجع نفسه ٢/٧٣١.

﴿ تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾[1] ، يقول ابن كثير « إلا الذين ظلموا منهم « أي حادوا عن وجه الحق وعُمُوا عن واضح المحجة وعاندوا وكابروا فَيُنْتَقَلَ من الجدال إلى الجلاد»[2] .

فأسلوب الجدل فيمن يجادل ,ما دام الأمر في دائرة الدعوة باللسان، والجدل بالحجة، فإذا وقع الإعتداء على أهل الدعوة فان الموقف يتغير، فالإعتداء عمل مادي يُدفع بمثله، إعزازا للحق ودفعا لغلبة الباطل في حدود ما أرشد إليه الشرع [3].

وقد أورد ابن كثير رحمه الله من خلال تفسيره بعض الأمثلة على المجادلة والمناظرة والمحاورة، منها مناظرة إبراهيم عليه السلام للنمرود بن كنعان ملك بابل وقد أقام إبراهيم عليه الحجة، قال تعالى ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[4] ، يقول ابن كثير « فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بُهِت، أي أُخرس فلا يتكلم وقامت عليه الحجة»[5].

وكذلك مناظرته عليه السلام لقومه، كما قال تعالى : ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ

---

(1) سورة العنكبوت آية ٤٦ .

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ٥١٣/٣.

(3) انظر منهج ابن كثير وجهوده في الدعوة إلى الله، إبراهيم الرشد ص ٤٠٩ مرجع سابق .

(4) سورة البقرة آية ٢٥٨ .

(5) المرجع نفسه ٣٨٨/١.

شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾[1]، قال ابن كثير : « يقول تعالى وحاجه قومه فيما ذهب إليه من التوحيد وناظروه بشبه من القول، ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ﴾ أي تجادلوني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو، وقد بصرني وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه ؟ فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة »[2] .

وقد أقام إبراهيم الحجج على قومه كما قال سبحانه ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ﴾[3] [4]، وكذلك مناظرة موسى عليه السلام مع فرعون والجامه اياه الحجة، كما قال تعالى : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[5]، قال ابن كثير «يخبر تعالى عن مناظرة موسى لفرعون وإلجامه إياه الحجة وإظهاره الآيات

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٠-٨٣ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١٩٤/٢

(٣) سورة الأنعام آية ٨٣ .

(٤) المرجع نفسه ١٩٦/٢ .

(٥) سورة الأعراف آية ١٠٤-١١٠ .

البينات بحضرة فرعون وقومه من قبط مصر »[1]، وغيرها من الأمثلة التي وردت من خلال تفسير ابن كثير من أساليب المجادلة والحوار والمناظرة التي كان يقوم بها الأنبياء وغيرهم في رد شبهات المبطلين ونصرة الحق وإعزازه .

وكان ابن كثير رحمه الله يمارس هذا الأسلوب الدعوي، وقد شهد له معاصروه بذلك يقول الحسيني[2] في تذكرة الحفاظ « وأفتى ودرَّس وناظر » [3] .

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في كتابه البداية والنهاية من مناظراته لأحد الرافضه وذلك بدار القاضي المالكي يقول رحمه الله في أحداث سنة ٧٥٥هـ «وقد ناظرت هذا الجاهل بدار القاضي المالكي، وإذا عنده شي مما يقوله الرافضة الغلاة ... من الكفر والزندقة قبحهم الله »[4] .

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٩٨/٢.

(٢) هو محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي، أبو المحاسن حافظ للحديث مؤرخ مولده ووفاته في دمشق، كان شاهد المواريث فيها، وولي مشيخة دار الحديث البهائية بن كتبه ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، وذيل العبر للذهبي والإلمام بآداب دخول الحمام واختصار تهذيب الكمال وغيرها، توفي سنة ٧٦٥هـ (الأعلام ٢٨٦/٦) .

(٣) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٥٨ وكذا عمدة التفسير لأحمد شاكر ٢٦/١.

(٤) البداية والنهاية ٥٦١/١٨.

المطلب الثالث

التدريس والإفتاء

أولا التدريس :

من الأساليب المهمة والنافعة للناس تعليمهم أمور دينهم، ونشر العلم بينهم، عن طريق التوجيه والإرشاد وتدريس العلوم النافعة،وابن كثير رحمه الله تولى التدريس، فكان من الاعمال الأساسية في حياته وحازت على جل وقته، فنفع الله بعلمه، وتخرج على يديه عدد كبير من التلاميذ والطلاب، يقول تلميذه ابن حجي: « وما أعرف اني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا أخذت منه واستفدت منه، وقد لازمته ست سنين »[1]، وقد أمضى رحمه الله في التدريس وقتا ليس بالقصير من عمره سواء في المدارس أو المساجد وكان له في اليوم الواحد ستة مواعيد يُقْرأ عليه فيها « أولها بمسجد ابن هشام بكرة قبل طلوع الشمس ثم تحت النسر ثم بالمدرسة النورية، وبعد الظهر بجامع تنكز، ثم بالمدرسة العزية ثم بالكوشك ..... إلى أذان العصر، ثم من بعد العصر بدار ملك الأمراء، إلى قريب الغروب »[2] .

كما يدرس في الجامع الأموي تفسير القرآن العظيم فقد جاء في البداية والنهاية « وفي صبيحة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة سبع وستين وسبعمائة

---

(١) انباء الغمر ٣٩/١، طبقات المفسرين ١١١/١، وانظر ابن كثير الدمشقي للدكتور الزحيلي ص ١٤٦، مرجع سابق .

(٢) البداية والنهاية ٦٩٩/١٨، عند حوادث سنة ٧٦٦هـ .

حضر الشيخ العلامة عماد الدين ابن كثير درس التفسير الذي أنشأه ملك الأمراء نائب السلطنة الامير سيف الدين منكي بغا ... واجتمع القضاة والاعيان وأخذ في تفسير سورة الفاتحة، وكان يوما مشهورا ولله الحمد والمنّه وبه التوفيق والعصمة »[1] ومن المدارس التي درَّس ابن كثير وتولى مشيختها :

١- المدرسة النجيبية[2]، وبدأ التدريس بها يوم الخميس الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ٧٣٩هـ [3].

٢- دار الحديث الأشرفيه : بناها الاشرف موسى بن الملك العادل الأيوبي، وبنى بجانبها مسكنا للشيخ الذي يدرس فيها، وأنشأ لها خزانة كتب أوقفها عليها، وقد درَّس فيها ابن كثير لكنه لم يستمر فيها طويلا، فبقي فيها مدة يسيرة ثم أخذت منه[4] .

٣- المدرسة الصالحية، وقد وليها ابن كثير بعد وفاة شيخه الذهبي سنة ٧٤٨هـ، وفي ذلك يقول « وفي يوم الاحد سادس عشر ذي القعدة حضرت تربه أم صالح رحم الله واقفها، عوضا عن الشيخ شمس الدين الذهبي، وحضر جماعة من أعيان الفقهاء وبعض القضاة وكان درسا مشهودا ولله الحمد والمنة »[5] .

---

(١) البداية والنهاية ٧١٩/١٨.

(٢) النجيبية : مجاورة للمدرسة النورية، وضريح نور الدين الشهير من جهة الشمال في سوق الدقاقين المتفرع من شارع مدحت باشا بدمشق، وأقام ابن كثير منذ قدومه لدمشق سنة ٧٠٧هـ، وتحولت إلى دار سكن بعد ذلك، انظر الدارس في تاريخ المدارس ٤٦٨/١، وانظر ابن كثير الدمشقي للدكتور محمد الزحيلي ص ١٠١ مرجع سابق .

(٣) البداية والنهاية ٣٨٣/١٨.

(٤) الدارس في تاريخ المدارس ٣٦/١.

(٥) البداية والنهاية ٥٠٠/١٨.

٤- المدرسة التنكزيه : بنى هذه الدار نائب الشام سيف الدين تنكز وجعلها دار قرآن وحديث [١] . وقد صرح الحسيني بتولي ابن كثير مشيخة الحديث بالتنكزية بعد الذهبي » [٢].

٥- المدرسة الفاضلية : وقد ذكر بن حجر رحمه الله أن ابن كثير قد تولى تدريس الفاضلية فقال في ترجمة شمس الدين محمد الموصلي[٣] المتوفى سنة ٧٧٤هـ « وولي تدريس الفاضلية بعد ابن كثير »[٤] .

٦- دار الحديث الأشرفية الجوانية : وقد صرح تقي الدين ابن قاضي شهبه أن ابن كثير ولي مشيخة دار الحديث الأشرفيه فقال « وبعد موت السبكي ولي ابن كثير مشيخة دار الحديث الأشرفيه مدة يسيره ثم أخذت منه »[٥] .

٧- المدرسة النورية الكبرى وأنشأها الملك نور الدين محمود زنكي رحمه الله سنة ٥٦٣هـ[٦] . وقد درس ابن كثير في هذه المدرسة وكان موعدهم قبل صلاة الظهر من كل يوم »[٧]، وغيرها من المدارس

---

(١) المرجع نفسه ٢٩٠/١٨.

(٢) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٥٨.

(٣) هو محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي شمس الدين نزيل دمشق، وكان أكثر مقامه بطرابلس ثم قدم دمشق وولي خطابة جامع يلبغا يسيرًا وتصدر بالجامع الأموي، قال فيه ابن حبيب عالم علت رتبته الشهيره، وبارع ظهرت في أفق المعارف شمسه المنيرة، وبليغ يثني على قلمه السنة الأدب، وخطيب تهتز لفصاحته أعواد المنابر من الطرب كان ذا فضيلة مخطوبة، وكتابة منسوبه وخبرة بالفنون الأدبية، ومعرفة بالفقه واللغة العربية، له نظم المناهج ونظم المطالع وعدة من القصائد النبوية، توفي سنة ٧٧٤هـ (إنباء الغمر بأنباء العمر ٦٨/١)

(٤) إنباء الغمر بأنباء العمر ٦٨/١.

(٥) طبقات ابن قاضي شهبه ص ٣٧٣.

(٦) الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ٤٦٦/١.

(٧) البداية والنهاية ٦٩٩/١٨.

الكثيرة اضافة إلى مشاركته في عضوية لجان الامتحانات التي كانت تعقد في عصره لامتحان الصبيان والشباب النابهين فمثلًا ذكر في حوادث سنة ٧٦٣هـ أنه في يوم ٢٠ شعبان من هذه السنة دعي مع مجموعة من العلماء والمحدثين واللغوين والأدباء وغيرهم لامتحان بدر الدين بن الشيخ كمال الدين الشريشي، وكان يحفظ كثيرا من شواهد اللغة، فأحضروا نيفًا وأربعين مجلدا من كتاب المنتهى في اللغة للتميمي البرمكي واجتمعنا كلنا، وأخذ كل منا بيده مجلدًا من تلك المجلدات، ثم أخذنا نسأله عن بيوت الشعر المستشهد عليها بها، فَينَشْرُ كلًا منَّا ويتكلم عليه بكلام مبين مفيد، فجزم الحاضرون والسامعون أنه يحفظ جميع شواهد اللغة ولا يشذ عنه فيها إلا القليل الشاذ، وهذا من أعجب العجائب وأبلغ الإغراب »[1] .

وابن كثير رحمه الله سلك في تعليمه وتدريسه في المدارس وغيرها طرق التعلم المختلفة والمتنوعة، وبالأساليب الواضحة السهلة، متسمًا بالجودة والإحاطة بالمسألة، مبينا للمستمع محبوب الشارع ومكروهه وما الطريق إلى تحصيل المحبوب والى دفع المكروه أو تخفيفه وتطبيق الأمور الواقعية على القواعد الشرعية ليتم فهمها لأن أكثر الشرائع الظاهرة والباطنة، لا يمكن قياسها ولا العمل بها، إلا بتعلم أهل العلم وتذكيرهم بكل وسيلة وبكل طريقة ومناسبة، لان

---

(١) انظر البداية والنهاية ٦٦١/١٨، ٦٦٢، في حوادث سنة ٧٦٣هـ.

المقصود من استخدام الوسائل والطرق المفيدة من قبل أهل العلم هو إيصال العلم للناس ورفع الجهل عنهم قدر الإمكان [1].

فواجب الدعاة إلى الله اليوم أن يحرصوا على تعليم الناس وبتبصيرهم بأمور دينهم، بالوسائل والأساليب المختلفة سواء كان ذلك في المدارس أو المساجد أو وسائل الإعلام المختلفة كالإذاعة والتلفاز، أو من خلال الدورات العلمية، أو تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وغير ذلك من الأساليب المتنوعة والمفيدة .

ثانيا : الإفتاء :

المفتي هو من يتصدى للفتوى بين الناس، وفقيه تُعَيِّنه الدولة ليجيب عما يشكل من المسائل الشرعية، والجمع مفتون [2]، وأفتى الفقيه في المسألة إذا بيَّن حكمها، واستفتيت إذا سألت عن الحكم قال تعالى ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾[3] . ويقال منه فتوى وفتيا [4] .

والمستفتي هو السائل عن حكم الشرع في مسألة من المسائل.

والإفتاء واجب من واجبات العلماء والفقهاء وهو في حقيقته تبليغ عن الله تعالى وإخبار عما شرعه لعباده من أحكام، ولذلك لابد لمن يتصدر للفتوى أن تتوفر فيه شروط الإفتاء فلا « يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلا عارفا

---

(1) انظر الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، للشيخ عبد الرحمن السعدي ص ١٠٠-١٠١، طبعة مكتبة المعارف بالرياض الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ .

(2) المعجم الوسيط ٢/٦٧٤.

(3) سورة النساء آية ١٧٦ .

(4) معجم مقاييس اللغة ٤/١٧٤.

بكتاب الله بناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه، وما أريد به، ويكون بعد ذلك بصيرًا بحديث رسول الله ﷺ، وبالناسخ والمنسوخ ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيرا باللغة بصيرا بالشعر وما يحتاج إليه للسنة والقرآن، ويستعمل هذا مع الانصاف، ويكون بعد هذا مشرفا على اختلاف أهل الامصار، ويكون له قريحة بعد هذا، فإذا كان هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتي »[1] . وابن كثير رحمه الله ممن توفرت فيهم شروط الفتوى بشهادة علماء عصره وشيوخه وتلاميذه قال عنه ابن حبيب[2] « وأطرب الأسماع بالفتوى وشَنَّف» [3]، وقال أيضًا « وطارت أوراق فتاواه إلى البلاد »[4] ، وأطلق عليه شيخه الذهبي لقب « الفقيه المفتي »[5]، وقال أيضًا « الامام المفتي البارع » [6]، وقال ابن تغري بردي والشوكاني «وأفتى ودَّرس » [7] وقال الحسيني « وأفتى ودرَّس وناظر » [8] وهذا يدل كما يقول الدكتور الزحيلي « على تمكن ابن كثير رحمه الله تعالى بالفقه ومعرفة الأحكام الشرعية

---

(1) اعلام الموقعين لابن القيم ٤٦/١ طبعة دار الجيل سنة ١٩٧٣م.

(2) هو طاهر بن الحسن بن عمر بن حبيب، أبو الغر بن بدر الدين الحلبي المعروف بابن حبيب فاضل، ولد ونشأ بحلب، وكتب بها ديوان الإنشاء، وانتقل إلى القاهرة فتاب عن كتاب السر ووفي فيها عن زهاء سبعين عامًا من كتبه ذيل على تاريخ أبيه ومختصر المنار في أصول الفقه، توفي سنة ٨٠٨ هـ (الأعلام ٢٢١/٣) .

(3) شذرات الذهب ٢٣١/٦، وشنف الآذان بكلامه أمتعها، وشَنَّف كلامه زينه، المعجم الوسيط ٤٩٦/١.

(4) انباء الغمر ٣٩/١.

(5) طبقات الحفاظ ١٥٠٨/٤.

(6) ابناء الغمر ٣٩/١.

(7) المنهل الصافي ٢٤١٥/٢، البدر الطالع ١٥٣/١.

(8) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٥٨.

وإخلاصه في علمه وعمله وثقة الناس به وأخذ الطلاب عنه في الفقه والإذن بالفتوى، وتوجيه القضاة والحكام الفتوى له في القضايا المهمة والخطيرة »[1] .

ومما يدل على علو منزلته في هذا المجال أن الأمراء والحكام كانوا يطلبون منه الراي والمشورة والفتوى في المسائل التي تهم الناس، وكثيرا ما يدعونه للمشاركة مع غيره من المفتين في بحث القضايا والنوازل الإجتماعية والسياسية أو لحضور المجالس التي تعقد للفصل بين نزاعات العلماء وخلافاتهم[2] .

ومما يؤسف له أنه لم يكن هناك فتاوى مدونه لابن كثير ولعلها قد فقدت فيما فقد من مؤلفاته كالأحكام الكبير والصغير وشرح التنبيه في فروع الشافعية، وتخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه وغيرها.

ولعل ما أورده من خلال كتابه التفسير لبعض الأحكام الفقهية والأصولية ومناقشته لأقوال المجتهدين الفقهاء وبيان الصحيح منها والراجح من غيره [3] أو

---

(١) ابن كثير الدمشقي ص ١٠٩ مرجع سابق .

(٢) الامام ابن كثير للندوي ص ١٤٩، مرجع سابق .

(٣) انظر مثلًا التفسير ٣٣/٢، ١،٥٥٢

والبداية والنهاية ٥٦١/١٨ في احداث ٧٥٥ هـ. ٥٧١/١٨ في أحداث سنة ٤٥٤هـ، ٧٠٦/١٨ في احداث ٧٦٦هـ .

وهناك فتوى ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية حول الدجال والسؤال عن الحكمة في أن الدجال مع كثرة شره وفجوره وانتشار أمره ودعواه الربوبية وهو في ذلك ظاهر الكذب والافتراء، وقد حذر منه جميع الأنبياء كيف لم يذكر في القرآن ويحذر منه، ويصرح باسمه وويفوه بكذبه وعناده ؟ فقال ابن كثير رحمه الله « والجواب من وجوه أحدها أنه اشير إلى ذكره في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَنِهَا خَيْرًا ﴾ (الأنعام ١٥٨) .

ما ذَكَر من بعض الوقائع يجعلنا نتعرف على بعض فتاواه وآرائه الفقهية ومواقفه الإجتماعية والسياسية .

فواجب الدعاة اليوم السير على خطى العلماء والمصلحين امثال ابن كثير، وان يتخصص فريق منهم لطلب العلم الشرعي وتحصيله حتى يصلوا الى مستوى علمي، يستطيعون من خلاله تعليم الناس أحكام دينهم والإجابة على تساؤلاتهم لا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه الحوادث والنوازل والمستجدات في شتى أنواع الحياة .

والثاني : أن عيسى بن مريم ينزل من السماء الدنيا فيقتل الدجال . فعلى هذا فيكون ذكر نزول المسيح عيسى ابن مريم اشارة إلى ذكر المسيح الدجال مسيح الضلالة وهو ضد مسيح الهدى ومن عادة العرب إنها تكتفي بذكر أحد الضدين عن ذكر الاخر .

والثالث : أنه لم يذكر بصريح اسمه احتقارا له حيث يدعي الالهية وهو بشر ... فان قلت فقد ذكر فرعون في القرآن وقد ادعى ما ادعاه من الالهيه والكذب والبهات حيث قال :﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ (النازعات ٢٤) وقال ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾ (القصص ٣٨) فالجواب أن أمر فرعون قد انقضى وتبين كذبه لكل مؤمن وعاقل، وأمر الدجال سيأتي وهو كائن فيما يستقبل فتنة واختبارا للعباد . فترك ذكره في القرآن احتقارا له وامتحانا به، إذ أمره وكذبه أظهر من أن ينبه عليه ويحذر منه، وقد يترك الشي لوضوحه ... الخ الفتوى، البداية والنهاية ١٩/١٩٥-١٩٧.

المطلب الرابع

الاستدراكات والتعقيبات على غيره من العلماء

جاء في المعجم الوسيط : استدرك عليه القول أصلح خطأه وأكمل نقصه، أو أزال عنه لبسًا[1] .

وجاء في القاموس المحيط : تعقبه : أخذ بذنب كان منه، وعن الخبر شك فيه وعاد للسؤال عنه [2].

فالإستدراك والتعقيب هو إصلاح خطأ، أو إكمال نقص أو إزالة لبس، أو سؤال عن خبر مشكوك فيه .

والإستدراكات والرود والتعقيبات من الأساليب التي تستخدم لبيان الحق وتوضيحه، وإصلاح الخطأ وإزالة اللبس، وكشف الباطل والتحذير منه، وهذه الأساليب فيها تعليم للجاهل وتنبيه للغافل، وإقامة الحجة على المعاند والمكابر، وهي جهاد بالكلمة وطريق من طرق الدعوة إلى الله وبيان الحق ونصرته والدفاع عنه، وهذا مما يتعين على الدعاة اليوم القيام بهذا الواجب لا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه الشبه التي تبثها وسائل الاعلام المختلفة في قوالب وأساليب مضلله، وابن كثير رحمه الله له باع طويل في هذا المجال، فقد كان رحمه الله عالما ناقدا كما قال الحسيني عنه أنه « فقيه متفنن

---

(١) المعجم الوسيط ٢٨١/١.

(٢) القاموس المحيط ص ١١٦.

محدث مفسر نقاد »[1] .

ونجد ذلك واضحًا في تفسيره رحمه الله وذلك من خلال استدراكاته وتعقيباته على غيره من العلماء أو رده على أخطاء أهل البدع والضلال، وقد سبق أن ذكرنا شيئا من ذلك، وجهود ابن كثر رحمه الله في مجال الردود والتعقيبات والاستدراكات على غيره من العلماء كثيرة ومتنوعة، فمنها ما يتعلق بعلم الحديث ونقد السند والمتن والجرح والتعديل، ومنها ما هو في الفقه وأصوله، ومنها ماهو في النحو والعربية، ومنها أخطاء تتعارض مع العقل والنقل، إضافة الى نقده ورده لما ورد في بعض الاسرائيليات الموضوعة والمكذوبة، الى غير ذلك مما لا يمكن حصره، وابن كثير رحمه الله حينما يقوم بالرد والاستدراك على غيره من العلماء فرائده في ذلك الاخلاص في الوصول الى الحق، وشعاره محبة الآخرين والحرص على نفعهم، ومنهجه حسن الظن بهم بالبحث عن مخرج وعذرٍ لهم، وإذا كانوا خصوما أو أعداء فلا يرضى بغير العدل والانصاف معهم، مع تجنبه الجدل المذموم ونبذه الجمود الفكري والتعصب المذهبي كما مر معنا سابقا عند الحديث عن الموضوعية عند ابن كثير .

ومن الأمثلة على ذلك :

١- **في العقيدة:**

- رده على القدرية في أن العباد هم الذين يختارون الهداية والضلال [2].
- رده على بعض المتكلمين في أن الكرسي هو الفلك الثامن[3].

---

(١) انظر ابن كثير ومنهجه في التفسير د. اسماعيل عبد العال ص ١٤٧.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٤٤، عند تفسير سورة الفاتحة آية ٧.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٣٨٤ عند تفسير البقرة آية ٢٥٥.

- رده على الرافضة في المهدي الغائب المنتظر[١] .
- رده على المعتزلة في أن الله لا يراه المؤمنون في الاخرة [٢] .
- رده على ملاحدة الصوفية في أن المراد باليقين المعرفة[٣] .

٢- في الفقه وأصوله :

- رده على ابن عبد البر في أن الصلاة الوسطى هي جميع الصلوات[٤].
- رده على من أجار نكاح المتعة[٥] .
- رده على من قال بأن الإمساك من طلوع الشمس [٦].
- رده على الشيعة ومن وافقهم في عدم جواز المسح على الخفين[٧] .
- رده على المعتزلة في مسألة التحسين والتقبيح العقليين[٨] .
- رده على اليهود في النسخ وأنه يجوز شرعا وعقلا[٩] .

---

(١) انظر المرجع نفسه ٤٤/٢ عند تفسير المائدة آية ١٢.

(٢) انظر المرجع نفسه ٢٠٥/٢ عند تفسير الأنعام اية ١٠٣.

(٣) انظر المرجع نفسه٦٩٢/٢ عند تفسير الحجر آية ٩٩.

(٤) انظر المرجع نفسه ٣٦٤/١ عند تفسير البقرة آية ٢٣٨.

(٥) انظر المرجع نفسه ٥٨١/١ عند تفسير النساء آية ٢٤.

(٦) انظر المرجع نفسه ٢٧٦/١ عند تفسير البقرة آية ١٨٧.

(٧) انظر المرجع نفسه ٣٨/٢ عند تفسير سورة المائدة آية ٦.

(٨) انظر المرجع نفسه ١٧٨/٤ عند تفسير سورة الجاثية آية ٢٣.

(٩) انظر المرجع نفسه ١٨٩/١ عند تفسير سورة البقرة ١٠٦.

٣- **في الحديث وعلومه :**

- تعقبه لابن الأثير في أن ابا سعيد مولى عامر بن كربز ليس بابي سعيد بن المعلى كما اعتقده ابن الاثير في جامع الاصول[١] .
- تعقبه لابن جرير الطبري في روايته حديثا موضوعا لم ينبه عليه، قال « وهذا أمر عجيب غريب منه »[٢] .
- رده على من قال بأن الذبيح إسحاق وليس إسماعيل واستدلاله بأن الحديث المروي في ذلك لم يصح سنده[٣].
- رده على ابن خزيمة في حديث عائشة أنها لما سألت رسول الله ﷺ عن رؤيته لربه فخاطبها على قدر عقلها [٤] .

٤- **في النحو والعربية :**

- تعقبه ابن جرير بأن الحمد ليس بمعنى الشكر [٥] .
- تعقبه الزجاجي في معنى قوله تعالى ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾[٦]، أي سيري معه بالنهار كله، قال ابن كثير : وهو غريب جدا لم أجده لغيره، والصواب رجعي مسبحة معه [٧] .
- استدراكه على زيد بن أسلم، وسفيان بن عيينة، وغيرهم بأن معنى

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١٩/١ فضل سورة الفاتحة.

(٢) المرجع نفسه ٦٦٧/٣ في تفسير سورة سبأ آية٥١و

(٣) انظر المرجع نفسه ٢٣/٤ الصافات ١٠٢.

(٤) انظر المرجع نفسه ٢٩٧/٤ في تفسير سورة النجم آية ٢ .

(٥) انظر المرجع نفسه ٦٤٧/٣.

(٦) سورة سبأ آية ١٠ .

(٧) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٤٧/٣.

تعولوا تكثر عيالكم، قال والصحيح قول الجمهور « ذلك أدنى أن لا تعولوا » أي تجوروا [١] .

- تعقبه ابن جرير في قوله أن «ما» في قوله تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾[٢] ، موصوله وترجيحه أنها نافية [٣] .
- رده على الظاهرية في إعادتهم الضمير في قوله تعالى ﴿إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا ﴾[٤] على الخنزير، حتى يعم جميع أجزائه قال ابن كثير « وهذا بعيد من حيث اللغة، فانه لا يعود الضمير إلا على المضاف دون المضاف إليه، والأظهر أن اللحم يعم جميع الاجزاء كما هو مفهوم من لغة العرب ومن العرف المطرد »[٥] .

٥- ردود واستدراكات وتعقبات أخرى

- رده على ابن حبان في قوله بأن بين سليمان عليه السلام وإبراهيم عليه السلام أربعين سنة قال ابن كثير « وهذا مما أُنكر على ابن حبان، فان المدة بينهما تزيد على ألوف السنين والله أعلم»[٦].
- تعقبه على من زعم أن ذا القرنين سار في الأرض مدة والشمس تغرب من ورائه، فشيء لا حقيقة له [٧] .

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٥٢/١ في تفسير سورة النساء آية ٣.

(٢) سورة القصص آية ٦٨ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٩١/٣ في تفسير سورة القصص آية ٦٨.

(٤) سورة الأنعام آية ١٤٥ .

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم ١٢/٢ عند تفسير سورة المائدة آية ٣.

(٦) المرجع نفسه ٢٣١/١ عند تفسير سورة البقرة ١٣٠.

(٧) انظر تفسير القرآن العظيم ١٣٠/٣ عند تفسير سورة الكهف آية ٨٦.

- رده على من زعم أن يأجوج ومأجوج خُلِقوا من مني خرج من آدم فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك، فعلى هذ يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء، قال ابن كثير « وهذا القول غريب جدا ولا دليل عليه من عقل ولا نقل » [1] .
- استدراكه على من قال بان مدة حكم بني أمية ألف شهر بالتاريخ والحساب، حيث أن مدة حكمهم اثنين وتسعين سنة، وذلك أزيد من الف شهر »[2] .

---

(١) المرجع نفسه ١٣٢/٣ عند تفسير سورة الكهف آية ٩٤.

(٢) انظر المرجع نفسه ٦٣٣/٤ عند تفسير سورة القدر آية ٣ .

وللاستزاده انظر مثلا :

٣٥/١ الفاتحة ٣، ٣٩/١ الفاتحة ٥، ٥٢/١ البقرة ١، ٥٤/١ البقرة ٢، ٦٣/١ البقرة ٧، ٧١/١ البقرة ١٨، ٨٢/١ البقرة ٢٤، ٩٠/١ البقرة ٢٩، ١٨٢/١ البقرة ١٠٢، ١٨٩/١ البقرة ١٠٦، ١٩٠/١ البقرة ١٠٦، ١٩٥/١ البقرة ١،١١٤/١٩٨ البقرة ١١٥، ٥٣٧/١ ال عمران ١٩٤، ٥٨١/١، النساء ٢٤، ٧١٧/١٢ النساء ١٦٤، ٦/٢ المائدة ٢، ٣٨/٢ المائدة ٦، ٤٤/٢ المادة ١٢، ٥٠/٢ المائدة ٢٢، ١٦٠/٢ الأنعام ٣، ٢٠٥/٢ الأنعام ١٠٣، ٣٠٨/٢ الاعراف ١٤٣، ٣٤٦/٢الاعراف ١٩٠، ٥٢٧/٢ يونس ٨٣، ٥٥٧/٢ هود ٧١، ٥٧٩/٢ يوسف ٢٢٧، ٥٨٥/٢ يوسف ٢٤، ٥٩٣/٢ يوسف ٥٣، ٦٩٢/٢ الحجر ٩٩، ٣١/٣ الاسراء ١/ ٤٢/٣ الاسراء ١٥، ١٢٥/٣ الكهف ٨٣، ١٣٠/٣ الكهف ٨٦، ١٣٢/٣، الكهف ٨٤، ٣٧٤/٣ النور ٥٥، ٤٤٤/٣ النمل ١٦، ٤٩٣/٣ القصص ٧٨، ٥١٥/٣ العنكبوت ٤٨، ٥٧٣/٣ السجدة ٢٩، ١٩/٤ الصافات ١٢، ١٩/٤ الصافات ١٠٢، ١٦٩/٤ الدخان ٢٩، ١٧٨/٤ الجاثية ٢٠٢/٢٤،٤ الاحقاف ٢٩، ٢٢٧/٤ الفتح ٢٤، ٢٥٧/٤ الحجرات ١٤، ٢٦٠/٤ ق ١، ٢٧٨/٤ الذاريات ٣٦، ٢٩٥/٤ النجم ١٣، ٢٩٧/٤ النجم ١٣، ٣٧٣/٤ الحديد ٢٧، ٥٢٥/٤ المدثر ٣١، ٥٣١/٤ القيامة ٢٤، ٦٠٢/٤ الفجر ٨، ٦٠٣/٤ الفجر ٨، ٦٣٦/٤ القدر ٣، ٦٧٢/٤ الكوثر ١ .

المبحث الثالث

الوسائل في منهج ابن كثير

المطلب الأول

الاتصال الشخصي

الاتصال الشخصي وسيلة من الوسائل المهمة في الدعوة إلى الله لجميع فئات الناس وأجناسهم وأديانهم ومراكزهم، فهي وسيلة ناجحة للدعوة إلى الإسلام إذا كان المدعو غير مسلم، فيتم اللقاء به ودعوته إلى الإسلام وحواره ومناقشته،والحديث معه بنوع من الخطاب والجدال والحجج وإزالة الشبهات بما لا يتناسب إثارته في المجامع العامة من المسلمين أو غيرهم، وهي وسيلة ناجحة للاتصال بشخص من ذوي الهيئات والمكانة، يرغب الداعية أن يلتقي به، فتكون دعوته لزيادة الإيمان والهدى في قلبه، ولأجل تحسين صورة الدعوة والخير وأهله لديه، وكذلك تشجيعه على دعم الخير ماديا ومعنويا، وهي وسيلة ناجحة كذلك للإتصال بالحكام والأمراء للبحث معهم والحديث معهم حول مصالح البلاد والعباد ولمعالجة المنكرات والسعي في إزالتها، ولدعم الدعوة والتعريف بها وإزالة التصورات الخاطئة حول الدعاة إلى الله، وكذلك هي وسيلة ناجحة ومهمة مع العلماء الكبار وشيوخ الجماعات الدعوية للتباحث معهم في أمور الدعوة وقضايا الأمة ومصالحها، وكذلك اللقاء برؤساء

وزعامات الفرق الإسلامية للنقاش معهم والتباحث حول ما يحصل من أخطاء في العقائد والعبادات والسعي إلى تصحيحها ومعالجتها.

وأخيرا فالاتصال الشخصي أو الدعوة الفردية وسيلة ناجحة للاتصال بآحاد الناس لدعوته إلى الهدى والخير وإنكار ما عنده من منكر، أو معرفة حاجته ومشكلته، فيساهم الداعية في حلها وعلاجها ونحو ذلك من الأمور التي لا يمكن معالجتها وإصلاحها إلا بالاتصال الفردي من قبل الداعية .

والناظر في سيرة ابن كثير رحمه الله يجد أنه على قدر كبير من ممارسة أسلوب الاتصال الشخصي بجميع فئات المجتمع، ومختلف طبقاته، سواء كانوا أمراء[1] أو علماء[1] أو من عامة الناس بل حتى من غير المسلمين[2].

---

(١) فمن الأمثلة على ذلك :

١. لقاؤه بالخليفة المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر بن المستكفي بالله وهو نازل بالمدرسة الدماغية داخل باب الفرج وقراءة ابن كثير عنده جزءا فيه ما رواه أحمد ابن حنبل عن محمد بن إدريس الشافعي في مسنده، يقول ابن كثير « والمقصود أنه شاب حسن الشكل مليح الكلام، متواضع، جيد الفهم، حلو العبارة، رحم الله سلفه » (البداية والنهاية ٥٤٨/١٨، ٥٤٩ في حوادث سنة ٧٥٣هـ) .

٢. لقاؤه بنائب السلطنة الأمير علاء الدين أمير علي المارداني، حيث أخبر ابن كثير بملخص خبر تمرد نائب حلب سيف الدين طاز ثم رجوعه عن ذلك وطلبه للصلح، يقول ابن كثير « فأخبرني بملخص ما وقع ... ومضمون كلامه أن الله لطف بالمسلمين لطفا عظيما إذ لم يقع بينهم قتال » (المرجع السابق ٥٨٣/١٨ في حوادث سنة ٧٥٩هـ) .

٣. اتصاله المتكرر بنائب دمشق الأمير سيف الدين منكلي بغا فقد اتصل به يوم السبت السادس عشر من صفر سنة ٧٦٧هـ في الميدان الأخضر بناء على طلبه وقد تحدث معه في المرسوم الشريف من الديار المصرية إلى نائب السلطنة بمسك النصارى من الشام جملة واحدة، وأن يأخذ منهم ربع أموالهم لعمارة ما خرب من الإسكندرية ولعمارة مراكب لغزو الفرنج، وكذلك اجتمع به مرة أخرى في دار السعادة في أوائل شهر ربيع الول حيث بشره نائب السلطنة أنه قد رسم لعمل الشواني والمراكب لغزوا الفرنج (المرجع نفسه ٧٠٧/١٨) . وكذلك اجتماع آخر في يوم الأربعاء خامس ربيع الأول بدار السعادة أيضًا حيث ذكر له نائب السلطنة أنه جاء المرسوم الشريف السلطاني بعمل الشواني والمراكب لغزو قبرص وقتال الإفرنج (المرجع نفسه ٧٠٧/١٨) .

والتي تدل على أن ابن كثير رحمه الله حريصا على الإتصال بالناس ودعوتهم ونصحهم وإرشادهم وتعليمهم ما ينفعهم، سواء كانوا أمراء أو علماء أو عامة الناس أو من غير المسلمين فحري بالدعاة إلى الله اليوم أن يستفيدوا من أسلوب الاتصال الشخصي، وأن يحرصوا على الإحتكاك بالناس ومخالطتهم، ومعاشرتهم والتواضع لهم وعدم الترفع عليهم، وأمر آخر وهو أن الإتصال الشخصي له أثر كبير في التعارف بين الدعاة إلى الله والتقارب فيما بينهم وإزالة الحواجز والعوائق وسبيل للمحبة والتآلف والتعاون وإزالة ما في النفوس من الوحشة وما في القلوب من النفره، وما يحصل من البغضاء والحسد، فعلاج

ونلاحظ أن جميع اتصالات ابن كثير بنائب السلطنة في مصلحة المسلمين والدفاع عنهم ومحاربة أعدائهم من الفرنج وغيرهم وغيرها من الإجتماعات والإتصالات الشخصية الأخرى التي يحرص ابن كثير من خلالها على التوجيه والتعليم والنصح والإرشاد، وبحث القضايا والأمور التي تهم الأمة، وتشجع الأمراء وحثهم على جهاد الأعداء وحماية الثغور البلاد الإسلامية وحل المشاكل والنزاعات والخصومات التي تحصل بين الأمراء والحكام (للاستزاده انظر مثلا : البداية والنهاية ٨٩/١٨ في حوادث سنة ٧٠٩هـ، ١٣٠/١٨ في حوادث سنة ٧١٣، ٥٨٧/١٨ في حوادث سنة ٧٥٩، ٧٠٩/١٨ في حوادث سنة ٧٦٧هـ) .

(١) ومن أمثلة اتصاله بالعلماء وطلاب العلم :

١. اجتماعه بالعلماء والقضاة في دار العدل لمحاكمة الدوكالي، وحكمهم عليه بالقتل، يقول ابن كثير « وكنت مباشرا لجميع ذلك من أوله إلى آخره » (البداية والنهاية ٤٢٣/١٨ في حوادث سنة ٧٤١هـ) .
٢. اجتماعه بالقضاة والمفتين في دار السعادة للنظر في المدرسة التدمرية وقرابة الوقف،ودعواهم أنه وقف عليهم الثلث (المرجع نفسه ٦٨٨/١٨ في حوادث سنة ٧٦٥هـ).
٣. اتصاله ببعض الطلبه اتصالا فرديًا وامتحانهم وإجازتهم كما فعل مع الصبي الصغير الذي صلى بالناس رمضان وعمره ست سنوات فوجده ابن كثير جيد الحفظ والاداء (البداية والنهاية ٤٩٩/١٨ في حوادث سنة ٧٤٧هـ)، وكذلك الشاب الاعجمي الذي كان يحفظ البخاري ومسلم وجامع المسانيد والكشاف وغيرها، وقد أجازه ابن كثير وكتب له بالسماع (المرجع نفسه ٦٥٨/١٨، ٦٥٩، في حدوات سنة ٧٦٣هـ) .

(٢) ومن الامثلة على اتصال ابن كثير بغير المسلمين اتصاله بالبترك بشاره، ومناقشة ابن كثير في دينه ونصوص ما يعتقده (البداية والنهاية ٧١٦/١٨) .

ذلك هو الإتصال الشخصي بينهم والحديث الاخوي المباشر مما يزيد في المحبة والتقارب وتحقيق التعاون على البر والتقوى .

المطلب الثاني

الكتب والمؤلفات

إن كتابة العلم وتدوينه، وتأليف الكتب والرسائل من أهم وسائل حفظ العلم، وتعلمه ونشره وتبليغه وكم من عالم ضاع علمه وانقطع أثره، بسب عدم رواية علمه وكتابة ذلك وتدوينه، ولو أن سيرة النبي ﷺ وحياته لم تكن مدونه ومكتوبة لما عرفها الناس وكذلك الشأن في أحكام الدين وشرائعه وتاريخ الإسلام وحوادثه، وكذلك كان المسلمون فيما مضى حريصون على الكتابة والتأليف والتدوين فحفظوا كتاب الله، وحديث رسول الله وأحكام الشريعة وبيَّنوا الكفر والضلال والإنحراف ودافعوا عن دين الله وردوا شبهات الملحدين، وانتحال المبطلين وزيغ المبتدعين، مع ضعف إمكانات الكتابة والتدوين في وقتهم مقارنة بما نحن فيه الآن من تقدم أدوات الكتابة والطباعة والنسخ والتصوير والحفظ وجودة الورق وتنوعه إلى غير ذلك من الوسائل المختلفة والمتقدمة، والدعاة إلى الله اليوم مطالبون بالسير على نهج سلفهم في الكتابة والتأليف، فعليهم أن يقتحموا هذا الميدان ويتعلموا فن الكتابة وأساليبها، وأن يتخصص فريق منهم في تعلم اللغات الحية وخاصة الإنجليزية لكتابة الرسائل والمقالات والكتب التي تشرح الإسلام وتبين محاسنه وتدعوا الناس إلى الدخول فيه وترد على الشبة التي تثار حوله .

وابن كثير رحمه الله ممن كان له جهود كبيرة في هذا المجال، فألف تصانيف نافعة ومفيدة، فقَّدم للمسلمين إنتاجًا نافعًا وعلمًا غزيرًا، وكتبًا نافعة، وأثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفات علمية قيمة، ولقد قال عنه شيخه الذهبي « له تصانيف عدة مفيدة »[١]، وقال الزركلي « تناقل الناس تصانيفه في حياته »[٢] وكذلك بعد وفاته إلى اليوم، قال ابن حجر « وسارت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع بها الناس بعد وفاته »[٣] . وقد اشتغل رحمه الله بالتأليف حتى آخر حياته يقول رحمه الله لتلميذه ابن الجزري مبينًا له أنه مشتغل بالتأليف حين ذكر له كتابه الكبير جامع المسانيد « لا زلت أكتب في الليل والسراج ينوص[٤]، حتى ذهب بصري معه، ولعل الله أن يقيض من يكمله مع أنه سهل »[٥] .

بل إنه رحمه الله بعد أن كف بصره كان أيضًا يُكْتَب له، فقد ذكر ابنه زين الدين عبد الرحمن قوله : « لما أضر الوالد كان يُؤَرخ له »[٦]، وغالب مؤلفات ابن كثير رحمه الله في علوم الشريعة والحديث والفقه والتراجم يقول الامام ابن حجر « وقد صنف التصانيف الكثيرة في التفسير والتاريخ والاحكام»[٧]، وامتازت مؤلفات ابن كثير بوضوح العبارة وسهولة الأسلوب

---

(١) طبقات ابن قاضي شهبه ١١٥/٣.

(٢) الاعلام ٣١٨/١/

(٣) الدرر الكامنة ٤٠٠/١.

(٤) جاء في القاموس المحيط النوص التأخر ص ٦٣٣ باب الصاد فصل النون .

(٥) المصعد الاحمد في ختم مسند الإمام أحمد لابن الجزري ص ٢٣، وانظر منهج ابن كثير وجهوده في الدعوة إلى الله د. إبراهيم المرشد مرجع سابق .

(٦) تاريخ ابن قاضي شهبه ٣٥٧/١، وانظر المرجع السابق ص ٦٦٥.

(٧) انباء الغمر ٤٦/١.

والبعد عن التعصب المذهبي، كما اتسم منهجه بالتجديد والتحرر الفكري وقد استفاد من منهج شيخه ابن تيمية [١] .

ولا تزال مؤلفاته مصادر رئيسة، ومراجع موثوقه لا يستغني عنها الباحثون وطبة العلم، خاصة كتابه في التفسير وكتابه في التاريخ[٢] .

وكتب ومؤلفات ابن كثير كما قال الدكتور مسعود الندوي « طبع بعضها وما زال بعضها الآخر مخطوطا في مكتبات العالم، وقد بلغ عدد مجموع مؤلفاته عندنا في هذا الكتاب أربعة وثلاثين كتابا ورسالة وهذه الثروة العلمية الضخمة، لتدل على جلد ابن كثير وصبره في التصنيف والتأليف)[٣] .

مؤلفاته :

١- تفسير القرآن العظيم[4] .

٢- فضائل القرآن .

٣- اختصار علوم الحديث[5] .

٤- الفصول في اختصار سيرة الرسول[6] .

---

(١) انظر منهج ابن كثير وجهوده في الدعوة إلى الله د. إبراهيم المرشد ص ٦٦٦ مرجع سابق .

(٢) انظر حياة ابن كثير وكتابه تفسير القرآن العظيم د. محمد الفالح ص ٣٧، مرجع سابق .

(٣) الامام ابن كثير سيرته ومؤلفاته د. مسعود الندوي ص ٨٨٠٨٩ دار ابن كثير بدمشق، الأولى ١٤٢٩هـ.

(4) وقد اختصره أحمد شاكر ونسيب الرفاعي ... وغيرهما .

(5) وقد شرحه وعلق عليه عبد الرزاق حمزة وسماه الباعث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث وأيضًا علق عليه أحمد شاكر .

(6) وقد طبع بتحقيق الخطراوي ومحي الدين مستو ونشرته دار التراث بالمدينة المنورة عام ١٩٩١م .

٥- الاجتهاد في طلب الجهاد[1] .

٦- مولد الرسول ﷺ [2].

٧- تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب[3] .

٨- المسائل الفقهية التي انفرد بها الإمام الشافعي من دون إخوانه من الأئمة[4] .

٩- النهاية في الفتن والملاحم[5] .

وهناك كتب لابن كثير لا تزال مخطوطة مثل :

- جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم السنن[6] .
- الأحكام الكبير[7] .
- والتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل[8] .

---

(1) وقد طبع بتحقيق د. عبد الله عبد الرحمن العسيلان ونشرته دار اللواء بالرياض ١٤٠٠هـ .

(2) وقد طبع بتحقيق محمد الأرناؤوط وياسين محمد السواس وطبعته دار ابن كثير بدمشق عام ١٩٨٧م .

(3) قد طبع بتحقيق عبد الغني بن حميد الكبيسي وطبع بدار حراء بمكة ١٤٠٦هـ .

(4) وقد طبع بتحقيق د. إبراهيم علي صندقجي .

(5) وقد طبع مع البداية والنهاية بتحقيق د. عبد الله التركي وطبعته دار هجر بالرياض عام ١٤١٩هـ

(6) وقد حققه د. عبد الملك بن دهيش ونشرته مكتبة النهضة بمكة .

(7) وقد وصل فيه إلى الحج كما ذكر القاضي شهبه في تاريخه ٤١٦/٣ : « وشرع في أحكام كثيرة وحافلة منها مجلدات وصل الحج » وقال السيوطي : « وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يتمه » طبقات الحفاظ ص ٥٣٤ .

(8) ذكره المصنف في اختصار علوم الحديث ٦٦٥/٢، وانظر حياة ابن كثير وكتابه تفسير القرآن العظيم د. محمد الفالح ص ٥ طبعة مكتبة دار البيان ١٤٢٥هـ .

كما أن هناك مؤلفات لابن كثير ما زالت مفقودة وأكثرها رسائل صغيرة حول موضوعات معينة وقد أشار إليها ابن كثير في تاريخه مثل زواج أم سلمة من رسول الله ﷺ، وولاية الابن لأمه في عقد النكاح، قال ابن كثير : « وقد جمعت في ذلك مفردًا بيّنت فيه الصواب »[1] .

وبطلان وضع الجزية عن يهود خيبر وصرح ابن كثير أنه كتب في ذلك مصنفًا مفردًا [2] .

بيع أمهات الأولاد، قال ابن كثير : « وقد أفردنا لهذه المسألة وهي بيع أمهات لأولاد مصنفًا مفردًا على حدته »[3]، وجزءًا في الأحاديث الواردة في المهدي[4] ، وجزءًا في حديث كفارة المجلس[5]، وغير ذلك من الموضوعات والرسائل التي ذكرها ابن كثير وأحال عليها في بعض كتبه كالتفسير والتاريخ .

---

(1) البداية والنهاية ٤/٩٠-٩١ .

(2) انظر المرجع نفسه ٤/٢١٩، ٥/٣٥٢، ١٢/١٠٢، ١٤/١٩ .

(3) المرجع نفسه ٥/٣٠٤ .

(4) انظر المرجع نفسه ٦/٢٤٧-٢٤٨ .

(5) انظر المرجع نفسه ١١/٣٤

وانظر ابن كثير سيرته ومؤلفاته د. مسعود الندوي طبعة دار ابن كثير بدمشق ١٤٢٠هـ، ص١٤٠-١٤٧ .

المطلب الثالث

الرحلات

كان علماء المسلمين يحرصون على الرحلة والتنقل بين البلدان طلبا للعلم، أو من أجل سماع حديث رسول الله ﷺ، أو من أجل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام والجهاد في سبيله، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: « لو أعلم احدا أعلم بكتاب الله مني لم تبلغه الإبل لأتيته »[1] .

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله : « إن كنت لاسير في طلب الحديث الواحد مسيرة الليالي والايام »[2]، ولأهمية الرحلة في حياة العالم وتحصيله للعلم فإنك قل أن تجد ترجمة لأحد علماء الإسلام ورجاله إلا وتذكر رحلاته والبلدان التي رحل إليها في طلب العلم، ومع أن ابن كثير رحمه الله له عناية بسماع الحديث وروايته من كبار أئمة الحديث الحفاظ، وإكثاره من ذلك إلا أن الذين ترجموا لابن كثير لم يذكروا من أخبار رحلاته الشيء الكثير، وقد ذكر البعض « أن ظهور المدارس ودور القرآن الكريم في البلاد الإسلامية بكثرة منذ القرن السادس الهجري وتعيين أشهر العلماء الحفاظ البارزين في مختلف العلوم الإسلامية في تلك المدارس أضعف ووقلل من أهمية الرحلة في

---

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ٤٠٢، وانظر منهج ابن كثير وجهوده في الدعوة إلى الله، إبراهيم المرشد ص ٧٤١ مرجع سابق .

(٢) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للحافظ العراقي ٨٦/٧. وانظر المرجع السابق ص ٧٤١.

طلب العلم وضرورتها القصوى التي كانت موجودة قديما، وقد كانت القاهرة ودمشق في عصر المماليك مركزين رئيسيين في العالم الإسلامي للعلم والمعرفة والثقافة وكانتا عامرتين بمئات من العلماء البارزين الذين وقفوا حياتهم لنشر العلم وتثقيف الأجيال الناشئة وكان العلماء والطلاب يقصدونهما من جميع انحاء العالم الإسلامي »[1] .

ويمكن أن نضيف أن دمشق على وجه الخصوص يوجد فيها علماء متميزون وحفاظ بلغوا مرتبة عالية ومنزلة رفيعة في العلم كالذهبي والمزي والبرزالي وابن الزملكاني وابن القيم ... ونحوهم بل أن بعضهم قد بلغ رتبة الاجتهاد واجتمعت فيه أدواته كشيخ الإسلام ابن تيمية [2]، وهذا مما جعل ابن كثير يلازم بعضهم ملازمة طويلة وتكون بينه وبينهم صحبة وخصوصية كالمزي وابن تيمية، إضافة إلى ذلك هو محبة ابن كثير لبلده الشام ومدحه لها وثناؤه عليها وكتابه البداية والنهاية مليء بذلك [3] بينما تختلف هذه النظره

---

(١) الامام ابن كثير سيرته ومؤلفاته د, مسعود الندوي ص ٥٩-٦٠.

(٢) انظر البداية والنهاية ٢٩٨/١٨.

(٣) فمثلا حينما أورد حديث النبي ﷺ « ورأت أمي حين حبلت كأنه خرج منها نور أضاءت له بصرى من أرض الشام » الحديث .

قال ابن كثير « وفيه بشارة لاهل محلتنا أرض بصرى وانها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها نور النبوة ولله الحمد والمنه ولهذا كانت أول مدينة فتحت من أرض الشام، وكان فتحها صلحًا في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وقد قدمها رسول الله ﷺ مرتين مرة في صحبة عمه أبي طالب وهو ابن اثني عشرة سنة وكانت عندها قصة بحيرا الراهب . والثانية ومعه ميسرة مولى خديجة في تجارة لها وبها مبرك الناقة التي يقال لها ناقة رسول الله ﷺ .... وهي المدينة التي أضاءت أعناق الإبل عندها من نور النار التي خرجت من أرض الحجاز سنة ٦٥٤هـ وفق ما أخبر به النبي ﷺ في قوله « تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى »، فما أجمل هذا الحب للوطن لدى ابن

لغيرها من البلدان الأخرى فيصف ابن كثير العراق بأنه أرض الشقاق والنفاق[1] وأرض مصر بأنها أرض الفراعنه والظلم [2].

كل ذلك جعل ابن كثير يفضل البقاء في الشام ويقتصر رحلاته على مدنها كالقدس فقد زارها أكثر من مرة[3]، وزار نابلس[4] بطرابلس الشام وزار بعلبك [5] .

ومن رحلات ابن كثير رحلته لأداء فريضة الحج، وقد ذكر أنة كان في هذه الرحلة جمع كبير من علماء ومشايخ دمشق يقول « اجتمع في ركبنا هذا أربعمائة فقيه وأربع مدارس ودار حديث، وكان معنا من المفتين ثلاثة عشر نفسا »[6] .

كثير كما قاله الدكتور صديق جلالي . انظر منهج ابن كثير وموارده في المبتدأ والسيرة لشمس الدين صديق جلالي ص ١٠١٤. رساله غير منشوره .

(١) ذكر ابن كثير في حوادث سنة ٧٦١هـ في وفاة فياض بن مهنا فيقول « أورد الخبر بذلك يوم السبت الثامن عشر منه، فاستبشر بذلك كثير من الناس ... لأنه كان قد خرج عن الطاعة ومفارقة الجماعة فمات ميتة جاهلية بأرض العراق أرض الشقاق والنفاق . ٦٠٦/١٨.

(٢) يقول تعليقا على تصرف بعض الامراء والحكام حينما يريدون معاقبة أحد الدماشقة، فحينئذ يستدعونه إلى مصر ويقومون بمصادرة امواله ومعاقبته فيقول ابن كثير « وذلك أنه بلغهم أن من ظلم بالشام لا يفلح ومن ظلم بمصر أفلح وطالت مدته فكانوا يطلوبنهم إلى مصر أرض الفراعنه والظلم فيفعلون معهم ما أرادوا » ٦٠٨/١٧ في حوادث سنة ٦٨٦هـ .

(٣) البداية والنهاية ٢٣٤/١٨ في حوادث سنة ٧٢٣هـ، ٣٥٤/١٨ في حوادث سنة ٧٣٣هـ،

(٤) المرجع نفسه ٣٩٧/١٨ في حوادث سنة ٧٣٧هـ,

(٥) المرجع نفسه ٥٥٥/١٨ في حوادث سنة ٧٥٤هـ.

(٦) المرجع نفسه ٣٣٦/١٨ في حوادث سنة ٧٣١، وانظر الامام ابن كثير سيرته ومؤلفاته د. مسعود الندوي ص ٦٠-٦٢ مرجع سابق .

الباب الثالث

الاستفادة من منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله

وفيه فصلان :

الفصل الأول : استفادة المدعو المعاصر من منهج ابن كثير

الفصل الثاني : استفادة الداعية المعاصر من منهج ابن كثير

توطئة :

بعد هذه الجولة السريعة والممتعة مع عالمنا الكبير ومصلحنا القدير وداعيتنا العظيم الإمام ابن كثير، وبعد تعرفنا على منهجه الإصلاحي والدعوي فيحسن بنا أن نقف لنرصد ونستخلص أهم الجوانب التي يمكن أن نستفيدها من هذا المنهج سواء فيما يتعلق بالمدعو المعاصر، أو ما يتعلق بالداعية المعاصر وما يمكن أن يستفيده كل منهم من هذا المنهج الدعوي سواء كان في موضوع الدعوة أو في فقه المدعو أو في كيفية الدعوة ومؤهلات الداعية، مع إلقاء نظرة سريعة على الواقع المعاصر لكل من المدعو والداعيه، وهو ما سنتناوله في هذا الباب إن شاء اللّه .

الفصل الأول

استفادة المدعو المعاصر من منهج ابن كثير

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : واقع المدعو في العصر الحاضر.

المبحث الثاني: الطريقة التي يستفيد منها المدعو المعاصر من المنهج.

المبحث الأول

واقع المدعو في العصر الحاضر

إن الحديث عن واقع المدعو في العصر الحاضر يجرنا إلى الحديث عن الواقع المعاصر بشكل عام، وواقع المسلمين بشكل خاص، وحيث أنه متشعب وطويل ويحتاج إلى تفصيل لا يسعه هذا المبحث المختصر، لذا سأقصر الحديث على رصد لأهم الملامح العامة لواقع المدعو في العصر الحاضر على شكل نقاط موجزه :

١. لا يختلف المدعو في العصر الحاضر عن المدعو في السابق من حيث طبيعته وجنسه، ولكنه يختلف عنه من حيث البيئة التي يعيش فيها، وظروف الحياة ووسائل المعيشة، فالمدعو في العصر الحاضر هو ذلك الإنسان الذي يعيش في زمن طغت فيه المادة على حياة البشر، فأصبحت الأمم والشعوب والدول تقاس بما لديها وما يمكن أن تنتجه من هذه الماديات، فأصبحت تتبارى في سباق محموم في الإختراعات والصناعات حتى تنال السيادة والصدارة بما تصل إليه من تفوق مادي [١].

٢. المدعو يعيش اليوم في زمن يعاني فيه المسلمون أزمة هي أقسى من أي أزمة مرت عليهم في ما مضى من تاريخهم، فمثلا أزمة الحروب

---

[١] انظر منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله . د. سليمان العيد ص ٤٦٨، طبعة دار الوطن بالرياض، الأولى ١٤٢٢هـ .

الصليبية وحروب التتار وسقوط الأندلس وبغداد ونحو ذلك، كانت بسبب الإنشغال عن الالتزام بمنهج الإسلام الصحيح بالبدع والخرافات والمعاصي، ولكن الإسلام ذاته لم يكن في نفوسهم موضع شك ولا نقاش، لا بوصفه عقيدة وشريعة ولا بوصفه نظامًا للحكم والحياة، فالمسلمون حينما هُزِمُوا أمام الصليبين وأمام التتار « لم يكن صدى الهزيمة في نفوسهم هو الشك في الإسلام ذاته عقيدة أو نظام حياة، ولم يكن التطلع إلى ما عند أعدائهم من عقائد أو أفكار أو مشاعر أو نظم أو أنماط سلوك أو الظن – للحظة واحدة – أن أعداءهم يملكون شيئا من الحق تقوم حياتهم عليه، أو أن هناك شيئا – غير الإسلام – يمكن أن يكون هو الحق في العقيدة وفي نظام الحياة سواء، ولم تكن قضية الحكم بما أنزل الله موضع شك منهم ولا موضع نقاش، لأنها كانت جزءا لا يتجزأ من إسلامهم، لذلك لم يهنوا – حتى وهم مهزومون أمام أعدائهم فترة غير قصيرة – ولم يشعروا أنهم أدنى من أعدائهم، بل كانوا يشعرون – حتى وهم مهزومون – بإزدراء شديد لأعدائهم، لأن عقيدتهم وتصوراتهم لا تتفق مع العقيدة الصحيحة والتصور الصحيح، ولان أخلاقهم وأنماط سلوكهم لا تتفق مع أخلاقيات الإسلام وأنماط سلوكه» [1]،

٣. أما اليوم فمن أبرز مظاهر أزمة المسلمين الإفتتان بالحضارة الغربية في تصوراتها الإعتقادية وأحكامها التشريعية وقيمها الخلقية

---

[1] واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص ٨٠٧ طبعة مؤسسة المدينة للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

ومظاهرها الذوقية، حيث لم ينتج عن ذلك مواقف سياسية موالية للغرب فقط، وإنما نتج عنه «محاولة لإعادة صياغة المجتمعات الإسلامية كلها في قوالب غربية في تركيبها الاجتماعي ونظمها القانونية وأوضاعها الإقتصادية، وبرامجها التعليمية ووسائلها الإعلامية، على اعتقاد بأن هذه الصياغة شرط ضروري لنهضة الأمم الإسلامية وتحويلها من مرحلة التخلف والرجعية إلى مرحلة التقدم والمعاصرة »[1] . يقول الدكتور زكي نجيب محمود « أنه لا أمل في حياة فكرية معاصرة إلا إذا بترنا التراث بترًا وعشنا مع من يعيشون في عصرنا علما وحضارة، ووجهة نظر إلى الإنسان والعالم، بل إني تمنيت عندئذ أن نأكل كما يأكلون، ونجد كما يجدون ونلعب كما يلعبون، ونكتب من اليسار إلى اليمين كما يكتبون على ظن مني آنئذ أن الحضارة وحدة لا تتجزأ، فإما أن نقبلها من أصحابها – وأصحابها اليوم هم أبناء أوروبا وأمريكا بلا نزاع – وإما أن نرفضها وليس في الأمر خيار بحيث ننتقي جانبا ونترك جانبًا . كما دعا إلى ذلك الداعون إلى الاعتدال »[2]، وعلى ضوء ذلك فالمدعو يعيش في مجتمع إسلامي تنكر كثير من أبنائه للإلتزام بدينهم وتطبيقه في الحكم والتشريع والقضاء والإقتصاد ونحو ذلك فأصبح تطبيق الإسلام في أحسن أحواله محصورا في الأحوال الشخصية والشعائر التعبدية، وأصبحت الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية والعودة إلى

---

(١) انظر جعفر شيخ ادريس الدعوة الإسلامية والغزو الفكري،ص ٤، رابطة الشباب المسلم العربي ١٩٨٧م.

(٢) تجديد الفكر العربي ص ١٣، طبعة دار الشروق، الطبعة السادسة ١٩٨٠م. وانظر المرجع السابق ص ٤.

تعاليم الإسلام والسير على نهجه تخلف ورجعية والمناداة بذلك تطرف وإرهاب .

٤. والمدعو في هذا العصر يعيش في زمن حصلت فيه ثورة تقنية وتقدم هائل في وسائل الاتصال والإعلام، فأصبحت الرسالة الدعوية تصل للمدعو حية مباشرة في اللحظة ذاتها، بخلاف المدعو في الزمن الماضي الذي لا تصله الرسالة الدعوية بهذه السرعة والكيفية فهي لا تصل إلا إلى عدد محدود من الناس، ولكن مع الأسف الشديد نجد أن المتحكم في الوسائل والمسيطر عليها في غالب الأحوال هم أصحاب الكفر والضلال والفجور الذين ليس لهم هم إلا إفساد عقائد الناس وأديانهم وأخلاقهم ونشر الباطل والرذيلة بينهم، لذلك فالمدعو يتعرض لهذه الدعوات الهدامة والأفكار المضللة في بيته، وفي سوقه ومقر عمله وتغزوه بأشكال متعددة ووسائل متنوعة مسموعة ومقروءة ومرئية، في الإذاعة والتلفاز والفضائيات والانترنت والمطبوعات والدعايات ونحوها، مما يمرض القلب بالشهوات والشبهات[١] .

٥. تنوع التحديات التي يواجهها المسلمون اليوم مع أعدائهم، فقد أخذت أشكالا متعددة وصورا مختلفة، فلم تعد مقصورة على القتال والمواجهة العسكرية مع أعدائهم، فأصبح هناك تخلف علمي وتقني يتمثل في الجمود ورفض الإجتهاد وتعطيل الأخذ بالأسباب وهجرة العقول المسلمة إلى بلاد الغرب، وهناك تخلف إقتصادي وصحي

---

[١] انظر سليمان بن قاسم العيد منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص ٤٩٦، مرجع سابق .

يتمثل في كثرة الديون المتراكمة والاعتماد على الغرب في الموارد الغذائية والفقر والمجاعة وسوء الأحوال الصحية، وهناك تحديات ثقافية من إثارة الشبه حول الشريعة الإسلامية وصلاحية تطبيقها وحول القضاء والتشريع الإسلامي وتشويه سيرة الرسول ﷺ وإثارة الشبهات حول اللغة العربية والدعوة إلى العامية، وغير ذلك من ألوان الغزو الفكري، كما أن هناك تحديات إجتماعية من الدعوة إلى تحرير المرأة المسلمة والخروج بها عن طبيعتها وإلغاء حجابها والدعوة إلى اختلاطها بالأجانب ومساواتها بالرجل في كل جوانب حياتها[1] .

٦. أن العصر الذي يعيش فيه المدعو اليوم ابتلي كثير من أهله بفساد النظرة وانحطاط الأخلاق إلى درجة سحيقة، حتى أصبحت لجماعات الشذوذ الجنسي واللواط منظمات وجماعات واتحادات تدافع عنها ومؤتمرات دولية تتبنى حقوقها وتحوله إلى أنظمة ودساتير تلزم دول العالم بها[2] .

٧. ومما ساد في هذا العصر تزيين الباطل للناس وتلبيسه عليهم وتسميته بغير اسمه فالربا فائدة، والخمور مشروبات روحية.

٨. أنه بسبب تقدم العلم وتطوره في هذا العصر وبسبب اكتشاف الأدوات الحديثة والمساعده كالمناظير الفلكية والمجاهر الطبيه، تبين لكثير من العلماء شيء من عظمة الله سبحانه في مخلوقاته

---

(١) انظر عبد القادر هنادي قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها، فقد قام بدراسة تحليلية موسعة للتحديات التي تواجه المسلمين، طبعة مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

(٢) انظر سليمان العيد منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص ٤٧٠، مرجع سابق .

مالم يكن معروفا فيما سبق، مما جعل بعضهم يتساءل عن هذه القدرة الإلهية ويكون مؤهلا لقبول دعوة الحق وترك ماهو عليه من الباطل، كما أن هناك صنف ملُّوا هذه الحضارة وزيفها وعرفوا سخافة ما يدين به كثير من الناس فأحدث عندهم فراغًا روحيا جعلهم يبحثون عن الدين الحق الذي يوافق نظرتهم وما تطمئن إليه نفوسهم [1] .

وأخيرا فسمة هذا العصر هو أنه كما ذكرنا عصر طغت فيه المادة على حياة الناس، فإذا كان يخشى على المدعو في السابق الإغترار بالدنيا وزينتها فكيف هو الحال بالمدعو في العصر الحاضر، عصر ابتعد فيه كثير من الناس عن دينهم وتعلقوا بزخارف الدنيا وزينتها من مراكب فارهة وقصورا فاخره فصاروا أكثر تعلقا بدنياهم مما كان له الأثر البالغ في ضعف الدين والرغبة عن الله والدار الآخرة [2] .

---

(١) انظر سليمان العيد منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص ٤٧٣.

(٢) انظر المرجع السابق ص ٤٧٠.

المبحث الثاني

الطريقة التي يستفيد منها المدعو المعاصر من المنهج

هناك مجالات وجوانب كثيرة ومتعددة يمكن للمدعو المعاصر أن يستفيد منها من خلال منهج ابن كثير الدعوي سواء كان المدعو مسلما أو غير مسلم وسواء كان من عامة الناس أو من كبرائهم فمن هذه الطرق والمجالات :

١- مما يستفيده المدعو (من المسلمين) في العصر الحاضر عدم موالاة أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ونحوهم من الكفار، يقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾[1] ، « نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يسرون اليهم بالمودة من دون المؤمنين، ثم توعدهم على ذلك فقال ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ أي ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ أي إلا من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا ببطانه ونيته»[2] . وقال رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ﴾[3]، « وهذا تنفير من موالاة أعداء

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٨ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٣٩/١.

(٣) سورة المائدة آية ٥٧ .

الإسلام وأهله من الكتابيين والمشركين الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتملة على كل خير دنيوي وأخروي يتخذونها هزوا ويستهزؤن بها، ولعبًا يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد وفكرهم البارد »[1] .

٢- وجانب آخر من جوانب العقيدة يستفيده المدعو في هذا العصر من منهج ابن كثير وهو وجوب التحاكم إلى ما أنزل الله، فإذا قضى الله ورسوله أمرًا فلا يسع لأحد مخالفة ذلك الأمر أو تقديم غيره عليه، وأن شريعة الله صالحة لكل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . فلا يسع أحد تركها والتحاكم إلى غيرها من القوانين الوضعيه، يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[2] ، « ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والإصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة من ملكهم « جنكيزخان» الذي وضع لهم « الياسق» وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه،

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٩٣، ٩٤ .

(٢) سورة المائدة آية ٥٠ .

فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ»[1].

٣- ومما يستفيده المدعو المسلم في هذا العصر في جانب العقيدة أيضًا من منهج ابن كثير أن ما عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم هو المنهج الصحيح فيقول عند تفسير الآية ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾[2]، « أي لا يثقله ولا يكرثه حفظ السموات والأرض ومن فيهما، ومن بينهما بل ذلك سهل عليه يسير له، «وهو العلي العظيم » وكقوله« وهو الكبير المتعال» وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح الأجود فيها طريقة السلف الصالح إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه »[3].

٤- وهناك جانب آخر من جوانب العقيدة يستفيدها المدعوين المسلمين في هذا العصر وهو عدم تكفير أهل الكبائر كما هو الحال عند الخوارج ومن تابعهم الذين يكفرون بالكبائر من الذنوب فيقول رحمه الله عند تفسيره الآية ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا ﴾[4]، « فسماهم مؤمنين مع الإقتتال وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٨٨.

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

(٣) المرجع نفسه ١/٣٨٤.

(٤) سورة الحجرات آية ٩ .

يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم» [1] .

٥- ومما يستفيد المدعو من المسلمين في هذا العصر أيضًا من منهج ابن كثير هو التحذير من البدعة فيقول عند تفسير الآية ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾[2] ، «ويدخل في هذا كل مبتدع ابتدع بدعة ليس لها مستند شرعي أو حلل شيئًا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه»[3].

٦- ومما يستفيد المدعو من المسلمين في هذا العصر من منهج ابن كثير هو الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة، فابن كثير رحمه الله حريص على تقرير هذا المبدأ وبيانه فقال عند تفسيره الآية ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[4] ، « أمرهم بالجماعة ونهاهم عن الفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة، بالنهي عن التفرق والأمر بالإجتماع والإئتلاف كما في صحيح مسلم . عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم ثلاثا قيل وقال وكثرة

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٤٨/٤.

(٢) سورة النحل آية ١١٦ .

(٣) المرجع نفسه ٧٢٨/٢ عند تفسير الآية ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الحج٢).

(٤) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

السؤال وإضاعة المال »[1] . وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضًا وخيف عليهم الإفتراق والإختلاف، وقد وقع ذلك في هذه الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة منها فرقة ناجية ومُسَلَّمَة من عذاب النار وهم الذين على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه »[2] .

٧- وهناك جوانب أخرى تتعلق بالعبادة يستفيدها المدعو من المسلمين في هذا العصر من منهج ابن كثير الدعوي منها أن العبادة هي الغاية من الخلق فيؤكد رحمه الله أن الله سبحانه « خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم فهو خالقهم ورازقهم »[3]، وأن العزة في عبادة الله وطاعته، فالعزة والرفعة في الدنيا والآخرة لا تحصل إلا بطاعة الله سبحانه ويؤكد رحمه الله أنه من « كان يحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة فليزم طاعة الله فإنه يحصل له مقصوده لأن الله مالك الدنيا والآخرة وله العزة جميعًا كما قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾[4]، وقال تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ

---

(١) اخرجه مسلم كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات، وهو الإمتناع من أداء حق لزمه أو طلب مالا يستحقه رقم (١٧١٥).

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٧٦/١.

(٣) المرجع نفسه ٢٨٠/٤ عند تفسير الآية ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات ٥٦).

(٤) سورة النساء آية ١٣٩ .

جَمِيعًا ﴾[1] أي فليعتز بطاعة الله عز وجل »[2] .

وكذلك الاستمرارعلى الطاعة والعبادة، فيقول عند تفسير الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[3]، « أي أحسنوا في حال الحياة وألزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه فإن المرء يموت غالبا على ماكان عليه ويبعث على ما مات عليه وقد أجرى الله الكريم عادته بأن من قصد الخير وفق له ويُسِّر عليه ومن نوى صالحا ثُبِّت عليه »[4] .

وأن هناك آثار للطاعة والعبادة والتقوى كالتوفيق لمعرفة الحق من الباطل « فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره وفق لمعرفة الحق من الباطل »[5] وحفظ الله من اتقاه وأطاعه وغرس محبة من عبده واتقاه في قلوب الناس وحصول الخير له ودفع الشر عنه' وقد أشار رحمه الله الى أن العبادة شاملة لأنواع القرب من صلاة وصيام وزكاة وحج وذكر فيها من الحكم والأسرار والآداب والأحكام ما يمكن للمدعو المسلم في هذا العصر أن يستفيد منها .

٨-ومما يستفيده المدعو من المسلمين في هذا العصر من منهج ابن كثير الدعوى أنه كما أن للطاعة والعبادة آثارًا حميدة على العباد والبلاد

---

(١) سورة فاطر آية ١٠ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٧٣/٣ عند تفسير الآية ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ (فاطر ١٠) .

(٣) سورة البقرة آية ١٣٢ .

(٤) المرجع نفسه١ /٢٣٢ .

(٥) المرجع نفسه ٣٧٧/٢ عند تفسير الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (الانفال ٢٩).

فكذلك الذنوب والمعاصي، حيث أن «جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والتعسير في اللذة، قيل وما التعسير في اللذة ؟ قال لا يصادف لذة حلالا إلا جاء من ينغصه إياها»[1] ويقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾[2]، « يخبر تعالى من تمام عدله وقسطه في حكمه بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ﴿١١﴾ ﴾[3] ، وقوله ﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ ﴾[4] [5] ويؤكد رحمه الله « أن الأمور إذا كانت ماشية على السداد ثم وقع الفساد بعد ذلك كان أضر ما يكون على العباد»[6].

٩- وهناك بعض الجوانب المتعلقة بالمعاملات يمكن للمدعو المسلم في هذا العصر أن يستفيد من منهج ابن كثير الدعوى في ذلك فقد حذر رحمه الله من التعامل بالمعاملات المحرمة كالربا والغش وأكل أموال الناس

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٦٥٤ عند تفسير الآية ١٧ من سورة سبأ ١٧، وقد أورد ابن كثير هذا الأثر عن أبي حِبَرَةَ شيحة بن عبدالله الضبي، من أصحاب علي من أهل البصرة، مات بعد المائة، انظر ثقات ابن حبان ٤/ ٣٧٢.

(٢) سورة الأنفال آية ٥٢ .

(٣) سورة الرعد آية ١١ .

(٤) سورة آل عمران آية ١١ .

(٥) المرجع نفسه ٢/٣٩٨

(٦) المرجع نفسه ٢/٢٨١ عند تفسير الآية ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ (الاعراف ٥٦) .

بالباطل وحث على بعض الآداب كإنظار المعسر حتى يتيسر حاله وكتابة الدين والمعاملات المؤجلة ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها وأضبط للشاهد فيها.

١٠-ومما يستفيده المدعو من المنهج الدعوي لابن كثير رحمه الله، من قواعد دعوية وتوجيهات إصلاحية وآداب مرعية تعتبر نماذج فريدة، حري بالمدعو في هذا العصر أن يستفيد منها، فمن هذه القواعد الجميلة قوله رحمه الله « من لا يقبل الخير يقبل الشر »[١] فهو يقرر رحمه الله أن الذي لا يقبل الخير يقبل الشر، لان الله سبحانه ألهم النفوس فجورها وتقواها كما قال سبحانه ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾[٢] فليس هناك حياد بين الخير والشر، فالنفس إذا ما قبلت الخير وعملت به، فإنها حتما ستنحرف إلى الشر وتقبله وتعمل به.

ومما ذكره ابن كثير أيضًا ولفت إليه قيمة النية والقصد وأثر ذلك في العمل وبلوغ المراد، فمن كان صادقا في قصده الخير وفقه الله له، بينما من كان قصده الشر فإن الله يخذله ولا يوفقه لمراد الخير فيقول رحمه الله « الله عز وجل يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان وكل ذلك بقدر مقدر »[٣]، فهو يدعو رحمه الله إلى

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٦٧/٤ عند تفسير الآية ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ (الزمر ٤٥).

(٢) سورة الشمس آية ٨ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٦١٦/٤ عند تفسير الآية ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ (الليل ٨-٩).

إخلاص السريرة والنية وأنها تظهر آثارها على صفحات وجه الإنسان وفلتات لسانه مهما حاول إخفاء ذلك أو ستره فيقول رحمه الله «ما أسر عبد سريرة إلا ابداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله رداءها إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر»[1] .

ومن توجيهاته التي يمكن أن يستفيد منها المدعو هو عدم التروي في قبول الحق إذا وضح، لأن الحق الذي جاءت به الرسل عليهم السلام جلي وواضح فلا يفكر في قبوله إلا جاهل أو غبي فيقول رحمه الله « الحق إذا وضح لا يبقى للتروي ولا للفكر مجال بل لابد من اتباع الحق والحالة هذه لكل ذي زكاء وذكاء، ولا يفكر ويروي هاهنا إلا عيي أو غبي والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إنما جاؤا بأمر جلي واضح »[2] .

ومن الامور التي أوصى بها ابن كثير في منهجه الدعوي ويمكن للمدعو أن يستفيد منها هو الإعتصام بالله والتوكل عليه لأنه سبحانه الموفق والهادي إلى كل خير، وان من اعتمد عليه سبحانه أفلح ونجا، ومن أعرض عنه خاب وخسر فيقول رحمه الله « الاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية والعدة في مباعدة الغواية، والوسيلة

---

(١) المرجع نفسه ٦٧٤/٣ عند تفسير الآية ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ (فاطر١٠) .

(٢) المرجع نفسه ٥٤٥/٢ عند تفسير الآية ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ (هود ٢٧) .

إلى الرشاد وطريق السداد وحصول المراد »[1] وأيضا من توجيهاته أن تقوى الله سبحانه هي الزاد والمعين، والفرقان بين الحق والباطل والخير والشر لا سيما في هذا العصر الذي حصل التباس لكثير من الناس في هذه الامور فيقول رحمه الله « من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره، وُفِّق لمعرفة الحق من الباطل »[2] .

وكذلك نبَّه رحمه الله على خطورة أهل الفجور الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ممن يدعون إلى المنكرات بجميع الوسائل وشتى الطرق ويعتبر رحمه الله أن الظن الحسن بمن هذا حاله وواقعه يعتبره خطأ، بل من المحذورات الكبيرة فيقول رحمه الله « من المحذورات الكبار أن يظن بأهل الفجور خيرا»[3] .

ومن قواعد منهج ابن كثير الدعوي الجميلة وتوجيهاته السديدة أنه يدعو إلى التوازن والإعتدال والتوسط وعدم الغلو والافراط أو التفريط فيمكن للمدعو في هذا العصر الذي أصبح الناس بين طرفي نقيض إما غلو وإفراط أو تقصير وتفريط، أن يستفيدوا من منهج ابن كثير

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٧٤/١ عند تفسير الآية ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ (آل عمران ١٠١).

(٢) المرجع نفسه ٣٧٧/٢ عند تفسير الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (الانفال ٩).

(٣) المرجع نفسه ٦٥/١ عند تفسير الآية ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ (البقرة ٩).

الدعوي حيث يؤكد رحمه الله « أن شرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه لا إفراط ولا تفريط »[1] .

١١-كما أنه يمكن للمدعو من أهل الكتاب في هذا العصر أن يستفيد من منهج ابن كثير الدعوي في الدعوة إلى الإيمان بمحمد ﷺ وبدين الإسلام الذي جاء به، لأن من كفر بني من الأنبياء الذين بعثهم الله فقد كفر بجميعهم فإيمان أهل الكتاب بالأنبياء الذين بعثوا إليهم يلزمهم أن يؤمنوا ببقية الأنبياء والمرسلين ومنهم محمد ﷺ يقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ ﴾[2] ، « أي كفروا بها وعصوا رسل الله، وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء، لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الإيمان به، فعاد كفروا بهود، فنزل كفرهم منزلة من كفر بجميع الرسل »[3] .

وكذلك المدعو من غير المسلمين في هذا العصر يمكن أن يستفيد من منهج ابن كثير الدعوي وهو أن ابن كثير رحمه الله يقرر أن ما يثبت بطريق الوحي حقائق يقينيه ثابتة فهو مصدر من مصادر المعرفة بل هو المصدر الأول للحقائق والعلوم والمعارف والتشريعات، لان أخباره صادقه وأحكامه عادلة، فالقرآن المنزل من عند الله كما قال ابن كثير : «أمر بكل خير ونهى عن كل شر كما قال تعالى ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١١٥/٢ عند تفسير الآية ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (المائدة ٧٨).

(٢) سورة هود آية ٥٩ .

(٣) المرجع نفسه ٥٥٥/٢.

صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾[1] » أي صدقا في الأخبار وعدلا في الأحكام، وأنه اشتمل على كل حلال وحرام وما الناس إليه محتاجون في أمور دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم» [2] .

وأخيرا يمكن أن يستفيد المدعو في هذا العصر من منهج ابن كثير الدعوي في عدم الإغترار بالدنيا وزخارفها، وأن السعادة والطمأنينة والرخاء في عبادة اللّٰه وطاعته وأن سبب القلق والضيق وضنك المعيشة الذي يعيشه الناس في هذا العصر هو بسبب مخالفة أمر اللّٰه ومجانبة سبيله وهداه كما قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[3]، « أي خالف أمري وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه، وأخذ من غيره هداه « فإن له معيشة ضنكا » أي في الدنيا، فلا طمأنينة ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهرة ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة »[4] . وغير ذلك من الطرق والمجالات والجوانب الكثيرة التي يمكن أن يستفيد منها أصناف المدعوين في هذا العصر كالمرأة والشباب والأطفال وغيرهم من منهج ابن كثير الدعوي والذي سبق وأن أشرنا إلى شيء من ذلك في المباحث السابقة .

---

(١) سورة الأنعام ١١٥ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم /٧١٩.

(٣) سورة طه آية ١٢٤ .

(٤) المرجع نفسه ٢١٣/٣.

الفصل الثاني

استفادة الداعية المعاصر من منهج ابن كثير

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : نظرة إلى الداعية في العصر الحاضر

المبحث الثاني: الإستفادة من منهج ابن كثير في موضوع الدعوة في العصر الحاضر.

المبحث الثالث: الإستفادة في فقه المدعو في العصر الحاضر

المبحث الرابع : الإستفادة في كيفية الدعوة في العصر الحاضر

المبحث الخامس : الإستفادة في مؤهلات الداعية في العصر الحاضر

المبحث الأول

نظرة إلى الداعية في العصر الحاضر

الداعية إلى الله له مكانة عظيمة وأهمية بالغة، وشرف تام، وذلك لما يقوم به من الدعوة إلى دين الله عزوجل وعبادته، وبيان وتوضيح أحكام شريعة الإسلام وأخلاقه وآدابه وفضائله، وما يكفله من سعادة وهناء في الدنيا والآخرة، فالداعية وارث النبي ﷺ، والقائم مقامه في إبلاغ دين الله وشرعه، والداعية إلى الله في هذا العصر واجباته كبيرة، ومسئولياته عظيمة، وهو يختلف عن الداعية السابق من حيث ظروف المدعوين، ووسائل الدعوة وأساليبها، ولاشك أن ظروف الدعوة وأحوال المدعوين تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال، فلكل زمان خصائصه ولكل مكان ملامحه، ولكل مجتمع سماته وطبائعه، فالاختلاف بين الداعية في هذا العصر وبين الداعية السابق ليس في موضوع الدعوة ومحتواها، لأن موضوع الدعوة مستمد مما جاء به الله سبحانه وتعالى في كتابه أو على سنة رسوله ﷺ، فالدعاة إلى الله تعالى في الماضي والحاضر منهجهم ودعوتهم واحدة، وهي الدعوة إلى توحيد الله والإيمان به، على نور وبصيرة كما قال سبحانه ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[1] فالإختلاف إذن في الظروف والأحوال المتعلقة بالواقع المعاصر وكذلك في الوسائل والأساليب المتجددة والمختلفة، والتي كان لها الأثر على طبيعة الدعاة وإعدادهم وتكوينهم في هذا العصر، إضافة إلى ذلك «

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٨ .

فإن ما تواجهه الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر من العداء السافر بوسائل جديدة لم تكن في السابق، فالصراع بين الحق والباطل باق إلى قيام الساعة كما في قوله سبحانه وتعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ ﴾[1] ، فقوى الشر والفساد في العصر الحاضر يتفقون مع سابقيهم في الهدف ولكنهم يختلفون عنهم في الوسيلة فتارة بالعداء السافر وأخرى بالكيد المستتر، ومرة بالقنبلة والصاروخ وثانية بالصوت والصورة، ولا تفوتهم الحروب الإقتصادية، أو الضغوط السياسية فضلا عن محاولات التشويه والتشكيك في هذا الدين الحنيف »[2]. والداعية في هذا العصر يعيش في زمن يشن اعداء الدين حربًا مسعورة عليه، بما زحف على العالم العربي من إلحاد نتيجة لما اصطدم به العقل العلمي هناك من متناقضات صارخة في الدين الذي يدين به، فساء ظنه بكل دين، وانتشرت المذاهب والآراء التي تستخف بالدين وتزدري بالمتدينين وتدعو إلى الكفر بالحياة الآخرة، وما يتخايل للناس منها من سراب خادع، كما يزعم الماديون والعلمانيون وغيرهم، فمهمة دعاة الإسلام اليوم هي العمل في ميدانين في وقت واحد :

الأول : هو دفع الآراء والأفكار والمذاهب المنحرفة الوافدة علينا من الغرب، وكشف باطلها وتبصير الشباب المسلم بزيفها وخداعها.

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٧ .

(٢) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله د. سليمان العيد ص ٤٩٣ مرجع سابق .

الثاني : هو نقل حقائق الإسلام إلى العالم الغربي الذي فرَّغ كيانه من الدين، وإزاحة هذه الغواشي التي غشته من الكفر والإلحاد والإنحلال والضياع[1] .

كما أن من مهمة الدعاة إلى الله في هذا العصر « مناظرة أهل العلوم الذين فتحت لهم علومهم آفاقا من التفكير في حقيقة هذا الكون ومدبره، كعلوم الفلك والكيمياء والأحياء والطب واستغلال ما توصل إليه العلم من اكتشافات حديثة وأسرار عجيبة في هذا الكون لإثبات مقدرة المولى جل وعلا وأحقيته بالعبادة »[2] .

ولا يمكن للدعاة في هذا العصر أن يؤدوا واجبهم المناط بهم إلا إذا أُعِدُّوا إعدادا جيدا وفق منهج علمي متكامل يحتوي على دراسات إسلامية مبنية على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، مع العناية بالسيرة النبوية، وكذلك يحتوي على دراسات لغوية وأدبية تعين على فهم الإسلام وحسن عرضه بأسلوب بليغ، وكذلك دراسات التاريخ الإسلامي بما فيه من أمجاد وبطولات، واستخلاص العبر منه، خصوصا من سير الأبطال ورجال الفكر والدعوة في الإسلام، وكذلك دراسة قدر مناسب من الثقافة العامة والعلوم الحديثة وخاصة العلوم الإنسانية والطبيعية، إضافة إلى دراسة الأديان والمذاهب المعاصرة وحاضر العالم الإسلامي، وأبرز قضاياه، والقوى المعادية للإسلام

---

(١) انظر علي صالح المرشد مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، ص ٥٥، طبعة مكتبة لينه للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

(٢) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، سليمان العيد ص ٤٩٤ مرجع سابق .

والفرق المنشقة عنه، وكذلك دراسة اللغات الأجنبية حتى يستطيع الدعاة تبليغ رسالة الله لكل إنسان تحقيقا لعالمية الرسالة [1] .

فالإعداد الجيد المتكامل المدروس للدعاة إلى الله في هذا العصر يقضي على كثير من المشاكل والعقبات التي تعترض طريق الدعاة وتسبب لهم مشكلات كثيرة ومتنوعة بعضها من أنفسهم والأخرى من غيرهم، والتي منها على سبيل المثال : الجهل وهو أسوأها، لأن عدم العلم بالدين، وعدم العلم بأمور الدنيا، وعدم معرفة الداعي ما يجري حوله من أحداث، وغفلته عن ذلك كله يجعله قاصرا ومقصرا في معرفته الدعوية، وتَحُدُ من معالجته لمشكلة المدعوين . ومن العقبات والمشكلات اليأس والقنوط، وهذا مترتب على قلة العلم وضحالة الفقه الذي يُبَصِّر الداعية بما يلزم أن يقوم به حيال الدعوة، فلو كان عالما لما تسرب إليه هذا النوع من الفتور الدعوي والخمول الديني ولما وجد إليه طريقا .

وكذلك من المشكلات عدم التثبت والتبين عند كثير من الدعاة في الأقوال والأفعال والأحوال الصادرة عن الآخرين .

ومن المشاكل أيضًا التشدد والغلو في غير محله، وكذلك عدم المبالاة والجد في الأمور أو ما يسمى بالتسيب، وهو نوع من الفتور في الهمة أو عدم الدقة في التخطيط .

ومن المشكلات التي تواجه الدعاة في هذا العصر الخلافات التي تنشأ بسبب التعصب والحزبية [2] وغيرها من المشكلات والعقبات التي تواجه الدعاة

---

(١) انظر علي بن صالح المرسد مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، ص ١٠٩ مرجع سابق .

(٢) انظر محمد زين الهادي العرمابي الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، ص ٣٤١ -٣٤٥، مرجع سابق.

وتحتاج إلى وقفة جادة وحازمة لمعالجة هذه الاخطاء والمشكلات،وذلك بالحرص على تربية الدعاة تربية صحيحة وأن ينشأوا في محاضن تربوية صالحة وسليمة، كما نوصي الدعاة أنفسهم والعلماء ورجال الفكر أن يلتقوا ويجتمعوا لبحث القضايا والمشكلات الدعوية ومحاولة علاجها وحلّها من خلال عقد اللقاءات والمؤتمرات والندوات، بل واللقاءات الشخصية والتواصل الأخوي سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات أو الجماعات أو الحكومات الإسلامية والخروج بحلول وتوصيات واقتراحات وإجراءات عملية مثمرة لصالح الدعوة والدعاة.

المبحث الثاني

الاستفادة من منهج ابن كثير في موضوع الدعوة في العصر الحاضر

إن منهج ابن كثير رحمه الله في موضوع الدعوة من خلال اهتمامه وعنايته بالعقيدة والشريعة والمعاملات والأخلاق والآداب ونحوها، إنما هو لتحقيق مقصدها الاساسي وهو تعبيد الناس لرب العالمين، وتزكية نفوسهم وتطهيرها من أدران الشرك والإلحاد، ومن بدع الاعتقادات والعبادات، ومن رديء الأخلاق وذميم الخصال، وفي المقابل تحليتها بما فيه صحة القلوب وسلامتها، من صفاء الإعتقاد وصحيح الإيمان والتوحيد وصحة النسك والعبادة، وجميل الخصال وحسن الفعال، الذي ترجع غايته إلى إصلاح العلاقة مع الله وإصلاح العلاقة مع الناس، وهذه المقاصد أمور ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان لأنها تمثل صلب الدين وأساسه، ولب حقيقته، فلا يقع فيها شيء من الاختلاف، وإنما يقع الاختلاف في عرض تفاصيل محتوى الدعوة وموضوعها ومقاصدها[1].

وفي هذا المبحث نحاول معرفة مدى استفادة الداعية المعاصر من منهج ابن كثير في موضوع الدعوة وذلك من خلال النقاط التالية :

١-يستفيد الداعية المعاصر من منهج ابن كثير في موضوع الدعوة بالحرص على تعليم الناس وتبليغهم محتوى الدعوة وموضوعها بالمفهوم الشمولي

---

(١) انظر عبد الحميد هنادي منهج الدعوة في واقعنا المعاصر، ص ٢٠ طبعة دار الافاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ .

والعام الذي بَيَّنه ابن كثير ودعا إليه في العقيدة والعبادة والشريعة والمعاملة والأخلاق والآداب وتحقيق مقاصد الدعوة الإسلامية لذلك، والداعية المعاصر لا يمكنه تحقيق ذلك إلا إذا كان على مستوى من العلم بموضوع الدعوة بمعنى أن لديه العلم والمعرفة بما يدعو إليه من عقائد وشرائع وأحكام وعبادات وأخلاق وسلوك ونحوها، لان ثقة المدعوين بالداعية وتأثيره فيهم مرتبط بمدى ما عنده من العلم في موضوع الدعوة ومحتواها، وهو ما كان عليه الامام ابن كثير رحمه اللّه تعالى، فقد كانت له مكانة في قلوب معاصريه لما عنده من سعة العلم مما جعل كلامه عندهم مقبولا، ويحظى بالاحترام والتقدير ويشهد له بالمكانة العالية والمنزلة الرفيعة وانه « كان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ، وسمع وجمع، وصنَّف ودرَّس، وحدَّث وألَّف، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير، وله مصنفات عديدة مفيدة »[1] .

وهذا المستوى العلمي الذي وصل إليه الامام ابن كثير لم يتم إلا من خلال مثابرة وجد واجتهاد، فالمنهج الذي سار عليه ابن كثير في طلب العلم يتسم بالجدية وبذل الجهد واستفراغ الوسع من أول حياته إلى آخرها، فقد حفظ رحمه اللّه القرآن سنة ٧١١هـ [2]، أي أن عمره آنذاك حوالي عشر سنوات وحفظ كتاب التنبيه لابي اسحاق الشيرازي

---

(١) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١٢٣/١١ وانظر أحمد شاكر عمدة التفسير ٢٧/١.

(٢) البداية والنهاية ٣٢٦/١٨.

وعرضه في الثامنة عشرة من سِنِّه [1] « وأقبل على حفظ المتون ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ حتى برع في ذلك وهو شاب »[2] .

وقد مر معنا أنه اشتغل بالكتابة والتأليف حتى ذهب بصره[3]، وحتى بعد ذهاب بصره كان مهتما بالعلم والتأليف والكتابة[4] .

ومما يعين الداعية المعاصر على طلب العلم وتحصيله ملازمته للعلماء والأخذ عنهم والإستفادة منهم والتربي على أيديهم كما كان حال ابن كثير رحمه الله فقد كان ملازما لشيوخه، يحفظ عليهم وينهل من علمهم فمثلا شيخه المزي لازمة وانتفع به وسمع منه أكثر تصانيفه، وتخرج على يديه ثم صاهره وتزوج ابنته وصار قريبا منه في بيته ومتأثرا به[5]، وكذلك ملازمته لشيخه ابن تيمية، حيث صحبه وقرأ عليه كثيرا ولازمه فأكثر عنه وانتفع بعلومه، فكانت هذه الصحبة والملازمة لها أثر على ابن كثير حيث « أفادته أعظم فائدة عظيمة في علمه ودينه وتقويه خلقه، وتربية شخصيته المستقلة الممتازة) [6] .

٢-نظرا لكثرة العلوم في هذا العصر وتشعبها وتنوعها وكثرة الكتب والإصدارات فيها مما يصعب معه قراءتها والإستفادة منها، وهنا يأتي ضرورة الإختيار من هذه الكتب وأهمية الإنتقاء من هذه المعلومات وقد

---

(١) انظر الدارس للنعيمي ٣٧/١.

(٢) طبقات ابن قاضي شهبه ص ٤٧٣ وانظر الامام ابن كثير سيرته ومؤلفاته، د. سعود الندوي ص ٤٣، ٥١.

(٣) يقول رحمه الله « لا زلت أكتب في الليل والسراج ينوص – يتأخر في نوره – حتى ذهب بصري معه ».

(٤) فقد ذكر ابنه زين الدين عبد الرحمن كما مر معنا انه « لما أضر الوالد كان يؤرخ له ».

(٥) البداية والنهاية ٤٢٨/١٨ .

(٦) الإمام ابن كثير سيرته ومؤلفاته، مسعود الندوي ص٤٩، مرجع سابق .

أوصى الإمام ابن كثير رحمه الله بأن العلم الذي لا يترتب على تعلمه وتحصيله والوقوف عليه مقصد شرعي، وليس هناك حاجة إلى تعلمه والسؤال عنه لا تتعين معرفته، وضرب ابن كثير على ذلك مثالا بمكان الكهف الذي آوى إليه الفتية الذين ذكرهم الله في القرآن بقوله سبحانه ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ﴾[1]، فذكر ابن كثير أن الله لم يذكر مكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض « إذ لا فائدة لنا فيه ولا مقصد شرعي ... ولو كان لنا مصلحة دينية لأرشدنا الله ورسوله إليه »[2]، كما نبه رحمه الله على أنواع العلوم فذكر أن « العلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان ذهني ولفظي ورسمي [3]، وأخيرا أشار ابن كثير رحمه الله إلى بعض الآداب المتعلقة بطلب العلم وتعلمه والعمل به كالصبر وعدم الحياء أو الاستكبار عن طلبه والسؤال عنه وأن يحرص على طلب العلم في سن مبكر وأن يتلطف عند سؤال أهل العلم، ولا يكون طلبه على سبيل الإلزام والإجبار ونحو ذلك مما ذكرناه سابقا، مما يتعين على الداعية المعاصر التحلي به من الآداب والأخلاق المتعلقة بطلب العلم، والتي تعينه على تحصيل المراد وتعلمه في موضوع الدعوة، فينال ثقة المدعوين، ويصبح داعية وقدوة يدعو إلى الله على نور وعلم وبصيرة .

---

(١) سورة الكهف آية ١٠ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٩٨ .

(٣) المرجع نفسه ٤/٦٣٠ عند تفسير الآية ٥ من سورة العلق .

٣-ومما يستفيده الداعية المعاصر من منهج ابن كثير في موضوع الدعوة هو اهتمام ابن كثير بالعقيدة والإيمان وأركانه، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، مما ذكرناه مفصلا في الباب الثاني، فيتعين على الداعية المعاصر العناية بذلك والحرص عليه لأن العقيدة أصل الدين وأساسه، وأن قبول الأعمال مرتبط بالتوحيد وسلامته من الشرك، فالله سبحانه لا يقبل عملا أشرك صاحبه مع الله أحدا غيره في عبادته ولأن بعض الدعاة في هذا العصر أغفلوا هذا الجانب، ولم يكن لكثير منهم عناية بمعالجة وقوع بعض المسلمين فيما يناقض التوحيد أو ينقصه أو يخل به كدعاء غير الله والإستعانة والإستغاثة بغيره سبحانه، أو الذبح أو النذر لغير الله وغيرها من الممارسات التي تخل بكمال التوحيد أو أصله . فيتأكد على الدعاة في هذا العصر معالجة هذا الأمر « أولا قبل غيره من الأمراض الخلقية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية والفكرية ... إلخ لأن مرض الإعتقاد هو مرض القلوب، وهو الداء العضال والمرض الأول الذي نتجت عنه جميع الأمراض والإنحرافات الخلقية وغيرها وهذا هو داء الأمم قديما وحديثا »[1] .

٤-ومما يستفيده الداعية المعاصر في موضوع الدعوة من منهج ابن كثير اهتمام ابن كثير وعنايته بالشريعة والدعوة إليها وخطورة مخالفتها

---

[1] مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ناصر العقل ص ٧٢، مرجع سابق .

وأن كل عمل لا يكون خالصا ولا موافقا للشريعة فهو باطل، وكذلك العبادة وأنها شاملة لأنواع الطاعات والقرب من صلاة وصيام وحج وزكاة ونحوها مما ذكرناه مفصلا في الباب الثاني، والداعية في هذا العصر بحاجة إلى مثل هذا التصور وإلى مثل هذه العناية والاهتمام بالشريعة والعبادة والأحكام كما هو الشأن عند الامام ابن كثير، ذلك أن الداعية في هذا العصر يعيش في زمن أقصى فيه تطبيق الشريعة في كثير من بلاد المسلمين وانحسر مفهوم العبادة والدين في إطار ضيق، ودائرة محدودة وذلك بعد دخول العلمانية وانتشارها في العالم الإسلامي وتأثيرها على حياة المسلمين[1].

٥-ومما يستفيده الداعية من منهج ابن كثير في موضوع الدعوة أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعاقبة تركه وأن ذلك سبب عقوبة الله وسخطه، وكذلك تصحيح مفهوم ابن كثير للمفهوم الخاطيء وهو أن من وقع في مخالفة أو معصية فانه لا ينهى غيره عنها، لأنه مذموم بقوله تعالى : ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤ ﴾[2]، وقد ذكرنا رد ابن كثيرعلى من استدل بذلك وتأكيده رحمه الله على أن العالم والداعية يأمر بالمعروف وإن لم يفعله وينهى عن المنكر وإن ارتكبه، لكنه مذموم على ترك الطاعة وفعل المعصية . ولا شك أن الداعية بحاجة إلى مثل هذا

---

(١) يمكن الرجوع إلى ما كتبه شيخنا الأستاذ الدكتور محمد زين الهادي في كتابه نشأة العلمانية ودخولها العالم الإسلامي، طبعة دار العاصمة بالرياض ١٩٨٨م، ومجالات انتشار العلمانية، طبعة دار العاصمة بالرياض ١٤٠٩هـ .

(٢) سورة البقرة آية ٤٤ .

التصور عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي نبه إليه الامام ابن كثير، ثم إن الداعية المعاصر يعيش في زمن قصَّر كثير من المسلمين في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بواجب الحسبة، سواء كانت الطوعيه أو الإدارية الرسمية، وأصبح من يدعو إلى القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن النكر مثار استغراب واستهجان، لان هذا يعتبر تدخلا في الأمور الشخصية للناس وتعد على حرياتهم وشئونهم الخاصة، ونسو أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سفينة نجاة المجتمع وتركه سبب في عقوبته وهلاكه .

٦-ومما يستفيده الداعية من منهج ابن كثير الدعوي في موضوع الدعوة عناية ابن كثير رحمه الله بالأخلاق، وحرصه على توجيه الأمة وتربيتها على الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة، إضافة إلى ما نبه عليه رحمه الله من خصائص التربية الأخلاقية في الإسلام، من موافقتها للفطرة، وأن الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر وكذلك تميزها باليسر والسهولة وأنها جبليه من وجه ومكتسبة من وجه آخر ونحو ذلك مما اشرنا إليه سابقا، مما يحتاجه الداعية إلى الله في هذا العصر الذي أصبح مفهوم الأخلاق فيه يعتمد على المصالح المادية والمنافع الدنيوية والأغراض الشخصية، إضافة إلى شيوع التصورات والنظريات الخاطئة

حول الإنسان وطبيعته وفطرته [1] مما كان له اثر على مفهوم الأخلاق والتربية، أو انتشار ما يسمى بنظرية النسبية (relativism) في الأخلاق وفحوى هذه النظرية « أنه ليس هناك معيار ثابت يميز به الحق والباطل والخير والشر، بل إن هذه الأحكام أحكام نسبية ... فما يراه أصحاب كل ثقافة حقا أو خيرا فهو حق أو خير بالنسبة لثقافتهم هذه، لأنه ليس هناك معيار عالمي للحق والخير متفق عليه بين الناس»[2] .

---

(١) من هذه النظريات أن الإنسان حين يلد يولد محايدا كالصفحة البيضاء أو الطينة غير المشكلة وأن البيئة هي التي تكتب عليها ما تريد وتشكله كيف تريد، ومن هذه النظريات أن للإنسان حقيقة وحقيته أنه مخلوق شرير يولد الشر معه مفروضا في طبعه والبيئة هي التي تحاول أن تهذبه، وغيرها من النظريات والفلسفات والتصورات الخاطئة حول الإنسان وطبيعته وفطرته المخالفة للتصور الإسلامي، انظر جعفر شيخ إدريس التصور الإسلامي للإنسان أساس لفلسفة الإسلام التربوية بحث مقدم للمؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، ٣١ مارس – ١٨ ابريل ١٩٧٧م .

(٢) انظر جعفر شيخ إدريس الإسلام لعصرنا، ص ٩٥ طبعة المنتدى الإسلامي بلندن، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

المبحث الثالث

الاستفادة في فقه المدعو في العصر الحاضر

المتأمل في حال الناس في الواقع المعاصر يجد أنهم قد تشعبت مذاهبهم، وتنوعت معتقداتهم، واختلفت أفكارهم وتعددت مللهم ونحلهم، وأصبحت القوانين الوضعية، والمبادئ الأرضية والمذاهب البشرية هي التي تسير حياة كثير منهم، فابتعدوا عن منهج الله الحق الذي بعث به رسوله ﷺ وارتضاه لعباده، والداعية المعاصر بحاجة إلى معرفة ما عليه الناس في هذا الزمن من المعتقدات الباطلة، والأفكار المنحرفة وما يسلكونه من سبل في بث سمومهم ونشر ضلالهم، فهناك الحركات الباطنية المناوئة للإسلام كالبهائية[1] والقاديانية[2]، وهناك غلاة الصوفية كالبريلويه[3] وهناك الحركات اليهودية

---

(١) البهائية : حركة نبعت من المذهب الشيعي سنة ١٢٦٠هـ تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الانجليزي، بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الاساسية، ويعتقد البهائيون أن الباب هو الذي خلق كل شيء بكلمته، وهو المبدأ الذي ظهرت عنه جميع الأشياء ويقولون بالحلول والاتحاد والتناسخ ويقولون القرآن تأولات باطنه ليتوافق مع مذهبهم (انظر الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة من مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص ٤٠٩، ٤١٢، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ) .

(٢) القاديانية : حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الانجليزي في القارة الهندية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، ويعتقد القاديانيون أن النبوة لم تختم بمحمد ﷺ بل هي جارية والله أرسل الرسول حسب الضرورة وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعا، ويعتقدون أن كتابهم منزل واسمه الكتاب المبين وهو غير القرآن الكريم (انظر الموسوعة الميسرة ص ٤١٦ – ٤١٧، مرجع سابق) .

(٣) البريلوية : وهي فرقة صوفية نشأت في شبه القارة الهندية الباكستانية في مدينة بريلي في ولاية اترابرديش بالهند أيام

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كالماسونية[1] والصهيونية[2] وهناك منظمات تدعي إنها مسيحية وهي في الحقيقة واقعة تحت سيطرة اليهود ويعملون لحسابهم مثل منظمة شهوديهوه[3]، وهناك العلمانية[4]

الاستعمار البريطاني وقد اشتهرت بمحبة وتقديس الأنبياء والأولياء بعامة والنبي ﷺ بخاصة، ويعتقد أبناء هذه الطائفة أن الرسول ﷺ لديه قدرة يتحكم بها في الكون يقول أمجد علي « أن النبي ﷺ نائب مطلق لله سبحانه وتعالى وأن العالم كله تحت تصرفاته فيفعل ما يشاء، يعطي ما يشاء لمن يشاء، ويأخذ ما يشاء وليس هناك أحد مصرف لحكمه في العالمين، سيد الآدمين ومن لم يجعله مالكا له حرم من حلاوة السنة » (انظر : الموسوعة الميسرة ص ٢٩٨ – ٢٩٩، مرجع سابق) .

(١) الماسونية : معناها البناءون الأحرار وهي منظمة يهودية سرية هدامة إرهابية غامضة، محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد وتتستر تحت شعارات خداعة « حرية – إخاء – مساواة – إنسانية، وقد عَّرفها المستشرق الهولندي دوزي بأنها « جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة، وهي إعادة الهيكل إذ هو رمز إسرائيل » (انظر الموسوعة الميسرة ص ٥١٠، مرجع سابق) .

(٢) الصهيونية : حركة سياسية عنصرية متطرفة ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله، واشتقت الصهيونية من اسم « جبل صهيون» في القدس إذ ابتنى داود قصره بعد انتقاله من حيرون الخليل إلى بيت المقدس في القرن العاشر قبل الميلاد، وهذا الاسم يرمز إلى مملكة داود وإعادة تشييد هيكل سليمان من جديد بحيث تكون القدس عاصمة لها، وقد ارتبطت الحركة الصهيونية الحديثة بشخصية اليهودي النمساوي هرتزل الذي يعد الداعية الأول للفكر الصهيوني الحديث والمعاصر الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم (انظر الموسوعة الميسرة ص ٥١٨، مرجع سابق) .

(٣) شهود يهوه : منظمة عالمية دينية وسياسية تقوم على سرية التنظيم وعلنية الفكرة ظهرت في أمريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وتدعي أنها مسيحية، والواقع يؤكد أنها واقعة تحت سيطرة اليهود وتعمل لحسابهم وهي تعرف باسم « جمعية العالم الجديد إلى جانب (شهود يهوه» الذي عرفت به ابتداء من ١٩٣١م وقد اعترف بها رسميا في امريكا قبل ظهورها بهذا الاسم وذلك سنة ١٨٨٤م، وأتباع هذه المنظمة يعملون على إشاعة الفوضى الخلقية والتحلل من جميع الفضائل الإنسانية التي حثت عليها التعاليم الدينية (انظر الموسوعة الميسرة ص ٦٤٨، مرجع سابق) .

(٤) العلمانية secularism وترجمتها الصحيحة اللادينية أو الدنيوية وهي دعوة إلى اقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيدا عن الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم science وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والاستشراق[1] والتغريب[2]، وهناك المذاهب الفلسفية والمدارس الأدبية كالوجودية[3] والإلحاد[4] والوضعية[5]

التاسع عشر وانتقلت بشكل أساسي إلى مصر وتركيا وايران ولبنان وسوريا ثم تونس ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر أما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين وقد اختيرت كلمة علمانية لأنها اقل من كلمة لا دينية ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع (انظر الموسوعة الميسرة ص ٦٧٩، مرجع سابق) .

(١) الاستشراق orientaism تعبير يدل على الإتجاه نحو الشرق ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم ويقصد بذلك التيار الفكري الذي يمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي تشمل حضارته وأديانه ولغاته وثقافته، وهناك أهداف وراء الإستشراق منها التشكيك في صحة القرآن الكريم والرسول ﷺ والنيل من اللغة العربية وهناك هدف استراتيجي ديني وهو تشويه الإسلام عند الاوروبيين وذلك حتى لا يقبلوه ويدخلو فيه (الموسوعة الميسرة ص ٦٨٧، ٦٩١، مرجع سابق) .

(٢) التغريب وهو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية يرمي إلى صنع حياة الأمم بعامة والمسلمين بخاصة بالاسلوب الغربي وذلك بهدف الغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية (انظر الموسوعة الميسرة ص ٦٩٨، مرجع سابق) .

(٣) الوجودية : إتجاه فلسفي يغلو في قيمة الإنسان ويبالغ في التأكيد على تفرده وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة وإختيار، ولا يحتاج إلى موجه، وهي فلسفة عن الذات أكثر منها فلسفة عن الموضوع، وهم يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات وكل ما جاء ت به الأديان ويعتبرونها عوائق أمام الإنسان نحو المستقبل (انظر الموسوعة الميسرة ص ٨١٨، مرجع سابق) .

(٤) الإلحاد : هو مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى فيدعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في الوقت نفسه، ومما لا شك فيه أن كثيرا من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من نزعة الحادية عارمة جسدتها الشيوعية المنهارة والعلمانية المخادعة (انظر الموسوعة الميسرة ص ٨٠٣، مرجع سابق) .

(٥) الوضعية : مذهب فلسفي ملحد يرى أن المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم على الوقائع التجريبية ولا سيما تلك التي يتيحها العلم التجريبي وينطوي المذهب على أنكار وجود معرفة تتجاوز التجربة الحسية ولا سيما فيما يتعلق بما وراء المادة وأسباب وجودها (انظر الموسوعة الميسرة ص ٨١١، مرجع سابق) .

والذرائعية[1] والحداثة[2] والبنيوية[3] وغيرها من المذاهب والأفكار والنظريات المنحرفة .

كما أن الداعية في هذا العصر بحاجة إلى معرفة طبائع المدعوين وأصنافهم وخصائصهم، وحاجة كل منهم فعامة الناس يختلفون عن العلماء والكبراء، وأهل المعاصي والشهوات يختلفون عن أهل البدع والأهوء والضلالات، والدعاة إلى باطلهم يختلفون عن السذج والدهماء والأتباع، والمشركون من أهل الكتاب يختلفون عن غيرهم من أهل الشرك والإلحاد، إلى غير ذلك مما يتعلق بموضوع فقه المدعو ومعرفة حاله وواقعه، وابن كثير رحمه الله كما مر معنا في الحديث عن منهجه في الدعوة إلى الله باعتبار المدعو قد تطرق لهذا الأمر بكل عناية واهتمام، وسنحاول في هذا المبحث أن

---

(١) الذرائعية أو البراجماتية مذهب فلسفي اجتماعي يقول بأن الحقيقة توجد في جملة التجربة الإنسانية لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع وأن المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة وأن صدق قضية ما هو في كونها مفيدة للناس، وأن الفكر في طبيعته غائي، وقد أصبحت الذرائعية طابعا مميزًا للسياسة الامريكية وفلسفة الأعمال الامريكية كذلك، لأنها تجعل الفائدة العملية معيارًا للتقدم بغض النظر عن المحتوى الفكري أو الأخلاقي أو العقائدي (انظر الموسوعة الميسرة ص ٨٣٢، مرجع سابق).

(٢) الحداثة : مذهب فكري أدبي علماني بُني على أفكار وعقائد غربيه خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويديه والداروينيه وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقت مثل السرياليه والرمزية وغيرها .
وتهدف الحداثة إلى إلغاء مصادر الدين، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بحجة إنها قديم وموروثه لتبني الحياة على الإباحية والفوضى والغموض وعدم المنطلق والغرائز الحيوانية وذلك باسم الحرية والنفاذ إلى أعماق الحياة (الموسوعة الميسرة ص ٨٦٧ مرجع سابق) .

(٣) البنيوية : منهج فكري وأداة للتحليل، تقوم على فكرة الملكية أو المجموع المنتظم، إهتمت بجميع نواحي المعرفة الإنسانية وان كانت قد اشتهرت في مجال علم اللغة والنقد الادبي ويمكن تصنيفها ضمن مناهج النقد المادي الملحدة (الموسوعة الميسرة ص ٨٩٧ مرجع سابق) .

نستخلص أهم الجوانب التي يمكن أن يستفيد منها الداعية في هذا العصر من منهج ابن كثير الدعوي فيما يتعلق بفقه المدعو وذلك حسب النقاط التالية :

١- الدعاة إلى الله في هذا العصر مأمورون بدعوة الناس جميعًا ،لأن رسالة محمد ﷺ عامة لجميع الناس، وهذا ما بينه ابن كثير رحمه الله ورسمه من خلال منهجه الدعوي، وهو الذي يتأكد على الدعاة فعله والاستفادة منه في دعوتهم للناس في هذا العصر، فأشار رحمه الله أن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله الكريم : « أن لا يخص بالإنذار أحدًا بل يساوي بين الشريف والضعيف والفقير والغني والسادة والعبيد والرجال والنساء والصغار والكبار، ثم الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم له الحكمة والحجة »[١]

٢- ذكر ابن كثير رحمه الله من خلال منهجه الدعوي أصناف المدعين، فمنهم الظالم لنفسه ومنهم المقتصد ومنهم السابق بالخيرات بإذن الله وعرَّف كل صنف من هذه الأصناف كما ذكرنا ذلك عند الحديث عن منهج ابن كثير في دعوة الناس، فالدعاة إلى الله في هذا العصر بمكن أن يستفيدوا في موضوع فقه المدعوين ومعرفة أحوالهم من هذا التصنيف ومن هذا المنهج في دعوة عامة الناس من المسلمين، فالسابق بالخيرات يُرغب ويُحث ويشجع على الأزدياد من الخير والطاعة والمسابقة في فعل الخيرات،

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٥٥٥ عند تفسير الآية : ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ (عبس ٥-١٠) .

والمقتصد يُدعى إلى الثبات على الحق وتجنب المعاصي والآثام والترقي في درجات الخير، والظالم لنفسه يُحذر من المعاصي ويحث على التوبة والإنابة من كل الذنوب، كما يستفيد الدعاة أيضًا من منهج ابن كثير في مراعاة أحوال المدعوين كل حسب ما يناسبه ويحتاجه فهناك المحب للخير ولكنه جاهل فإذا عُلِّم وبُيِّن له الحق اتبعه والتزم به، وهناك من هو غافل فيحتاج إلى نصح وتذكير فهو مؤمن والذكرى تنفع المؤمنين، وهناك معاند وهناك من لديه شبهات وشكوك وغير ذلك من الحالات والأحوال التي يكون عليها المدعوين مما يجب على الدعاة مراعاته والتفطن له حتى يكون لدعوتهم أثر ونجاح بإذن الله .

٣- من أصناف المدعوين الذين اعتنى ابن كثير بهم وحرص على دعوتهم وتوجيههم المرأة والشباب والأطفال وقد ذكرنا ذلك مفصلًا عند الحديث عن شمول دعوة ابن كثير للمرأة، ودعوته لعامة الناس، مما يتعين على الدعاة إلى الله في هذا العصر أن يستفيدوا من منهج ابن كثير الدعوي في ذلك، فمثلًا فيما يتعلق بالمرأة نجد أن ابن كثير رحمه الله حذرها من الإختلاط المحرم بين الرجال والنساء، وأشار رحمه الله إلى أنه من أعظم أسباب الفتنة والفساد، فيقول عند ترجمته للشيخ خضر الكردي في وفيات سنة ٦٧٦هـ : « ولكنه لما خالط الناس أفتتن ببعض بنات الأمراء ... وكنّ لا يحتجبن منه فوقع في الفتنة، وهذا في الغالب واقع في مخالطة الناس فلا يسلم المخالط لهم من الفتنة ولا سيما مخالطة النساء مع ترك

الاحتجاب فلا يسلم العبد البتة منهن »[1]، لذلك فالدعاة بحاجة إلى الاستفادة من منهج ابن كثير الدعوي في هذا الجانب خاصة وهم يعيشون في هذا العصر الذي كثر فيه الدعوة إلى الإختلاط في كثير من الدول الإسلامية « حتى أصبحت هذه الظاهرة الاجتماعية ظاهرة مألوفة، فالإختلاط بين الرجال والنساء نراه في المدارس والجامعات والمنتديات، ونراه كذلك في المكاتب والمؤسسات والدوائر الحكومية في معظم البلاد الإسلامية بل أصبح تذكير المسلمين بالعودة إلى الفصل بين الجنسين دعوة إلى التخلف والتزمت والرجعية »[2]، وكذلك الشباب فقد مر معناأن الشباب عند ابن كثير يختلفون عن غيرهم من أصناف المدعوين في سرعة الاستجابة للدعوة وتقبل الخير منهم كما وصفهم بأنهم «أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ ... ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله شبابًا »[3]، فمطلوب من الدعاة إلى الله في هذا العصر أن يستفيدوا من منهج ابن كثير رحمه الله في نظرته للشباب وأهمية دعوتهم والعناية بهم فيحرص الدعاة على معاملتهم بلطف وأن يوجهوا عن بعد كأن يرشدوا إلى قراءة الكتب والمجلّات الجاذبة ذات المادة الخفيفة التي لا يملها والتي تتماشى مع المنهج الإسلامي العام والتي تركز على أصول الإسلام العامة ثم يتدرج معهم، وكذلك يوجه

---

(١) البداية والنهاية ٥٣٨/١٧ .

(٢) قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها، محمد عبد القادر هنادي ص٦٧، طبعت مكتبة الطالب الجامعي مكه ط١، ١٤٠٨هـ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٩٦/٣ .

إلى المواقع الجيدة الإسلامية التي في شبكات المعلومات الدولية " internet " وتوضع له في جهاز الحاسوب المواد التي لا تنافي الخلق الإسلامي الرفيع وأن يربط بالأصدقاء الصالحين والجمعيات الإسلامية الخيرية والمراكز الصيفية في العطلات حتى يشغل فراغه وينمي قدراته الذهنية والعقلية والبدنية، وكل البرامج التي تستوعب الشباب وتكون هادفة وذات فائدة ترتبط بها[1] .

٤- مما يستفيده الدعاة إلى الله في هذا العصر من منهج ابن كثير الدعوي فيما يتعلق بفقه المدعو، منهجه في دعوة العلماء والأمراء، فابن كثير رحمه الله حرص على إبراز مكانة العلماء وبيان فضلهم ومنزلتهم والدور المناط بهم من نشر العلم وتعلمه وبيان الحق والدعوة إليه وعدم مخالفته، كما حذرهم من إتباع سبل الضلال وأوصاهم بتقوى الله وخشيته ونحو ذلك مما ذكرناه مفصلًا عند الحديث عن منهج ابن كثير في دعوة العلماء ، وكذلك منهجه رحمه الله في دعوة الأمراء والولاة حيث أشار إلى أهمية وجودهم وضرورة تعين الإمام ونصبه والحاجة إليه ووجوب طاعته في المعروف، وعدم الخروج على الأئمة والحرص على معاونتهم وبذل النصيحة لهم والدعاء لهم بالصلاح والتوفيق، وغير ذلك من الأمور التي أشار إليها ابن كثير في دعوة الولاة والتي سبق أن ذكرناها والذي يتعين على الدعاة في هذا العصر أن يستفيدوا من منهج ابن كثير في دعوة الولاة وطريقة معاملتهم، حتى تكون دعوتهم إلى

---

(١) انظر محمد زين الهادي، الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، ص١٣٧، مرجع سابق .

الله على هدى وبصيرة وعلى المنهج الذي سار عليه السلف الصالح، وحتى لا تضيع جهودهم سدى، وكذلك بالنسبة للعلماء فعليهم أن يستفيدوا من منهج ابن كثير في الالتفاف حول العلماء والحرص على التلقي عنهم وتوقيرهم واحترامهم والذود عنهم وإحسان الظن بهم والأخذ بتوجيهاتهم ومشورتهم والرجوع إليهم والصدور عن رأيهم خصوصًا أيام الفتن والتعامل معهم بكل أدب واحترام، والحذر من القدح فيهم وتخطئتهم بغير بينه وعلم، وإن ما نراه اليوم من وقوع بعض الشباب وبعض الدعاة في مخالفات شرعية واجتهادات خاطئة، قد يكون من أهم أسبابها البعد عن أهل العلم والعلماء والاستهانة بهم وغمطهم حقوقهم والتشنيع عليهم وعدم الثقة بهم وإن كان واقع بعض العلماء في بعض البلدان الإسلامية هو أنهم يعيشون بعيدًا عن حياة الناس وواقعهم فإنه بحمد الله هناك علماء كثيرون لهم اهتمام بحياة الناس وقضاياهم، كما أن لهم جهود مشكورة في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك لهم جهود في التوجيه والإرشاد والتعليم والأخذ بأيدي الناس إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة .

٥- من الجوانب التي يمكن أن يستفيدها الداعية المعاصر من منهج ابن كثير الدعوي فيمايتعلق بفقه المدعو، هو اهتمام الإمام ابن كثير بدعوة أهل البدع والمنكرات وأهل النفاق،وحرصه على بيان ضلالهم وكشف زيفهم وانحرافهم ورده على طوائفهم وفرقهم، وتنبيه الأمة إلى أن ماهم عليه مخالف لما كان عليه الرسول ﷺ، ولذلك عاقبهم الله بالذل والصغار في الحياة الدنيا، وجعلهم في

ضلال عن الحق بسبب ماهم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء والأحكام، إلى غير ذلك مما ذكرناه سابقا عند الحديث عن منهج ابن كثير في دعوة أهل البدع والمنكرات وأهل النفاق، فالدعاة إلى الله في هذا العصر مطالبون بالسعي إلى محاربة البدع والأهواء، وتصحيح الخلل العقدي الذي يعيشه كثير من الناس في المجتمعات الإسلامية،وإن ما يقوم به كثير من الدعاة إلى الله – في هذا العصر – من اهتمام بتشخيص وعلاج مظاهر الإنحراف والفساد الأخلاقي لدى المسلمين هو جهد يشكرون عليه وخصلة تحمد لهم بل هو من الواجبات المتعينة على كل داعية ومصلح أن يقوم بها كل بحسبه، ولكنهم لا يعذرون حين يذهلون ذهولا أعمى عن الخلل الأعظم والخطر الأكبر، ذلك الخلل الذي لا شك أنه هو السبب الأول للانحراف الخلقي والفساد الاجتماعي والفوضى والجهل والتخلف وسائر المفاسد ذلك الخلل الحاصل في اعتقاد كثير من المسلمين في شتى بلاد الإسلام علما وعملا، والمتمثل في الوقوع في المعتقدات الضالة والأعمال الشركية والبدعية مما لا يتسع المجال لبسطه، فصلاح حال المسلمين وإخراجهم مما هم عليه من جهل وفساد وانحراف وتخلف مرتبط قبل كل شيء بصلاح عقيدتهم واستقامتهم على دين الله وعبادته وحده دون سواه، وتقواه سبحانه وطاعته واتباع رسوله ﷺ وهذا هو منهج الرسل ومنهج القرآن والسنة ومنهج المصلحين المهتدين[1] .

---

(١) انظر ناصر العقل، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، طبعة دار

وأما أهل النفاق فقد بيّن ابن كثير رحمه الله صفاتهم وعداءهم للمؤمنين وأنهم يتربصون بهم الدوائر، فلذلك نهى الله سبحانه أن يتخذهم المؤمنون بطانة، إلى غير ذلك مما ذكرناه مفصلا عند الحديث عن منهج ابن كثير في دعوة أهل النفاق، مما يتعين على الدعاة في هذا العصر أن يستفيدوا من منهج ابن كثير الدعوي في دعوة أهل النفاق والتعامل معهم، فلا يغتروا بظاهر أعمالهم وينخدعوا بها بل يجب عليهم الحذر منهم لأنهم العدو الذي يجب الاحتراز منه وأخذ الحيطة والحذر منه « فالذين ينطقون بالشهادتين ومع ذلك يفضلون حكم غير الله على حكم الله وأخلاقيات الأعداء على أخلاقيات الإسلام مدعين أن ذلك هو التطور الحضاري، فماذا نسمي هؤلاء؟ أليس هو شر أنواع النفاق ... والمنافقون من قبلهم كانوا يشككون في التكاليف التي جاء بها الشرع فلا يؤدون الصلاة إلا وهم كسالى رئاء الناس، وعندما يخلو بنفسه يتخلص من كل التكاليف وهو في الظاهر ينطق بالشهادتين، ما الفرق بين هؤلاء وبين من ينطق بالشهادتين الآن ثم هو تحت شعار الحرية ينادي بحرية المرأة في جسدها..... ولا يؤدي الفرائض ولا يلتزم بها أليس هو شر أنواع النفاق، يظهر من جديد ؟ هذه مظاهر النفاق في العصر الحديث الذي أصبح من الواجب على الدعاة أن يعدوا العدة لمقاومتها وينبهوا الناس إلى خطرها)[1] .

الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(١) المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم للدكتورة سميرة جمجوم ص ٣٦٠ طبعة دار المجتمع للنشر والتوزيع بجده، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ .

٦- ومما يستفيده الدعاة إلى الله في هذا العصر من منهج ابن كثير الدعوي فيما يتعلق بفقه المدعو، ومنهجه في دعوة غير المسلمين من أهل الكتاب والمشركين،فابن كثير رحمه الله اعتنى بموضوع الشرك وبيان آثاره وأضراره في الدنيا والآخرة، كما أوضح رحمه الله موقف المشركين والكفار في الصد عن الخير وعداء أهله وإنفاق أموالهم في سبيل ذلك، ولذلك حذَّر رحمه الله من خطر موالاة المؤمنين للكفار ومن الآثار المترتبة على ذلك، كما حذَّر من التشبه بهم واتباع طرائقهم، إضافة إلى جهوده في دعوتهم إلى الإسلام ومجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، ودعوة جميع الكفار إلى الله وتوحيده وعبادته من خلال تفهم القرآن والرجوع إلى سيرة الرسول ﷺ ومعرفة حياته وأخلاقه وصدقه وأمانته ونحو ذلك من الجوانب الدعوية في منهج ابن كثير في دعوة غير المسلمين والتي يتعين على الدعاة في هذا العصر أن يستفيدوا منها، فمثلا في دعوة أهل الكتاب يحسن بالدعاة إلى الله في هذا العصر أن يستفيدوا من منهج ابن كثير في دعوة أهل الكتاب وحوارهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، وذلك من خلال ما عندهم من الحق في كتبهم المقدسة عن الإسلام، والبشارة بمحمد ﷺ، ومن جانب آخر كشف وتوضيح ما دخل في هذه الكتب من التحريف والتبديل والتناقض، ومقارنة ذلك بالقرآن وأنه كلام الله المنزل على رسوله ﷺ، وهذا الأسلوب الذي كان يستخدمه الداعية الإسلامي أحمد ديدات رحمه الله، وقد أثَّر هذا الأسلوب في دعوة النصارى لا سيما القساوسة منهم

ورجال الدين، وقد أسلم عدد منهم بسبب ذلك وهذا بلا شك يحتاج إلى وجود فريق من الدعاة المسلمين بحيث تكون لهم عناية وتخصص بمعرفة أسفار أهل الكتاب وأناجيلهم وكتبهم المقدسة، كما هو الحال عند ابن كثير رحمه الله، حتى أن بعض كبار رجال الدين عندهم في زمانه يسألونه عن بعض القضايا والمسائل في ديهنهم كما فعل البترك بشارة الذي قال عنه ابن كثير انه «يفهم بعض الشيء ولكن حاصله أنه حمار من أكفر الكفار »[1] .

[1] البداية والنهاية ٧١٦/١٨ وللاستزادة انظر التفسير ١٥٤/٣ عند تفسير الآية ٣٤ من سورة مريم .

المبحث الرابع

الاستفادة في كيفية الدعوة في العصر الحاضر

إن منهج ابن كثير الدعوي في كيفية الدعوة إلى الله من خلال توجيهاته السديدة، ونصائحه المفيدة، ومن خلال استخدامه لأساليب ووسائل الدعوة المختلفة، والتي يمكن للداعية المعاصر أن يستفيد منها، لا سيما في هذا الزمن الذي تعددت فيه وسائل وأساليب للدعوة لم تكن معروفة من قبل كالإذاعة والتلفاز والأقمار الصناعية والتسجيلات الصوتية والهاتف، والشبكة العالمية « النت » وأقراص الليزر الممغنطة (CD) والسينما والمسرح والصحف والمجلات والملصقات وغيرها من الوسائل والأساليب الكثيرة، والذي يتعين على الداعية استخدامها والإستفادة منها وتطويرها وتوجيهها وفق الضوابط والمقاصد الشرعية لهذه الأساليب والوسائل، ووفق المنهج الدعوي الصحيح الذي دعا إليه ابن كثير وهو الدعوة إلى الله على بصيرة وبرهان كما هو منهج الرسول ﷺ وصحابته ومن سار على دربهم، فالداعية المعاصر يستفيد من منهج ابن كثير الدعوي في كيفية الدعوة إلى الله في استخدام وتطبيق الأساليب والوسائل التي استخدمها ابن كثير في نشر الخير والعلم والدعوة إلى الله، وكذلك باستخدام الوسائل والأساليب الحديثة والجديدة وتطويرها وتوجيهها وفق الضوابط والقواعد والمقاصد الشرعية التي يبينها ابن كثير ورسمها ودعا إليها، فيمكن للداعية المعاصر أن يستفيد من ذلك في دعوته في الوقت الحاضر من عدة جوانب منها:

١- اعتناء ابن كثير رحمه الله بإبراز المنهج الدعوي الصحيح الذي يلزم الداعية إلى الله سلوكه والسير على نهجه وعدم الخروج عنه، وهذا المنهج هو الذي سلكه وسار عليه قدوة الدعاة وسيدهم محمد ﷺ وصحبه الكرام ومن جاء بعدهم وسلك منهجهم من الدعاة والمصلحين، بل هو المنهج الذي أمر الله رسوله ﷺ أن يسلكه ويلتزم به هو ومن اتبعه، وهو أن يدعو إلى الله على بصيرة وبرهان كما قال تعالى﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] ، فالله سبحانه وتعالى أمر رسوله ﷺ أن يبّين المنهج الذي يسير عليه في دعوته هو ومن اتبعه، وأن هذه سبيله، أي طريقة ومسلكه وسنته ... يدعو إلى الله على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه [2]، فالدعاة إلى الله في هذا العصر عليهم أن يلتزموا في دعوتهم إلى الله بسلامة المنهج وصحته، وهو ما دعا إليه ابن كثير رحمه الله لا سيما ونحن في عصر قد كثر فيه الخلاف والتباين حول منهج الدعوة وطرقها وأساليبها بين الدعاة إلى الله، فمثلا اضطراب كثير من المنتسبين إلى العمل الإسلامي في تحديد مدلول جماعة المسلمين الواجبة اضطرابا عظيما وتفاوتت اجتهاداتهم في ذلك مابين من يرى الجماعة أصلا من أصول الدين لا تثبت صفة الإسلام إبتداء إلا باستيفائه، وما بين مبدع لكافة صور التجمعات الإسلامية

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٨ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٦١٠.

المعاصرة قاصرا معنى الجماعة على الاجتماع على الخليفة المتمكن الذي يقيم الحدود ويستوفي الحقوق ويرد المظالم، وما بين من يرى نفسه أو القلة القليلة التي حذت حذوه هم الجماعة، فأنزل عليها النصوص الواردة في لزوم الجماعة والتحذير من مفارقتها، فمن تبعه كان من الجماعة ومن خالفه فقد خرج عن الطاعة وفارق الجماعة، مع ما يستتبعه ذلك من التكفير أو التبديع في أحسن الأحوال إلى من يرى أنه لا وجود للجماعة على الإطلاق إلا بعد قيام الدولة ونصب الإمام وانقياد الأمة له، فنتج عن ذلك ما نتج من آفات التعصب والتدابر وفساد ذات البين.

٢- ومن ملامح المنهج الدعوي الصحيح الذي دعا إليه ابن كثير في كيفية الدعوة إلى الله أن يدرك الداعية أن مهمته البلاغ كما أرشد الله سبحانه وتعالى رسوله إلى ذلك وبين له أن مهمته البلاغ وأن الواجب عليه دعوة الناس وتبليغهم هذا الدين أما هدايتهم فهي إليه سبحانه لأنه كما قال ابن كثير من« كتب الله عليه الشقاوة فلا مسعد له ومن أضله فلا هادي له، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، وبلغهم الرسالة فمن استجاب لك فله الحظ الأوفر، ومن تولى فلا تحزن عليهم فلا يهمنك ذلك﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾[(١)] وقال :﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧ ﴾[(٢)][(٣)]) وحيث أنه ﷺ «

(١) سورة الرعد آية ٤٠ .

(٢) سورة الرعد آية ٧ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٦١/١ .

يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له الشقاوة في الذكر الأول »[1] فالدعاة إلى الله في هذا العصر يجب أن يتنبهوا لذلك، ويستفيدوا من هذا المنهج الذي دعا إليه ابن كثير، لأن اعتقاد بعض الدعاة في هذا العصر أن هداية الناس هي من مسئولية وواجبه أوقع بعضهم في تبني الفتاوى الشاذة أو الأقوال المرجوحة والضعيفة رغبة في التيسير على الناس – كما يتصوره ويظنه – وهو في الواقع استجابة ومسايرة لشهوات الناس ورغباتهم وأهوائهم ولو كانت مخالفة للشرع، كل ذلك باسم المنهج الوسطي والوسطية وتقديم الإسلام للآخرين بصورة محببة ومقبولة[2]،وما درى أولئك أن موافقة الشرع واتباع النصوص هي

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٦١/١.

(٢) ولذلك نجد أن بعض الدعاة إذا قال للإنسان كلاما أو دعاهم إلى أمر فإنه يحب ويرغب أن يقبل منه الناس هذا الكلام وهذه الدعوة ويستعجل النتيجة في قبول الآخرين لما يدعوهم إليه من الحق والخير، فإذا لم يفعلوا هذا غَرَّه شياطين الإنس والجن على أن يُغَيِّر هو في دعوته كي تناسب ما عندهم هم، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى حذر رسوله ﷺ من أمثال هؤلاء فقال ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ (الاسراء ٧٣، ٧٥) وقوله سبحانه ﴿ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ ﴾ هذا كلام في غاية الاهمية وذلك لأن دعاة الباطل والكفار يغرون الداعية بأنه إذا غيَّر هنا أو غير هناك أو أوَّل الدين أو فسَّره بما يناسب أهواءهم فإنهم يحبونه ويعظمونه، وهذا ما يحدث الآن في واقعنا، فان المستشرقين وأمثالهم كثيرا ما يمدحون الدعاة أو المنتسبين إلى الإسلام الذين يعمدون إلى مثل هذا التغيير فيصفونهم بسعة الافق وفهمهم العصر ويصفونهم بأنهم يجعلون الدين للناس يسرا ويصفونهم بأنهم أذكياء وبأنهم متحررون، وهذا يغر الإنسان فيتمادى في التحريف وهم لا يريدون لهذا التحريف أن يقف عند حد، فكل ما وجدوا

اليسر والوسط كما قال سبحانه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1]، وقال سبحانه ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[2]، وقال سبحانه ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[3]، فاتباع الشرع والإلتزام به هو المنهج الوسط وهو اليسر وعدم العنث بينما مخالفة النصوص وتحريفها واتباع الاقوال الشاذة والآراء المرجوعة هو الزيغ والهلاك والإنحراف ومخالفة مقصود الشريعة، يقول الإمام

إنسانا أكثر تحريفا عظمّوه عمن هو أقل منه تحريفا لأنهم لم يرضوا عنه ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(البقرة ١٢٠) هذه الغاية التي يريدون للإنسان الداعية أن يصل إليها، وإذ كان هذا قد حدث في زمان الرسول ﷺ فانه موجود عندنا الآن، فتجد أن المجتمع والمنحرفين فيه كثيرا ما يضغطون على الدعاة بأن يفسروا الدين وأن يؤولوه بما يناسب أهواءهم، والداعية المخلص يظن أنه إذا استجاب لكلامهم فإن هذا مما يدعوهم لأن يقلبوا كلام الله سبحانه وتعالى، ويقلبوا دعوته، ولكن الله سبحانه وتعالى يحذر الرسول ﷺ ويبين له أن الإنسان الصالح الذي يريد الهدى يكفيه هذا الذي أنزلناه إليه، وأما الذي يقترح عليه ويطلب منه أن يُغَيّر هنا أو يبدل هناك لكي يستجاب لدعوته فانه لن يستجاب له أبدا ولهذا يقول سبحانه للرسول ﷺ ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ (الأنعام ٣٥) (انظر جعفر شيخ إدريس، مهمة الداعية البلاغ، مجلة التوعية الإسلامية، تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية العددالثاني عشر ١٨ ذو الحجة ١٤٠٢هـ السنة الثامنة ص ٢٣-٢٨، بتصرف وإختصار) .

(١) سورة الحج آية ٧٨ .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٥ .

(٣) سورة البقرة آية ١٤٣ .

الشاطبي رحمه الله : « من تأمل موارد الأحكام عرف أن الشريعة حمل على التوسط، وليس ميلا إلى الرخص في الفتيا، لأن بعض أهل العلم يتحرى الفتوى بالقول الذي يوافق هوى المستفتي بناء على أن الفتوى بالقول المخالف لهواه تشديد عليه وحرج في حقه، وأن الخلاف إنما كان رحمة لهذا المعنى وليس بين التشديد والتخفيف واسطة، وهذا قلب للمعنى المقصود في الشريعة »[1] .

٣- ومن الملامح أيضًا أنه لا يسوغ للدعاة إلى الله أن يكرهوا أحدًا على الدخول في دين الله، لأن المكره لا يفيده الدخول في دين الله وهو مكره مقصور، يقول ابن كثير عند تفسير الآية : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ....﴾[2] ، « لا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بيّن واضح جلي دلائله وبراهينه، ولا يحتاج أن يُكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوّر بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهًا مقصورًا »[3] .

ومن الخطأ عند الإمام ابن كثير رحمه الله أن يدعو الإنسان ويحاج فيما لا علم له به، فكما أن الداعية مطالب أن يدعو إلى الله على بصيرة فكذلك لا يجوز له أن يدعو ويحاج فيما لا علم له به، فيقول

---

(١) الموافقات للشاطبي ٤/٢٥٩، وانظر عبد الله الطويل منهج التيسير المعاصر دراسة تحليلية اسباب ظهور منهج التيسير المعاصر ص ٢٣٥ طبعة دار الهدي النبوي بمصر، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٦.

(3) المرجع نفسه ١/٣٨٥ .

عند تفسير الآية: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ ﴾[1] ، « هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به، فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ لكان أولى بهم وإنما تكلموا فيما لم يعلموا فأنكر الله عليهم ذلك »[2] .

وأمر آخر لفت ابن كثير النظر إليه وهو مما يستفيد الداعية في قيامه بالدعوة وهو أن يحرص الداعية على صلاح نفسه وفعل الخير والدعوة إلى لله، ولا ينظر إلى فساد الناس بحيث يكون ذلك عائقًا ومثبطًا له في طريق دعوته، فيقـــول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ .... ﴾[3] «يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم ويخبرهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس سواء كان قريبًا أو بعيدًا »[4]

٤- ومن الجوانب التي يمكن للداعية المعاصر أن يستفيد منها في منهج ابن كثير في كيفية الدعوة إلى الله هو استخدامه رحمه الله لأسلوب المناظرة والحوار والمجادلة، وأنه يجب على من يقوم بذلك

---

(١) سورة آل عمران آية ٦٦.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٤٥٦ .

(٣) سورة المائدة آية ١٠٥.

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/١٤١-١٤٢ .

أن يكون على علم ومعرفة، وأن تكون بالتي هي أحسن، والناظر في منهج ابن كثير رحمه الله الدعوي يجد أنه حاور العلماء[1]، وحاور الحكام[2]، كما حاور أهل البدع من الرافضة ونحوهم، وكذلك حاور غير المسلمين من النصارى،ولكل حوار من ذلك طريقته وأسلوبه وأدبه، والدعاة إلى الله في هذا العصر يتعين عليهم « أن يكون لهم حوار مع أنفسهم أولًا يناقشون فيه قضاياهم ويَحلُّون فيه كثيرا من خلافاتهم ومشاكلهم ويضعون الأسس فيما يقبل الخلاف فيه ومالا يقبل، وحوار مع مشايخهم وعلمائهم يناصحون فيه، ويستفيد الصغير من الكبير، ويُعرف فيه لأهل العلم والفضل حقهم، ملتزمين في ذلك أدب العلماء وطريقة السلف الصالح في مناقشة الأمور المختلف فيها وبيان الخطأ الذي ربما وقع فيه أحدهم، فالخطأ والنسيان لا يسلم منهما أحد من الناس وأهل السنة لا يعتقدون العصمة لعلمائهم ومشايخهم»[3]، وكذلك يكون للدعاة في هذا العصر حوار مع أهل البدع والضلال يدعونهم إلى الحق ويقيمون عليهم الحجة ويكشفون زيفهم وضلالهم حتى يكونوا على بينة من أمرهم[4]، وكذلك حوار بعض الدعاة مع غير

---

(١) انظر مثلا البداية والنهاية ٦٨٨/١٨ في حواره مع العلماء والقضاة في أمر المدرسة التدمرية وقرابة الواقف، في أحداث سنة ٧٦٥هـ وانظر البداية والنهاية ٧٠٨/١٨ في حواره مع العلماء في أمر تقي الدين السبكي في أحداث سنة ٧٦٧هـ .

(٢) انظر مثلا البداية والنهاية ١٠٦/١٨ في حواره مع نائب السلطنة في شان النصارى في احداث سنة ٧٦٧هـ.

(٣) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله د. سليمان العيد، مرجع سابق .

(٤) فمثلا الحوارات والمناظرات التي تعقد في قناة المستقلة الفضائية بين فريق من علماء أهل السنة وبين غيرهم من علماء الشيعة، كان له أثر في معرفة كثير من الناس امورًا كانوا يجهلونها عن مثل هذه الطوائف والفرق. .

المسلمين لدعوتهم إلى الإسلام، وإقامة الحجة عليهم بصدق نبوة محمد ﷺ، وصدق ما جاء به من القرآن الكريم، ورد الشبهات التي تثار حول الإسلام ونَبِّيه والقرآن الكريم، وفي نفس الوقت كشف وتوضيح ما حصل في كتبهم المقدسة من التحريف والتبديل والتغيير[1] وهكذا فالدعاة إلى الله اليوم هم بأمس الحاجة إلى الحوار المفيد البناء القائم على العلم والمعرفة الملتزم بأدب الإسلام المتأسى فيه برسول الله ﷺ وبصحابته الكرام ومن سار على نهجهم من الدعاة والمصلحين .

٥- ومن الجوانب التي يمكن للداعية المعاصر أن يستفيد منها في منهج ابن كثير الدعوي في كيفية الدعوة هو نظرة ابن كثير للعقل واعتباره أشرف ما في الإنسان، وتحديد علاقته بالنقل وأن العقل لا يمكن أن يستقل عن النقل بمعرفة الحق والباطل والحسن والقبيح، وأن النقل الصحيح لا يتعارض مع العقل الصريح وكذلك إنكاره رحمه الله على من عارض النصوص بالرأي، وأن الغلو في تقديس العقل يؤدي إلى الإنحراف والضلال ونحو ذلك مما بيَّنه ابن كثير حول العقل ومكانته ومنزلته وحدوده، فالدعاة إلى الله يتعين عليهم أن يستفيدوا من هذا المنهج الذي أشار إليه ابن كثير تجاه العقل خصوصا ونحن في هذا العصر الذي وجد فيه اتجاه (يمجد العقل الإنساني ويغالي في تقديمه على الدين وتحكيمه في عالمي الغيب

---

(١) سبق أن اشرنا إلى جهود الداعية الإسلامي أحمد ديدات رحمه الله في مناظرة النصارى واقامة الحجة عليهم وكشف التحريف والتبديل الذي حصل في أناجيلهم، مما كان لذلك أثر في دخول بعضهم في الإسلام.

والشهادة، ويعطي العقل وأحكامه إعتبارًا فوق اعتبار النصوص الشرعية الثابتة عن الله تعالى ورسوله ﷺ، ويجعل العقل وسيلة الإثبات وأساس الحكم على الأشياء وطريق القبول لها»[1]. وبتأثير هذا الإتجاه قام بعض الدعاة في هذا العصر إلى « تفسير الإسلام في مصادره وأصوله تفسيرا عقلانيا ماديا دون اعتبار لدلالات اللغة وأصول الدين ومفاهيم النصوص وعمل المسلمين وإجماعهم وتفسير الوحي والدين والنبوات والغيب والمعجزات والقدر على مقتضى المفاهيم العقلانية البشرية المحدودة والكشوفات العلمية المحسوسة والنظريات الغربية المادية والتجديد والنظر في الإسلام – بحسب مقتضيات العصر الحديث – عقديا وتشريعيا وتاريخيا ليساير الفكر الغربي والحياة الغربية المتقدمة وإخضاعه للسيادة العقلانية كما فعل الغرب بالكنيسة ودينها المحرف »[2].

٦- ومن الجوانب أيضًا التي يمكن للداعية المعاصر أن يستفيد منها من منهج ابن كثير الدعوي في كيفية الدعوة إلى الله هو أن طرق المعرفة ومصادرها تشمل الوحي والكون، خلافا للتصورات الغربية التي قصرت ثبوت مصادر المعرفة وحقائق العلم على ما يثبت عن طريق الحس والتجربة والعقل فحسب، وأن ما وراء ذلك إنما هو

---

(١) الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية للدكتور مفرح القوسي ص ٣٣ طبعة دار الفضيلة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ .

(٢) الوقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية للدكتور مفرح القوسي ص ٣٤، وانظر ناصر العقل المدرسة العقلية الحديثة وعلاقتها بالقديمة، بحث منشور في مجلة كلية اصول الدين بجامعة الامام بالرياض العدد ٣ عام ١٤٠٠ – ١٤٠١هـ ص ٢٥١ .

خرافة فما يثبت بطريق الوحي والدين أيًا كان فهو خرافة ومفهومات غير علمية، وقد تأثر بهذه التصورات الخاطئة بعض الدعاة من المفكرين والباحثين فظنوا أن الوحي المنزل من الله سبحانه كالقرآن الكريم والسنة المطهرة والأخبار التي وردت في الوحي عن اليوم الآخر والجنة والنار وعذاب القبر والملائكة بل وجميع الحقائق الدينية كل ذلك لا يعتبر ثبوتها عن طريق مصادر علمية يقينية بل تسمى مصادرها دينية أشبه ما تكون بالظن والخرافة.

٧- ومن الجوانب التي يمكن أن يستفيد منها الداعية المعاصر من منهج ابن كثير الدعوي في كيفية الدعوة إلى الله عناية ابن كثير بضبط المصطلحات والألفاظ ومعانيها، وحرصه رحمه الله على إتباع المنقول من المصطلحات، وأثر مخالفة المصطلحات في اللغة والشرع على الاختلاف العلمي والعملي على الأمة . وقد أشرنا إلى ذلك بالتفصيل عند الحديث عن عناية ابن كثير بالمصطلحات، فيمكن للداعية المعاصر أن يستفيد من ذلك بتحرير المصطلحات والألفاظ والوقوف عندها ورفض بعضها أو إعادة تفسيرها بما يناسب الشرع والدين، وأن لا يقعوا في خطأ تأويل النصوص الشرعية بقصد التوفيق بينها وبين تلك المصطلحات التي استهوت العقول دون أن يدركوا واقعها وحقيقة أمرها، وخطورة ما تحمل من مفاهيم وأفكار مناقضه للإسلام بل هادمة له، فمثلا تصور بعض الدعاة إلى الله في هذا العصر لمصطلح الديمقراطية بأنها تعني الممارسة الشورية ونبذ الاستبداد والتسلط والدكتاتورية، تصور

قاصر لأن الديمقراطية في مفهومها الصحيح (تقف من الدين موقفا محايدا[1] وتعزله عن الحياة الاجتماعية والسياسية، فهي تترك الناس أحرارا فيما يعتقدون لكن تقول لهم لا دخل لذلك كله في السياسة ولا في القانون، وقد نشأت هذه الفكرة نتيجة الصراع بين الكنيسة والأمراء الذين يدعون لأنفسهم حقا إلهيا في الحكم وبين المحكومين، فتوصل المفكرون إلى حل وسط يترك الناس وما يدينون، لكنه يبعد الدين والوحي عن التأثير في الحياة، ولا يُعترف به مصدرا ومرتكزا للحقوق والقيم، وإنما يكون الشعب هو مصدر ذلك كله وينطق عنه نوابه الذين يختارهم حسب مبدأ الأكثرية في التصويت »[2] وحتى لو أضيف إلى هذا المصطلح كلمة إسلامية فيصبح المسمى ديمقراطية اسلامية فيتعين على الدعاة ويجب عليهم أن يرفضوا ذلك ولا يغتروا به ولايدعوا الناس إليه « لأن المشرع الحكيم نهانا أن نستخدم عبارات وكلمات يوظفها خصومنا توظفيات مشبوهة ويحاربون بها مبادءنا، فنرفض ذلك لأننا حينما نقول ديمقراطية إسلامية نكون قد أحدثنا مزجا ومواءمة بين الإسلام وغيره، وإن نظام الإسلام لا يقبل المزج بغيره، لأنه كامل وغير محتاج للإستدراك، وكل إضافة عليه إبتداع آثم فاعلها »[3].

---

(١) بل في الحقيقة مغايرا ومعاديا .

(٢) رؤية إسلامية للديمقراطية الغربية، عبد المجيد الحافظ ص ١٢، ١٣ طبعة دار وحي القلم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ .

(٣) المرجع نفسه ص ٣٧ .

٨- ومما يمكن أن يستفيده الداعية المعاصر من منهج ابن كثير الدعوي في كيفية الدعوة إلى الله هو استخدام ابن كثير لأساليب الدعوة ووسائلها الممكنة في عصره كالتدريس والإفتاء والردود العلمية والاتصالات والمراسلات الشخصية ونحوها، مما يمكن للداعية أن يستخدمها مستثمرًا ومستفيدًا من التطور التقني في هذا العصر وملتزمًا بالضوابط والقواعد الشرعية التي بينها ابن كثير في سلامة المنهج وصحة الوسائل والأساليب، فإذا كان التأليف مثلًا في عصر ابن كثير يتم على نطاق ضيق ومحدود، فإنه الآن ، وبسبب وجود الآلات الحديثة من المطابع ونحوها، يستطيع الداعية أن يُدَبِّجَ المقالات، ويكتب الرسائل والمؤلفات الكثيرة ويتمكن من قراءتها والإطلاع عليها عدد كبير من الناس، وكذلك الإتصال الشخصي أو المراسلات الشخصية إذا كانت في ذلك الوقت لا تتم إلا بشكل محدود وأحيانًا قد يصعب الاتصال أو يستغرق الوصول إلى بعض الناس زمن طويل، فإنه في هذا العصر يتم التواصل كما هو معلوم خلال دقائق معدودة سواء كان إتصالًا مباشرًا أو غير مباشر من خلال الفضائيات والهاتف والفاكس والإنترنت ونحو ذلك من الوسائل الكثيرة والمتعددة، فالدعاة إلى الله في هذا العصر إذا لم يُسخروا هذه الوسائل والأساليب والأدوات الحديثة ويستفيدوا منها في نشر الخير والفضيلة والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و إلا فستكون وسائل وأدوات وطرق لنشر الفساد والكفر والإباحية والأفكار الضالة، كما هو الحال في

وسائل الإعلام اليوم التي تمثل أكبر تحد يواجهه المسلمون في هذا العصر[1] .

وأخيرًا فيمكن أن يستفيد الداعية المعاصر من منهج ابن كثير الدعوي في كيفية الدعوة إلى الله من بعض الجوانب التي ذكرناها والتي هي بمثابة التوجيه السديد والنصائح المفيدة للدعاة في هذا العصر كتوجيه ابن كثير رحمه الله الداعية بانتهاز الفرص واستغلال المناسبات، وترتيب الأولويات والعناية بما هو أهم وبما يحتاجه المدعو، وكذلك تنويع أوقات الدعوة وأساليبها، وأن تعم دعوته جميع الناس، وغير ذلك[2] من المجالات والطرق والأساليب والوسائل وغيرها من المناهج الدعوية المختلفة التي استخدمها ابن كثير رحمه الله في الدعوة إلى الله بجيمع اركانها سواء كانت من المناهج العاطفية التي تثير الجوانب الروحية والايمانية أو المناهج العقلية التي تعتمد على الحجة والمنطق والحوار والعقل أو المناهج الحسية التي تلفت النظر إلى ما هو موجود ومشاهد في الحياة والكون والأنفس.

---

(١) لمعرفة الآثار السيئة والخطيرة لوسائل الإعلام على المجتمعات الإسلامية يمكن الرجوع إلى كتاب (قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها) للدكتور محمد عبد القادر هنادي، ص٧١، التحديات الإعلامية مرجع سابق .

(٢) للاستزادة في موضوع كيفية الدعوة ينصح بالرجوع إلى ما كتبه شيخنا الدكتور محمد زين الهادي في كتابه (فن نشر الدعوة زمانًا ومكانًا) طبعت دار العاصمة بالرياض، ط١ ١٤٠٩هـ .

المبحث الخامس

الاستفادة في مؤهلات الداعية في العصر الحاضر

من الجوانب المهمة التي يستفيدها الداعية المعاصر من منهج الإمام ابن كثير رحمه الله في الدعوة إلى الله معرفة تلك المؤهلات التي اتصف بها، ودعا إليها، وكان لها الأثر الكبير في نجاحه في توجيه الناس ودعوتهم وتأثيره فيهم والدعاة إلى الله في هذا العصر هم بأمس الحاجة إلى تلك المؤهلات التي يتصف بها الإمام ابن كثير وأمثاله من الدعاة المخلصين والأئمة المصلحين ومن أبرز هذه المؤهلات ما يلي :

١-**الإخلاص :** فمن أهم أسباب نجاح الداعية في دعوته الإخلاص، وهو من الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية كما قال سبحانه : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾[1]، وإذا كان الإخلاص مهمًا ولازمًا لكل مسلم فهو للداعية أهم وألزم، لأن الداعية هو القدوة العملية لغيره، ولذا نجد الإمام ابن كثير يؤكد على هذا الأمر، وينبه على أن قبول العمل متوقف على الإخلاص والموافقة فيذكر رحمه الله أن « للعمل المتقبل شرطين أحدهما أن يكون خالصًا لله وحده والآخر أن يكون صوابًا موافقًا للشريعة، فمتى كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يتقبل ... وأما إن كان موافقًا للشريعة في الصورة الظاهرة ولكن لم يخلص

---

(١) سورة البينة آية ٥ .

عامله القصد لله تعالى فهوا أيضًا مردود على فاعله »[1]، فالداعية إلى الله في هذا العصر يستفيد من منهج ابن كثير رحمه الله الدعوي فيما يتعلق بمؤهلات الداعية بأن يكون مخلصًا في أعماله وأقواله ودعوته لربه، لا يريد بذلك رياء ولا سمعه ولا ثناء الناس ولا مدحهم وإنما يريد وجه الله والدار الآخرة، ولهذا فإن الداعية المخلص لا يكون همّه تكثير أتباعه أو ذيوع صيته أو كثرة مدحه أو نحو ذلك، وإنما همه وغايته دخول الناس في دين الله وإنقاذهم من النار[2] .

٢-**العدل والإنصاف** : إن من أفضل نعم الله على المرء هو كما قال ابن حزم[3]: « أن يطبعه على العدل وحبه وعلى الحق وإيثاره »[4]،فالعدل « به قامت السماوات والأرض»[5]ولذلك حرص ابن كثير رحمه الله على التأكيد على هذا الجانب واتخذه شعارًا عمليًا يمارسه مع غيره، ولو كانوا من خصومه وأعدائه فهو يقرر رحمه الله أن الله سبحانه « يأمر بالعدل في الفعال والمقال على القريب والبعيد والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد في كل وقت في كل حال »[6] . وقد ذكرنا بعض المواقف العملية لابن كثير التي تدل على التزامه بمبدأ

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١٩٤/١ .

(٢) انظر عبد الرزاق البدر (الجامع للبحوث والرسائل) ص٤٩٢/٤٩٥، طبعت كنوز اشبيليا بالرياض، ط١ ١٤٢٦هـ .

(٣) سبق ترجمته ص ٣٥٢ .

(٤) انظر ابن حزم مداواة النفوس ص ٩٠ .

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم ١٠/٢ .

(٦) المرجع نفسه ٢٤١/٢ .

العدل والإنصاف في دعوته لغيره وتعامله معهم حتى ولو كانوا خصومًا له وأعداءًا وحتى لو كانوا من غير دينه وملته، فمثلًا عدله وإنصافه مع كل من ابن الزملكاني، ومع القاضي تقي الدين السبكي وكذلك إنصافه وعدله لنصارى الشام حينما صادر نائب دمشق أموالهم بسبب إعتداء إخوانهم الفرنج على الإسكندرية وغيرها من المواقف العملية الكثيرة التي تدل على التزام وتطبيق الإمام ابن كثير لمبدأ العدل والإنصاف، وذلك مما يستفيده الدعاة في هذا العصر الذي عَزّ فيه العدل والإنصاف في التعامل بين المسلمين، بل ومن كثير من الدعاة إلى الله، فتجد أن بعض الدعاة يرى أن ما عليه هو الصواب والحق وأنه الجدير بالإتباع والجدير بقيادة الأمة، وأنه هو ومن سار على طريقته ومنهجه هم الذين يملكون القدرة على حل مشكلاتها، ومن الدعاة من ينظر إلى إخوانه من الدعاة الآخرين الذين ليسوا على منهجه وأسلوبه وطريقته أنهم بدرجة أقل من الجدارة والتفكير والإدراك للمصالح، أو على الأقل أنهم – مساكين – فينظر إليهم نظرة إشفاق وإهمال، بل أن بعض الدعاة من يحدد طريقة ويجزم بها ويعتقدها ويرتب عليها أحكامًا شرعية ومستلزمات دعوية ويُخَطِّئُ غيره ويرده، ويجعل فكرته هو هي الميزان، وأن من حاد عنها فهو مخطئ أو هو عقبة في وجه الدعوة والإصلاح مما أدى إلى وجود الحزبيات والتكتلات بين صفوف الدعاة[1]، ولا شك أن هذا ينافي العدل والإنصاف والحقوق الواجبة

---

(١) انظر ناصر العقل، مباحث في عقيدة أهل السنة، ص٧٤-٧٨، مرجع سابق .

بين الدعاة إلى الله وينافي التعاون على البر والتقوى والوقوف صفًا واحدًا في وجه أعداء الأمة الذين يتربصون بها الدوائر .

٣-**الثقافة الواسعة** : والمقصود بذلك أن يكون الداعية على علم بطبيعة عصره وظروف مجتمعه، وهو ما كان عليه ابن كثير رحمه الله، فقد كان على قدر كبير من العلم والثقافة والوعي، والناظر في سيرته رحمه الله يجد أنه منذ صغره وهو حريص على طلب العلم ومعرفة أحوال مجتمعه وما يحدث فيه ولعل قصته مع القاضي صدر الدين الحنفي وجلوسه إليه بعد عودة القاضي من مصر وابن كثير صغير لم يتجاوز سنه العاشرة تدل على ذلك، وكذلك معرفته بعقائد أهل الكتاب خاصة النصارى وما حصل في كتبهم من التحريف والتبديل، وكذلك المذاهب والفرق الضالة والمذاهب المنحرفة وبيانه لزيغها وإنحرافها كالقدرية والجهمية والمعتزلة، إضافة إلى معرفته للتتار وشريعتهم التي وضعها لهم جنكيز خان في كتابه الياسق ليكون دينًا ومرجعًا لهم، فالداعية المعاصر يستفيد من ذلك بأن يكون على وعي ودرايه بواقعه الذي يعيش فيه، وذلك بمعرفة ما يقوم عليه من نظم وما يسوده من مذاهب وما يحركه من عوامل، وما يصطرع فيه من قوى، وما يجري فيه من تيارات، وما يعاني أهله من متاعب، وبخاصة وطنه الإسلامي الكبير من المحيط إلى المحيط، بآلامه وآماله وأفراحه ومآسيه، ومصادر قوته وعوامل ضعفه، وبعد ذلك وطنه الصغير وبيئته المحلية وما يسودها من أوضاع وتقاليد، وما يقاسيه من صراعات ومشكلات، وما يشغل أهلها من قضايا وأفكار، إن الداعية لا ينجح في دعوته ما لم يعرف من

يدعوهم، وحتى يعرف كيف يدعوهم، وماذا يقدم معهم وماذا يؤخر ومن هنا يتعين على الداعية في هذا العصر أن يكون لديه إلمام بواقع العالم الإسلامي، وواقع القوى المعادية للإسلام، وواقع الأديان المعاصرة، وواقع المذاهب السياسة المعاصرة، وكذلك الحركات الإسلامية المعاصرة، وواقع التيارات الفكرية المعارضة للإسلام وواقع الفرق المنشقة على الإسلام، وواقع البيئة المحلية التي يعيش فيها، ولا يخفى أن هذه الثقافة لا تستمد من الكتب وحدها، فهي ثقافة نامية متجددة مستمرة، يمكن للداعية أن يجدها في وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمقروءة، بل يستطيع أن يتلقى معلوماته عن الواقع من مصادرها الحية المباشرة بلقاء الناس ومخاطبتهم ومشاهدة أحوالهم.

٤-**نبذ الجمود والتعصب** : سبق وأن ذكرنا أن الإمام ابن كثير رحمه الله يمتلك شخصية متحررة من الجمود الفكري والتعصب المذهبي، مما كان له أثر طيب على علاقته بالعلماء والدعاة والمصلحين، فمثلًا الإمام ابن القيم وابن عبد الهادي[1] هما من أصحابه وأقرب الناس إليه

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد شمس الدين ابن تدامه المقدسي، حافظ للحديث عارف بالأدب، من كبار الحنابله، يقال له (ابن عبد الهادي) أخذ عن ابن تيمية والذهبي وغيرهما، وصنف على ما يزيد سبعين كتابًا، ومات قبل بلوغ الأربعين، من كتبه العقود الدرريه في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، والمحرر في الحديث وفضائل الشام وغيرها، توفي سنة ٧٤٤هـ (الأعلام ٣٢٦/٥) .

وهما من الحنابلة، وإسحاق بن يحيى الآمدي[1] من شيوخه وهو من الحنفية، وابن تيمية وابن المطعم[2] وابن غيلان البعلبكي والعفيف المقدسي من شيوخه وهم من الحنابلة، ومن مظاهر عدم جموده وتعصبه موافقته وتبنِّيه لبعض الآراء الفقهية المخالفة لمذهبه الشافعي، كمسألة الطلاق بالثلاث بلفظ واحد، والمسح على الخفين ومسألة المناقلة في الوقف وغيرها مما سبق أن ذكرناه، مما يدل على أنه رحمة الله ينبذ الجمود الفكري والتعصب المذهب، فهو مستقل الرأي يدور مع الدليل حيث دار، وينشد الحق ولا يتعصب لمذهب ولا شيخ ولا لطائفة، وهذا ما يتعين على الدعاة إلى الله في هذا العصر أن يستفيدوا من ذلك وينبذوا التعصب والحزبية بغير حق، ويكون همهم الحرص على الدعوة إلى الحق والأخذ به مهما كان قائله ومهما كان مصدره، ومما يؤسف له أن تجد بعض الدعاة في هذا العصر يتعصب لمن وافقه، فيضفي على هذه الفئة أو الجماعة (من الصفات ما يشبه القداسة أو العصمة فكل ما تقوله فهو حق وكل ما تفعله فهو جميل، وكل ما يصدر عنها فهو صواب، وكل تاريخها أمجاد وكل رجالها ملائكة، وهذا ليس بصحيح، فكل جماعة قامت

---

(١) هو إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الأمدي، ثم الدمشقي الحنفي شيخ دار الحديث الظاهرية، سمع الحديث على جماعة كثيرين، وكان شيخًا حسنًا يهي المنظر يحب الرواية ولديه فضيله، توفي سنة ٧٢٥هـ (البداية والنهاية ٢٦٠/١٨) .

(٢) هو الشيخ الصالح المعمر عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن أحمد بن إسماعيل المقدسي الصالحي المطعم، راوي صحيح البخاري وغيره وقد سمع الكثير من مشايخ عدة، توفي رابع ذي الحجة سنة ٧١٩هـ وله أربع وتسعون سنه (البداية والنهاية ١٩٧/١٨) .

لنصرة الإسلام وتجديده في العقول والأنفس والحياة والمجتمع ليست أكثر من مجموعة من المسلمين تجتهد في خدمة الإسلام وإعلاء كلمته، وهي في إجتهادها تصيب وتخطئ وهي مأجورة على كل حال أصابت أم أخطأت فلكل مجتهد نصيب ولكل امرئ ما نوى ».

وقد بلغ التعصب المذموم من بعض الدعاة في هذا « أن لا يذكر لجماعته أو لحزبه إلا المزايا والحسنات، ولا يذكر للجماعات الأخرى إلا العيوب والسيئات وأن يعظم رجال مجموعته مهما يكن منهم من تقصير أو قصور ويحقر رجال الآخرين مهما يكون فيهم من سمو في العلم والعمل .... وأن يفرح بأخطاء الآخرين وقد يشنع بها ويضرب بها الطبل في حين يتغاضى عن أخطاء فئته وجماعته وإذا اعترف بها حاول أن يهون منها ويعتذر لها ويدافع عنها » .

٥-وهناك جوانب في منهج ابن كثير يمكن أن يستفيد منها الداعية المعاصر فيما يتعلق بمؤهلات الداعية مثل التصور الشمولي والمتكامل في الدعوة عند ابن كثير فاشتملت دعوته على نواحي الدين كله، في العقائد والعبادات والأحكام والأخلاق والآداب والسلوك وهذا ما يتعين على الدعاة في هذا العصر أن يكونوا عليه في دعوتهم إلى الله، وهو دعوة الناس إلى الإسلام كافة كما قال سبحانه : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1]، قال ابن كثير :

---

(١) سورة البقرة آية ١٠٨ .

« يقول تعالى أمرًا عباده المؤمنين المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك »[1]، والملاحظ على الدعاة في هذا العصر « إغفال أكثرهم الاهتمام بأصول الدين وفرائض الإسلام أو إعطائها أقل مما تستحقه من الاهتمام والعناية، مع العلم أنها هي مفاتيح الخير والصلاح وهي مغاليق الشر والفساد كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإخلاص العبادة لله وحده ونبذ الشرك والبدع ووسائلهما ونحو ذلك من الأصول»[2]، ومن الجوانب المهمة في منهج ابن كثير الدعوي التي يمكن أن يستفيد منها الداعية في هذا العصر فيما يتعلق بمؤهلات الدعوة مراعاة الفروق الفردية بين المدعويين، ومخاطبتهم ودعوتهم بما تبلغه عقولهم وتدركه فهومهم، وهذا ما أكد عليه ابن كثير ولفت النظر إليه، لأن الله سبحانه وتعالى كما قال ابن كثير «فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم، وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة »[3]، فالدعاة إلى الله في هذا العصر لا بد أن يراعوا هذا الأمر ويتنبهوا له، ودعوة الناس وتحديثهم بما يعرفون له جانبان : الأول يتعلق بأسلوب الخطاب فيكون سهلًا وواضحًا وبعيدًا عن التقعر والتكلف، والبحث عن الألفاظ الغريبة، والثاني : يتعلق

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٣٠٨ .

(٢) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها لناصر العقل ص ٨٠، مرجع سابق .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ١/١٥٠ .

بمضمون الخطاب، فليس كل ما يعلم يقال، والعامة إنما يدعون للأمور الواضحة من الكتاب والسنة وما لا يسع الناس جهله، وما يكلفون بعلمه أمر نسبي يختلف باختلاف الناس، وهو في دائرة العامة أوسع منه في دائرة طلبة العلم، وتحديث الناس ودعوتهم إلى ما يشكُل عليهم فهمه، أو لا تدركه عقولهم وفهومهم يخشى أن ينزلوه غير تنزيله ويتأولوه غير تأويله، يقول الحافظ ابن حجر في شرحه لخبر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] : « وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وعن الحسن انه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصته العرنين[2]، لأنه إتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي »[3] .

٦-ومما يستفيده الدعاة في هذا العصر من منهج ابن كثير الدعوي في مؤهلات الداعية هو الصفات الحميدة التي كان يتحلى بها الإمام ابن كثير رحمه الله، والتي كان لها أكبر الأثر في قبول الناس له وانتفاعهم بعلمه وتأثرهم بدعوته، وهذا الصفات هي بمثابة الدروس القيمة للداعية المعاصر يستفيد منها ويُقَوِّم بها أخلاقه ويحاسب بها نفسه ومن هذه الصفات الحميدة :

---

(١) وهو قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكذب الله ورسوله »، سبق تخريجه ص٥٦٨ .

(٢) وقد مر بنا حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ص٥٦٧ من هذا البحث .

(٣) ابن حجر (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) ٢٧٢/١، وانظر محمد الدرويش (تأملات في العمل الإسلامي) ص٩٣-٩٤، طبعت مطابع البيان بالرياض، ط٢ ١٤٢٢هـ .

الصدق : وهو كما قال ابن كثير « خصلة محمودة ... وهو علامة على الإيمان، كما أن الكذب أمارة على النفاق، ومن صدق نجا »[1] .

وكذلك التواضع : وهو من صفات المؤمنين كما قال ابن كثير: « من صفات المؤمنين الكُمَّل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه، ومعتزًا على خصمه وعدوه »[2] .

ومن هذه الصفات الترفع عن اللغو : واللغوا هو كما قال ابن كثير : « ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال »[3] .

وكذلك محبة الآخرين والحرص على نفعهم : فالمؤمن الصادق والداعية المخلص هو الذي يحب الناس ويحرص على نفعهم في كل وقت وحين فهو كما قال ابن كثير « عن قتادة لا تلقى المؤمن إلا ناصحًا لا تلقاه غاشًا »[4]، وكذلك حسن الظن بالآخرين والتماس العذر لهم، وهذه الصفة من الصفات التي كان يتحلى بها ابن كثير ويتصف بها، وقد مر معنا بعض المواقف التي تدل على ذلك، وليست هذه الأخلاق فحسب هي التي يمكن أن يستفيدها الداعية المعاصر من منهج الإمام ابن كثير في الدعوة إلى الله، بل غيرها كثير مما لا مجال

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٦٠٠ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٩١ .

(٣) المرجع نفسه ٣/٣٠٠ .

(٤) المرجع نفسه ٣/٦٩٧ .

لتفصيله كالصبر، والترفع عن اللغو والقصد والاعتدال ونحوها .

الخاتمة

وتشمل :

أولًا : النتائج :

١- أن ابن كثير رحمه الله سلك في تفسيره للقرآن منهجًا يعتبر أحسن المناهج لتفسير القرآن، وهو تفسير القرآن بالقرآن أولًا ثم بالسنة ...، ولذلك صار تفسيره من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها .

٢- لم يكن تفسير ابن كثير مختصرًا لتفسير ابن جرير الطبري كما يتصوره بعض الناس، وذلك لاختلاف منهجيهما ولأن ابن كثير له موارد كثيرة رجع إليها في تفسيره غالبًا هي مما جاء بعد ابن جرير .

٣- تبين لي من خلال البحث أن ابن كثير رحمه الله تعالى لم يكن حافظًا ومحدثًا وفقيهًا ومؤرخًا وعالمًا فحسب بل هو إلى جانب ذلك يعتبر من أعلام التربية ومشاهير الدعاة ومن الرواد المصلحين .

٤- أن منهج ابن كثير الدعوي من خلال تفسيره القرآن العظيم تميز بالشمول والتكامل في مضمون الدعوة والتنوع في أصناف المدعوين والعناية بتوجيه الدعاة والتعدد في وسائل الدعوة وأساليبها .

٥- تبين لي من خلال البحث أن ابن كثير رحمه الله استفاد من المناهج الدعوية المختلفة فأحيانًا يستخدم المنهج العاطفي وأحيانًا المنهج العقلي وأحيانًا المنهج الحسي وذلك حسب موضوع الدعوة وحال المدعويين .

٦-أن ابن كثير رحمه الله يمتلك شخصية علمية متحررة من التعصب الفكري والجمود المذهبي، وهو ما يجب أن يكون عليه العلماء والمصلحين والدعاة إلى الله .

ثانيًا : التوصيات :

١-أوصي الدعاة إلى الله أن يستفيدوا من منهج ابن كثير رحمه الله في الدعوة إلى الله وهو ما بينته مفصلا في الباب الثالث من هذا البحث .

٢- أوصي أقسام التربية وعلم النفس والاجتماع في الجامعات العربية والاسلامية أن تُعنى بالدراسات التربوية والنفسيه والاجتماعية للامام ابن كثير وهي دراسات قيمه وعميقة سواء كانت في تفسيره أو في تاريخه البداية والنهاية .

٣- أوصي أقسام علوم القرآن وتفسيره في الجامعات العربية والاسلامية أن يعتنوا بتفسير ابن كثير دراسة وتحقيقا، لأن الجهود الفردية المبذولة في ذلك – وهي قيمة ومشكورة – لم تصل إلى المستوى اللائق بهذا السفر الجليل .

٤- أوصي الدعاة إلى الله جماعات وأفرادا مؤسسات أو حكومات أن يتأسوا بمنهج ابن كثير القائم على الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفهارس

وتحتوي على :

أولًا : فهرس الآيات

ثانيًا : فهرس الأحاديث

ثالثًا : فهرس الآثار

رابعًا : فهرس الأعلام

خامسًا : الكلمات الغريبة والمصطلحات

سادسًا : فهرس الأبيات

سابعًا : فهرس الأديان والعقائد والمذاهب والفرق

ثامنًا : فهرس الأماكن

تاسعًا : فهرس الموضوعات

عاشرًا : فهرس المصادر والمراجع

فهرس الآيات الواردة في الرسالة

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
سورة الفاتحة		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾	٢	١٨٦، ٤٦٠، ٢٩٠
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾	٥	٢٤٠
﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	٧	٥٨٢
سورة البقرة		
﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾	٣	١٧٨، ١٦٩
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	١١	٤٦٩، ٢٤٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾	٢١	٣٢٩، ٢٢٨، ٢١٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾	٢٦	١٧٥
﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾	٣١	١٥٨
﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾	٤٤	٦٣١، ٣٩٩
﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾	٤٦	١٧١
﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾	٦٦	٥٦٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾	٦٧	٦٦
﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾	٧٤	١٦٩
﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾	٧٩	١٧٤

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾	٨٣	١٧١
﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾	٨٣	٥٦٤
﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ﴾	١٠٢	٤٥٩، ٦٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾	١٠٤	٤٨١، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠١
﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾	١٠٦	٥٨٣، ١١٩
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١٠٧	٢٩٠
﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١١٧	٤٥١
﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾	١٢٤	٥٤٨
﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾	١٢٥	٦٨
﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾	١٣٨	١٧٦
﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا﴾	١٣٩	٥٦٨
﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾	١٤٣	٦٥١
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ﴾	١٤٦	١٣٩
﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾	١٥٨	٢٠١، ١٩٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا﴾	١٥٩	٧٨
﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾	١٦٣	٣٣٢
﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١٦٤	١٤٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾	١٧٢	٢٤٦، ٢٤٥
﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾	١٧٧	٣٣٧، ٢٣٢

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ ﴾	١٧٨	٢١٨
﴿ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾	١٧٩	١٧٩
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾	١٨٥	٣٨٣، ٦٥١
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾	١٨٦	٥١٦
﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ ﴾	١٩٦	١٧١، ٣٨٥
﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾	١٩٧	١٠٧، ٣٨٧
﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ ﴾	١٩٨	١٧٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾	٢٠٨	٢٤٠، ٤٧٦
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ ﴾	٢٢١	٧٣
﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ ﴾	٢٢٣	٢٩٨
﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ﴾	٢٢٨	٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٨
﴿ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْ ﴾	٢٣١	٢٧٦، ٢٧٧
﴿ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ ﴾	٢٣٤	٢٢٠
﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ ﴾	٢٤٨	١٦٨
﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا ﴾	٢٥٥	٣٣٤، ٦١٠
﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾	٢٥٦	٦٥٢
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ﴾	٢٥٨	٣٣٦، ٥٧٠
﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾	٢٦٩	١٠٧، ٥٦٠
﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡ ﴾	٢٨٢	٢٧٠، ٣٩٠

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾	٢٨٥	٣٥٣
سورة آل عمران		
﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾	٧	١١٨
﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ ﴾	٢٠	٥٦٨
﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ ﴾	٢٨	٦٠٨
﴿ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ ﴾	٣٦	٢٦٩
﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ ﴾	٦٦	٥٦٩، ٤٩٤، ٣١٣
﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾	٧٨	٣٤٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾	١٠٢	٢٤١
﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾	١٠٢	٥١٦، ٤٢٥
﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾	١٠٣	٦١١
﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴾	١٠٤	٤٠١، ٣٩٨، ٧٦
﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾	١١٠	٤٠١، ٨١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ ﴾	١١٨	٤٧٢، ٤٧١، ٤٤٨
﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ ﴾	١٣١	٢٢٥
﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ ﴾	١٨٧	٣٤٣، ٣١٣
﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	١٩٠	١٠٧
سورة النساء		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾	١	٢٦٩، ٢٦١

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣﴾	٣	١٠١، ١٨٨، ٥٨٥
﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾	٤	٢٧٦
﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ﴾	٥	٢٧١
﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ﴾	٧	٢٧٥
﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾	١٤	٩٠
﴿لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا﴾	١٩	٢٧٥
﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾	١٩	٢٧٨
﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ۝٢٨﴾	٢٨	٢٧٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾	٢٩	٣٨٩
﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٞ﴾	٣٤	٢٧٨
﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾	٤٦	٢٠١
﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ﴾	٥٨	٤٤٤
﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾	٥٩	٤٣، ٩٦، ٩٦، ٩٣
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾	٦١	٩٦
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾	٦٥	٩٤
﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾	٦٦	٥٠٧، ٢٠٦
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾	٨٧	٣٣٢
﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ﴾	١٢٤	٢٨٠

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾		
﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا ﴾	١٣٤	٣٠٩
﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾	١٣٦	١٧٧، ٤٢٦
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾	١٣٩	٦١٢
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾	١٥٢	٣٥٢
﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾	١٥٩	٣٦٦
﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾	١٦٥	٧٨
﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾	١٧٢	٣٤٢
﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾	١٧٦	٥٧٧
سورة المائدة		
﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ ﴾	٢	٢٩٩
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ ﴾	٣	٢٢٣، ٥٨٥
﴿ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ ﴾	٣	١٧٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾	٦	١٨٩، ٤٦٢
﴿ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ ﴾	٦	١٢٥
﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	١٢	٢٨، ٣٦٣، ٤٦٣
﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾	١٥	٩٩

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ ﴾	١٥	١٢٣
﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾	١٦	١٢٣
﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ ﴾	٢٢	٦٨، ١٢٥، ١٧١
﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ ﴾	٣٥	٣٩٢
﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا ﴾	٤٨	١٥٤
﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾	٤٨	٣٥٤، ٣٧٤
﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ ﴾	٥٠	٣١، ١٠٠، ٢٠٧، ٢٤٧
﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ ﴾	٥٢	٤٧٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ ﴾	٥٤	٧٧
﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾	٥٤	٤٠٢، ٥٢٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ ﴾	٥٧	٦٠٨
﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾	٦٥	٤٨٠
﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ ﴾	٧٢	٤٨٤
﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾	٧٧	٥٣٦
﴿ فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾	٩٥	٤١٥
﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴾	١٠٠	٣٩٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾	١٠١	٣١٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾	١٠٥	٣٨٠، ٦٥٣

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
سورة الأنعام		
﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٣	١٨٥، ٢٦١
﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ ﴾	٧	١٥١
﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا ﴾	٣١	٤٢٧
﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾	٣٤	٥٤٨
﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ ﴾	٤٨	٧٩
﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾	٥٠	٣٥٦
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾	٦١	٣٤٠
﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٧١	٣٠٨
﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ ﴾	٨٠	٥٧١
﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ﴾	٨٣	٥٧١
﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾	٨٨	٣٢٢، ٤٨٤
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ ﴾	٩٠	٥٤٨
﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾	٩٣	٣٤٣
﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ ﴾	١٠٣	١٣٢، ٤٥٦
﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	١٠٨	٥٥٦
﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ ﴾	١١٥	١٤٧، ٢٢٣، ٦١٩
﴿ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾	١٢٥	١٣٣

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾	١٤١	١١٣
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾	١٥٣	٣١١
﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا﴾	١٥٦	٤٧٥
﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ (البقرة ٢١٠)	١٥٨	٣٦٦
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾	١٥٩	٢٥٧
﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا﴾	١٦٤	٥١٠
﴿وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾	١٦٥	٣٠٧
﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾	١٦٥	٥٠٠
سورة الأعراف		
﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾	١٠	١٧٦
﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ﴾	١٢	١٣٢
﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾	٢٩	٥٠٩
﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾	٣١	٥٧٣، ١١٣
﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ﴾	٤٦	٢١٨
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾	٥٤	٢٢٩
﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾	٥٦	٢٤٤

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾	٦٨	٤٢٧
﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ﴾	٨٩	١٦٥
﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾	١٠٤	٥٧١
﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ ﴾	١٠٥	١٤٩
﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾	١٤٣	٤٥٦
﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ﴾	١٤٦	٥٢٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ ﴾	١٥٢	٢٥٨
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾	١٥٧	٤٧٨
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾	١٥٨	٤٢١
﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ ﴾	١٦٧	٥٠٠
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾	١٨٠	١٩٩
﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ﴾	١٨٦	٤٦١
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾	١٨٧	٣٦١، ٥٢٠
﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾	١٩٩	٣٠٥، ٤٠٦
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ ﴾	٢٠١	٤٢٦

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
سورة الأنفال		
﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾	٢	٢٣١
﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾	٢	٥١٥
﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢﴾	٢٢	١١٥، ٢٢٧، ٤٧٣
﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾	٢٣	٢٢٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل﴾	٢٩	٥١٥
﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾	٥٢	٦١٤
﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾	٦٠	١٣٩
سورة التوبة		
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ﴾	٢٨	١٨٨
﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾	٢٩	١٢١
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾	٣٢	٤٨٧
﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ﴾	٣٤	٤٣٣
﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	٦١	٢٣١
﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ﴾	٦٧	٤٠٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾	٧٣	٥٦١، ٤٧٣
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾	١٠٣	٣٨١، ١٢٧

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ ﴾	١٠٤	٥٤٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾	١١٩	٥١١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم ﴾	١٢٣	٢٤٩، ٣٢٦
سورة يونس		
﴿ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾	١٠٠	١٣٣
﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾	١٠١	١٠٧
﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾	٢٩	٤٨٥
سورة هود		
﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾	٣	٥٤٤
﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾	٧	٢٤٠
﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾	٩	٣٠٦، ٥٨٠
﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ﴾	٥٢	٦٠٥
﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾	٥٩	٦١٨
﴿ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ ﴾	٦٩	١٧٩
﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ ﴾	٨٨	٣٩٩
﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ ﴾	١١٦	٤٠١
﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ ﴾	١١٦	٤٠١

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ ﴾	١١٧	٧٧
﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾	١١٨	٣١٠
﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ ﴾	١٢٣	٢٣٩
سورة يوسف		
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾	٢	١٦٥
﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾	١٧	٢٣١
﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ ﴾	٢٠	١٨٤
﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ ﴾	٣٩	٥٢٠
﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ ﴾	٥٥	٥١٩
﴿ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾	٥٨	١٣٨، ١٣٩
﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٠٥	١٠٨
﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ ﴾	١٠٨	٢٢٧، ٤٩٣
﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾	١٠٨	٦٢١، ٦٤٨
سورة الرعد		
﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ ﴾	٧	٦٥٠
﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ ﴾	١١	٣٤١
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ ﴾	١١	٦١٤
﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ ﴾	٢٣	٣٤٦
﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾	٢٨	١٨٦

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾	٣٥	٣٦٩
﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾	٣٧	٢٥٩
﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾	٤٠	٦٤٩
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ ﴾	٤١	٢١٧، ٤٣٣
سورة إبراهيم		
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾	٤	٢٠٣
﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾	٢٧	٣٦٠
﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٣١	٣٧٨
سورة الحجر		
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾	٩	١٤٥، ١٥٤، ٣٤٩
﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾	١٤	١٥٢، ٢٠١
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ ﴾	٢٦	٥٤
﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾	٤٩	٥٠٠
﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ ﴾	٩٧	٥١٣
﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾	٩٩	٤٦٤
سورة النحل		
﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾	٩	١٥١
﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ﴾	٥٨	٢٦٢
﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾	٦٤	٩٥

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾	٦٧	١١٢
﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾	٧٨	١١١، ١١٤، ١٤٧
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾	٨٩	١٥٣
﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَٰنِ﴾	٩٠	٤١١
﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾	١٠١	١٢٧، ٤٨٥
﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾	١١٦	١٢٩، ٢٥٧، ٦١١
﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾	١٢٥	٥٦١، ٥٦٢
﴿وَجَٰدِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾	١٢٥	٥٦٩
سورة الإسراء		
﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾	٢٥	١٧٨
﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾	٣١	٢٧٥
﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾	٣٦	١١١
﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾	٣٩	٤١٢
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾	٧٠	٣٤٤
﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَٰنِ﴾	٨٣	٣٠٧
سورة الكهف		
﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾	٦	٣٥٨
﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾	١٠	٦٢٩
﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾	١٧	٤٦١

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾	١٧	٥٢٦
﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾	٢٢	٣١٢
﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾	٣٨	١٨٥
﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾	٣٩	٢٩٥
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ﴾	٥٤	٥٠٨
﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾	٦٦	٥٢٦
﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾	٨٤	٦٩، ٢٩
﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾	١٠٣	٢٢١
﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾	١١٠	٣٢٢، ٥٠٩
سورة مريم		
﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾	٥٤	٥١٢
﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	٥٩	١٨٢
﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾	٦٢	٥٣٢
﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾	٩٠	٤٨٣
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾	٩٦	٢٤٣
سورة طه		
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾	٥	٣٣٥
﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾	٤٣	٤١٥، ٤٩٨

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾	٤٤	٤٤٥
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾	٥٤	١١١
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾	١٢٤	٦١٩
سورة الأنبياء		
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ ﴾	٢٢	١١٨
﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ ﴾	٢٦	٣٣٧
﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ ﴾	٣٢	٣٣١
﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ ﴾	٦٠	٥٢٥
﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾	٧١	٣٦٥
﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ ﴾	٨٧	٤٩٧
سورة الحج		
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	٣	١٢٦، ٢٥٦
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى ﴾	٨	٢٥٦
﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾	٢٨	٣٧٦
﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٤١	٤٣٣
﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴾	٧٨	٦٥١، ٢٣٧
سورة المؤمنون		
﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾	٣	٥٣١

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾	٥١	٢٤٦
﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾	٥٢	٧٨
﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾	٦٨	٤٨٨
﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾	٨٨	١٨٦
﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾	٩٠	١٢٧، ٤٨٥
﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ ﴾	٩٦	٣٠٥، ٤٠٦، ٤٨٩
سورة النور		
﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾	٢	٤٤٨
﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾	٢١	٤١٣
﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	٣١	٢٨٤، ٤١٢
﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾	٣٥	١٢٤
﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾	٣٦	٤٣١
﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ ﴾	٣٧	٢٨٦
﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ ﴾	٤٠	٥٠٥
﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	٥١	٤٤٢
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾	٥٥	٣٦٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ	٥٨	٤٣٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾	٦٠	٢٨٣
﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾	٦٣	٣٧٤، ٩٩
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾	١	١٧٧
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝٢﴾	٢	٣٧١
﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا﴾	١٨	٨٠
﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ﴾	٢٣	٣٢٢
﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي﴾	٣٠	٧٨
﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ۝٥٩﴾	٥٩	٩٧
﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا﴾	٦٧	٥٣٥
﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾	٧٢	٥٣١
﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾	٧٢	٥٣٢
﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾	٧٤	٢٩٦
سورة الشعراء		
﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ﴾	٤٠	٥٠٦
سورة النمل		
﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾	٤٢	١١٨
﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾	٦٥	٣٥٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿		
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا ﴾	٦٧	٣٦٨
﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾	٦٩	٣٦٨
سورة القصص		
﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ ﴾	٥٥	٥٣٢
﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾	٥٦	٣٥٧
﴿ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾	٧٣	١٨٠
سورة العنكبوت		
﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾	١٦	٢٤٤
﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾	٣٥	١٠٧
﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾	٤٠	١٨٠
﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾	٤٦	٣٤٩، ٤٧٩
﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ﴾	٦١	١١٨، ٢٨٨
﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ﴾	٦٣	٤٨٩
﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾	٦٩	٤١٩
سورة الروم		
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴾	٢١	٢١٦
﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ ﴾	٣٠	٤٠٩، ٣٠٤

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ ﴾	٣٢	٢٥٨
﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾	٤١	٢٤٥
سورة السجدة		
﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا ﴾	٢٤	٤٣٢، ٤٣٦
سورة الأحزاب		
﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾	٣٢	٢٨٢
﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ ﴾	٣٥	٢٨٠
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ ﴾	٣٦	٩٠، ٩٩
﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ ﴾	٣٩	٣٦٤
﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾	٥٩	١٧٣
سورة سبأ		
﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ ﴾	١٠	١٧٤
سورة فاطر		
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	١	٣٣٨
﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾	٦	٤٠٧
﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾	٢٨	٣٣٤، ٤٣٥، ٥١٢
﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ﴾	٣٢	٤٢٥
﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ﴾	٤٤	١١٨، ٤٩٠

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
سورة يس		
﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾	١٢	٢١٩
﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾	١٧	٣٥٨
﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾	٢٦	٢٩٥
﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾	٦٣	١١٧
سورة الصافات		
﴿قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾	١٠٢	٤٢٩
سورة ص		
﴿فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾	٣	١٧٢
﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ﴾	٢٨	١١٨، ٣٦٨
﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾﴾	٢٩	١١١
سورة الزمر		
﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾	٢	٧٩
﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾	٣	٢٢٦
﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾	٣	٧٩
﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾	٣	٥٠٩
﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾	٩	٢٣٩
﴿يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾	٩	٢٨٩
﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾	١٧-١٨	١١٣، ١١٥

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ﴾	١٨	١٣٣
﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾	٥٣	٥٤٣
﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾	٦٥	٣٢٢
سورة غافر		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾	١٣	١٤٩
﴿ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢١	٢٥٠
﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	٥١	٣٦٤
﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾	٦٤	٣٣١
﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٨٢	٢٥٠
سورة فصلت		
﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾	٥٣	٤١٧
سورة الشورى		
﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ ﴾	١٠	٩٣
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	١١	٣٢٠
﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾	١٣	٤٧٨
﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾	٢١	٤٨٦
﴿ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ ﴾	٤٢	٣١١
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ ﴾	٥٢	١٥٣
سورة الزخرف		

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾	٣	١٦٥
﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ ﴾	١٨	٢٦٩
﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ ﴾	٢٢	١٢٧
﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ ﴾	٢٣	١٠٨
﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾	٢٣	٢٢٧
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ ﴾	٧٨	٤٧٩
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ ﴾	٨٤	١٨٥، ٤٦٢
سورة الأحقاف		
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾	١٥	٥٤٥
سورة محمد		
﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾	٢٩	٤٧٢
سورة الحجرات		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ ﴾	١	١٨٨
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾	٩	٦١٠، ٤٥٦
﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ ﴾	١٤	٢٣٢، ٢٠١
سورة ق		
﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ ﴾	١	٧٠
﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ ﴾	١١	١٤٩
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ ﴾	١٦	٣٤٠

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾	١٨	٣٤٠
﴿ فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾	٣٦	١٧٠
﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ ﴾	٤٥	١٧٣
سورة الذاريات		
﴿ فَٱلْمُقَسِّمَـٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ ﴾	٤	٣٤٥
﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ ﴾	٧	١٣٠
﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾	٢٠	٣٠٧
﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾	٢١	١٠٧
﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ ﴾	٢٥	١٧٩
﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾	٢٦	٢٣٢
﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾	٣٥	٤٦٠
﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	٥٠	١٧٦
سورة الطور		
﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾	٣٥	١١٨
﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا ﴾	٤٤	١٥٢
سورة النجم		
﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾	١٣	٢٩٢
﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾	٢٣	٢١٠
﴿ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾	٣١	٥٤١

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
سورة القمر		
﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ ﴾	٣٣	٣٤٢
﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾	٤٧	٢٦٠، ٣٢٣
﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾	٤٩	٢٣٤، ٣٧١
سورة الرحمن		
﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾	١٤	٥٤
﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ﴾	٨٧	٢٠٠
سورة الواقعة		
﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾	٢٥	٥٣٢
﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾	٩٦	٢٠٠
سورة الحديد		
﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٢	٣٧١
سورة المجادلة		
﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾	١٤	٤٦١
سورة الحشر		
﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾	٧	٨٨
سورة الممتحنة		
﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ ﴾	١٠	١٣٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
سورة الجمعة		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾	٢	٨٠
سورة الطلاق		
﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ ﴾	١٠	١١٥
سورة التحريم		
﴿ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾	٧	٣٣٩
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾	٨	٥٤٥
﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾	١٢	٢٧٣
سورة الملك		
﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾	٢٣	١٤٧
﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ ﴾	٢٩	٢٤٩
سورة المعارج		
﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ ﴾	١٩	٤١٧
سورة نوح		
﴿ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ﴾	٨	٥٢١
﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ ﴾	١٥	١٥٢
﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾	٢٦	٦٩
سورة المزمل		
﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	٩	٢٣٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
سورة المدثر		
﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾	٣١	٣٣٨
سورة القيامة		
﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾	٢٢	٤٥٧
سورة الإنسان		
﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾	٢٤	١٦٩
سورة النبأ		
﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾	١-٢	٣٥١
﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾	١٤	١٧٣
﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾	٣٥	٥٣٣
سورة النازعات		
﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾	٥	٣٤٥
﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾	٢١	١٤٠
سورة عبسى		
﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾﴾	٨	٢٩٦
﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾	١٥	٣٣٧
سورة الإنفطار		
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾﴾	١٠	٣٤٠
سورة المطففين		

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	١٥	٤٥٧
سورة الأعلى		
﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾	١	٥٣٠
﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾	٩	٥٠٧
سورة الغاشية		
﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾	٢٥	١٧٩
سورة الفجر		
﴿ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ ﴾	٥	١٠٩، ١١١
﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ﴾	٧	١٨٩
﴿ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ ﴾	٨	١٨٩
سورة الشمس		
﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ ﴾	٧	٣٠٤
﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾	٨	٦١٥، ٤١٠
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾	٩	٤١٧
سورة الليل		
﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ﴾	١٥	١٨٧
سورة العلق		
﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾	٥	٥٢٤
سورة القدر		

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾	١	٤٦٤
﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾	٤	٤٤٢
سورة البينة		
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾	٥	٦٦١
سورة الكوثر		
﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾	٣	١٨٢
سورة العصر		
﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾	١-٢	٥١٤
سورة الماعون		
﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾	٦-٧	٤٧٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس الأحاديث

م	الحديث	التكرار
١	أبدأ بما بدأ الله به	١٩٠
٢	أتدرون من المفلس	٢٠١
٣	اتقوا الدنيا واتقوا النساء	٢٨٢
٤	اجتنبوا السبع الموبقات	٥٣٩
٥	إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبًا	٢٨٦
٦	إلا أن تروا كفرا بواحًا عندكم فيه من الله برهان	٤٤٧
٧	إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس	٤٤٦
٨	إن العلماء ورثة الأنبياء	٤٣٢
٩	إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة	٤٤٤
١٠	إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل	٢٤٣
١١	إن الله تعالى يقول يا آدم فيقول لبيك وسعديك	٣٦٥
١٢	إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعًا	٦٩
١٣	إن الله قسم بينكم أخلاقكم	٤١٧
١٤	إن الله لم يخلق داء إلا خلق له دواء	٣٦٦
١٥	إن الله مع الحاكم ما لم يجر	٤٤٤
١٦	إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها	٤١٠
١٧	إن الله يرضى لكم ثلاثًا	٦١١
١٨	إن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه	٢٦٩
١٩	إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة	١٥٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

م	الحديث	التكرار
٢٠	إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله	٤١٧
٢١	إن لله تسعًا وتسعين اسمًا	١٩٩
٢٢	إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء	٣٤٢
٢٣	إن من إجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم	٤٤٥
٢٤	إنك إن اتبعت عوارت الناس أفسدتهم	٤٤٥
٢٥	إنك ستأتي قومًا أهل كتاب	٥٠٢
٢٦	آيبون تائبون لربنا حامدون	١٧٩
٢٧	آية المنافق ثلاث	٤٧٠
٢٨	أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا	٢٤٦
٢٩	أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج	٣٨٦
٣٠	بشرا ولا تنفرا يسرا ولا تعسرا	٢٣٨
٣١	بعثت بالحنيفية السمحة	٢٣٨
٣٢	بم تحكم قال بكتاب الله	٨٩
٣٣	بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة	٣٧٨
٣٤	تعافوا الحدود فيما بينكم	٤٤٨
٣٥	ثلاث من كن فيه كان منافقًا	٥٠٣
٣٦	جنبوا مساجدكم صبيانكم	٤٣١
٣٧	خرجنا مع رسول الله في جنازة رجل من الأنصار	٣٦٠
٣٨	خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي	٢٧٨
٣٩	رفع القلم عن ثلاث النائم حتى يستيقظ	١٠٨
٤٠	رفعت وعسى أن يكون خيرًا	٣١٤

م	الحديث	التكرار
٤١	سابقني رسول الله فسبقته	٢٧٨
٤٢	صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا	٤٦٥
٤٣	صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها	٢٨٦
٤٤	عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر	٥١١
٤٥	العهد الذي بينا وبينهم الصلاة	٣٧٨
٤٦	فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك	٣٣٩
٤٧	قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض	٣٧١
٤٨	قدم على رسول الله ﷺ قوم من عرينه	٥٠٦
٤٩	القلوب أربعة	٥٠٣
٥٠	كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت	٢٨٤
٥١	كل مولود يولد على الفطرة	٤١٠
٥٢	كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا	٢٧٣
٥٣	لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر	٢٩٢
٥٤	لا تقولوا للعنب الكرم ولكن قولا الحبله	٢٠٦
٥٥	لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها	٣٦٧
٥٦	لا تمنعوا إماء الله مساجد الله	٢٨٣
٥٧	لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية	٣٩٣
٥٨	لا يحل دم أمرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله	٤٤٨
٥٩	لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلًا	٤٦٣
٦٠	لا يقبل الله صلاة امرأة تطيبت لهذا المسجد	٢٨٤
٦١	اللهم اهدني لأحسن الأخلاق	٤١٦

م	الحديث	التكرار
٦٢	فإن كل محدثة بدعة	٢٣٦
٦٣	ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة	٤٤٩
٦٤	ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء	٢٨٢
٦٥	ما من مولود يولد إلا على الفطرة	٣٠٤
٦٦	ما نقصت صدقة من مال	٥٢٨
٦٧	مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين	٤٣٠
٦٨	من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله	٤٤٢
٦٩	من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده	٧٦
٧٠	من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا	٥٢٤
٧١	من سن في الإسلام سنة حسنة	٨٦
٧٢	من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد	٩٩، ١٩٠
٧٣	من قعدت أو كلمه نحوها منكن في بيتها	٢٨٣
٧٤	من كان على ما أنا عليه وأصحابي	٤٥٣
٧٥	من لزم الاستغفار	٥٥٤
٧٦	من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بغزو	٣٩٣
٧٧	نحن معاشر الأنبياء أولاد علات	٣٥٤
٧٨	نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة	١٢٦
٧٩	وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين	٤٥٣
٨٠	ولينصر الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا	٢٠٢
٨١	ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي	٢٤٨
٨٢	ومن يتعفف يعفه الله	٤١٩

م	الحديث	التكرار
٨٣	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة	٣٨٤
٨٤	يا معشر النساء تصدقن	٢٧٠
٨٥	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار	٣٤١
٨٦	يرحم الله موسى ليس الخبر كالمعاينة	١٥٠
٨٧	يقول أحدكم قد طلقت قد راجعت	٢٧٧
٨٨	يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء	٣٠٤

فهرس الآثار

م	الأثر	القائل	التكرار
١	اتحذت إذًا بطانة من دون المؤمنين	عمر بن الخطاب	٤٤٩
٢	آثرنا الدنيا على الآخرة لأنا رأينا زينتها	ابن مسعود	٥٣٠
٣	أما السابق بالخيرات فقد مضى على عهد رسول الله	عائشة	٥٢٩
٤	أمر الله المؤمنين بالجماعة	ابن عباس	٣١١
٥	إن الشاب فيه تسعة أخلاق حسنة	عمر بن الخطاب	٤٢٩
٦	إن العلم ليس بكثرة الرواية	مالك	٤٣٥
٧	إن ذل البدعة على أكتافهم	الحسن البصري	٢٥٨
٨	إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد	سعيد بن المسيب	٥٩٦
٩	إن لكم على الوالي من ذلك	عمر بن عبد العزيز	٤٤٣
١٠	إنه ليقع قلبي النكته (كلمه الحق)	أبو سليمان الداراني	٥٦٠
١١	جاهد الكفار بالسيف وأغلظ على المنافقين بالكلام	الضحاك	٤٧٤
١٢	حدثوا الناس بما يعرفون	علي بن أبي طالب	٥٠٧
١٣	الحكمة خشية الله	أبو العالية	٥٦٠
١٤	الحكمة هي الفقه في دين الله	مالك	٥٦٠
١٥	رأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا	الشافعي	٢٢٢

م	الأثر	القائل	التكرار
١٦	الشعر ديوان العرب	ابن عباس	١٦٥
١٧	عروة الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله	عمر بن الخطاب	٤٤٣
١٨	علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة	الجنيد بن محمد	٨٥
١٩	فإن عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك	عبادة بن الصامت	٤٤٢
٢٠	كل صاحب بدعة ذليل	سفيان بن عيينه	٢٥٨
٢١	لا إسلام لا بطاعة	أبو الدرداء	٤٤٢
٢٢	لا تلقى المؤمن إلا ناصحًا	قتادة	٦٧٠
٢٣	لا كبيرة مع الاستغفار	ابن عباس	٥٤٠
٢٤	لو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني	ابن مسعود	٥٩٥
٢٥	لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم	عمر بن الخطاب	٢١٨
٢٦	ليس العلم عن كثرة الحديث	ابن مسعود	٤٣٥
٢٧	ما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس	ابن سيرين	١٣٢
٢٨	من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض	أبو العالية	٢٤٥
٢٩	من شبه الله بخلقه فقد كفر	نعيم بن حماد	٢٣٠
٣٠	المنافق إن صلى راءى وإن فاتته لم ييأس	الحسن البصري	٤٧٠
٣١	المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها	زيد بن أسلم	٤٧٠
٣٢	والله لو منعوني عقالًا	أبو بكر	٣٨١

فهرس الأعلام المترجم لهم

م	اسم العلم	التكرار
١	إبراهيم بن سري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (٣١١هـ)	١٧٢
٢	إبراهيم بن عبد الرحمن بن ضياء الفزاري ابن الفركاح (٧٢٩هـ)	٣٣
٣	إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق الشيرازي(٤٧٦هـ)	٢٥
٤	إبراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠هـ)	١٠٨
٥	إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي (٩٦هـ)	٥٦٠
٦	ابن الزملكاني علي بن عبد الواحد (٧٢٧هـ)	٣٦
٧	أبو أسيد الساعدي (٤٠هـ)	٢٨٦
٨	أبو السنابل بن بعكك	٢٢٠
٩	أحمد بن أبي طالب بن نعمه الصالحي ابن الشحنة (٧٣٠هـ)	٤٣
١٠	أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ)	٦١
١١	أحمد بن العدل عماد الدين بن صصري (٧٢٣هـ)	٥٦٥
١٢	أحمد بن شعيب بن علي بن سفيان النسائي (٣٠٣هـ)	٦٠
١٣	أحمد بن صالح المصري (٢٤٨هـ)	٤٣٥
١٤	أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ابن تيمية (٧٢٨هـ)	٣٥
١٥	أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي أبو يعلى (٢٢٧هـ)	٤٥
١٦	أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)	١٥٣
١٧	أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار (٢٩٢هـ)	٦٢
١٨	أحمد بن فارس الشدياق (١٣٠٤هـ)	١٩٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

م	اسم العلم	التكرار
١٩	أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)	٦١
٢٠	أحمد بن محمد بن نصر الله بن أسد بن القلانس(٧٣١هـ)	٤١
٢١	أحمد ديدات (٢٠٠٥م)	٣٥٠
٢٢	أرسطو (٣٢١ق.م)	١٩٨
٢٣	أسامه بن زيد بن حارثة بن شراحيل (٥٤هـ)	٢٨١
٢٤	إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه (٢٣٨هـ)	٢٣٠
٢٥	إسحاق بن يحيى بن إسحاق الآمدي (٧٢٥هـ)	٣١٥
٢٦	إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)	٦٤
٢٧	إسماعيل بن عبد الرحمن السدي (١٢٨هـ)	٦٧
٢٨	أكثم بن صيفي (٩هـ)	٤١١
٢٩	أمرئ القيس بن حجر الكندي(٨٠ق.هـ)	١٧٠
٣٠	أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١٠٩٤هـ)	٥٦٦
٣١	البراء بن عازب (٧١هـ)	٣٦٠
٣٢	البرزالي القاسم بن محمد (٧٣٩هـ)	٣٤
٣٣	بلال بن رباح الحبشي (٢٠هـ)	٤٥٩
٣٤	جابر بن سمرة السوائي (٧٤هـ)	٤٦٣
٣٥	جابر بن عبد الله(٧٨هـ)	٢٠٢
٣٦	جلال الدين خوارزم (٦٢٠هـ)	٣٢٦
٣٧	الجنيد بن محمد بن الجنيد(٢٩٧هـ)	
٣٨	جنكيزخان	
٣٩	حاجي خليفة مصطفى عبد الله جلي (١٠٦٧هـ)	٦٥٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

م	اسم العلم	التكرار
٤٠	حاطب بن أبي بلتعه (٣٠ه)	١٢٢
٤١	الحجاج بن يوسف الثقفي (٩٥هـ)	٥٦٧
٤٢	حجي بن أحمد بن حجي (٨١٦هـ)	٥٤
٤٣	حذيفة بن حسل بن يمان العبسي	٢٧٨
٤٤	حرقوص بن زهير ذو الخويصره (٣٧هـ)	٥١٤
٤٥	حسن بن عمر بن الحسن بن حبيب (٧٧٩هـ)	٦٠
٤٦	الحسن بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (٥١٠هـ)	٧١
٤٧	الحسن بن يسار البصري (١١٠هـ)	٧٩
٤٨	الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (٧٢٦هـ)	٥٢٧
٤٩	الحسين بن علي بن أبي طالب (٦١هـ)	٣٥٤
٥٠	الحسين بن محمد المفضل بن القاسم الاصفهاني(٥٠٢هـ)	١٥٢
٥١	الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ)	١٧٢
٥٢	الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)	٣٦
٥٣	رؤبة بن عبد الله بن العجاج (١٤٥هـ)	١٨٥
٥٤	الربيع بن أنس البكري(١٣٩هـ)	٢٩٠
٥٥	ربيعة الرأي (١٣٦هـ)	٤٠٠
٥٦	رفيع بن مهران البصري أبو العالية (٩٣هـ)	٢٤٥
٥٧	الزبير بن العوام (٣٦هـ)	٩٤
٥٨	زرادشت	٣٥٢
٥٩	زيد بن أسلم العدوي(١٣٦هـ)	٤٤٤
٦٠	سبيعه الأسلميه	٢٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

م	اسم العلم	التكرار
٦١	سعد بن أبي وقاص بن مالك (٥٥هـ)	٢٢٠
٦٢	سعد بن خوله	٢٢٠
٦٣	سعيد بن المسيب المخزومي (٩٤هـ)	٥٢
٦٤	سعيد بن جبير الاسدي (٩٥هـ)	٥١
٦٥	سعيد بن منصور المروزي (٢٢٧هـ)	٦١
٦٦	سفيان بن عيينه (١٩٨هـ)	٢٥٨
٦٧	سفيان بن سعيد الثوري(١٦١هـ)	٢٩٠
٦٨	سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٣٦٠هـ)	٤٥
٦٩	سليمان بن الاشعث الأزدي أبو داود (٢٠٢هـ)	٦٠
٧٠	سليمان بن خلف القرطبي أبو الوليد الباجي (٤٧٤هـ)	٥٩
٧١	سليمان بن مهران الأعمش (١٤٨هـ)	٤٥٨
٧٢	سيبويه عمرو بن عثمان (١٨٠هـ)	١٦٣
٧٣	شهر بن حوشب (١٠٠هـ)	٤٤٤
٧٤	صبيغ بن عِسْل	٣٤٥
٧٥	صدي بن عجلان أبو امامة الباهلي (٨١هـ)	٤٤٦
٧٦	صهيب بن سنان بن مالك (٣٨هـ)	٤٥٧
٧٧	الضحاك بن مزاحم (١٠٥هـ)	١٨٤
٧٨	طاووس بن كيسان (١٠٦هـ)	٢٧٤
٧٩	طلحه بن عبيد الله التيمي (٣٦هـ)	٢٩٣
٨٠	العباس بن عبد المطلب بن عبد مناف (٣٢هـ)	٢٣٥
٨١	عبد الحميد بن عبد الحميد الاخفش(١٧٧هـ)	١٦٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

م	اسم العلم	التكرار
٨٢	عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)	٥١
٨٣	عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (٣٣٧هـ)	٢٢٢
٨٤	عبد الرحمن بن صخر الدوسي (٥٩هـ)	١١٤
٨٥	عبد الرحمن بن عطيه أبو سليمان الداراني (٢١٥هـ)	٨٥
٨٦	عبد الرحمن بن عمر بن محمد الأوزاعي (١٥٧هـ)	٢٢٩
٨٧	عبد الرحمن بن هرمز الاعرج (١١٧هـ)	٢٠٦
٨٨	عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٥٠٨هـ)	٤٦٦
٨٩	عبد الرزاق بن نعمان بن نافع الحميري(٢١١هـ)	٥٩٣
٩٠	عبد السلام بن محمد الجبائي (٣٢١هـ)	١٥٨
٩١	عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي (٦٢٣هـ)	٦٣
٩٢	عبد الله بن الزبير بن العوام (٧٣هـ)	٥٠٦
٩٣	عبد الله بن حبيب أبو عبد الرحمن السلمي (٧٤هـ)	٤٥٩
٩٤	عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (٦٨هـ)	٧١
٩٥	عبد الله بن عمر بن الخطاب (٦٥هـ)	٢٠٢
٩٦	عبد الله بن عمرو بن العاص (٦٥هـ)	٢٠٢
٩٧	عبد الله بن مسعود (٣٢هـ)	٥٣٠
٩٨	عبد الملك بن عبد الله أبو المعالي الجويني (٧٤٨هـ)	١٣٧
٩٩	عبد الوهاب بن علي تاج الدين السبكي (٧٧١هـ)	٣٠١
١٠٠	عبد مناف بن عبد المطلب أبو طالب (٣ ق هـ)	١٨٨
١٠١	عبيد الله بن الزربندي النحوي (٧٢٣هـ)	١٩٨
١٠٢	عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ)	٥٧٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

م	اسم العلم	التكرار
١٠٣	عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح (٦٤٣هـ)	٤٥
١٠٤	عرفجه بن عبد الله الثقفي	٥٣٠
١٠٥	عطاء بن أسلم بن أبي رباح (١١٤هـ)	٢٩٠
١٠٦	عقبه بن مسلم	٥٢٩
١٠٧	عكرمه بن عبد الله مولى ابن عباس (١٠٥هـ)	٢١٧
١٠٨	علي بن أحمد بن سعيد أبو محمد بن حزم (٤٥٦هـ)	٢٩١
١٠٩	علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر(٥٧١هـ)	٦٢
١١٠	علي بن حمزة الكسائي (١٨٩هـ)	١٦٤
١١١	علي بن علي بن أبي العز الحنفي (٧٩٢هـ)	٩١
١١٢	علي بن عمر بن أحمد الدارقطني (٣٨٥هـ)	٦١
١١٣	علي بن محمد الشريف الجرجاني (٨١٦هـ)	١٣٨
١١٤	علي بن مخلوف النويري (٧١٨هـ)	٣٧
١١٥	عمران بن حصين (٥٢هـ)	٤٦٥
١١٦	عويمر بن زيد بن قيس أبو الدرداء	٤٤٦
١١٧	عياض بن موسى بن عياض اليحصبي(٥٤٢هـ)	٦٣
١١٨	عيسى بن ماهان أبو جعفر الرازي (١٦٠هـ)	٩٥
١١٩	قتادة بن دعامه الدوسي (١١٨هـ)	٩٥
١٢٠	قسطنطين	٢٨
١٢١	كعب بن مالك الانصاري (٥٠هـ)	١١٤
١٢٢	كعب بن مانع الحميري (٣٢هـ)	٢٩٧
١٢٣	الليث بن سعد بن عبد الرحمن (١٧٥هـ)	٢٢٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

م	اسم العلم	التكرار
١٢٤	مالك بن أنس الاصبحي (١٧٩هـ)	٦١
١٢٥	مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعدي	٢٨٤
١٢٦	مجاهد بن جبر (١٠٤هـ)	٦٧
١٢٧	محمد أسد (١٤١٢هـ)	٢٠٤
١٢٨	محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ)	٥٩
١٢٩	محمد بن أحمد بن أبي جمرة (٥٥٩هـ)	١٥٠
١٣٠	محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ)	١٩٨
١٣١	محمد بن إسحاق بن خزيمة (٣١١هـ)	٢٩٢
١٣٢	محمد بن الطيب محمد الباقلاني (٤٠٣ه)	١٥٩
١٣٣	محمد بن الحسين بن خلف الفراء (٤٥٨هـ)	٥٩
١٣٤	محمد بن سيرين (١١٠هـ)	١٣٢
١٣٥	محمد بن عبد الرحمن السخاوي ٩٠٢هـ	٢١
١٣٦	محمد بن عبد الرحيم صفي الدين الهندي (٧١٥هـ)	٣٥
١٣٧	محمد بن عبد الله بن حمدويه الحاكم (٤٠٥هـ)	٦٠
١٣٨	محمد بن علي بن وهب ابن دقيق العيد (٧٠٢هـ)	٣٧
١٣٩	محمد بن عمر بن واقد السهمي الواقدي (٢٠٧هـ)	٦٢
١٤٠	محمد بن كعب القرظي (١٠٨هـ)	٤٤٤
١٤١	محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (٢٧٣هـ)	٦٠
١٤٢	محمود بن أحمد بن موسى العيني (٨٥٥هـ)	٤٧
١٤٣	محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)	٥٩
١٤٤	مسروق بن الأجدع الوادعي (٦٣هـ)	٥٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

م	اسم العلم	التكرار
١٤٥	مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ)	٦٠
١٤٦	معمر بن عبيده بن المثنى أبو عبيدة (٢٠٩هـ)	١٩٨
١٤٧	منجك بن عبد الله بن سيف اليوسفي(٧٧٦هـ)	٢٥٣
١٤٨	ميمون بن قيس أعشى قيس (٧هـ)	١٦٩
١٤٩	نعيم بن حماد الخزاعي (٢٨٨هـ)	٢٣٠
١٥٠	هبة الله بن الحسن اللالكائي (٤٦٣هـ)	٦٢
١٥١	هشيم بن بشير أبي حازم (١٨٣هـ)	١٨٩
١٥٢	هوذة بن علي الحنفي (٨هـ)	٤٥١
١٥٣	وكيع بن الجراح (١٩٧هـ)	٢٧٤
١٥٤	وهب بن منبه (١١٤هـ)	١٨٩
١٥٥	يحيى بن إسحاق بن فارس (٧٢٤هـ)	٦٦٦
١٥٦	يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ)	٢٢
١٥٧	يحيى بن وثاب (١٠٣هـ)	٤٥٨
١٥٨	يزيد بن هارون (٢٠٦هـ)	٣٨٣
١٥٩	يوسف بن أيوب صلاح الدين (٥٨٩هـ)	٣٩٥
١٦٠	يوسف بن تغري بردي (٧٨٤هـ)	٢٦
١٦١	يوسف بن عبيد الله بن عبد البر (٤٦٣هـ)	٦٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فهرس المراجع

م	اسم المرجع
١	الابتهاج في شرح المنهاج، علي بن عبد الكافي تقي الدين السبكي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١٤٠٤هـ .
٢	ابن كثير الدمشقي الحافظ المفسر المؤرخ الفقيه، مجد الزحيلي، طبعة دار العلم بدمشق، ط١، ١٤١٥هـ .
٣	ابن كثير ومنهجه في التفسير، إسماعيل عبد العال مطبعة مكتبة الملك فيصل الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م .
٤	الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، طبعة مصطفى الحلبي بمصر، ط٣، ١٣٧٠هـ .
٥	الإجتهاد في طلب الجهاد، عماد الدين إسماعيل ابن كثير الدمشقي، حققه وعلق عليه عبد الله بن عبد الرحمن عسيلان، طبعة دار اللواء، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ .
٦	الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد بن حزم، تحقيق أحمد شاكر، طبعة دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ .
٧	إحياء علوم الدين للإمام أبو حامد الغزالي، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ .
٨	الأخلاق بين مدرستي السلفية والفلسفية، عبد الله بن محمد العمرو، طبعة بمطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٢٧هـ .

م	اسم المرجع
٩	إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد علي الشوكاني، طبعة دار الفضيلة، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.
١٠	أزمة الحوار الديني، جمال سلطان، طبعة دار الصف بمصر، ط١، ١٤١٠هـ.
١١	الإسلام لعصرنا، جعفر شيخ إدريس، طبعة المنتدى الإسلامي، لندن، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٢	الأسلوب النبوي في الدعوة، حمدان الهجاري، طبعة دار الهدى للطباعة القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٣	الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق عادل الموجود وعلي معوض، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٤	أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، حمود الرحيلي طبعة دار العلوم والحكمة، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ.
١٥	أصول الحوار، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامية، وحدة الدراسات والبحوث، ط٢، ١٤٠٨هـ.
١٦	أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ.
١٧	الاعتصام، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي طبعة دار المعرفة بيروت، ١٤٠٢هـ.
١٨	الأعلام، خير الدين الزركلي، طبعة دار العلم للملايين، بيروت،

م	اسم المرجع
	ط١٥، ٢٠٠٢م .
١٩	أعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم، راجعه طه عبد الرؤوف، طبعة دار الجيل،بيروت بدون تاريخ .
٢٠	أفراح الروح، سيد قطب، طبعة الدار العلمية، ط١، ١٣٩١هـ .
٢١	الإمام ابن كثير سيرته ومؤلفاته ومنهجه في كتابه التاريخ، مسعود بن عبد الرحمن الندوي، طبعة دار ابن كثير بدمشق، ط١، ١٤٢٠هـ.
٢٢	أنباء الغمر بأنباء العمر، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق حسن حبش، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٩هـ .
٢٣	الإيمان باليوم الآخر، محمد بن إبراهيم الحمد، طبعة دار ابن خزيمة، الرياض ن ط٢، ١٤٢٣هـ .
٢٤	الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي، تاليف أحمد محمد شاكر، طبعة مكتبة ومطبعة محمد علي بيح وأولاده، ط٣، ١٣٧٠هـ .
٢٥	البداية والنهاية للحافظ إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة دار هجر بالرياض، ط١، ١٤١٥هـ .
٢٦	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد علي الشوكاني، مطبعة السعادة بالقاهرة، ط١، ١٣٤٨هـ .
٢٧	البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر الزركشي، طبعة دار المعرفة، ط٢، ١٣٩١م .

م	اسم المرجع
٢٨	بصائر دعوية، محمد أبو الفتح البياتوي، طبعة دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ .
٢٩	تاريخ المماليك، عادل زيتون، المطبعة الجديدة بدمشق، ١٤٠١هـ .
٣٠	تأملات في العمل الإسلامي، محمد الدرويش طبعة مطابع البيان، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ .
٣١	تجديد الفكر العربي، زكي نجيب محمود، طبعة دار الشروق، ط٦، ١٩٨٠م .
٣٢	تحقيق موقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، محمد آمحزون، طبعة دار السلام بالقاهرة، ١٤٢٦هـ .
٣٣	تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جلال الدين السيوطي، طبعة مكتبة الكوثر، الرياض، ط٢، ١٤١٥هـ .
٣٤	تذكرة الحفاظ للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، طبعة دار التراث العربي بيروت، ١٩٥٨م .
٣٥	التعريفات، علي محمد الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأنباري، طبعة دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٣هـ .
٣٦	تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين بن كثير طبعة عالم الكتب بالرياض، ط٢، ١٣٨٢هـ .
٣٧	تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٣هـ .
٣٨	التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، الناشر مكتبة وهبة،

م	اسم المرجع
	القاهرة، ط٨، ١٤٢٤هـ .
٣٩	تكامل المعرفة عند ابن تيمية، إبراهيم عقيلي، من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٥هـ .
٤٠	تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، إبراهيم الأبياري، طبعة دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م .
٤١	تهذيب لسان العرب، لأي الفضل جمال الدين بن منظور، تم تهذيبه بعناية المكتب الثقافي لتحقيق الكتب، إشراف عبدالله علي مهنا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت , ط١، ١٤١٣هـ .
٤٢	التوبة معناها وحقيقتها، صالح السدلان، طبعة دار الوطن، ط٣، ١٤١٥هـ .
٤٣	ثقافة الداعية، يوسف القرضاوي، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١، ١٣٩٨م .
٤٤	الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة أبي زيد القيرواني، صالح عبد السميع الأزهري، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ .
٤٥	جامع الترمذي، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ .
٤٦	الجامع للبحوث والرسائل، عبد الرزاق البدر، طبعة كنوز اشبيليا، الرياض، ط ١٤٢٦هـ .
٤٧	جماعة المسلمين مفهومها وكيفية لزومها في واقعنا المعاصر، صلاح الصاوي، طبعة دار الصفوة، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ .

م	اسم المرجع
٤٨	حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٧هـ .
٤٩	حضارة العرب، غوستاف لوبون، نقله إلى العربية عادل زعتر، طبعة بمطابع عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٩٦٩م .
٥٠	حكم الإسلام في الاشتراكية، عبد العزيز البدري، طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط٢، ١٣٨٤هـ .
٥١	الحوار آدابه وضوابطه، يحيى زمزمي، طبعة دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٤هـ .
٥٢	حياة ابن كثير وكتابه تفسير القرآن العظيم، محمد عبد الله الفالح، طبعة مطبعة دار البيان، ١٤٢٥هـ .
٥٣	خطط الشام، محمد علي كرد، نشر دار العلم للملايين بيروت، ط٢، ١٣٨٩هـ .
٥٤	الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر النعيمي، طبعة الترقي، نشر المجتمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٦٧هـ .
٥٥	الدر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر العقلاني، طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة، ط٢، ١٣٨٥هـ .
٥٦	دراسات في علوم القرآن، زاهر عواض الألمعي، مطبعة النرجس، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ .
٥٧	دعوة الإسلام، سيد سابق، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ .
٥٨	الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد علوش، طبعة دار الكتاب

م	اسم المرجع
	المصري بالقاهرة، ط٢، ١٤٠٧هـ .
٥٩	الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، محمد زين الهادي العرمابي، مطابع السودان للعمله، ٢٠٠٥م .
٦٠	الدعوة الإسلامية مفهومها وحاجة المجتمعات إليها، محمد خير رمضان يوسف، طبعة مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٧هـ .
٦١	الدعوة الإسلامية والغزو الفكري، جعفر شيخ إدريس، من مطبوعات رابطة الشباب المسلم العربي، أمريكيا، ١٩٨٧م .
٦٢	الدعوة إلى الله، حمد بن ناصر العمار، طبعة كنوز اشبيليا ١٤٢٥هـ .
٦٣	الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، من إصدارات الرئاسة العامة للبحوث بالمملكة العربية السعودية ط٣، ١٤٢٣هـ .
٦٤	دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها على الحركات الإسلامية، صلاح مقبول أحمد، طبعة دار الأثير الكويت، ط٢، ١٤١٦هـ .
٦٥	الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، محمد سعيد البارودي، طبعة دار الوفاء، جدة، ١٤٠٧هـ .
٦٦	ذم تقديم العقل على النقل، بدر بن عبد الله البدر، طبعة مطابع دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ .
٦٧	ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، للحافظ ابن أبي المحاسن الدمشقي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت بدون تاريخ .
٦٨	ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، جلال الدين بن ابي بكر السيوطي،

م	اسم المرجع
	مطبعة توفيق، مصر ١٣٤٧هـ .
٦٩	الرأي العام، محمد بن عبد الله الخرعان، طبعة دار اشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ .
٧٠	الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر، للحافظ محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ .
٧١	الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٣٥٨هـ .
٧٢	روضة الناظر وجنة المناظر، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة، تحقيق عبد الكريم بن علي النملة، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، ط٧، ١٤٢٤هـ.
٧٣	الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة القاهره، عبد الرحمن ابن سعدي، طبعة مكتبة المعارف، الرياض، ط٣، ١٤٠٠هـ .
٧٤	السنة ومكانتها في التشريع، مصطفى السباعي، طبعة المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣٩٦هـ .
٧٥	سنن ابن ماجة، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ .
٧٦	سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث، طبعت دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ .

م	اسم المرجع
٧٧	سنن النسائي، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ .
٧٨	شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد الحنبلي، طبعة القدس، القاهرة ١٣٥٠هـ .
٧٩	شرح الصدور بتحريم رفع القبور، محمد علي الشوكاني، مطبعة العبيكان بالرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ .
٨٠	
٨١	شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق عبد الله التركي، شعيب الأناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ .
٨٢	شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي كبر القاسم الأنباري، طبعة المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ .
٨٣	شرح الكوكب المنير في أصول الفقه، محمد أحمد ابن النجار، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، طبعة دار الفكر بدمشق، ١٤٠٠هـ .
٨٤	الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، لمرعي ابن يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق وتعليق نجم الدين عبد الرحيم خلف طبعت دار الفرقان للنشر والتوزيع عّمان، ط٢، ١٤٠٥هـ .
٨٥	الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجويعري، طبعة دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط١، ١٤١٩هـ .

م	اسم المرجع
٨٦	الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، يوسف القرضاوي، طبعة دار الصحوة الإسلامية، ١٤١١هـ
٨٧	صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ .
٨٨	صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ .
٨٩	صفات الداعية، محمد لطفي الصباغ، طبعة المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣١٩هـ .
٩٠	طبقات ابن سعد، طبعة دار صادر للطبعاة، بيروت، بدون تاريخ .
٩١	طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة، نشر مؤسسة دار الندوة الجديدة، بيروت ١٤٠٧هـ .
٩٢	طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين بن علي الداودي، نشر مكتبة وهبة، ط١، ١٣٩٢هـ .
٩٣	طريق الدعوة في ظلال القرآن، جمع وإعداد أحمد فايز، الناشر الراية المتحدة، بيروت، ط٦، ١٩٧٨م .
٩٤	العقل، فهمي النجار، طبعة مطابع الحميضي، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ .
٩٥	العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لأبي عبد اله بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق محمد حامد الفقي طبعت دار الكتب العلمية، بيروت بدون تاريخ .

م	اسم المرجع
٩٦	العلم أصوله ومصادره، محمد عبد الله الخرعان، طبعة دار الوطن ١٤١٢هـ .
٩٧	علم النفس الدعوي، محمد زين الهادي العرمابي، طبعة مطابع السودان للعمله المحدودة، بدون تاريخ .
٩٨	علوم القرآن والسنة، محمد اليحياوي وفالح الصغير طبعة دار اشبيليا، ط١، ١٤٢٣هـ .
٩٩	عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، أحمد محمد شاكر، طبعة دار الوفاء ط١، ١٤٢٣هـ .
١٠٠	عمل المرأة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر، زكي علي السيد، طبعة دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط١، ١٤٢٨هـ .
١٠١	الغلو في الدين، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ .
١٠٢	فتاوى محمد بن إبراهيم آل الشيخ، جمع وترتيب محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، طبعة مطابع الحكومة بمكة المكرمة، ط١، ١٣٩٩هـ .
١٠٣	فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ .
١٠٤	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد علي الشوكاني، طبعة دار الوفاء ا، المنصورة، ط٢، ١٤١٨هـ .
١٠٥	فتح المغيث في شرح ألفية الحديث، محمد بن عبد الرحمن السخاوي،

م	اسم المرجع
	تحقيق وتعليق علي حسين علي، طبعة مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة، ط١، ١٤١١هـ .
١٠٦	فقه اللغة، محمد إبراهيم الحمد، طبعة دار ابن خزيمة، ط١، ١٤٢٦هـ .
١٠٧	الفكر التربوي عند ابن تيمية، ماجد عرسان الكيلاني، طبعة مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٧هـ .
١٠٨	فن نشر الدعوة زمانًا ومكانًا، محمد زين الهادي العرمابي، طبعة دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٩هـ .
١٠٩	الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ .
١١٠	في ظلال القرآن، سيد قطب، طبعة دار الشورق، ١٣٩٥هـ .
١١١	القاموس المحيط، الفيروز آبادي، طبعة مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤١٩هـ .
١١٢	قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها، عبد القادر هنادي، طبعة مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨هـ .
١١٣	قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبي محمد عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام، طبعة مؤسسة الريان، بيروت، ١٤١٠هـ .
١١٤	قواعد الدعوة الإسلامية، حمدان الهجاري، مطابع ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ .
١١٥	القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن

م	اسم المرجع
	المنكر، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، طبعة مطابع المدينة، الرياض، ط١، بدون تاريخ .
١١٦	الكفاية في علم الرواية، للإمام أحمد بن علي الخطيب البغدادي، طبعة دار الكتب العلمية بدون تاريخ .
١١٧	لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، طبعة دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ .
١١٨	لمعة الاعتقاد، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الناشر وزارة الشئون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ .
١١٩	مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، ناصر العقل، طبعة دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ .
١٢٠	مجالات انتشار العمانية، محمد زين الهادي العرمابي، طبعة دار العاصمة، الرياض، ١٩٨٨م .
١٢١	مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة دار عالم الكتب بالرياض ١٤٢٢هـ .
١٢٢	محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، طبعت دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ .
١٢٣	مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٦٧م .
١٢٤	المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوي، طبعة مؤسسة

م	اسم المرجع
	الرسالة دمشق، ط١، ١٤٢١هـ .
١٢٥	المدخل لدراسة الشريعة، عبد الكريم زيدان، طبعة مؤسسة الرسالة ط١٠، ١٤٠٨هـ .
١٢٦	المدرسة الحديثة وعلاقتها بالقديمه، ناصر العقل، بحث منشور في مجلة كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد ٣ عام ١٤٠٠هـ .
١٢٧	مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي طبعة دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٩م .
١٢٨	مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي صالح المرشد، طبعة مكتبة كينه للنشر والتوزيع، دمنهور، ط١، ١٤٠٩هـ .
١٢٩	المصباح المنير، أحمد محمد الفيومي المقري، طبعة مكتبة التبيان، ١٩٨٧م .
١٣٠	مع الله دراسة في الدعوة والداعية، الشيخ محمد الغزالي، الناشر المكتبة الإسلامية، ط٥، ١٤٠١هـ .
١٣١	المعالم الأثرية في السنة النبوية، محمد حسن شراب، طبع دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ .
١٣٢	المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وزملاؤه، طبعة المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركيا، ط٢، ١٣٩٢هـ .
١٣٣	معجم محدثي الذهبي المعجم المختص، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حققه وعلق عليه روحية عبد الرحيم السويقي، طبعة دار

م	اسم المرجع
	الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٣هـ .
١٣٤	معجم مقاييس اللغة، أبي الحسن أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ .
١٣٥	المعرفة في الإسلام، مصادرها ومجالاتها، عبد الله محمد القرني، طبعة دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٩هـ .
١٣٦	المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم، سميره جمجوم، طبعة دار المجتمع، جدة، ط١، ١٤١٧هـ .
١٣٧	المغني، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، طبعة دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤١٧هـ .
١٣٨	مفتاح دار السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد مصطفى طاش كبرى زاده، دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٦٨هـ .
١٣٩	مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبي الحسن الأشعري، طبعة المكتبة العصرية، ١٤١١هـ .
١٤٠	مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، عثمان بن عبد الحمن بن الصلاح، منشورات دار الحكمة، دمشق، ١٣٩٢هـ .
١٤١	مقدمة في أصول التفسير، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، نشر دار القرآن الكريم بالكويت ومؤسسة الرسالة بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ .
١٤٢	المنار المنيف في الصحيح والضعيف، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم، طبع الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ .

م	اسم المرجع
١٤٣	مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، طبعة دار اشبيليا، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
١٤٤	منهاج الحكم في الإسلام، محمد أسد، ترجمة منصور ماضي، مطبعة بيروت، ط٢، ١٩٦٧م.
١٤٥	مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون تاريخ.
١٤٦	منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله، عبد الله بن رشيد الحوشاني، طبعة دار اشبيليا، ط١، ١٤١٧هـ.
١٤٧	منهج ابن كثير في التفسير، سليمان بن إبراهيم اللاحم، طبعة دار المسلم بالرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
١٤٨	منهج ابن كثير وموارده في المبتدأ والسيرة والراشدين من كتاب البداية والنهاية، شمس الدين محمد صديق، رسالة دكتوراه غير منشورة.
١٤٩	منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان بن علي حسن، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٥٠	منهج التفكير العلمي في القرآن، خليل الحدري، طبعة دار عالم الفوائد، ط٥، ١٤٢٥هـ.
١٥١	منهج التيسير المعاصر، دراسة تحليلية، عبد الله الطويل، طبعة دار الهدى النبوي، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٥٢	منهج الحياة الإسلام، محمد زين الهادي العرمابي، طبعة دار العاصمة،

م	اسم المرجع
	الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ .
١٥٣	منهج الدعوة في واقعنا المعاصر، عبد الحميد هنادي، طبعة دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ .
١٥٤	المنهج السلفي، تعريفه تاريخه مجالاته قواعده وخصائصه، مفرح بن سليمان القوسي، طبعة دار الفضيلة بالرياض، ط١، ١٤٢٥هـ .
١٥٥	منهج العاملين في الدعوة، محمد زين الهادي العرمابي، طبعة مركز الكتاب للنشر، عُمان، ١٩٩١م .
١٥٦	منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله، عبد الله المعتاز، طبعة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ .
١٥٧	منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، سليمان بن قاسم العيد، طبعة دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ .
١٥٨	المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف ابن تغري بردي، تحقيق محمد محمد أمين و عبد الفتاح عاشور، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م .
١٥٩	المواعظ والآثار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، طبعة دار صادر، بيروت، بدون تاريخ .
١٦٠	الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، طبعة دار المعرفة بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ .
١٦١	موجز التاريخ الإسلامي، أحمد معمور العسيري، طبعت مطابع الابتكار، الدمام، ط٣، ١٤٢٠هـ .

م	اسم المرجع
١٦٢	الموجز في الأديان والمذاهب المعاصر، ناصر القفاري وناصر العقل، طبعة دار العصمي للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ .
١٦٣	موسوعة أعلام الفلسفة، روني إيلي إلفا، طبعة دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٢هـ .
١٦٤	الموسوعة العربية العالمية، نشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٩هـ .
١٦٥	الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، من مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٤، ١٤٢٠هـ .
١٦٦	الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية، مفرح سليمان القوسي، طبعة دار الفضيلة، الرياض، ط ١٤٢٣هـ .
١٦٧	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي، طبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٤٩هـ .
١٦٨	النحل والملل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، طبعة دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ .
١٦٩	نشأة العلمانية ودخولها المجتمع الإسلامي، محمد زين الهادي العرمابي، طبعة دار العاصمة، الرياض، ١٩٨٨م .
١٧٠	نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، راجح الكردي، طبعة دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠٠٤هـ .
١٧١	نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية، أحمد محمد الدغثي من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ.

م	اسم المرجع
١٧٢	هكذا علمتني الحياة، مصطفى السباعي، طبعة دار الوراق، الرياض، ط٢، ١٤٢٧هـ .
١٧٣	واقعنا المعاصر، محمد قطب، طبعة مؤسسة المدينة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٧هـ .
١٧٤	وسائل الدعوة، عبد الرحيم المغذوي، طبعة دار اشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ .
١٧٥	وسائل الدعوة وأساليبها، حسين محمد عبد المطلب، طبعة دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس الأبيات

الرقم	البيت	الصفحة
١	أفادتكم النعماء مني ثلاثـــة يدي ولساني والضمير المحجبـا	١٨٧
٢	أو درة صدفيـــة غـــواصهـــا بهج متى يرهـــا يهـــل ويسجـــد	١٦٢
٣	أيمـــا شاطن عصاه عكـــاه ثم يلقى في السجن والأغـــلال	١٧٨
٤	بميزان قسط لا يخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائـــل	١٨٩
٥	تمشي النسور إليه وهي لاهية مشى العذاري عليهن الجلابيب	١٧٣
٦	توهمت آيات لها فعرفتهـــــا لستة أعوام وذا العـــام سابـــع	١٦٩
٧	خيل صيام وأخرى غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجما	١٦٢
٨	فمـــا يـــدري الفقيـــر متى عنـــاه ومـــا يدري الغنـــي مـــن يعيـــل	١٨٨
٩	لفقدك طلاب العلوم تأسفوا وجـــادوا بـــدمـــع لا يبيد غرير	٤٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الرقم	البيت	الصفحة
١٠	لقد نقبـــت في الأرض حتـــى رضيت من الغنيمـــة بالإيـــاب	١٧٠
١١	للـــــه در الغانيـــــات المـــــده سبحن واسترجعن من تألهـــي	٨٥
١٢	لها حارس لا يبرح الدهر بيتهـا وإن ذبحت صلى عليها وزمزما	١٦٩
١٣	نال الخلافة أو كانت له قدرًا كمـا رأى ربه موسى على قدر	١٧٠
١٤	ولو مزجوا ماء المدامع بالدما لكان قليلًا فيك يا ابن كثير	١٦٢
١٥	يرعي إلى قول سادات الرجال إذا أبدوا له الحزم، أو ما شاءه ابتدعا	١٥٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس الكلمات الغريبة والمصلحات

م	الكلمة	الصفحة
١	الأخلاق	٦٣٧
٢	الأخياف	٣٥٤
٣	أركسهم	٣٢٥
٤	الاستشراق	٦٣٦
٥	إعصار	٢٨٤
٦	الإلحاد	٦٣٦
٧	أولاد علات	٣٥٤
٨	التجربة	٦٥٧
٩	التصديق	١٦١
١٠	التصور	٦٣٣
١١	التغريب	٦٣٦
١٢	ثيوقراطية	٢٠٥
١٣	الجندر	٢٦٥
١٤	الحركةالنسوية	٢٦٧
١٥	الرجعية	٢١١
١٦	الزنادقة	٣٣٠
١٧	زنار	٩٥
١٨	طقطقت	٢٥٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

م	الكلمة	الصفحة
١٩	الطماطم	٣١٨
٢٠	الكيمياء	٦٢٣
٢١	اللف والنشر	١٨١
٢٢	الماهية	١٣٦
٢٣	المصطلح	١٦٧
٢٤	الموضوعية	٢٦٧
٢٥	النسبية	٦٣٣
٢٦	نظرية المعرفة	١٠٦
٢٧	هملجت	٢٥٨
٢٨	يأجوج ومأجوج	١٦٢
٢٩	الياسق	٦٠٩

فهرس الأديان والعقائد والمذاهب والفرق

م	الكلمة	الصفحة
١	الإسماعيلية	١٩٧
٢	الأشتراكية	٢١٢
٣	الأصولية	٢١٢
٤	بريلوية	٦٣٤
٥	البنيويه	٦٣٧
٦	البهائية	٥٧٢
٧	الجهمية	٢٦٠
٨	الحداثة	٦٣٧
٩	الحرورية	٢٢١
١٠	الحشوية	١٩٨
١١	الخوارج	٢٢١
١٢	الدروز	٣٢٥
١٣	الديمقراطية	٦٥٨
١٤	الذرائعية	٦٣٧
١٥	الشيعة	٢٩٣
١٦	الصهيونية	٦٣٥
١٧	العلمانية	٦٣١
١٨	الفاطميون	٣٢٥

م	الكلمة	الصفحة
١٩	القاديانية	٦٣٤
٢٠	القدرية	٣٧١
٢١	الكرامية	١٩٨
٢٢	الماسونية	٦٣١
٢٣	المعتزلة	٤٥٦
٢٤	النصارى	٢٧٩
٢٥	النصيرية	٣٢٥
٢٦	الوجودية	٦٣٦
٢٧	الوضعية	٦٣٦
٢٨	اليهود	٢٧٩

فهرس الأماكن

م	المكان	الصفحة
١	بصرى الشام	٢١
٢	التنكزية	٥٧٥
٣	دار الحديث الأشرفية	٥٧٤
٤	سرداب سامراء	٣٦٣
٥	الصالحية	٥٧٤
٦	الفاضلية	٥٧٥
٧	قوص	١٨
٨	الكنيسة	١٤٥
٩	النجيبية	٥٧٤
١٠	النهروان	٤٥٣
١١	النورية	٦٣٦

فهرس الموضوعات

خطة البحث ٣
أولا : المقدمة ٣
الدراسات السابقة ٤
ثانيا: أسباب اختيار الموضوع وأهميته: ١٠
ثالثا: مشكلة البحث وأهم تساؤلاته :..... ١٢
مصطلحات البحث ١٣
رابعا: منهج الدراسة ١٤
خامسًا : هيكل البحث :..... ١٤
التمهيد ١٦
أولًا : ترجمة ابن كثير رحمه الله : ١٧
ثانيًا : تفسير القرآن العظيم « لابن كثير » مكانته وأهميته :..... ٥٠
الباب الأول : خصائص منهج الدعوة إلى الله عند ابن كثير ٨٣
الفصل الأول : اعتماد منهج ابن كثير الدعوي على الكتاب والسنة.....٨٤
المبحث الأول : تقديم ابن كثير الكتاب والسنة على ما سواهما... ٨٨
المبحث الثاني : الرد إلى الكتاب والسنة عند الخلاف ٩٣
المبحث الثالث : رد ابن كثير للأقوال والآراء التي تخالف الكتاب والسنة.....٩٨
الفصل الثاني : النقل والعقل ونظرية المعرفة منهج دعوي عند ابن كثير.... ١٠٦
المبحث الأول : عدم تعارض النقل مع العقل ١٠٧
المطلب الأول : معنى العقل ومكانته في الاسلام.....١٠٧
المطلب الثاني : نظرة أبن كثير إلي العقل ١١٢

المطلب الثالث : إنكار أبن كثر علي من عارض النصوص بالرأي ..١٢٥
المطلب الرابع : انحراف اصحاب الفرق الذين قلوا في العقل ١٣٠
المبحث الثاني : نظرية المعرفة عند ابن كثير ١٣٥
المطلب الأول : المعرفة عند ابن كثير.....١٣٥
المطلب الثاني : طرق المعرفة عند ابن كثير ١٤٢
الفصل الثالث : الاحتجاج باللغة العربية منهج دعوي لدى ابن كثير....١٥٦
المبحث الأول : مكانة اللغة العربية من الدين.....١٥٧
المبحث الثاني : اعتماد ابن كثير اللغة العربية في تفسيره القرآن الكريم ١٦٥
المطلب الأول : رجوع ابن كثير إلى اللغة واحتكامه إليها ١٦٨
المطلب الثاني : اهتمام ابن كثير رحمه الله بشتى جوانب اللغة١٧٥
المطلب الثالث : الاستدلال باللغة في المسائل الخلافية ١٨٤
المبحث الثالث : عناية ابن كثير بالمصطلحات.....١٩٤
المطلب الأول : صحة نسبة المصطلح ومعناه ١٩٦
المطلب الثاني : إتباع المنقول من المصطلحات ٢٠١
المطلب الثالث : أثر مخالفة المصطلحات في اللغة والشرع والعقل على الاختلاف العلمي والعملي على الأمة.....٢٠٧
الفصل الرابع : شمول منهج ابن كثير الدعوى وموضوعيته وتقديم قول الصحابه ٢١٥
المبحث الأول : ترجيح أبن كثير قول الصحابي علي غيره من الناس..... ٢١٦.
المبحث الثاني : شمولية منهج ابن كثير في الدعوة ٢٢٣
المطلب الأول : شمول العقيدة ٢٢٥

المطلب الثاني : شمول العبادة ٢٣٧
المطلب الثالث : من منهج ابن كثير الدعوي الإهتمام بقضايا المجتمع.٢٤٧
المطلب الرابع : شمول دعوته للطوائف والفرق.....٢٥٥
المطلب الخامس : شمول دعوة ابن كثير للمرأة ٢٦١
المبحث الثالث : الموضوعية الدعوية في منهج ابن كثير ٢٨٧
المطلب الأول : الإخلاص في الوصول إلى الحق ٢٨٩
المطلب الثاني : محبة الآخرين والحرص على نفعهم ٢٩٥
المطلب الثالث : حسن الظن بالآخرين والبحث عن عذر لهم . ..٢٩٧
المطلب الرابع : العدل والإنصاف مع الخصوم ٢٩٩
المطلب الخامس:النظرة الواقعية للإنسان من حوله من حيث تكوينه ولوازم ذلك٣٠٤
المطلب السادس : اجتناب الجدل المذموم في الدين.....٣١٠
المطلب السابع : نبذ الجمود والتعصب الفكري ٣١٥
الباب الثاني : منهج الدعوة إلى الله عند ابن كثير من خلال أركان الدعوة ٣١٩
الفصل الأول : منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله باعتبار الموضوع ٣٢٠
المبحث الأول : منهج ابن كثير في الدعوة إلى العقيدة ٣١٢
المطلب الأول : أسباب اهتمام ابن كثير بالدعوة إلى العقيدة...٣٢١
المطلب الثاني : منهجه في الدعوة إلى الإيمان بالله.....٣٢٩
المطلب الثالث : منهجه في الدعوة إلى الإيمان بالملائكة.....٣٣٦
المطلب الرابع: منهجه في الدعوة إلى الإيمان بالكتب.....٣٤٧
المطلب الخامس : منهجه في الدعوة إلى الإيمان بالرسل ٣٥١
المطلب السادس : منهجه في الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر...٣٥٩
المطلب السابع : منهج ابن كثير في الدعوة إلى الإيمان بالقدر.٣٧١

المبحث الثاني : منهجه في الدعوة إلى الشريعة(العبادات والمعاملات والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ٣٧٣
المطلب الأول : منهجه في الدعوة إلى العبادات ٣٧٦
المطلب الثاني : منهجه في الدعوة إلى المعاملات ٣٨٨
المطلب الثالث : منهجه في الدعوة إلى الجهاد.....٣٩٢
المطلب الرابع:منهجه في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٩٧
المبحث الثالث : منهجه في الدعوة إلى التمسك الأخلاق ٤٠٣
المطلب الأول : أهمية الأخلاق في منظور ابن كثير.....٤٠٥
المطلب الثاني : سمات التربية الأخلاقية عند ابن كثير.....٤٠٩
الفصل الثاني : منهج ابن كثير في دعوة الناس إلي اللّه ٤٢٠
المبحث الأول : منهجه في دعوة المسلمين ٤٢٣
المطلب الأول : منهجه في دعوة عامة الناس ٤٢٤
المطلب الثاني : منهجه في دعوة العلماء ٤٣٢
المطلب الثالث : منهجه في دعوة الولاة ٤٣٩
المطلب الرابع : منهجه في دعوة أهل البدع والمنكرات ٤٥١
المطلب الخامس : منهجه في دعوة أهل النفاق ٤٦٨
المبحث الثاني : منهجه في دعوة غير المسلمين ٤٧٥
المطلب الأول : منهجه في دعوة أهل الكتاب ٤٧٥
المطلب الثاني: منهجه في دعوة المشركين ٤٨٣
الفصل الثالث : منهج ابن كثير في توجيه الدعاة ٤٩٢
المطلب الأول : العلم بمضون الدعوة ٤٩٣
المطلب الثاني : العلم بأساليب الدعوة ووسائلها ٤٩٦

المطلب الثالث : العلم بأحوال المدعوين ٥٠٢
المطلب الرابع : التوجيه للصفات الذاتية للداعية ٥٠٨
المبحث الثاني : التوجيه العملي للداعية.....٥١٧
المطلب الأول : التدريب على مهمات الدعوة.....٥١٨
المطلب الثاني : الحث على الاجتهاد في طلب العلم والعمل به...٥٢٣
المطلب الثالث : توجيه الداعية للتواضع.....٥٢٧
المطلب الرابع : توجيه الداعية للترفع عن اللغو ٥٣١
المطلب الخامس : توجيه الداعية للقصد والاعتدال.....٥٣٥
المطلب السادس : توجيه الداعية لاجتناب الموبقات ٥٣٩
المطلب السابع : توجيه الداعية للمبادرة بالتوبة.....٥٤٢
المطلب الثامن : توجيه أن يكون قدوة حسنة.....٥٤٦
الفصل الرابع : استخدام ابن كثير لوسائل الدعوة وأساليبها ٥٤٩
المبحث الأول : تعريف الوسيلة والأسلوب والفرق بينهما.....٥٥٢
المبحث الثاني : الأساليب في منهج ابن كثير.....٥٥٩
المطلب الأول : الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ٥٥٩
المطلب الثاني : المجادلة والحوار والمناظرة ٥٦٦
المطلب الثالث : التدريس والإفتاء ٥٧٣
المطلب الرابع:الاستدراكات والتعقيبات على غيره من العلماء ٥٨١
المبحث الثالث : الوسائل في منهج ابن كثير ٥٨٧
المطلب الأول : الاتصال الشخصي ٥٨٧
المطلب الثاني : الكتب والمؤلفات.....٥٩١
المطلب الثالث : الرحلات ٥٩٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الباب الثالث : الاستفادة من منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله.....٥٩٩
الفصل الأول : استفادة المدعو المعاصر من منهج ابن كثير.....٦٠١
المبحث الأول : واقع المدعو في العصر الحاضر ٦٠٢
المبحث الثاني:الطريقةالتي يستفيدمنها المدعو المعاصر من المنهج ٦٠٨
الفصل الثاني : استفادة الداعية المعاصر من منهج ابن كثير.....٦٢٠
المبحث الأول : نظرة إلى الداعية في العصر الحاضر ٦٢١
المبحث الثاني:الاستفادة من منهج ابن كثير في موضوع الدعوة في العصر الحاضر..٦٢٦
المبحث الثالث : الاستفادة في فقه المدعو في العصر الحاضر ٦٣٤
المبحث الرابع : الاستفادة في كيفية الدعوة في العصر الحاضر ..٦٤٧
المبحث الخامس : الاستفادة في مؤهلات الداعية في العصر الحاضر
.....٦٦١
الخاتمة.....**٦٧٢**
أولًا : النتائج : ٦٧٢
ثانيًا : التوصيات : ٦٧٣
الفهارس **٦٧٤**
فهرس الآيات ٦٧٥
فهرس الأحاديث.....٧٠٥
فهرس الآثار.....٧١٠
فهرس الأعلام المترجم لهم.....٧١٢
فهرس المراجع.....٧٢٥
فهرس الأبيات.....٧٣٩
فهرس الكلمات الغريبة والمصلحات.....٧٤١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فهرس الأديان والعقائد والمذاهب والفرق.....٧٤٣
فهرس الأماكن ٧٤٥
فهرس الموضوعات.....٧٤٦